الطفل والتنشئة الاجتماعية

دكتور محمد الجوهري
أستاذ علم الاجتماع
بجامعة القاهرة

دكتورة علياء شكري
أستاذ علم الاجتماع
بكلية البنات - جامعة عين شمس

دكتورة نجوى عبد الحميد
مدرس علم الاجتماع
بجامعة عين شمس

دكتورة منى الفرنواني
مدرس علم الاجتماع
بجامعة عين شمس

دكتورة فاطمة القليني
مدرس علم الاجتماع
بجامعة عين شمس

دكتور عدلي السمري
مدرس علم الاجتماع
بجامعة القاهرة



الطفل والتنشئة الاجتماعية

الطفل والتنشئة الاجتماعية

تأليف

دكتور محمد الجوهري — دكتورة علياء شكري

دكتورة نجوى عبد الحميد سعد الله — دكتورة منى الفرنوانى

دكتورة فاطمة القليني — دكتور عدلى السمري

١٩٩٤

دار المعرفة الجامعية
٤٠ ش سوتير - إسكندرية
ت : ٤٨٣٠١٦٣

بسم الله الرحمن الرحيم

مقدمة الكتاب

يسعدنى أن أقدم اليوم الكتاب الثالث فى هذه السلسلة الجديدة من الدراسات الميدانية عن المجتمع المصرى والمجتمعات العربية ، بعد أن صدر منها كتاب عن علم الاجتماع الطبى ، وآخر عن علم الاجتماع الاقتصادى والتنمية الاجتماعية .

والكتاب يعكس اهتماما طيبا بدراسات الطفولة والتنشئة الاجتماعية ، وان لم تكن هناك دراسات عديدة تنصب على الطفل ذاته، تعرض لظروفه ومشكلاته ، ولعالمه ، الا أنه من المؤكد أن دراسات التنشئة الاجتماعية هى فى صميمها دراسات عن الطفل ، لأنها تدور بالأساس حول الطفل ، كذلك الجانب الأكبر من دراسات دورة الحياة التى تستعرض الانسان منذ يصبح جنينا فى بطن أمه الى أن يشب عن الطوق وينضم الى مجتمع الكبار ، مركزة الاهتمام على المحطات الأساسية فى حياته .

بهذا المنطق تتتابع فصول هذا الكتاب ، كل فصل منها يقدم لنا دراسة عن الطفل أو عن التنشئة الاجتماعية فيقدم محمد الجوهرى فى

الدراسة الأولى صورة للطفل وعالمه وحياته فى التراث الشعبى ، وهى فى بعض جوانبها أساس أولى لفهم دلالات كثير من سلوك هذا الطفل وسلوك البالغين نحوه ، فى مراحل حياته المتتابعة .

ثم نقدم فى الفصل الثانى أشمل وأكمل دراسة كتبت بالعربية عن التنشئة الاجتماعية فى المجتمع المصرى ، من تأليف الدكتورة علياء شكرى . وكانت قد أعدتها بتكليف من هيئة المسح الاجتماعى للمجتمع المصرى ، التابعة للمركز القومى للبحوث الاجتماعية والجنائية . وتمثل هذه الدراسة التى تأخذ طابع التغطية النقدية لكل ما كتب عن التنشئة الاجتماعية فى مصر ، تمثل الأساس الذى انطلقت منه ، ودارت حوله ، وتعاملت معه عدة رسائل قدمت لنيل درجات الماجستير والدكتوراة سواء لقسم الاجتماع بكلية البنات جامعة عين شمس أو لقسم الاجتماع بكلية الآداب جامعة القاهرة ، تحت إشراف كل من الدكتورة علياء شكرى فى القسم الأول ، والدكتور محمد الجوهرى فى القسم الآخر .

ويقدم الفصل الثالث عرضا وافيا لرسالة الدكتوراة التى أعدتها الدكتورة نجوى عبد الحميد سعد الله (المدرس ببنات عين شمس) بعنوان : دراسة أنثروبولوجية مقارنة لأنماط التنشئة الاجتماعية فى مجتمع محلى بدوى ومجتمع محلى ريفى .

أما الفصل الرابع فيقدم أحدث وأكمل دراسة أجريت عن دورة الحياة فى المجتمع المصرى المعاصر ، ولا عجب فإن التى تولت الاشراف عليها — وهى الدكتورة علياء شكرى — يرجع إليها الفضل فى اعداد أول دراسة علمية أكاديمية عن دورة الحياة فى المجتمع المصرى (رسالة دكتوراه — باللغة الألمانية — قدمت لجامعة بون، ألمانيا الغربية ١٩٦٨). وهى تركز على هدف الكشف عن التغير ، لذلك اتخذت عنوانا لها : بعض

ملامح التغير الاجتماعي والثقافي في الريف المصري كما تعكسه عادات دورة الحياة . وهي من اعداد السيدة الدكتورة منى الفرنواني المدرس بقسم الاجتماع بكلية بنات عين شمس .

ويقدم الفصل الخامس تقريرا لبحث ميداني أعدته الدكتورة نجوى عبد الحميد سعد الله عن أنماط رعاية الطفولة كما تعكسها جداول استخدام الوقت في الأسرة . وكانت قد قدمت الصورة الأولى من هذا البحث الى مؤتمر الطفولة الذى نظمته جامعة عين شمس هذا العام . وترجع أهمية هذا البحث الى أنه يستخدم أداة جديدة هى جداول النشاط . وقد طبقت هذه الأداة الجديدة لأول مرة فى بحث عمالة المرأة والتغيرات الديموجرافية الذى أجرى على مستوى عالمى باشراف منظمة العمل الدولية ، ونفذ الجانب المصرى منه بالتعاون بين مركز التنمية والتخطيط بجامعة القاهرة ومنظمة العمل الدولية تحت اشراف الدكتورة علياء شكرى . ونعتقد اعتقادا جازما أن التوسع فى تطبيق هذه الأداة الجديدة سيعود بفائدة مؤكدة على دراسات العمل ، والترويح، والتعليم، كما طبق بكفاءة فى تسجيل كمية عمل المرأة وطبيعته وتوزعه عبر الساعات الأربع والعشرين .

وتركز الدراسة التى تقدمها الدكتورة فاطمة القلينى فى الفصل السادس (وهى عرض لرسالتها للدكتوراة التى قدمتها لقسم الاجتماع بجامعة القاهرة) تركز على جزئية محدودة — ولكنها هامة — من جزئيات عملية التنشئة الاجتماعية ، وهى القيم التى تغرسها قصص وحكايات الأطفال فى نفوسهم خلال عملية التنشئة الاجتماعية . وقد جمعت مادتها ، وطبقت منهجها على عينة من الحضر والريف، مستخدمة منهج تحليل المضمون . وقد ربطت تباين تلك القيم فى تنوعها ،

وطبيعتها ، وكثافتها ، وعمقهـا ، .. الخ تبعا للمتغـيرات الاجتماعية المختلفة ، واستطاعت التوصل الى طائفة من النتـائج الهـامة ذات الدلالة العلمية والمجتمعية الأكيدة .

والدراسة التى يقدمها الدكتور عدلى السمرى فى الفصل السابع والأخير هى الدراسة الوحيدة التى تولى اهتمامها لجانب الجناح عند الطفل ، بعدما ركزت جميع الدراسات السابقة على الأطفال الأسوياء . ويلاحظ أن دراسته قد ركزت على أطفال الطبقة العاملة ، ولكنه بصدد اعداد دراسات أخرى عن الانحراف والاجرام لدى فئات أخرى من الاطفال والشباب ، سوف يتوالى نشرها تباعا فى المستقبل باذن الله .

تلك لمحة سريعة عن الدراسات التى يحويها هذا المجلد الثالث من السلسلة الجديدة ، نرجو أن يجد القارىء فيها شيئا من الفائدة .

والله ولى التوفيق ..

الفصل الأول

الطفل فى التراث الشعبى(*)

يحتفل التراث الشعبى فى كل مجتمعات العالم بالطفـل احتفالا خاصا ، ولا عجب فى هذا . فالطفل هو «بداية» الحيـاة ، وهو — فى ميـلاده وفطامه ونموه — رمز حى متجـدد لتجـدد هذه الحيـاة . وينسج التراث الشعبى حول حمله وميلاده وحمايته آلاف الممارسات والمعتقدات . وينعكس بعضها فى كثير من العناصر الفنية الشعبية مادية وغير مادية ، مما سنلمس بعضه بوضـوح أكثر فيما بعـد . والطفل والالعاب الشعبية يمثلان رابطة بديهية قريبة لكل ذهن ، كذلك الطفـل والغناء .. الخ . ولذلك لا نبالغ اذا قلنا أن دراسـة الطفل فى التراث الشعبى لأى مجتمع انما تمثل عرض لقطاع مستعرض فى ثقـافة هذا المجتمع ، وسنطوف أثناء ذلك بكافة أقسـام هذا التراث من حيث أن الطفل فى كل قسم منهـا يشكل حجـر زاوية ومصـدر الهـام وبؤرة اهتمام .

وقد سبق لنا أن طورنا تصنيفا رباعيا لعناصر التراث الشعبى ،

(*) من تاليف الدكتور محمد الجوهرى ، وقد سبق نشر هذا المقـال فى مجلة عالم الفكر ، الكويت : المجلد العاشر ، العدد الثـالث ، صص١٥ — ٥٢ .

رأينا وقتها أنه يفى بالغرض من شـمول الرؤية وتعميق النظـرة الى التراث الشعبى .

وقد قسمنا التراث الشعبى الى أربعة أقسام رئيسية هى :

١ ـ المعتقدات والمعارف الشعبية .

٢ ـ العادات والتقاليد الشعبية .

٣ ـ الادب الشعبى .

٤ ـ الثقافة المادية والفنون الشعبية[١] .

ولما كانت دراسة الطفل فى التراث الشعبى هى تطويف عبر التراث كله ، فاننا سنتخذ من هذا التصنيف مرشدا وموجها لنا فى جولاتنـا آخذين فى الاعتبار أن هذه التقسيمات انما هى حدود نظرية وهميـة نفرضها على المادة الحية . بغرض تيسير الدراسة وتجزيء المعالجة ، وهو أمر تحتمه طبيعة التناول العلمى . أما المادة الحيـة المحفوظة فى صدور الناس وفى سلوكهم وفى أشيائهم المصنوعة فتتداخل فيهـا هذه الاقسام تداخلا طبيعيا .

وسيلاحظ القارئ ، فضلا عن هذا ، أن هناك بعض المراحل فى حياة الطفل لا نستطيع أن نتناوله فيها بعيدا عن أمه . فهو يظل مرتبطا

---

(١) ناقشنا كافة التقسيمات السابقة ـ العالمية والمحلية ـ وعرضنا لعناصر القوة والضعف فى كل منها ، وانتهينا الى هذا التقسيم الذى يأخذ فى اعتباره تطور البحث الفولكلورى على المستوى العـالمى ومراعاة الواقع المحلى لبلادنا . انظر محمـد الجوهرى ، علـم الفولكلور ، الجزء الاول ، دار المعارف ، الطبعة الثالثة ، ١٩٧٨ ، الفصل الثالث ، صص٥٣ ـ ٥٨ .

بأمه فى مرحلة الحمل ، وفى الولادة والرضاع ... الخ . فالكلام عن كل تلك الموضوعات هو كلام عن الام والطفل معا أو هو كلام عن الطفل من خلال الام . وأقصد بذلك أن أجسد مدى تلاحم العلاقة وقوتها فى تلك المرحلة[2] .

وتدخل تلك العلاقة الوثيقة فى مرحلة حاسمة ، كما أنها تتعرض لأول تجربة قوية فى عملية الفطام . فالفطام هو أولى خطوات الطفل على طريق الاستقلال بكيانه ووجوده الفيزيقى . كما أنه فى نفس الوقت بداية الاستقلال النفسى . فهو اذن مرحلة حاسمة وهامة فى حياة الأم والطفل معا ، ولكن اذا أردنا الدقة فهى أكثر أهمية وأبعد دلالة بالنسبة للطفل عنها بالنسبة للأم . فهذه ليست فى العادة أول تجربة للأم فى الانفصال الجسدى عن طفلها . ربما تكون قد مرت مرارا بتلك التجربة، وان لم تكن قد فعلت ، فالارجح انها ستمر بها مرارا بعد ذلك ، أما الطفل فهى تجربة يتيمة فى حياته . ومن هنا قلنا أن تجربة الفطام بالنسبة له أبعد دلالة وأخطر وزنا .

وتظل الأم على أى حال مرتبطة بعلاقة خاصة مع أولادها ، ربما أكثر من أى مصدر اجتماعى آخر (وان كانت قوة هذه الرابطة تشتد

---

(٢) بلغ من عمق التصور الشعبى لقوة هذه العلاقة ان الأم الحامل — كما ترى بعض المجتمعات — تربطها علاقة خاصة مع الجنين الذى فى بطنها : تعرف أن تضايق وتعرف ان فرح ، وتحس به فى كل حالاته . (مع خلاف هذا التصور اختلافا اساسيا بديهيا مع المعطيات العلمية الحديثة) . ومن هنا حرص المحيطون بالأم الحامل على رعاية مزاجها وملاطفتها ومساندتها طوال فترة الحمل. وللموضوع جوانب أخرى ستتضح فى سياق الدراسة .

بالنسبة للبنات عنها بالنسبة للأولاد) . فالأم فى مجتمعاتنا التقليدية كانت حتى عهد قريب لا تعمل ؛ ومازالت أغلب الأمهات بعيدات عن سوق العمل خارج البيت . ولم تكن أمام تلك الأم وسائل اتصال أو تسلية عامة ، ولم يكن التعليم منتشرا بقدر يذكر . ونتيجة كل هذا بقاء الأم مع أولادها الفترة الاكبر من طفولتهم المبكرة ، وقبل خروج الذكور الى العمل أو الى مجالس الرجال ، وبالنسبة للبنات حتى زواجهن[٣]. فالأم هى التى تنقل لهم تراث المجتمع الذى يعيشون فيه ، هى التى تطعمهم ، وتربيهم فى شئون الحياة اليومية ، وتحكى لهم القصص ، وتغنى لهم ، وتلاعبهم ... الخ .

ثم تمر علاقة الطفل بأمه (وبمجتمعه الكبير المحيط به) ، كما يمر نموه الجسمى والاجتماعى ببعض المراحل الحاسمة ، التى تمثل (مخطات على رحلة حياته) . ويحتفل المعتقد الشعبى ، كما تهتم العادات الشعبية ، بتلك المراحل احتفالا كبيرا : فتنسج حولها الافكار وترسم فيها أساليب السلوك ، وتتحوط بكافة السبل ضد ما يتهدد الطفل فيها من أخطار .

---

(٣) ولذلك ليس من الغريب أن يشير العالم الفرنسى دى شابرول ، فى دراسته عن سكان مصر المحدثين ، الى هذه الحقيقة قائلا : « ... اذا كانت المرأة لا تحدث عند الشعوب الشرقية الا تأثيرا بالغ الضآلة على الرجل بالمقارنة بما يحدث فى أوروبا ، فان الاطفال فى سنى عمرهم الاولى يخضعون لتأثيرها هى أساسا » . انظر : دى شابرول ، دراسة فى عادات وتقاليد سكان مصر المحدثين ، ترجمة زهير الشايب ، ١٩٧٦ ، ص٤٧ ، (حلقة من كتاب وصف مصر ، الذى يخرج له زهير الشايب ترجمة كاملة ، ظهر منها للآن أربع مجلدات ، مكتبة الخانجى ، القاهرة) .

ومن أهم تلك المراحل انقضاء الاسبوع الاول من عمر الطفـل ، (وفى بعض المجتمعات الاربعـون يوما الاولى) : حيث يؤدى حفـل السبوع دورا مناظرا لعملية «التعميد» ، ولكن بالمفهوم الاجتماعى وليس الدينى • فالسبوع هو قبول أو «أدخال» الطفل للمجتمع المحيط به من خلال عملية «التسمية» من ناحية ، وتأكيد الوجود الاجتماعى للطفـل من ناحية أخرى • وهذا الوجود الاجتماعى هو الامر الحاسم والهام ، وليس مجـرد الوجود الفيزيقى الذى تحقق فعـلا من خـلال عملية الولادة •

ومن المراحل الهامة فى حياة الطفل أيضا انقضاء السنة الأولى من عمره ، حيث يكون الاحتفال بعيد الميلاد الاول ، ثم بأعياد بعد ذلك ، وبمشى الطفـل لأول مرة ، وكلامه لأول مرة ••• الخ • تلك كلهـا « بدايات حاسمة وهامة لمراحل أساسية فى حياة الطفل ، يتصرف المعتقد الشعبى والعادات الشعبية حولها بكل دقة ، وترسم استجابات المحيطين، وتفسر كل الظواهر المصاحبة لها •

بعد أن تتطور عمليات نمو الطفل نسبيا ، تظهر ألعاب الاطفـال وأغانى الاطفال بشكل أولى بسيط ، وعلى لسان الأم أولا • فهى أول من يردد لوليدها الاغانى ، ومعها تبدأ أولى محاولات اللعب وبتطوره تتطور قدراته على الغنـاء واللعب ، ويكتسب من خلالهمـا سبيله الى أطفال الاسرة الآخرين ، ثم أطفال البيت ، والشارع والمدرسة بعد ذلك• فالألعاب هى أول مدرسة اجتماعية يدخل اليها الطفل ، ومن خلالهـا يجتاز أولى تجارب حياته •

وتمر حياة الطفل بعد ذلك بمراحل أخرى ذات أهمية ودلالة أيضا،

حين يبدأ أول «خروج» منتظم للطفل من البيت ، سواء للعمل (كما فى المجتمع البدوى الرعى مثلا ، أو من المجتمع الزراعى للمساعد فى أعمال الحقل البسيطة) أو حديثا للمدرسة • ولكن لا جدال فى أن أهم تلك المراحل على الاطلاق مرحلة الختان ثم مرحلة البلوغ • وهى تعد ايذانا بدخول هذا «الطفل» الى مجتمع الرجال (ان كان ذكرا) ، أو الى مجتمع الاناث (ان كان أنثى) •

وأشرنا الى أن كل تلك المراحل يحيطها المعتقد الشعبى ، كما تحيطها العادات الشعبية ، بالكثير من الاجراءات والممارسات الرمزيه والسحرية التى تهدف الى حماية الطفل وتأمين انتقاله الى المراحل التالية، أو الحفاظ عليه من أخطار هذا الانتقال • كما يمثل الطفل خلال كل مرحلة حاسمة منها بؤرة احتفال اجتماعى يقوم به الكبار من حوله ، ويعبرون خلاله عادة بمختلف أساليب التعبير عن فرحهم وسعادتهم بوصول الطفل الى هذه المرحلة ، ونجاحه فى اجتيازها بسلام •

حـول مفـهوم الطفـولة :

لم نتعرض فى هذه الدراسة بشكل مباشر لتحديد مفهوم الطفولة من وجهة نظر المعتقد الشعبى • فتلك النقطة على بساطتها الظاهرة من أعقد موضوعات الدراسة وأكثرها اتساعا • اذ تختلف الشعوب فيما بينها أشد الاختلاف فى تعيين البدايات والنهايات (الزمنية) لتلك المرحلة• فبعضها يرى أن الحياة تبدأ منذ بداية الحمل (انقطاع الدورة عند المرأة) ، وبعضها يبدؤها بتحرك الجنين فى بطن أمه ، وطائفة أخرى تبدؤها بالميلاد ، ورابعة بالسبوع ، وأخرى بالتسمية ، وسادسة بالختان ، وغيرها باجتياز طقوس العبور الشاقة ••• الخ • هذه فكرة

سريعة متعجلة عن الاختلاف حول بداية مرحلة الطفولة ، ويمكننا مما سبق أن نتصور مدى الخلافات حول تحديد نهايات هذه المرحلة .

فخروج الطفل الى مجتمع الكبار للمشاركة فى أداء وظيفة اقتصادية ـ مهما كانت متواضعة ـ يمكن أن يبدأ فى الرابعة أو حول تلك السن. وقد يتأخر الى السابعة أو العاشرة(٤) . على أن المشاركة فى النشاط الاقتصادى للجماعة لا تعنى أوتوماتيكيا اعترافا بانتهاء مرحلة الطفولة وبدء مرحلة الشباب فقد يتأخر الاعتراف بهذا «العبور» الى سن أبعد من ذلك ، الى حين اتمام البلوغ (بلوغ الكفاءة الجنسية الكاملة للذكور والاناث) ، أو الى حين اجتياز بعض اختبارات العبور الشاقة ، وربما الى ما بعد تكوين الفرد أسرة نووية جديدة ، وأحيانا يمكن أن يؤجل هذا الاعتراف الىما بعد انجاب أول طفل فالمسألة كما نرى معقدة ومتشابكة مع أنساق اجتماعية ثقافية أخرى ، ولا يمكن أن نلقى فيها حكما عاما ببساطة .

أولا : المعتقدات الشعبية المتعلقة بالطفل :

هناك بعض التحفظات والملاحظات التى يجب أن نبدأ بها حديثنا عن المعتقدات الشعبية . فصفة «الشعبية» تدل هنا على ما تدل عليه فى عبارة « الاغانى الشعبية » أو « العادات الشعبية » ... الخ . أى أننا نقصد المعتقدات التى يؤمن بها الشعب فيما يتعلق بالعالم الخارجى

---

(٤) نذكر هنا الحديث النبوى الشريف الذى ينصحنا بأن نأمر الطفل بالصلاة فى السابعة ونضربه على تركها فى العاشرة . فالسنة العاشرة بداية تحمله نوع من المسئولية التى يجب ان يحاسب عليها .

والعالم فوق الطبيعى • وليس من الامور ذات الاهمية الرئيسية — مع أننا نوليها عنايتنا عند الدراسة وفى التحليل — ما اذا كانت هذه المعتقدات قد نبعت من نفوس أبناء الشعب عن طريق الكشف أو الرؤية أو الالهام ، أو أنها كانت أصلا معتقدات دينية (اسلامية أو مسيحية أو غير ذلك) ثم تحولت فى صدور الناس الى أشكال أخرى جديدة بفعل التراث القديم الكامن على مدى الاجيال ، فلم تعد بذلك معتقدات دينية رسمية بالمعنى الصحيح ، أى أنها لا تحظى بقبول واقرار رجال الدين الرسميين • وقد كان الشائع أن يطلق عليها فى الماضى اسم ينطوى على حكم قيمى واضح ، اذا كانت تسمى خرافات أو خزعبلات• ومن الواضح أن هذه التسمية كانت صادرة عن رجال الدين الرسميين، سواء فى الخارج أو عندنا • لأن المعتقدات التى تدور حول هذه الموضوعات الغيبية ، ولا تتفق وتعاليم الدين الرسمى ، لا تستحق من وجهة نظر أصحاب هذا الدين اسم «معتقدات» • فكانت تسمى بهذا الاسم الخاطىء الذى تخلينا عنه اليوم كلية[٥] •

الملاحظة الاخرى أن أغلب تلك المعتقدات — التى يدور عنها الحديث هنا — تفصح عن نفسها غالبا فى شكل عادات وممارسات شعبية • ومن هنا نؤكد من جديد أن الفصل بين المعتقد والعادة هو فصل نظرى بحت لأغراض الدراسة العلمية ، ولا وجود له فى الواقع الحى • فالمعتقد والعادة هما وجهان لعملة واحدة •

كما نلاحظ أن الغالبية العظمى من العادات التى تمارس ازاء

(٥) أنظر ، محمد الجوهرى ، علم الفولكلور ، الجزء الاول ، مرجع سابق ، ص٦٢ •

الجنين والطفل الوليد ، ثم بعد ذلك قبل قبوله فى المجتمع ، انما يمكن تفسيرها فى ضوء معتقد شعبى أساسى . فهى جميعا تستهدف حماية هذا الجنين ثم الوليد من الاخطار التى تتهدده سواء من جانب قوى منظورة أو خفية . وأغلب تلك الممارسات (التى سنعرض لطرف منها فى سياق حديثنا التالى) كانت فى الأصل ممارسات سحرية وطقوسا دينية تخدم نفس الغرض ، ثم «سقطت» الى مستوى العادات ، وتحولت الى الصورة التى تجدها عليها اليوم . فعادات وتقاليد رعاية الجنين والمرأة الحامل ثم المرأة الواضعة ووليدها انما هى بهذا المعنى «رواسب» لممارسات قديمة كانت تمثل درجة أعلى من التقديس ، ولكنها تخدم نفس الوظيفة الثقافية .

الوظيفة الثانية لبعض العادات التى تمارسها الحامل ، أو تمارس عند الولادة أو بعد ذلك هى الاعتقاد بأن كل ما يحدث للجنين أو الوليد فى تلك الفترة سيؤثر على مستقبله ومصيره . فالقاء «الخلاص» فى مياه جارية يطيل عمر الوليد ، و «الوطوطة» للبنت هامة لجمالها لأنها تمنع نمو الشعر فى الاماكن الموطوطة . بل ان التسمية نفسها ليست عملية فردية عشوائية ، ولكن الاسم الذى سيطلق على هذا الوليد سيؤثر على خصائصه ، وعلى مستقبله[٦] .

أما الوظيفة الثالثة فجمالية بحتة ، حيث تستهدف هذه الممارسة أو تلك : اطالة الشعر والتأثير على خصائصه ، أو توسيع العينين ، أو تقوية الذاكرة عند الطفل ، أو التأثير على لون البشرة ... الخ مما سيتضح بعضه فى سياق حديثنا .

---

(٦) انظر مزيدا من التفاصيل والامثلة ، عند ريتشارد فايس ، الفولكلور السويسرى (بالالمانية) :

R. Weiss, Volksunde der Schweis, Zurich, 1946, P. 175.

وتبدأ جولتنا مع المعتقدات الشعبية المتعلقة بالطفل بالاشارة الى تفسير أصل الطفل له ؛ أو بيان الكبار المحيطين به المصدر الذى حصلوا منه عليه . فهناك طائر أو حيوان أو انسان أو كائن ما «أحضر» هذا الطفل الى البيت . قد يكون الضفدعة ، أو الغراب ، أو الثعلب ، أو «الداية» (أو بابا نويل فى بعض المجتمعات الاوربية)[٧] . ويعتقد أحيانا أن كل الاطفال موجودون فى مكان معين (فى بئر معين ، أو تحت شجرة معينة ، أو فى أحد المناجم ، أو فى بحيرة معينة ، أو فوق جبل بالذات أو أمام أحد المساجد .. الخ) وأن هناك شخصا معينا هو الذى يحضرهم للأسرة .

والطفل الذكر فى كل المجتمعات العربية أكثر تفضيلا من الطفل الانثى . وقد عرضت الدراسات الفولكلورية القليلة المنشورة عن المجتمعات العربية لهذه الملاحظة بكل جلاء ودون أى لبس[٨] . ويعرف المعتقد الشعبى كثيرا من التفاصيل التى تجب مراعاتها والممارسات التى يجب اتباعها لانجاب طفل ذكر[٩] .

---

(٧) انظر مزيدا من التفاصيل عند ريتشارد بايتل : قاموس الفولكلور (بالالمانية) :
R. Beitl, Worterbuch der Volkskunde, Herausgegeben von O.A. Erich und R. Beitl, Z. Auflage, Alfred Kroner, Verlag, Stuttgart, 1955, P. 409.

(٨) انظر بيانات اثنوجرافية دقيقة ومفصلة اوردتها علياء شكرى فى دراستها لبعض المجتمعات المحلية فى المملكة العربية السعودية : علياء شكرى ، بعض ملامح التغير الاجتماعى الثقافى فى الوطن العربى . دراسات ميدانية لبعض المجتمعات المحلية فى المملكة العربية السعودية ، القاهرة ، دار الكتاب للتوزيع ، ١٩٧٩ .
وانظر كذلك مؤلفى احمد أمين وفوزية دياب وغيرهما مما سيرد ذكره فى حواشى هذه الفترة فيما بعد .

(٩) وقد أورد أحمد أمين فى «قاموسه» أن : الرجل اذا اراد ان تلد

فأهم خبر يترقبه أفراد الاسرة بمجرد أن تضع الوالدة طفلها هو جنس المولود من حيث كونه ذكرا أو أنثى • ويصل هذا التفضيل الى درجة أن « بعضهم يملؤه الحزن اذا ولدت له أنثى • أما الصبى فالكل يفرح ويتهلل لمقدمه بدليل القول السائر لدى الفلاحين المصريين: « لما قالوا ده ولد انشد ضهرى وانسند ، ولما قالوا دى بنيه انطبقت الدار على » أو القول : « لما قالوا ده غلام انشد ضهرى واستقام ، ولما قالوا دى بنية شمتت العدا فيه »[١٠] •

ومع ذلك فان دراسة أشمل لتراث الامثال والعبارات الشعبية المتداولة فى مجتمع كالمجتمع المصرى (يحبذ كما رأينا انجاب الذكور) توضح لنا أن هناك عديدا من الامثال التى تمتدح انجاب الاناث[١١]•

امراته الذكور فليضع يده اليمنى على سرتها وهى نائمة • ويمسح على السرة وهى فى ابتداء حملها ويقول ثلاث مرات ، وهو يديم المسح بيديه : اللهم ان كنت خلقت خلقا فى بطن زوجتى هذه فكونه ذكرا وانا اسميه محمدا • رب لا تذرنى فردا وانت خير الوارثين • فبشرناه باسحق ومن وراء اسحق يعقوب ، وبشروه بغلام عليم » •

انظر احمد امين ، قاموس العادات والتقاليد والتعابير المصرية ، القاهرة ، مطبعة لجنة التاليف والترجمة والنشر ، ١٩٥٣ ، ص٤١٥ •

(١٠) انظر مزيدا من التفاصيل عند فوزية دياب ، القيم والعادات الاجتماعية • مع بحث ميدانى لبعض العادات الاجتماعية ، دار الكاتب العربى للطباعة والنشر ، القاهرة ١٩٦٦ ، صص٢١٤ وما بعدها •

(١١) من الامثال والعبارات التى تحبب فى انجاب الاناث :
— « أخير الناس اللى تبكر بالبنت » •

والرأى عندنا أن مثل هذه الامثال التى تحبب فى انجاب البنات انما هى دليل يؤكد القاعدة الاولى ولا ينفيها • فهى تؤكد تعاسة المرأة التى تلد بنتا ، وتنبهنا الى أن المجتمع انما ابتكر تلك العناصر الشعبية لكى يخفف عن هذه المرأة ويواسيها •

ويعد ميلاد التوائم مثارا لاهتمام المعتقد الشعبى • ومع أنه من المعروف أن التوائم ليست من الظواهر الشائعة احصائيا على مستوى العالم • الا أننا نجد المعتقد الشعبى لدى كل الشعوب وعلى مدى كل العصور يحفل بكثير من الافكار والعناصر الدائرة حول التوائم •

وتتراوح المواقف من التوائم فى المعتقد الشعبى بين التشاؤم الشديد منها (وما يتبع ذلك من ممارسات) ، والتفاؤل أو التقدير الكبير • وان شئنا المفاضلة بين الاتجاهين أو وزنهما من حيث سعة الانتشار وجدنا اتجاه النفور منهما والتشاؤم هو الاوسع انتشارا والاكثر تواترا بين الناس •

وقد عرفنا عن بعض المجتمعات أن أحد التوأمين ينسب عادة الى

— « اللى يسعدها زمانها تجيب بناتها قبل صبيانها » .
— « اللى مالهاش بنية تصبغ أياديها ، تعيط بحرقة والناس تعزيها » .
— « اكبرى يابنتى والنصيب كتير » .
— « أم واحدة ربنا محيرها ، وأم عشرة ربنا مدبرها » .
— « ابو البنات مرزوق » .
— « اللى ما عندوش بنات ما يعرفوش الناس امتى مات » .

انظر مزيدا من التفاصيل عند : ابراهيم احمد شعلان ، الشعب المصرى فى امثاله العامية ، القاهرة ، الهيئة المصرية العامة للكتاب ، ١٩٧٢ ، صص ١٢٩ — ١٣٠ ، و ص ١٣٥ .

الآلهة ، أما الآخر فينسب الى أب من البشر (قارن فى هذا حكاية هرقل فى الاسطورة الاغريقية) • بينما تعتقـد شـعوب أخرى أن التوأمين يكونان دائما لرجلين شاركا فى اخصاب الأم ، كل منهما أب لواحد من التوأمين •

وكثيرا ما يعتقد أن انجاب التوائم هو ثمرة علاقة زنى ودليـل عليه •

أما المجتمعات الأحدث والأقرب الينـا والاكثر تقدما فتعتقد أن انجاب التوائم هو دليل على زيادة فى رجولة الأب • بينما تعتقد كثير من الشعوب البدائية أن التوائم يجب التخلص منها ، وأن على المرأة أن تتطهر لفترة من الوقت بعد أن تضعهما •

ولهذا السبب تحرص تلك المجتمعات على تجنب أكل المرأة للثمار المزدوجة كلوزتين ملتصقتين ببعضهما ، أو موزتين ملتصقتين ••• الخ حيث يعتقد أن أكل تلك الاشياء يؤدى الى انجـاب التوائم • ويورد قاموس فونك للفولكلور تفصيلا لبعض الممارسات ـ مشفوعة بالنصوص المستخدمة ـ التى يتحتم اللجوء اليها فى حالة اذا ما اضطرت الفتاة أو المرأة الى أكل مثل هذه الثمـار المزدوجة • والهـدف من كل تلك الممارسات والصيغ تجنب انجاب التوائم[١٢] •

---

(١٢) Funk & Wagnall's Standard Dictionary of Folklore, Mythology and Legend, ed. by Maria Leach, Funk and Wagnalls Publishing House, N. Y., 3rd ed. 1972, Art., « Twins », PP. 1134-6.

وانظر : كذلك محمد الجوهرى ، علـم الفولكلور ، الجـزء

ثم هناك على الطرف الآخر الموقف الذى يحبذ انجاب التوائم ويسعد بها ويعتبرها فألا حسنا • فيعتقد أبناء تلك الثقافات أن التوائم تتمتع ببصيرة نافذة ، أو هم يتمتعون بقوة خارقة ناتجة عن جمعهم بين شخصيتين فى نفس الوقت • كما ترى احدى قبائل الهنود الحمر أن التوائم تستطيع رؤية الارواح وغيرها من الكائنات فوق الطبيعية • وهو الامر الذى لا يستطيعه الناس العاديون كما نعرف • ولكن التوائم يمكن أن تفتقد هذه القدرة اذا ما تناولت طعاما من اعداد امرأة حائض •

ونستطيع أن نجد نفس هذين الموقفين العامين من التوائم فى الثقافة الافريقية جنوب الصحراء أيضا ، خاصة غرب افريقيا ، ومنها انتقلت تلك المعتقدات الى زنوج العالم الجديد • ويفسر البعض هذه المواقف المتطرفة من التوائم فى ضوء أنهم يمثلون نوعا من الولادة الشاذة أو التى تلابسها ظروف غير طبيعية • ويرسم هيرسكوفيتش[*] فى مقاله عن التوائم فى غرب افريقيا معالم الخط الفاصل بين منطقتى تقديس التوائم والنفور منهم بأنه يمتد عبر وسط نيجيريا • حيث نجد أن اليوروبا وقبائل الساحل الغينى غربا من الفريق الذى يحب التوائم • أما الايبو وزنوج منطقة الدلتا والكاميرون فيتخذون الموقف المعاكس •

ويشير فضلا عن هذا الى أن هناك طائفة من المعتقدات الدائرة حول الطفل التالى فى الولادة على التوائم • اذ ترى تلك الثقافات الزنجية أن هذا الطفل يتميز بقوة جسمانية فائقة ، وانه يجب أن يلقى

---

[*] الثانى : (دراسة المعتقدات الشعبية) ، دار المعارف ، الطبعة الاولى ، ١٩٧٩ • الفصل الخاص بالمعتقدات الدائرة حول الانسان •

معاملة خاصة ... الخ • ويفسر انتشار الممارسات والعبارات المتعلقة بالطفل التالى على التوائم (والمعروف باسم the dosu) فى مجتمعات البرازيل ، وكوبا ، وجيانا ، وهايتى وغيرها من شعوب البحر الكاريبى بأنه يكاد يكون احتفاظا طبق الاصل لنظائرها الاصلية ، والتى انتشرت الى تلك المنطقة ، وتركت بصماتها واضحة عليها دون اعادة تفسير •

الأخطار المحيطة بالطفل جنينا ورضيعا وطفلا :

يرى المعتقد الشعبى أن الأم وجنينها يتعرضان طوال فترة الحمل وعنـد الولادة وبعـدها الى عدد من الاخطار المتنوعة التى تأتى من مصادر مختلفة ولاعتبارات شتى • وسوف نحاول الالمام بتلك العناصر بشكل موجز ، ثم نركز كلامنا على نقطة واحدة على سبيل التوضيح•

تتعرض الأم وهى حامل لخطر المشاهرة (أو الكبس) : ومعنى ذلك الوقوع تحت تأثير الحسد وتأثير أرواح شـريرة • وهنـاك عدة أسـاليب وسبل تؤدى الى مشاهرة الحـامل ، فدخول رجل أجرودى عليها ، أو امرأة عاقر ، أو امرأة حائض .... الخ كل ذلك من عوامل مشاهرة تلك الحامل •

ومن المستحب فوق ذلك أن تتغنى الحامل ويغنى لهـا الآخرون أغان معينة تتفق والمناسبة السعيدة المقبلة عليها • ويجب على المحيطين بها على وجه العموم الحرص على عدم ذكر أى حكايات مخيفة أو أخبار سيئة أو حكايات ولادات عسرة أمامها • ولابد من الحرص على اعتدال مزاجها وسرورها بقص الحكايات ورواية الاخبار الطريفة المبهجة الباعثة على التفاؤل[١٣] • ولا يصح لها أن تشارك فى مناسبات العزاء ، ولا أن

---

(١٣) واتســاقا مع هذا حرص الحامل طوال ايام الحمـل والوحم على

تقوم بزيارة المقابر طوال فترة الحمل . ويستحب لها ارتداء الالوان المبهجة الجميلة وترك الملابس ذات الالوان القاتمة ، فلا يصح أن ترتدى ملابس الحداد اطلاقا واذا حدث فلمدة قصيرة جدا وبشكل رمزى .

وعلاوة على هذه الرعاية النفسية فهناك رعاية جسمانية للحامل ، حيث يخشى عليها من حمل الاحمال الثقيلة أو أداء الاعمال الشاقة (تجنبا لحدوث اجهاض) .

ومن الممكن القول بصفة عامة بأن الاسرة تحرص ، خاصة بالنسبة للأم «البكرية» على الاستجابة لكل طلباتها والتسرية عنها ، وتخفيف آلام الحمل التى تشعر بها . وأهم أحداث تلك الفترة «الوحم» . والوحم ظاهرة تحدث فى الشهر الثالث والرابع فى أشهر الحمل . وكثيرا ما تتوحم الحبلى فتشعر برغبة ملحة فى نوع أو أنواع خاصة

= الابتعاد عن كل المناظر القبيحة ، كمنظر الحمير أو القرود مثلا . أو منظر الاشخاص المشوهين . لأن الاعتقاد الشائع انه اذا وقع نظر السيدة الحامل على منظر شخص أو حيوان قبيح ، فان وليدها سيكون قريب الشبه منه ، لأن العين «لقاطة» كما يقولون . ولذلك تتعمد الحامل ان تنظر الى الاطفال والاشخاص ذوى الخلقة الجميلة والوجه الحسن ، لكى تلقط عيناها مناظرهم فيأتى الجنين على هذه الصورة الجميلة .

كذلك تحذر الحامل كل التحذير من «المخايلة» على أى شخص ، أى السخرية والتهكم على من كان أسمر مثلا أو قزما أو معتوها أو به أى صفة معيبة بشكل عام . فان سخريتها من مثل هؤلاء ، وتهكمها عليهم ، يجعل وليدها يأتى متصفا بصفاتهم . أنظر فوزية دياب ، القيم والعادات الاجتماعية ، مرجع سابق ، ص ص ٣٠٩ — ٣١٠ .

من المأكولات . وفى بعض الاحيان تكون هذه المأكولات نادرة ، أو غير موجودة فى فترة وحم الزوجة ؛ لأن لها أوانا وأوقاتا أو مواسم معينة . وهناك إعتقاد شائع أن الحامل التى تتوحم اذا اشتهت شيئا من المأكولات ولم يحضر لها ، فان هذا النوع من الطعام سيظهر على بشرة الوليد على هيئة بقعة تسمى «وحمة» كبيرة أو صغيرة . وقد تظهر فى وجه الوليد فتشوه منظره . ولذا يحرص الزوج وأهله على السعى لاحضار ما تشتهى الزوجة الحامل ، مهما كلفهم ذلك من ثمن ومشقة(١٤)

وتتعرض الأم الحامل ، ثم هى ووليدها بعد ذلك لأخطار الحسد . وكتب الدراسات الشعبية تزخر بعشرات ، بل مئات ، الشواهد والنماذج على ذلك(١٥) . فالطفل الجميل أكثر تعرضا للحسد من العادى والقبيح ، والوحيد أكثر تعرضا ممن له أخوة ، والذكر أكثر تعرضا للحسد من الانثى ، وهكذا . وتلجأ الامهات الى أساليب شتى لدرء خطر الحسد ، فالبعض يلبسن أولادهن الذكور ثياب الاناث فى الايام الاولى عقب

---

(١٤) فوزية دياب ، المرجع السابق ، نفس الموضع ، وتبدى الدكتورة فوزيه دياب بهذه المناسبة ملاحظة طريفة ، حيث تقول : « والواقع أن رغبات الحامل فى فترة الوحم تعد فرصة امامها وأمام أهلها لاختبار شعور زوجها واهل زوجها نحوها ، وما يحملونه لها من محبة وعطف واهتمام وتسامح . ولذلك فكثيرا ما تنتهز الزوجة هذه الفترة وتتدلل على زوجها وأهله بطلب المأكولات والملبوسات المختلفة التى كانت تشتهيها قبل الحمل »

(١٥) انظر على سبيل المثال وليم لين ، المصريون المحدثون . شمائلهم وعاداتهم ، ترجمة عدلى طاهر نور ، الطبعة الثانية ، الناشر غير مبين ، القاهرة ، ١٩٧٥ ، وكذلك احمد أمين ، مرجع سابق وغيرهما كثير .

الميلاد ، بل بعضهن يطلق على الذكر اسم انثى • وكانت الامهات المصريات الموسرات على ما يحكى ونيم لين يتركن أطفالهن فى ثياب قذرة ومظهر رث خوفا من الحسد وقد تعلق بعض الأسر على أطفالها الأحجبة المختلفة لحمايتهم من الحسد ... الخ •

وتتخذ أعظم الاحتياطات وأكثرها جدية ساعة مولد الطفل ، بهدف حماية الأم وحمايته هو • فتتلو الحاضرات الادعية والآيات والصيغ والعبارات التى تستهدف تخفيف آلام الولادة والتعجيل بها ونهايتها نهاية حسنة سليمة • ويمثل انفتاح رحم الأم فى تلك اللحظة مصدر خطر - حسبما يرى المعتقد الشعبى فى كثير من الثقافات - يجب التحرز من أخطاره وتجنب دخول أرواح شريرة من حيث يتدفق الدم • ثم ان هذا الدم نفسه موضع احساس مزدوج : فهو رمز للخير والنماء والتجدد والحياة الجديدة ، وهو فى نفس الوقت عنصر نجس ينطوى على خطورة غير معلومة وعلى تهديد للأم والطفل وللمحيطين[١٦] • ويحتم كل ذلك التصرف بحذر فى الخلاص وبقايا الحبل السرى، ومعالجة الوليد بحكمة ودراية ... الخ على أساس أن كل سلوك فى تلك اللحظة ستكون له آثار بعيدة المدى على حياة الأم والطفل ، وعلى الطفل بوجه خاص • وترتفع درجة الاستعداد وتتخذ أبعادا مختلفه فى حالات الولادات العسرة ، حيث أنه من المنطقى أن تزداد احتمالات الخطر التى يتعرض لها الأم والطفل معا •

وبعد نزول الجنين من بطن أمه وليدا ، تجرى له بعض الاستعدادات

---

(١٦) انظر مادة « ميلاد الطفل Child birth فى قاموس فونك للفولكلور، التى سبقت الاشارة اليه : ص ص٢١٧ - ٢١٨ .

وتقدم له بعض ألوان الرعاية ، كقطع الحبل السرى ، ودهان جسمه ببعض المواد ، وتكحيله ... الخ ومن هذا أيضا عصر ثدييه (ساعة الميلاد ويوميا لمدة سبعة أيام ، اعتقادا بأن هذه الممارسة تقى الطفل رائحة العرق الكريهة عندما يكبر) . و «الوطوطة» (بالنسبة للبنات ، بدهن ابطاها وعانتها بدم خفاش أو وطواط كما يسميه الفلاحون المصريون ، لكى لا ينمو الشعر فى هذه الاجزاء عندما تكبر) . وفى تلك اللحظة أيضا تقدم للأم بعض صور الرعاية ، كتدليك جسدها ، وتغذيتها ... الخ .

ولكن من أهم ملامح تلك الفترة وأكثرها خطورة وأبعدها تأثيرا على حياة الطفل فيما بعد كيفية التصرف فى الخلاص وبقايا الحبل السرى . وسوف نركز دراستنا الباقية فى تلك الفقرة على هذا العنصر كنموذج للاهتمام الذى يمكن توجيهه الى سائر الموضوعات والعناصر التى أشرنا اليها على سبيل الايجاز[١٧] .

الخلاص فى المعتقد الشعبى :

من الملاحظ أن الخلاص يرتبط عند كافة شعوب الارض تقريبا — المتخلف والمتحضر على السواء — ارتباطا وثيقا بروح وحياة ،

---

(١٧) انظر حصرا شاملا بالعناصر والموضوعات التى يجب دراستها حول هذا الموضوع فى الدليل الذى تمنا باعداده مع بعض الزملاء لدراسة عادات دورة الحياة ، انظر محمد الجوهرى وعلياء شكرى وعبد الحميد حواس ، الدراسة العلمية للعادات والتقاليد الشعبيه ، القاهرة ، مكتبة القاهرة الحديثة ، ١٩٧٠ ، خاصة الاسئلة من ١١ حتى ٩٢ . وانظر كذلك وليم لين ، المرجع السابق ، وفوزية دياب : المرجع السابق ، وغيرها من المراجع .

وموت ، وصحة ، وطباع ، ونجاح أو فشل الشخص الذى يولد فيه. ولذلك نجده يرتبط بالاعتقــاد الانسانى الراسخ الجــذور فى الروح الخارجيــة أو الروح التى لا تنفصل عن الجسد . ومن هنــا أصبح ما يحدث للخلاص (وكذلك الحبل السرى وبرقع الجنين ــ وهو غشاء رقيق يغطى رأس المولود أحيانا) يؤثر فى حياة الطفل كلها ، بل يحدد مصيره حيث يعتقد أنه يحوى روح الطفل الوليــد أو يضــم روحه الحارس ، أو هو أخوه أو توأمه أو نظيره الحقيقى ، أو أنه مرتبط به ارتباطا غامضا ووثيقــا . فالتصرف فيه أو مصيره سوف يحددان مهارات الطفل وحظه ومصيره فى الحياة .

وتنتشر تلك المعتقدات لدى كافة شعوب الارض وشتى الثقافات من كولومبيا البريطانية ، الى تيرادليل فويجــو ، ومن أيسلنده حتى سيبيريا ، ومن أوربا حتى جنــوب افريقيا ، وعنــد شعوب الصين وأندونيسيا وجنوب المحيط الهادى . بل وحتى عند شعوب الهنــود الحمر الامريكيين . فكل تلك الشعوب تنظر الى الخلاص بتقدير وحرص شديدين ، وتعمل على المحافظة عليه أو التصرف فيه طبقا للمعتقدات الشائعة عنه لدى الجماعة .

وهناك شواهد لا حصر لهــا على هذا الاعتقاد عنــد الشعوب المختلفة[١٨] . من هذا مثلا ما يقــوم به هنود كواكيوتل الحمــر فى كولومبيا البريطانية حيث يقدمون خلاص الوليد الذكر الى الغربان السوداء ، معتقدين أن ذلك سوف يمنح هذا الطفل القدرة على التنبؤ

(١٨) النماذج التى سنستعرضها فيما يلى عن مقال عن «الخلاص» بقاموس فونك للفولكلور ، مرجع سابق ، صص٢٤ ــ ٢٥ حيث يقدم مادة اثنوجرافية وفيرة عن الموضوع .

بالمستقبل • أما خلاص البنت فيدفن فى أحد الاماكن المرتفعة التى تغطيها مياه الجزر لتكون امرأة ولودا •

ونجد نفس هذا النوع من السحر التعاطفى عند شعب اليوقاغير Yukaghir فى شمال شرقى سيبيريا ، اذ كانوا يلفون خلاص الوليد فى جلد الرنة ويلفون معه نموذجا مصغرا لقوس وسهم ، وسكينا خشبيا صغيرا وقطعا صغيرة من الفراء ، وذلك بهدف أن يصبح هذا الوليد صائدا ماهرا • أما خلاص البنات فتوضع معه سكين صغيرة مما يستعمله النساء ، وكستبان (مما تضعه النساء فى أصبعها عند الخياطة) وابرة • ويلف كل هذا مع الخلاص فى لفة • والهدف من ذلك أن تصبح المرأة ماهرة فى بيتها •

وهناك شعب بعيد عن هاتين المجموعتين بمسافة كبيرة هو شعب الايمارا Aymara ، فى بوليفيا بأمريكا الجنوبية نجده يهتم بالخلاص اهتماما كبيرا • فيغطون هناك الخلاص بالزهور ثم يدفن بالنسبة للولد ومعه نماذج مصغرة جدا من أدوات العمل الزراعى أما بالنسبة للبنت فيدفن ومعه وعاء طهى صغير •

كذلك نجد فى جميع أنحاء أوربا أن المعتقد الشعبى السائد يرى أن مصير الشخص متوقف على خلاصه ومرتبط به • ولذلك يحرصون أكبر الحرص على ألا يعثر عليه حيوان ويأكله ، أو يتعرض للارواح الشريرة • لأنه لو حدث وعثر عليه أحد الحيوانات وأكله ، فان الطفل عندما يكبر سوف يكتسب كل الخصائص الذميمة (الجسمية أو النفسية) لذلك الحيوان •

أما الاعتقاد بأن خلاص الوليد يحوى جزءا من روح ذلك الطفل

فشائع فى أطراف الارض جميعــا من أيسلنده حتى زنجبــار ، ومن استراليا حتى سومطرة . من هذا ما يعتقده شعب الباجندا فى وسط افريقيا ؛ اذ يرى هذا الشعب أن الخلاص هو التوأم الحقيقى أو هو «قرين» الطفل المولود ، ولذلك فانهم يعمدون الى وضــعه فى وعاء ويدفنونه تحت شجرة موز الجنة أو لسان الحمل . بعدها يتحــول الخلاص الى شبح يحل فى الشجرة المدفون تحتها . وتقوم القبيــلة بحراسة تلك الشجرة بحرص خوفاً من أن يقوم شخص من غير أقارب الطفل بالاكل من الشجرة أو الشراب منها . لأنه اذا حدث ذلك فان التوأم الشبح سوف يذهب بعيدا ويختفى . وبعدها سوف يلحق به الطفل الموجود فى البيت ثم يموت .

أما توأم (أى خلاص) الملك عند الباجنــدا فيحفظ فى معبــد صغير ويعين له حارس خاص للسهر عليه . ويقوم هذا الحارس باخراج الخلاص من لفافته مرة كل شهر ، ويضعه فى ضوء القمر ليسطع عليه بنوره ، ثم يمسحه بالزبد ويعرضه على الملك ليؤكد له سلامة قرينه . ثم يعيده فى النهاية الى مكانه الامين داخل المعبد .

كذلك تعتقد قبائل جنوب أوغندا أن الخلاص عبــارة عن كائن بشرى . ويحكى أيضا بعض قبائل الهنود الحمر فى أمريكا الشمالية قصصا تكشف بوضوح عن الاعتقاد فى الخلاص كتوأم للطفل . ومن هذه القصص تلك التى تحكى أن طفلا طلب من أبيه قوسين ورمحين صغيرين ليلعب بهما (وحده) فى الغابة . فقرر الاب أن يختبىء ليشاهد رفيق ابنه الغامض الذى يلعب معه . وقد رأى الاب من مخبئه ولدا آخر قادما من مكان دفن خلاص ذلك الطفل فى الاحراش ليلعب مــع ابنه فأدرك انه هو توأم ابنه .

وهناك حكايات عديدة جمعت من مناطق متعددة تكشف بوضوح عن ظهور التوأم من خلاص الطفل • وإن كانت هناك بعض الحكايات التى تروى ظهور ذلك التوأم من الحبل السرى الذى قد يلقيه الاهل باهمال ولا يعتنون بدفنه •

والملاحظ أن الاعتقاد بذلك الشبح الصغير الذى يحل فى الشجرة المدفون تحتها الخلاص يربط المعتقدات الدائرة حول هذا الموضوع بتلك المتعلقة بشجرة الحياة ، والايمان بوحدة الهوية بينها وبين الطفل الذى تزرع من أجله • ففى «كالابار» فى غرب افريقيا تزرع شجرة نخيل صغيرة عند ميلاد طفل جديد ، ثم يدفن تحتها خلاص ذلك الطفل• ويعتقد أن الخلاص يضمن نمو تلك الشجرة ، كما أن نمو الشجرة يضمن هو الآخر نمو الطفل • واللافت للنظر حقا هو أن ذلك المعتقد وتلك الممارسة تنتشر فى نيوزيلندا وجزر ملقا ، كما كان معروفا فى منطقة «بومرن» بشمالى ألمانيا وفى بعض المناطق الاوربية الاخرى •

وقد حفل التراث العبرى القديم بعديد من الممارسات الطبية والمواد السحرية التى كانت تصنع من الرماد المتخلف عن حرق الخلاص • فكانوا اذا خلطوه باللبن يعتقدون أنه يفيد فى علاج أمراض هزال الاطفال الصغار • أما اذا خلط مع نبات أنف العجل[19] ووضع فى وعاء صغير علق حول رقبة الطفل ، فانه يكون بمثابة حجاب قوى يقيه شر الحسد المؤذى • أما فى الصين القديمة فكثيرا ما كانت تصنع من الخلاص أقراص طبية • كذلك يستخدم هنود الايمارا (فى بوليفيا

---

(١٩) أنف العجل او السمكة snap dragons نبات ذو زهر ابيض او قرمزى او اصفر •

بأمريكا الجنوبية) الرمد المتخف عن حرق الخلاص كعلاج لبعض الأمراض .

أما العادات الشائعة فى جاوة حول هذا الموضوع فتختلف عن كل ما ذكرناه . اذ تعمد نساء جاوة الى وضع خلاص الوليد فى وعاء صغير . ثم تغطيه بالفواكه والزهور والشموع المضيئة وتترك ذلك الوعاء يطفو على سطح النهر ليلا لارضاء التماسيح . وربما كانت تلك الممارسة وما وراءها من معتقد راجع الى أن جميع الخلاص ليست سوى تماسيح (بمثابة أخوة أو أخوات لأقرانها البشر) ، أو لأن التماسيح هى مثوى أرواح أسلاف أولئك الناس . وأن تلك الممارسة تتم لكى تكون بمثابة عودة دينية لذلك التوأم اليهم .

أما بالنسبة للتصرف فى الخلاص فى المجتمع الريفى المصرى المعاصر فيراعى قبل التخلص منه استبقاؤه فى حجرة الوالدة حتى تمر عليه ثلاثة «أذانات» . حيث تعتقد النساء أن ذلك يحفظ الطفل من الشر والحسد . فاذا فرض أن الولادة تمت فى الفجر أو فى الصباح مثلا ، فلابد أن يبقى الخلاص حتى يمر أذان الظهر وأذان العصر وأذان المغرب .

ثم تحكى فوزية دياب بعد ذلك عن كيفية التخلص من الخلاص . « ومن العادات المتبعة فى التخلص من الخلاص ، أن يرمى فى الصاغة اعتقادا بأن هذا يجعل الطفل ثريا فى المستقبل ، أو يرمى فى ماء البحر أو النهر أو الترع اعتقادا أن هذا يجعل جروح الطفل فى المستقبل سريعة الالتئام بغسلها بالماء[٢٠] . ويفضل البعض رميه للكلاب لتأكله

(٢٠) هناك تفسيرات اخرى اقرب الى حقائق التاريخ الثقافى ، انظر

أملا فى أن تكون الزوجة ولودا مثل أنثى الكلب المعروفة بكثرة خلفها. وكثيرا ما تلجأ السيدات اللائى يموت أطفالهن فى سن معينة الى وضع الخلاص فى قدر صغير ، ومعه كمية من الملح ورغيف من الخبز الساخن، ويقفل القدر قفلا محكما ، ويحفظ فى مكان أمين . والمعتقد أن هذا الاجراء يحفظ الطفل من الموت .

هذا ويراعى فيمن يرمى الخلاص أن يكون ضاحكا فى أثناء رميه حتى ينشأ الطفل ضاحكا باستمرار ... ومن المحرمات الواجب مراعاتها بهذا الصدد أن الخلاص اذا خرج من الحجرة التى بها السيدة الوالدة ، فلا يدخل عليها مرة أخرى لأى سبب من الاسباب خوفا من مشاهرتها ، أى انقطاع حملها بعد ذلك »[٢١] .

الطفل والطب الشعبى :

أوضحنا فى دراسة سابقة لنا عن الطب الشعبى أن فلسفة العلاج فى الطب الشعبى تقوم على الاعتقاد بأن لكل داء دواء ، ومن ثم فان كل مرض من الممكن شفاؤه ، ما لم تكن نهاية المريض مقدرة فى تلك اللحظة . وهنا يستحيل على أى طب أن يغير مشيئة الله . ولكننا نجد داخل هذا المفهوم أن المعتقد الشعبى يفسح مكانا كبيرا لعوامل المرض الراجعة الى عوامل «نفسية» أو قل سحرية ، أو بمعنى آخر تلك التى لا ترجع الى أسباب مادية معروفة ملموسة . فكثير من

= مزيدا من التفاصيل عند محمد الجوهرى وزملائه ، الدراسة العلمية للعادات والتقاليد الشعبية ، مرجع سابق ، القاهرة ، ١٩٧٠ .

(٢١) انظر فوزية دياب ، المرجع السابق ، صص٢١٦ — ٢١٧ .

الامراض (يستوى فى ذلك الحمى — ارتفاع درجة حرارة الجسم — أو الصرع أو حتى العمى) ، يمكن أن تعلل بالعين أو الحسد[٢٢] .

ويندرج تحت هذا البند أيضا تأثير الكائنات فوق الطبيعية وأبرزها القرينة (أو أم الصبيان) والجن بصفة عامة ، فهى قد تعمل على الحاق الضرر بالطفل . وأبرز خطر تمثله القرينة هو الاعتداء على حياة الطفل نفسه ، أو أخذ الطفل الانسى واعطاء الأم أحد أولاد الجن ، فيسمى هذا الجديد «مبدولا» (أى أن الجن أبدلوه) ، ويطلق ذلك بالذات على الطفل الدائم الصراخ ، والذى يتألم دائما لأسباب غير مفهومة[٢٣] .

ولما كان المرض يمكن أن يرجع الى عوامل نفسية أو روحية وأخرى مادية عادية ، فان العلاج يمكن — أو يتحتم أحيانا — أن يتم بوسائل سحرية من نفس الطبيعة : كالرقى والتمائم وما الى ذلك . كما قد يتم بالاساليب الطبية التقليدية أو باستخدام مشرط الجراح أيضا . ولكن الملاحظ على أى حال أن الفئة الاولى من الوصفات تحتل المكانة الابرز والاسبق . حتى بعض الوصفات الطبية العادية تفرض عليها بعض الشروط والتحفظات والقواعد ذات الطبيعة السحرية الخالصة[٢٤] .

---

(٢٢) أنظر أحمد أمين ، المرجع السابق ، ص٤١٥ ، وكذلك ص٢٢٤ .

(٢٣) بالنسبة للقرينة ، انظر محمد الجوهرى ، الجن فى المعتقد الشعبى المصرى ، مقال فى المجلة الاجتماعية القومية ، ١٩٧٢ ، صص٩٥ — ١٣١ ، حيث نجد معالجة لموضوع القرينة وتأثيرها على البشر وصور تدخلها فى حياتهم بالضرر ، خاصة الامهات الواضعات حديثا والاطفال الحديثى الولادة .

(٢٤) انظر بعض الملاحظات حول ذلك عند الكسندر كراب ، علم

اذا انتقلنا الى التساؤل عن مضمون الوصفات العلاجية بنوعيها، سوف نجد أن الفئة الاولى — ذات الطبيعة السحرية — تضم كل العناصر المستخدمة فى «الاعمال» السحرية العادية : كالاسماء ، والآيات القرآنية (مجافاة للروح الاسلامية الصحيحة) ، (أو طاسة الخضة أو الرجفة) ، والاحجبة ... الخ .

أما عن المواد والعناصر المستخدمة فى النوع الثانى من الوصفات العلاجية ، وهى الوصفات الطبية بمفهومها التقليدى ، فهى كل العناصر التى تتيحها البيئة الطبيعية من نباتات وحيوانات . وكلها أشياء عادية قد تستخدم كما هى ، وقد تعالج على نحو معين ، قد يكون شديد التعقيد أحيانا . وليس من الضرورى أن يستخدم العنصر النباتى أو الحيوانى كله ، بل ان الأمر قد يقتصر ، كما هو الحال عند استخدام عنصر حيوانى ، على عضو منه ، أو على افرازات ذلك الحيوان . ولكن القاعدة العامة أن تكون مواد عادية مألوفة كالعسل أو الزيت ... الخ[(٢٥)] .

الا أن هذه العناصر النباتية أو الحيوانية لا تستخدم فى الغالب كما هى بحالتها الطبيعية . وانما يتطلب الأمر تقييدها بعدد من الظروف والقواعد والاجراءات «الفنية» . أول هذه القيود وأبسطها قصر

الفولكلور ، ترجمة رشدى صالح ، دار الكاتب العربى للطباعة والنشر ، القاهرة ، ١٩٦٥ ، ص٢٠٧ .

(٢٥) انظر شواهد على ذلك فى مصر الفرعونية عند رانكه ، مصر والحياة المصرية ، القاهرة ، ١٩٦٨ ، ص٣٩٤ . اما بالنسبة للمجتمع المصرى المعاصر فتؤكد ذلك الخبرة العامة ، بصرف النظر عن التفصيلات والتحفظات التى ترد عند ذكر كل وصفة . وانظر كذلك وليم لين المصريون المحدثون ، مرجع سابق ، ص١٨٨ .

استخدام العنصر على وقت معين[٣٦] . ومن القيود الاخرى تعقيد الوصفة الطبية بكثير من التفاصيل . ومن ألوان هذا التعقيد أن تضم الوصفة عددا من العناصر ، وأن ينص على كميات متفاوتة من هذه المواد ... الخ .

تلك فكرة سريعة عن طبيعة الوصفات الطبية التى تستخدم فى ميدان الطب الشعبى لعلاج الطفل . ولكن ما هى أبرز الامراض التى تتصدى لعلاجها تلك الوصفات ؟ هناك قائمة طويلة تتصل فى أول الامر بكون الطفل طفلا . فتأخر نمو الطفل عن أقرانه فى أى مجال من المجالات ، خاصة التأخر فى المشى أو التأخر فى الكلام يجعله هدفا ضروريا لممارسة الوصفات الطبية الشعبية[٣٧] . وأمراض الاطفال هى الاخرى : كالسعال ، والحصبة ، والقراع ، والبكاء المستمر ... الخ . وهناك قائمة أخرى من الامراض التى يعانى منها الطفل لأنه يعيش فى هذا المجتمع ، وليس لمجرد كونه طفلا ، أذكر منها على سبيل المثال أمراض العيون ، والصرع ، والحمى ، والهزال (الضعف الشديد) ، والجرب ... الخ[٣٨] .

(٣٦) لعل هذا القيد يمكن ان يفهم بشكل أفضل فى ضوء معرفتنا بالخصائص المميزة للاوقات كما يستخدمها المشتغل بالسحر . فلكل ساعة من ساعات اليوم ملك خاص موكول بها ... الخ . وهى تفاصيل يمكن استيعابها بشكل أفضل بالرجوع الى محمد الجوهرى ، علم الفولكلور ، الجزء الثانى عن المعتقدات الشعبية ، مرجع سابق ، الفصل الخاص بالسحر .

(٣٧) أنظر عند وليم لين المرجع السابق ، وصفة لعلاج الطفل الذى تأخر فى المشى ، ص ٢٢٨ .

(٣٨) أنظر دراسة مفصلة عن الطب الشعبى ، محمد الجوهرى ،

الطفل والممارسات السحرية الاحترافية :

قد يبدو هذا العنوان غريبا بسبب صعوبة تصور اشتراك الطفل فى عملية سحرية احترافية ، فهو لا يمكن أن يكون ساحرا محترفا ، ولا يمكن أن يكون عميلا يلتمس وصفة سحرية عند أحد من السحرة . انما الذى يحدث أن هناك بعض العمليات السحرية — التى تتم على يد سحرة محترفين — يدخل فيها الطفل كأداة أو عامل مساعد فى اتمام العملية .

والسبب فى ذلك أن الطفل كائن نقى لم تعرف الشرور طريقها اليه ، وطبيعته خيرة مطلقة ، ولا يعرف الكذب ولا المداراة ، كما أنه أمين على ما يرى وما يسمع . فلن يحدث أحدا بحقيقة ما رأى ، ربما لأنه لن يفهم تماما دقائق ما يدور أمامه .

ولابد أن تتوفر فى الطفل الذى يستخدم فى مثل هذه الاعمال عدة شروط ، أولها وأهمها أن يكون دون سن البلوغ ، ويفضل السنة السابعة أو الثامنة ، لكى يستطيع أن يتحدث بوضوح ويصف ما يراه بدقة(٢٩) . والشرط الثانى أن يكون ذكرا ، فاستخدام البنات فى مثل هذه الاعمال خطأ فادح . ثم قد يضاف الى هذين الشرطين شروط

= مقدمة فى دراسة الطب الشعبى ، مقال بمجلة الحكمة ، طرابلس ، عدد خريف ١٩٧٩ ، وهى تضم عديدا من الشواهد الموثقة لكل غرض من اغراض العلاج الطبى الشعبى .

(٢٩) انظر تحديد السن عند وليم لاين ، المرجع السابق ، صفحة ٢٣٥ وما بعدها ، ونموذج مفصل عند احمد امين ، المرجع السابق ، ص ص ٢٨١ وما بعدها .

أخرى ، منها أن تكون علامات كفه ذات شكل معين ، أو يكون ذا ملامح معينة ؛ أو من أسرة معينة ... الخ[٣٠] .

ومع ذلك فقد تصادف من السحرة من لا يتطلب فى الطفل الذى يستخدم فى « ضرب المندل » أو « فتح المندل » أى صفة خاصة ، سوى أن يكون دون البلوغ ، فهـذا الشرط لا استثناء فيه . وقد لجأ الى هذا الاسلوب الساحر الذى حكى عنه وليم لين فى كتابه الذى سبقت الاشارة اليه (صفحة ٢٣٥) ، ولكنه فى تجـربة أخرى أجرى التجربة على ثلاثة صبيان على التوالى ، « ولكنها لم تنجح تماما مع أولهم ، وفشلت مع الآخرين » . وبناء على ذلك أجل الساحر التجربة الى يوم آخر (صفحة ٢٣٦) .

(٣٠) من هذا مثلا ان يكون رسم كفة يقرأ ٧١ ، و ١٧ ، لكى يضمن ذلك نجاح المندل . احمد امين ، المرجع السابق ، نفس الصفحة. ومع ذلك فليس من المحتم ان كل طفل يصلح لذلك . فمن الممكن أن يحدث كما يحكى لين ، وكما تدل خبرتنا الشخصية فى دراستنا لبعض السحرة المحترفين فى مصر ، أن الساحر قد يجرب مع طفل أو أكثر ، ولكن ايا منهم لا يستطيع مع ذلك ان يرى شيئا فى كفه. فاما ان يؤجل العملية ، او يبحث عن طفل آخر . ولما سالت احد السحرة المحترفين عن تفسير عدم صلاحية هذا الطفل أو ذاك، اجاب بأن هناك عدة اسباب محتملة لذلك . اقربها أن يكون الطفل قد بلغ الحلم مبكرا ، ومن الاسباب الاخرى ان يكون واقعا تحت تأثير بعض الارواح أو «الاسياد» الذين يعارضون فى اتمام ذلك العمل . أنظر مزيدا من التفاصيل عند محمد الجوهرى ، استخدام أسماء الله فى السحر ، (بالالمانية) ، رسالة دكتوراة منشورة ، بون، ١٩٦٦ . أنظر عرضا مفصلا لهذا العمل عند : عليـاء شكرى . التراث الشعبى المصرى فى المكتبة الاوروبية ، الفصل الثامن ، الاسكندرية ، دار المعرفة الجامعية ، الطبعة الثانية ، ١٩٨٩ .

فالطفل بهذا المعنى وسيط روحى غير متخصص ، سبق ومازال (فى ثقافتنا) الوسطاء الروحيين المعروفين الذين تستخدمهم اليوم جمعيات وهيئات تحضير الارواح للاتصال بهذا العالم فوق الطبيعى.

ثانيا : العادات والتقاليد الشعبية المتعلقة بالطفل :

لن نحتاج الى أن نكرر هنا بعض ما قلناه فى موضع سابق من هذا البحث ، من أن حديثنا الذى سبق عن المعتقدات قد تضمن بالضرورة اشارة الى طائفة من العادات والتقاليد . وبالمثل لن تقدم فى هذه الفقرة عن العادات اشارات الى المعتقدات الكامنة وراءها والدافعة اليها .

ونلاحظ بعد هذا أن العادات والتقاليد المتعلقة بالطفل تصاحبه فى مرحلة حياته منذ لحظة مولده ، وحتى اكتمال التربية ودخول الحياة العقلية أو البلوغ ، أو حتى الزواج . وسنقتصر فى عرضنا على التوقف عند بعض «المحطات» الهامة على طريق هذه الرحلة الطويلة .

١ ــ السبوع :

السبوع هو اليوم السابع لولادة الطفل ، ويقام له احتفال خاص ، يكون أكثر بهاء وكلفة فى حالة المولود الذكر . وتحت أيدينا عدة أوصاف مكتملة لهذا الحفل ، نذكر على رأسها وصف شابرول ، ووليم لين ، وأحمد أمين ، ورشدى صالح ، وفوزية دياب .

ونقدم فيما يلى وصفا مختصرا لهذا الحفل ، نعلق بعده على التفسيرات المطروحة لبعض الممارسات التى تتم أثناءه ، وسوف أستعين

بالوصف الوارد عند فوزية دياب مع اسقاط التفسيرات التى قدمتها . ذلك أنها خلطت فيها بين تفسيرات الاخباريين لما يمارسونه من سلوك، والتفسيرات العلمية التى يجب ابرازها فى مثل هذا العرض . ولذلك لا نعرف بالتحديد هل التفسيرات الواردة تمثل خلاصة بحثها ودراستها أم أنها مستقاة من الاخباريين لما فيها من أخطاء تجانب حقائق التاريخ الثقافى المعروفة(٣١) .

« يبدأ الاستعداد للاحتفال منذ الليلة السابقة على السبوع ، بما يسمى « تبييتة السبوع » التى تشمل استحمام المولود والباسه ملابس نظيفة . ثم يؤتى بصينية كبيرة يوضع فيها ماء استحمام الطفل الذى يسمى « ماء الملوك » ، ويوضع فيه مقدار من حب الفول . ثم يوضع وسط الصينية قلة مملوءة بالماء اذا كان المولود أنثى . أما اذا كان المولود ذكرا فيوضع ابريق بدلا من القلة . ويزين الابريق أو القلة بشمعة كبيرة تظل مضيئة الى أن تنطفىء من تلقاء نفسها ... ويوضع تحت رأس المولود بعض الخضروات ... كما يوضع بجواره أيضا اناء به سبعة أصناف من الحب مثل القمح والشعير والذرة والفول والارز والحلبة والبرسيم .

وفى صباح اليوم السابع تأتى المدعوات من النساء ومعهن أطفالهن للاحتفال بالمولود . وتأتى القابلة فتكحل عينى الطفل بالكحل الأزرق ، ثم تضعه فى غربال ، وتضع معه الحبوب السبع المذكورة آنفا . وبعد أن تطلق البخور المضاف اليه الملح ، تغربل الطفل قليلا ، وهى تغنى أغنية خاصة بالسبوع (تختلف من منطقة لأخرى): ...(٣٢) وبانتهاء

(٣١) انظر فوزية دياب ، المرجع السابق ، ص ص ٣٢٠ — ٣٢٣ .
(٣٢) أنظر عند فوزية دياب نص الاغنية ، وانظر نصوصا أخرى عند

الاغنية يوضع الغربال على الارض لتخطو الام فوقه سبع مرات ...
وعلى مقربة من الغربال تدق احدى السيدات «الهون» أو ما يشبهه لاحداث صوت عال .. ومع هذا الدق تقول القابلة « اسمع كلام أمك اسمع كلام أبوك ؛ شرق شرق . غرب غرب » ....

وبانتهاء هذا الاجراء يؤخذ الطفل والحبوب من الغـربال الذى يتدحرج على الارض أطول مسافة ممكنة .. ثم تحمل القابلة الطفل وتدور به فى أرجاء المنزل لتزفه ... ويمشى وراءها الاطفال الصغار ممسكين بالشموع المضاءة وهم يرددون وراءها أغنية برجالاتك .

وهنا تزغرد النساء ويتهلل الجميع وتنثر القابلة الملح ... بينما تردد بعض الادعية والدعوات ... ثم يوزع على الموجودين الحلوى والحمص والفول السودانى مع شراب المغات . أما الفول المستنبت فى ماء الملوك (وهو ماء استحمام الطفل) فتنظمه السيدات الموجودات فى شكل عقود صغيرة (وذلك بعد ثقب كل حبـة بالابرة) ، وتوزع على الاطفال . وفى أثناء ذلك تعمل القابلة حجابا للوليد يحتوى على الحبات السبع المذكورة سابقا ، مع قليل من الملح وبعض قطع النقود الصغيرة . وتعلق هذا الحجاب فى خيط حول عنق الطفل وهى تردد أثناء ذلك بعض الدعوات والصيغ الوقائيـة المسجوعة ... أما ماء الابريق أو القلة ، فيسكب بجوار شجرة مخضرة مترعرعة .. »[33].

= رشدى صالح ، الادب الشعبى ، مرجع سابق ، وكذلك عنـد وليم لين ، المرجع السابق ، وتحت أيدينا بضع مئات من النصوص المسجلة من مختلف أنحاء مصر بنصوص وعبارات مختلفة .

(٣٣) نقلا عن فوزية دياب ، المرجع السابق ، ص ص ٣٢٠ — ٣٢٣ . يلاحظ القارئ أن النقط الفاصلة بين بعض الجمل قد وضعناها لتحل محل تفسيرات المؤلفة التى اسقطناها .

وعــلاوة على هذا يعد السبوع مناسبة هامة لتقديم النقوط سـواء بمبادرة من المدعوات أو ردا لنقوط سبق أن قدمته أسرة المولود فى مناسبة سابقة .

ونتناول فيما يلى بالمناقشة السريعة أهم التحليلات والتفسيرات التى صاحبت هذا الوصف ، والتى لم تحدد المؤلفة كما قلنا مصدرها بوضوح ، هل هى بيانات الاخباريين أم تفسيرات علمية مستمدة من دراسة تاريخ الثقافة .

أ ــ فبالنسبة لتسمية هذا الاحتفال بالسبوع ، فمن غير المعروف فى أى من كتب الفولكــلور أو التفسيرات العلمية انه فى هذا اليــوم « تفارق الملائكة السبعة الطفل ، بعد أن كانت تحرسه طيلة هذه المدة من الجن والعفاريت » (كما تشير المؤلفة على صفحة ٣٢٠) ، وانما السر فى تحديد اليوم هو دلالة الرقم ٧ ، الذى يمثل عددا مكتملا فى نظر المعتقد الشعبى ، شأنه فى ذلك شأن العدد أربعين والعــدد مائة . ولذلك نجد بعض المجتمعات تحتفل بهذه المناسبة فى اليــوم الاربعين لمولده ، وليس فى اليوم السابع . ومن هنا فان البحث عن دلالة اختيار اليوم يجب التماســها فى المعتقدات الشعبية المتعلقــة بالارقام والاعداد ، وليس فى مجال آخر[٣٤] .

ب ــ بالنسبة للشمعة التى تضاء ليــلة الاحتفال فى القــلة أو الابريق ، فهى لا تضاء « اكراما للملائكة واعترافا بفضلهم فى حراسة الطفل من الجان والعفاريت والأشرار » ، (كما قالت المؤلفة فى الموضع

(٣٤) انظر محمد الجوهرى ، علم الفولكلور ، الجزء الثانى ، مرجــع سابق ، الفصل الخاص بالاعداد .

السابق) ، وانما لأن النار — أيا كان مصدرها — هى قوة حامية وحافظة من الارواح الشريرة ، والمقصود هنا « أم الصبيان » (أو القرينة) بالذات ، كما أن النور فى ذاته عامل وقاية من تلك الارواح الشريرة ، حيث انها ترتع وتعيث فسادا فى الظلام • فقوة النار وتأثير النور هما التفسيران المحتملان لاضاءة الشموع فى تلك الليلة•

جـ — أما وضع بعض الخضروات تحت رأس الطفل ليلة الاحتفال بالسبوع ، فهى من الممارسات التى تهدف الى الانماء والخير والبركة بصفة عامة ، كما ذكرت المؤلفة ، رغم أنها وضعت هذا التفسير بين قوسين مما يرجح معه انه تفسير الاخباريين ، على خلاف التفسيرات السابقة التى أطلقتها بين الكلام دون تمييز خاص مما يؤكد أنه تفسير من وضعها هى •

د — أما بالنسبة لوضع سبعة حبوب فى الاناء الموضوع بجوار المولود ليلة السبوع ، فليس الهدف منه كما جاء فى الموضع السابق « ويرمز هذا الاجراء الى أمل أهل الطفل فى أن يكون فلاحا يزرع هذه الانواع كلها » • انما تفسير ذلك يجب أن يلتمس فى عنصرين:

الاول : هو الرقم سبعة الذى يدل على الكثرة أو الاكتمال ،
والثـانى : هو الحبوب التى ترمز الى النماء والخصوبة •

هـ — وبالنسبة لخطو الام سبع مرات فوق وليدها الموضوع فى غربال على الارض ، فهى لا تفعل ذلك « اعتقادا بأن هذا الاجراء يقى الطفل الاصابة بداء القزاع اذا خطا فوقه أحد فى المستقبل » • ذلك أن الخطو أو التخطية فوق شىء أو كائن انما هو توحيد بين كيانى القائم بالتخطية والمخطو عليه ، أو هو اكتساب كل منهما لقوى

وعناصر الكائن الآخر . كما تفعل المرأة العاقر فى تخطية أحجار مقدسة أو بخور أو عمل سحرى معين ، وتخطية الشيخ الساحر للمريض ... الخ . فالتخطية فى المعتقد الشعبى لها مدلول عام موسع ينطبق فى هذا الموقف متخذا مدلولا متميزا معينا ، ولكنه مشتق من ذلك المدلول العام . فالأم — بما يسكن جسدها من قوى روحية — تحمى وليدها ، وهى تحقق نوعا من الالتحام والتكامل بين كيانها وكيانه .

و — أما الاصوات التى يحدثها المحتفلون بالسبوع بالدق فى الهون (الهون وعاء نحاسى له يد من نفس معدنه يستخدم أصلا لطحن الحبوب الدقيقة بكميات قليلة) أو ما يشابهه . فنجد أن التفسير الشائع والذى صادفناه لدى عشرات الاخباريين فيما قمنا به من تسجيلات ميدانية هو الرغبة فى تعويد الطفل على ضوضاء الحياة وعلى الاصوات ، لكى لا يفزع كلما سمع صوتا . اما المؤلفة فلم تثبت هذا التفسير — الحديث فى نظرنا — ولكنها قالت ان ذلك يتم لجذب سمع الطفل . والواقع أن احداث الاصوات العالية له هدف معلوم من دراسة تاريخ الثقافة هو طرد القوى الشريرة وابعادها . فالصوت يؤدى هنا نفس الدور الذى تؤديه النار ، أو يؤديه الملح فى دفع الارواح الشريرة واتقاء خطرها . وهو معروف فى ثقافات عديدة .

ز — ويصدق تفسير المؤلفة عن مغزى الزفة أو الجولة التى تقام للمولود المحتفى به داخل ارجاء المنزل وفى كل غرفة من غرفه ، فهى تستهدف « تقديمه الى ساكنيه غير الظاهرين » ، واسمهم فى المعتقد السحرى الرسمى (الاحترافى) «العمار»[٣٥] .

---

(٣٥) بالنسبة لهذا المفهوم ارجع الى مؤلفنا ، استخدام اسماء الله فى السحر ، مرجع سابق ، الملحق رقم (١) .

ح ــ كما يصدق تفسير استخدام الملح لدرء الحسد .. وهو يستخدم على العموم كالشبة لمقاومة الارواح والقوى الشريرة ودرئها عن الانسان • ويدخل فى عدد من العمليات السحرية لأداء نفس الوظيفة •

٢ ــ التسمية :

تعنى اللغة الشعبية بصفة عامة وأسماء الاعلام بالذات محاولة لفهم العالم المحيط وترتيبه وفق نظام خاص • وتضاق الاسماء بين الذوات الفردية التى تهم الشخص نوعا من العلاقة الخاصة التى تحقق التفاعل وتيسير التكامل • ويدلنا تاريخ الثقافة العام أن معرفة اسم الشخص أو الشىء تعطيك سطوة على هذا الشخص أو الشىء • وهذا معتقد شعبى قديم جديد فى نفس الوقت • فالاسم قوة ، والاسم والمسمى كيان واحد أو شىء له وحدة واحدة ، من عرف الاسم استطاع من خلاله أن يؤثر على صاحبه • فالاسم على هذا النحو ليس مجرد وسيلة للتعريف والتحديد وتصنيف الاشياء والاشخاص ، ولكنه جزء من وجود المسمى به •

وفى بعض الثقافات كان يعتقد أن الطفل الوليد لا تدب فيه الروح الا بعد أن يسمى باسم معين ، فالاسم والوجود الروحى شىء واحد • ومن هنا يمكن أن نفهم سر الرابطة التى يقيمها المعتقد الشعبى بين الاسم والمسمى ، فالاسم ينبىء عن مستقبل صاحبه ومصيره • ولذلك يحرص الاهل فى العادة على اختيار اسم لوليدهم كشخص عرف عنه التقوى أو الصلاح أو النجاح أو العمر المديد •••الخ تلك الصفات المرغوبة •

ولهذا يطلق على الاطفال الذكور المسلمين أسماء الرسول وأهل بيته وصحابته وخلفائه الراشدين ... وغيرهم من الصالحين . وفى مناطق أخرى يسمى الولد الاول على اسم جديه لأبيه ، ثم يسمى الثانى على اسم جده لأمه ، ثم على اسم أبيه وأعمامه وهكذا . أما البنات فتطلق عليهن أسماء بنات النبى وزوجاته وغيرهن من الصالحات . كما تطلق عليهن أسماء الزهور ... الخ(٣٦) .

ولكن مع ذلك فان أسماء الاشخاص تختلف من اقليم لآخر داخل المجتمع الواحد . تماما كما تختلف من مجتمع لآخر . ومن عوامل ذلك اختلاف نسبة التركيب الدينى من مجتمع لآخر ، واختلاف أسماء الاولياء المحليين من منطقة لأخرى (على اعتبار أن نسبة كبيرة من الاطفال يسمون بأسماء الاولياء المحليين) ، وتباين المناطق فى قربها لتيارات «الموضة» فى الاسماء ... الخ ذلك من العوامل التى يمكن الكشف عنها وتحديدها فى كل حالة .

وقد لفت نظر كثير من المستشرقين الذين كتبوا عن أسماء المصريين طائفة من الاسماء الغريبة والمضحكة (مثل : الاعور — الحيوان — بلاص — حلوف — أبو طبيخ — خيشة — جحش — غراب — عجل — فأر — قط — وزة — الاعمش — الاخبش .. الخ) . ولكن العجيب أن تلفت تلك الاسماء نظر باحث مصرى الى أن يقف منها موقف السخرية (مثلا : الدكتور أحمد أمين فى قاموسه ، ص٤٤) . والحقيقة

---

(٣٦) انظر احمد امين ، المرجع السابق ، صص٤٤ — ٤٥ ، وليم لين ، المرجع السابق ، صص٤٩ — ٥٠ ، وكذلك ريتشارد فايس ، مرجع سابق ، صص٢٦١ وما بعدها .

فى تلك الاسماء أنها أطلقت على أصحابها انطلاقا من معتقدات شعبية، وليست مجرد صدى أو تعبير عن «ذوق» أصحابها . فالأم التى يموت لها ولد أو أكثر تطلق عليه اسما قبيحا غير مألوف لكى يعيش[٣٧] . والأم التى يتعثر حملها فترة من الزمن ، تطلق على وليدها الجديد اسما قبيحا أيضا لكى يعيش . كذلك الحال بالنسبة للأم التى تنجب ولدا ذكرا بعد عدد من الاناث ، فانها تخشى على حياته أشد الخشية. ومن وسائل الحفاظ عليه أن تطلق عليه اسما قبيحا ... وهكذا .

لهذه الاسباب جميعا كان حرص الناس كبيرا على اختيار اسم لوليدهم . ونعرف أنه كانت تتم فى الماضى عمليات استطلاع النجوم والكواكب لمعرفة طالع المولود والكوكب الذى يناسبه ، فيختار له المنجم الاسم المناسب . ومع ثبوت الشواهد التاريخية التى تحدثنا عن ذلك اننا لا يمكن أن نتصور أن هذا الاسلوب كان يتبع فى تسمية أبناء الشعب العاديين .

وتحدثنا كتب التراث (وكذلك بعض الاخباريين المتقدمين فى السن) عن طريقة أخرى أكثر يسرا ويمكن أن تكون فى متناول عامة الناس ، حيث يقع اختيار الاسرة على عدد من الاسماء ، ولكنهم لا يستطيعون — أو لا يريدون — اختيار أحدها بالذات . فيحضرون عددا من الشموع يماثل عدد الاسماء التى وقع عليها الاختيار المبدئى.

---

(٣٧) ذلك أن الارواح الشريرة تتربص لكل ما هو جميل ، فتصيب الوجه الجميل ، والحيوان الجميل ، وكذلك بالطبع الاسم الجميل ؛ فتقبيح الاسم وسيلة لرد تلك القوى والارواح الشريرة عن هذا الطفل ، بهدف انقاذه من الامراض أو الموت . هذا وقد تعرضنا لموضوع الاسماء بتفصيل كبير فى دراستنا عن استخدام اسماء الله فى السحر ، (بالالمانية) .

ويطلقون على كل شمعة اسما منها ؛ ثم يشعلونها ويتركونها مشتعلة الى أن تنتهى ، ولابد أن أحداها ستظل مشتعلة ولو لفترة بعد نفاذ كل الشموع . عندئذ يطلق على الوليد الاسم الذى سميت به تلك الشمعة (لأنها أطولهم عمرا ولاعتبارات أخرى) .

ومع أن استخدام هذا الاسلوب فى التسمية قد انحسر ، الا أنه يدلنا بشكل واضح على أهمية اختيار الاسم الذى مازالت الاسر توليه اهتمامها ، وفقا لطرق الاختيار التى ألمحنا اليها آنفا .

٣ ــ الختــــان

الشائع أن يتم الختان للذكور (خاصة فى المجتمعات العربيــة الاسلامية) أما ختان البنات ، فهو أقل انتشارا .. والنظرة الدينيــة لكليهما تختلف ، ذلك أن ختــان الولد أوجب ، والاتفاق عليه أكبر بين الفقهاء . وسأقتصر فيما يلى على الكلام عن ختان الولد .

وليس للختان سن معينة يتم فيها ، وتحت أيدينا شـــواهد عن اتمامه فى سن مبكرة نسبيا ، وشواهد عن اتمامه فى سن السادسة أو السابعة ، وأخرى عن اتمامه قبل البلوغ على أى حال ، واخرى عن ضرورة اتمامه قبل الزواج[٣٨] . وهذا الاختلاف الشائع فى تحـــديد مواعيد الختان ، يدلنـــا على أنه قد وعى ممارسوه كثــيرا من دلالته الطقسية التقليدية باعتباره أحد «المحطات» الرئيسية فى رحلة الانسان

---

(٣٨) أنظر حول هذا الموضوع : علياء شكرى ، بعض ملامح التغــير الاجتماعى الثقافى فى الوطن العربى ، مرجع سابق ، وكذلك وليم لين ، مرجع سابق ، ص٥٢ وما بعدها ، وشابرول ، مرجع سابق ، ص ص٥٧ — ٥٩ ، واحمد امين ، مرجع سابق ، ص١٨٧ — ١٨٨ .

عبر الحياة ، والتى تدل على تجاوزه مرحلة الاولاد ودخوله مرحلة الرجولة ، أو الشباب [٣٩] . حيث تدلنا المواعيد السابقة أحيانا على ربط الناس بينه وبين قدرة الولد على أداء الفروض الدينية (لأن وجود الغلفة يمنع الطهارة ، والطهارة شرط لأداء الصلاة) . وأحيانا بينه وبين القدرة على ممارسة الجنس مع الزوجة ... الخ . بل اننا نجد هذه المرونة تبلغ مداها عندما تنتهز أسرة الولد مناسبة أحد أفراح الاقارب أو الجيران لاجراء عملية الختان لأولادها . فهنا يكتفى بتحديد مجال زمنى معين يعد الولد فيه صالحا لاجراء هذه العملية ، ولكنه لا يتحدد لذلك سن معينة تحديدا دقيقا .

وتقدم لنا المراجع المذكورة آنفا عدة أوصاف لموكب ختان ولد ؛ كلها مستمدة من المجتمع المصرى فى فترات تاريخية مختلفة . واللافت للنظر فى هذه الاوصاف جميعا انها تبرز أهمية الزفة ، فموكب الختان كموكب العرس ، ولكن بشكل مصغر ، والطفل المختون «عريس» ، كما يسميه أهله والمحتفلون به . والزفة تعنى — علاوة

---

(٣٩) أنظر مثلا تعبير شابرول عن شىء قريب من هذا : « ... ويعتبر الختان عند المسلمين (حديثه عن مصر اوائل القرن التاسع عشر) بمثابة الخطوة الاولى فى الحياة . اذ يمكن القول بأن الطفل كان يحيا حتى ذلك الوقت بجسمه فقط ، ولكنه بعد هذه السن سوف يبدأ حياته الاخلاقية والروحية . اذ يؤمر عندئذ بأداء الصلاة ويلقن العلوم الفنون بعد أن يكون قد سبق له التردد على المدرسة ، لكن المدرسين لم يكونوا قد فرضوا شيئا بعد على عقله الصغير . فالختان اذن هو بمثابة نهاية لمرحلة الطفولة بالنسبة للمصرى بكل نزقها وطيشها . ويمكن القول انه بهذه العملية يولد مرة أخرى، لكنه فى هذه المرة يولد رجلا » ، شابرول ، المرجع السابق ، ص٥٩ .

على اظهار الفرحة — الاشهار ، فهذا الطفل قد بلغ اليوم مبلغ الرجال • وتتفاوت عناصر الاحتفال من زينة الطفل ، وهيئة ركوبه ، والمأكولات والمشروبات التى توزع ، وعدد المشتركين ، والعناصر الموسيقية أو الغنائية ••• الخ تتفاوت كل تلك العناصر الاحتفالية حسب مكانة الطفل المحتفى به داخل اسرته حسب مكانة تلك الاسرة داخل المجتمع المحلى •

ولكننا نلمس لحفل ختان الطفل ملمحا آخر أشد تمايزا وأكثر اثارة وأدعى الى الاهتمام من كل ما سبق ، وحيث تعد تلك المناسبة «امتحانا» لرجولة الولد المختون ، بكل معنى الامتحان • فعملية ازالة الغلفة تتم على مرأى من أفراد المجتمع المحلى جميعا ، ذكورا واناثا ، ولا تستخدم فيها بالطبع أى مخدرات أو مهدئات طبية لتخفيف الالم • وعار على الولد المختون أن يصدر أى تعبير عن الالم ، والا فقد ماء وجهه فى المجتمع الى الابد ، وأثر ذلك على سمعة رجولته بين ذويه • وهذا البعد هو الذى يحملنا على أن نقدم فيما يلى وصفا لأحد حفلات الختان من المجتمع العربى السعودى ، كما سجلته علياء شكرى عن بعض الاخباريين • وهى صورة لم تكن معروفة من قبل فى أى من كتب التراث الشعبى عربية أو أجنبية عن هذا المجتمع •

« ••• تجرى عملية الختان للذكور فقط • وكان الصبى يترك حتى يبلغ السادسة عشرة أو السابعة عشرة من عمره وربما أكثر • ثم يجمع الاقران من صبيان القرية[٤٠] فى احدى ساحاتها فى مظهر

---

(٤٠) القرية هى « سبت العلاية » احدى قرى قبيلة بلقرن التى تقطن جبال السروات جهة الجنوب ، والتى يبلغ عدد قراها حوالى ١٤٥ قرية . وتقع سبت العلاية على الطريق بين الطائف وأبها ،

ينم عن بوادر الرجولة كحمل السلاح من بنادق أو سيوف وغيرها ، وعدم الاكتراث أو الخوف من هذه العملية التى يفوق تعذيبها وألمها كل تصور . ويبدأ القائم بعملية الطهارة باستقبال الصبيان واحدا تلو الآخر لاتمامها ، وهم يرددون بعض أشعار الحماسة وعبارات فخر الصبى بأسرته وأسرة أخواله وأجداده ، كأن يقول أنا فلان من فلان وأخوالى فلان وفلان من أسرة كذا ... وهكذا .

وبعد أن ينتهى الجميع من عملية الطهارة يقوم كل واحد بربط القضيب بخيط يسمى «حتيلة» وربطه بحزام فى أسفل البطن يسمى «حتيله» ليمنع القضيب من الالتصاق فى الارجل بواسطة الدم الذى ينزف من القضيب بكميات كبيرة حيث يلطخ أرجل الصبى المختون ، والذى لا يرتدى سوى ثوب يحرص على سلامته من الدم برفع يديه .

بعد هذا يجوب الصبية المختونون شوارع القرية فى شكل عرضه شعبية (رقصة شعبية ذات شكل خاص) وكل واحد منهم يمسك بثوبه ، حيث يرددون قصائد البطولة والشجاعة ثم يغادرونها الى القرى الاخرى بنفس المظهر .

وبعد أن يشعروا أهل القرية التى وصلوها بأنهم أجروا العملية الختان يقومون بأداء العرضة الشعبية ، ثم يقوم أهل القرية باستقبالهم واستضافتهم حسب امكانياتهم وظروفهم . فتارة يتناولون فى احدى القرى وجبة وفى أخرى ربما يقضون نهارا كاملا . وهكذا

---

* حيث تبعد عن الطائف بمسافة ٦٠٠ كيلو متر وعن ابها بمسافة ٢٢٠كم .

تستمر زيارة القرى من قرية الى أخرى حيث يستقبلون ويضيفون فى كل قرية يزورونها • وليس هناك عدد محدد لأيام الزيارة التى كانت تتم مشيا على الاقدام •

وفى اليوم الثانى لعملية الختان يحفر فى الارض حفـرة ضيقة يبلغ عمقها حوالى ٣٠سم يوضع بداخلها كمية بسيطة من الجمر حيث يستلقى الصبى المختون على بطنه فى وضع يسهل تعـرض القضيب لحرارة النار • وعندما يحاول الهرب من شدة الالم يكون هناك أحد أقرانه يعمل على ارغامه على الصبر وتحمل حرارة النار ، وذلك بأن يدوس على ظهره بأحد قديمه • وبعد هذه العملية التى تستمر لوقت يسير ينظف من الصديد الذى قد تكون عليه ويوضع عليه كمية من قشرة الجبر بعد سحقه سحقا جيدا •

وتستمر هذه الطريقـة وهى التسـخين على النـار ثم تنظيف الصديد ووضع طبقة من مسحوق قشرة نبات الجبر لعدة أيام ريثمـا يندمل الجرح • ولا يخفى ما لهذه العملية من ألم وتعذيب[41] •

٤ ـ أعيـاد الميـلاد :

ربما يبدو للبعض أن موضـوع الاحتفال بأعيـاد الميـلاد من «الموضوعات» الجديدة التى لا يصح أن يلتفت اليهـا دارس التراث

---

(٤١) انظر علياء شكرى ، المرجع السابق ، صص١٢٥ ـ ١٣٧ .
وبعد أن فرغت من وصف عملية الختان كما كانت تحدث فى الماضى القريب ، وهو ما أوردناه بنصه ، بدأت تستعرض الوضع الراهن لهذه المناسبة وكيفية اجرائهـا والاحتفال بهـا ، انظـر ص١٣٧ وما بعدها .

الشعبى ، لأنها لا تدخل فى اختصاصه ، فاذا كن يهتم بالممارسات والمعتقدات التقليدية المتوارثة ، أى القديمة المستمرة ، فلا يصح أن يهتم بهذه الموضة . والحقيقة أن دارسى التراث الشعبى لا يغفلون، ولا يستطيعون أن يتجاهلوا التجديدات التى تطرأ على السلوك التقليدى للشعب . فهذا الموضوع فوق أنه يرصد عناصر جديدة من التراث ، فان الدراسة المتعمقة قد تكشف أن هذا الذى نظنه شيئا جديدا ، ليس فى الحقيقة سوى احياء لممارسات قديمة ، ربما بنفس شكلها القديم المندثر ، وربما فى ثوب جديد يلائم ظروف العصر . كما أن هذا التجديد قد يحدث نتيجة اتصال ثقافى بمجتمعات جديدة ، نقلت الينا أو نقلنا عنها بعض العناصر السلوكية والاعتقادية الشائعة عندها . ولكن يجب أن ندرك بوضوح أن سلوكا جديدا مثل الاحتفال بأعياد الميلاد لا يمكن أن يلقى قبولا وينتشر الا اذا كان يستجيب لشروط وأوضاع جديدة طرأت على المجتمع المستقبل الذى نقل هذا السلوك الجديد وأذاعه بين أبنائه . ونعلنا نلمس أن هذا الانتشار الواسع المدى — فى المناطق الحضرية من بلادنا أساسا — لعادة الاحتفال بأعياد الميلاد انما هو تعبير عن المكانة التى أصبح يحتلها الطفل فى الاسرة فى عالم اليوم[٤٢] .

لكل هذه الاسباب لا نعجب عندما نتصدى لدراسة كهذه لموضوع الاحتفال بأعياد ميلاد الاطفال فى الاسرة العربية المعاصرة .

واشارتنا المحددة الى « أعياد ميلاد الاطفال » تعنى أن أغلب الكبار مازالوا يستنكفون أو ينفرون من الاحتفال بمناسبة ذكرى

(٤٢) أنظر مزيدا من التفاصيل عند علياء شكرى ، الاتجاهات المعاصرة فى دراسة الاسرة ، دار المعارف ، القاهرة ١٩٧٩ .

مولدهم ، هذا اذا طرحت الفكرة أصلا . فالشائع فى المناطق الحضرية، وفى الطبقات الاجتماعية الوسطى والعليا أن يتم الاحتفال بأعياد ميلاد الاطفال فقط .

واذا أردنا أن نعود الى الوراء لنتبين أصل عادة الاحتفال بعيد الميلاد ، فسوف نجد أن الفرس والاغريق كانوا يحتفلون بعيد ميلاد الشخص كمناسبة لاحياء ذكرى الاجداد ودعم صلة المرء بأسلافه . كما أن الاحتفال بعيد الميلاد لم يكن احتفالا بالشخص المحتفى به نفسه بقدر ما كان احتفالا بالقدس أو الاله (المحلى) الذى يحمى ذلك الشخص .

ولذلك حدث فى فجر المسيحية أن رفضت الكنيسة بشدة عادة الاحتفال بعيد الميلاد لكونها « ممارسة وثنية » . ولم يبدأ الاحتفال بعيد المسيح نفسه الا فى القرن الرابع الميلادى (وقد كان ذلك يوم الخامس والعشرين من شهر ديسمبر من كل عام) .

والملاحظ بصفة عامة أن الاحتفال بعيد الميلاد فى المجتمعات الغربية ليس على تلك الدرجة من العمومية والانتشار التى نظنها ، أو حتى يظنها أبناء الاوروبيين[٤٣] . فالاحتفال بعيد ميلاد الشخص هو أصلا أكثر شيوعا فى الطبقات والقطاعات الميسورة من المجتمع . ويكثر الالتزام به فى بعض البلاد اذا صادف فترة الشتاء (باعتبارها وقت راحة من العمل الزراعى ، أو من العمل بصفة عامة) ، وهو أكثر انتشارا فى الاجواء المناسبة منه فى اليوم المغاير السىء الطقس ،

---

(٤٣) انظر ريشارد بايتل : قاموس الفولكلور (بالالمانية) مرجع سابق، مادة « عيد الميلاد » ، صص٢٤٣ — ٢٤٤ .

وهو كذلك يقام بمعدل أكبر فى أيام الآحاد أكثر منه فى أيام الاسبوع العادية .

وهناك بعض المناطق الاوربية التى تقتصر على الاحتفال بعيد الميلاد الاول ، أو أعياد الميلاد عند بلوغ رقم مكتمل . (الخمسين ، والستين ، والسبعين ، أو الخامسة والسبعين) .

ولكن الملاحظ أن الاحتفال بأعياد الميلاد بات موضة عامة شديدة الأنتشار فى كل أنحاء أوربا منذ نهاية الحرب العالمية الثانية ، بحيث سقطت كثير من التحفظات والتحديدات التى كانت تراعى من قبل ، والتى ذكرناها آنفا . كما يلاحظ أيضا أن الاجيال الشابة والصغار أكثر ارتباطا اليوم بالاحتفال بهذه المناسبة وأكثر حرصا على استمرارها والالتزام بها . وعن ذلك الوضع نقلت كثير من الطبقات الميسورة والوسطى فى مجتمعاتنا العربية عادة الاحتفال بعيد ميلاد الطفل .

٥ ـ الاحتفال بالبدايات الاولى لما يفعله الطفل :

القاعدة العامة أن الاشياء التى يأتيها الطفل لأول مرة ، أو تؤدى له لأول مرة ، تكون موضع اهتمام المحيطين به ويسجلونها بعناية ويتندرون بها ، وربما يحتفلون بها على نحو أو آخر ، كما سيتضح فيما بعد . ونفس الاهتمام يوجه بالطبع للاقوال أو العبارات ، بل والاصوات ، التى تصدر عنه لأول مرة . واذا تجاوزنا هذا المستوى الأولى ، نجد اهتمام الاسرة ، وخاصة الأم ، بكل شىء يفعله الطفل لأول مرة ، كخروجه من البيت لأول مرة ، وذهابه الى «الكتاب» أو المدرسة لأول مرة ، وقص شعره لأول مرة (قص شعر البطن) ، واستحمامه لأول مرة ، وفطامه عن لبن أمه ... الخ .

والملاحظ بصفة عامة أن ذلك الاهتمام قد يكون من جانب الاسرة كلها ، وقد يكون مقتصرا على الأم وحدها • وأنه قد يتخذ حجما خاصا بالنسبة للطفل الاول «البكرى» وقد ينعدم تماما بالنسبة للأولاد غير الاول • وهذا شىء منطقى ، ولكنه قاصر على الامور التى تثير الدهشة والفرحة • ولكن هناك بعض تلك البدايات التى تكون لها أهمية طقسية أو اعتقادية خاصة ، فتلقى قدرا أكبر من الاهتمام وتلتزم الاسرة أو الأم بمراعاتها بالنسبة لكل الاولاد دون تمييز بين الاول ومن عداه •

ومن أبرز تلك البدايات ذات الاهمية الطقسية : قص « شعر البطن » ، وقص الاظافر لأول مرة ، وفى أحيان أخرى مياه أول حمام للطفل • فشعر البطن يجب العناية بالتصرف فيه اذ لا يصح اطلاقا القاؤه هكذا • لأن له صلة وثيقة بشخصية صاحبته ، وقد يتخذ «أثرا» له تمارس عليه بعض العمليات السحرية «الاعمال» التى تنعكس على الطفل مباشرة • ونفس الشىء بالنسبة لبقايا أول أظافره فهى أيضا جزء من كيان الطفل يجب التصرف فيها بحذر ، وعلى نحو لا يؤدى الى وقوعها فى أيدي أغراب أو أعداء يمكن أن يستغلوها على النحو المذكور لايقاع الضرر الجسيم بالطفل • وبالنسبة لماء أول حمام الطفل رأينا فى حديثنا عن السبوع ، كيف تستنبت فيه بعض الحبوب التى تلعب دورا فى حفل السبوع ، وتؤدي وظيفة إنمائية حافظة بالنسبة لحياة الوليد الجديد •

ولكن تتركز حول شعر البطن أكبر عدد من الممارسات والمعتقدات • فالأساس — فى بعض مناطق الريف المصرى — ألا يقص هذا الشعر الا عند قبر أحد الاولياء فى مناسبة الاحتفال مولده • ولذلك ينتشر فى

احتفالات الموالد (خاصة المشاهير منهم) عدد كبير من الحلاقين الذين يقومون بقص شعر البطن للاطفال الصغار • حيث يوهب ذلك الشعر للولى • وبعضهم يتصدق بوزنه مالا (فضة أو ذهبا حسب الاحوال)• واذا اضطرت الاسرة الى قص شعر الطفل ولم يتيسر لها لسبب أو لآخر زيارة ضريح الولى الذى وهب له الشعر(٤٤) ، فاننا نجد الاسرة تقص شعر الطفل كالمعتاد ، ولكنها تترك وسط الرأس خصلة • وتظل تلك الخصلة ذات شكل متميز (غير حليقة) وسط رأس الصبى الى أن يتيسر للاسرة زيارة الولى ، حيث تقص هناك •

٦ ـ الاطفال فى الاعياد والمواسم :

المقصود هنا الاعياد والمناسبات الدورية التى تتتابع على مدى العام ، وترتبط بتعاقب الشهور (العربية أساسا) وتتابع المواسم • من أهم الاعيـاد والمواسم : الاعياد الدينيـة ، والمواسم الدينيـة الشعبية : كبداية رجب ، ونصف شعبان ، وبداية رمضان ، وموالد الاولياء (المحليين أو الاقليميين) ••• الخ •

وفى كثير من تلك المناسبات يكون الاطفال هم أصحاب الاحتفـال الرئيسيين ، أو هم الذين من أجلهـم وبهم تتـم أغلب الممارسـات الاحتفالية • فالمصرى ـ على سبيل المثال ـ يحتفل بالعيدين بالتوسعة فى الطعام ، ليس على نفسه وزوجته • وانما على أطفال الاسرة أساسا • ويختلف كذلك بلبس الجديد ، وان ضاقت امكانياته ، عن تدبير ملبس جديد له ، ولكن لابد من تدبير ملابس جديدة للاطفال • ويوسع الأب فى المصروف على أطفاله فى الاعياد •

---

(٤٤) من اهم اسباب اضطرار الاسرة الى قص شعر الطفل مقـاومة ما قد يكون تجمع فيه من حشرات ، أى لغرض النظافة •

ففي ليلة النصف من شعبان يحرص كل اب ريفي على اصطحاب أولاده معه الى المسجد ، والاشتراك فى الدعاء ، ثم يسلكون سبيلهم بعد ذلك الى البيت للاشتراك فى وليمة « ليـلة النصفي » ، فركنـ الاحتفال فى هذه المناسبة هى الدعاء فى المسجد ، والوليمة . والأطفال فى كليهما محور أساسى .

وطوال ليـالى رمضان يصحب كل طفـل فانوسه ويتجولون فى مجموعات على بيوت الحى يغنون لأصحابه و «يشدتون» منهم الهدايا، ولا يمكن ردهم بسهولة دون هدية . وأغنية « وحوى يا وحوى » مشهورة بهذه المناسبة[٤٥] .

ومواكب الأطفال الذين يقومون بالاستجداء معـروفة فى أغلب ثقافات العالم ، خاصة عند الشعوب ذات التاريخ الحضارى . وأغلب المجتمعات الاوروبية تعرف تلك المواكب فى مناسبات مختلفة . ولكـل مناسبة أناشيد وأغان وعبارات محفوظة يتم ترديدها لهذا الغرض[٤٦] .

---

(٤٥) « وحوى يا وحوى » أغنية منتشرة فى رمضان بين الصبيان حيث يجتمع الاطفال بعـد الفطور وبأيديهـم فوانيس صغيرة مضـاءة بالشمع ، زجاجها ملون بالوان مختلفة ، من احمر ، واخضر وأزرق وأصفر . وينشد منشدهم : وحوى يا وحوى . فيجيب الآخرون: اياحة . ثم يستمر المنشد : « بنت السلطان لابسة قفطان بالاحمر، بالاخضر ، بالاصفر » . وينشد الاطفال وراء كل كلمة : «اياحة» . ويظل الاطفال يمتدحون صـاحب البيت واسرته ، ولا ينصرفون الا بعد أن يقدم لهم شيئا من الحلوى او المكسرات او النقود . راجع كذلك احمد امين ، المرجع السابق ، صص٤١٤ ــ ٤١٥ وكذلك رشدى صالح ، الادب الشعبى ، ١٩٥٦ ، مواضع متفرقة .

(٤٦) انظر دراسة قيمة فى التاريخ الثقافى المقارن لهذه الممارسة عنـد ريشـارد فايس ، الفولكـلور السويسرى ، مرجـع سـابق ، صص١٦٥ وما بعدها .

كما يشارك الاطفال بدور حيـوى فى مجالس السمر التى كانت تشهدها ليالى رمضان حتى عهد قريب • وبعد انقضاء رمضان وحلون العيد تحرص الاسرة على التفنن فى عمل كعك للاطفال على هيئـة عرائس آدمية لادخال السرور الى نفوسـهم • وهى ظاهرة مازالت معروفة فى بعض أنحاء الريف المصرى وقليل من أحياء المدن المصـرية حتى اليوم(٤٧)

٧/ـ تربيـة الاطفـال :

من الطبيعى أن حديثنا عن التربية لا يمكن أن يكـون شـاملا ولا وافيا ، فنحن أولا لا نعد بحثا عن التربية ، ثم أننـا لا نستطيع أن نستغرق فى هذا الحيز المحدود كافة الوسائل والاساليب التقليدية فى التربية • وانما سنقتصر على عرض بعض الخطوط الرئيسية •

الملاحظ أولا أن الاسرة هى أهم عامل فى نقل التراث الشعبى الى الطفل ، وهى تتفوق فى ذلك على كافة وسائل ومؤسسات التنشئة الاجتماعية الاخرى ، خاصة فى المجتمعات التقليدية • ومن بين أفراد الاسرة تعد الأم الشخصية الاولى صاحبة الدور الجوهرى فى توصيل التراث الى الطفل •

وقد أشرنا فى صدر هذه الدراسة الى قوة العلاقة بين الطفـل

---

(٤٧) يروى وليم نظير فى : العادات المصرية بين الامس واليوم ، دار الكاتب العـربى للطبـاعة والنشر ، القـاهرة ، بدون تاريخ ، ص١٨ ، يروى أنه عثر فى دير المدينة بطيبة من عصر الدولة الحديثة على أنواع من الخبز على هيئه اشكال آدمية كانت تقدم للاطفال فى الاعياد . وهى محفوظة بقسم الزراعة المصرية القديمة بالمتحف الزراعى بالقاهرة (قطعة رقم ١٤٤٧ ، أ ب ، جـ)

وأمه ، ولكننا نؤكد هنا أن الطفل هو كل شيء في حياة والديه . وقد عبر شابرول عن ذلك بصورة بليغة في دراسته المتضمنة في كتاب وصف مصر[48] ، حيث يقول : « وهكذا يبدو أن للعناية الالهية تقيم نوعاً من التعويض بين المزايا التي توزعها على الشعوب ، فهذا هو المصرى الذى ليست له نفس مباهجنا وملذاتنا أو نفس ميزاتنا الجسدية أو الروحية التي تبعده عن أسرته يعرف أكثر منا معنى العواطف الطبيعية . فأطفاله هم كل شيء في حياته . وهم مصدر كل سروره وفخره وآماله . ولربما كانت أحاسيسه أكثر وأقل تنوعا لكنها أكثر نفاذا وأكثر حقيقة . وهو يدين بذلك الى براءة عاداته وكذا الى بساطة تقاليده . لقد وجدها كامنة في نفسه وفي ثنايا أسرته ، فليس ثمة من المرارة والندم العائلى ما يسمم مباهجه » .

الملاحظة الثانية أن عملية التربية وأعنى بها توصيل التراث الثقافي الى الطفل لا تتحدد بحدود زمنية معينة ، وانما هي تتم بشكل مكثف في سنوات العمر الاولى . ولكنها تظل مع ذلك مستمرة طوال العمر ، بحيث يتم امتصاص (أو استدماج) القيم والمعايير ونماذج السلوك الاجتماعية امتصاصا كاملا .

والتربية لا تتم على نحو واحد أو بوسيلة واحدة أو وسائل بعينها ، ولكن الأسرة والمجتمع المحلى بوجه عام يسخر كل ما لديه من ذخيرة لتحقيق هذا الهدف العزيز . فتتوسل الأسرة الى ذلك بالقدوة أولا ، وبالتعويد والتدريب المتكرر ، وبالأوامر والنواهي المباشرة والمتفلوتة القوة ، بقص وانشاد الاغانى ، والقاء الامثال

---

(48) دى شابرول ، سكان مصر المحدثون ، مرجع سابق ، صفحة 54 .

الحكم ، والاشتراك فى المناسبات والطقوس الاجتماعية (عامة وخاصة على السواء) .

والقيمة الاساسية التى تحرص الأسرة على غرسها فى نفس الطفل هى قيمة احترام الوالدين ، والكبار بصفة علمة . وبديهى أن استقرار هذه القيمة فى نفوس الاطفال تسهل ما يلى ذلك من وصول تأثير سبل التنشئة السالف ذكرها الى أعماقهم . ولشابرول عبــارة جامعة عن قيمة الاحترام فى نفس الطفل المصرى ، يقول فيها : « أن احترام الابناء لآبائهم وأمهاتهم يذهب الى حد بعيد . فهــم لا يخــرجون من كنف الحريم قبل سن البلوغ . ويخضع الذكور منهم لهذه القاعدة . ومع ذلك فهم لا يسكنون نفس الحجرة التى تقيم فيها الأم — ويأتون كل صباح لتقبيل يدها ويظلون للحظات واقفين أمامها وأذرعهم معقودة على صدورهم . ثم ينزلون بعد ذلك الى والدهم ويقدمون له نفس امارات الاحترام . ومع ذلك فالأب لا يقبــل وجودهم على مائدته الا اذا كان ذلك فى يوم يعد من أعياد الأسرة[٤٩] . وهو — كذلك — لا يسرف فى تدليلهم ويحتفظ معهم باستمرار باللياقة الواجبة . وهذه عادة عامة عند كل الطبقات . وتستطيع الطبقة الدنيا وحدها أن تخرق هذه القاعدة »[٥٠] .

---

(٤٩) لفتت هذه الظاهرة نظر وليم لين الذى دعى مره على مائدة افطار، وظل اولاد المضيف الذكور (وبعضهم فوق الاربعين) يخدم على المائدة دون ان يشاركوهم فى الطعام .

(٥٠) يشير شابرول بوجه خاص الى الاسراف فى تغذية الطفل الى حد اصابته بالتخمة ولمراض اضطرابات التغذية ، وكثرة الاغطية التى لاحظها على أطفال بعــض الطبقات والتى لا تتفــق وطبيعة جو

على أن هذا الحرص الكبير على تربية الطفل يمكن أن يتعرض – كما هو متوقع – لبعض الصور غير السوية ؛ أو مظاهر التطرف من تدليل أو قسوة . وتحت أيدينا شواهد عن مظاهر هذا التدليل كما سجلها بعض المؤلفين . أما اذا أردنا شواهد عن القسوة فيكفى أن نرجع الى أى وصف للكتاب فى القرية المصرية ، لنرى الى أى مدى يسىء العريف استغلال السلطة التربوية الممنوحة له(٥١) .

أما عن التربية الرسمية فكانت تتسم أساسا فى الكتاتيب ، ثم تراجعت جميعا ، أو كادت متخلية عن وظيفتها للمدارس بمراحلها المختلفة والتى عمت مختلف أنحاء البلاد ..

ومن الموضوعات التربوية ذات الاهمية الفولكلورية الواضحة الشخوص التى تستخدم لتخويف الاطفال . اذ تعرف كل الثقافات الشعبية عددا من الشخوص والهيئات التى تخيف بها الاطفال فترتعد فرائسهم لمجرد ذكرها ، أو تمثيل هيئتها ، أو مجرد التهديد بجلبها . وهى تستعمل للاغراض التربوية عامة : لابعاد الطفل عن أماكن معينة ، أو تخويفه من ممارسة فعل أو سلوك معين أو اصدار قول معين .. الخ .

واذا أردنا القاء نظرة شاملة على تلك الشخوص التى تستخدم للتخويف من الثقافة الشعبية المصرية وجدنا أنها تنقسم الى :

= مصر ؛ كما لا تتفق ومتطلبات الحركة الصحية للطفل ، انظر شابرول ، مرجع سابق ، ص٥٤ .

(٥١) بالنسبة للكتاب انظر الاوصاف التى وردت له عند احمد أمين ، مرجع سابق ، صص٣٣٤ – ٣٣٥ . ووليم لين ، مرجع سابق ، صص٥٤ – ٥٥ . وقبل هذا وبعد هذا الوصف الرائع الذى قدمه لنا الدكتور طه حسين فى كتابه الايام .

أ ــ كائنــات خرافيــة : كالعفريت ، وأبو رجل مسلوخة[٥٢] ، والسلعوة ، والبعبع[٥٣] ، و « الأخت اللى تحت الارض » ... الخ .

ب ــ حيوانات : أغلبها مألوف فى البيئة ، ولكن تتردد بين الحين والآخر حكايات عن أذاه لبعض الافراد ، ومنهــا : الكلب ، والذئب والثعلب ... الخ .

جـ ــ أشخاص ووظائف معينة فى المجتمع : وهى تستدعى للتخويف اما لأنهــا رمز للسلطة والبطش كالعسكرى (الشرطى طبعــا) ، أو لما تحدثه من ألم شديد يفزع منه الطفل كالدكتور (الطبيب) واعطائه الحقنة ... الخ . (مع مراعاة ما لذلك العنصر الاخير من آثار تربوية غير سليمة) .

---

(٥٢) « ابو رجل مسلوخة » اسم للعفريت يخوف به الاطفال ويصفونه بأنه مخلوق نصفه الاعلى كالانسان ونصفه الاســفل كالحمار ؛ وله ذنب وبفخذيه سلوخ فى الجلد يظهر منها لحمه الاحمر . وهذا الوصف نقلا عن احمد أمين ، القاموس ١٧ . مع مراعاة ان تلك الاوصاف تختلف اختلافا شاسعا من حالة لأخرى ، لأنها تصف كائنا خرافيا لا وجود له ، ويحتفظ كل انسان لنفسه بصورة خاصة عنه تشترك فى الملامح العامة ولكنها تختلف فى بعض التفاصيل .

(٥٣) «البعبع» ــ حسب وصف أحمد أمين أيضا ــ المرجع السابق : ص٩١ « مخلوق غريب مخيف ، يخوف به الاطفال ... وهو من الاشياء التى تخلع قلوب الاطفال من الصغر ، وتنشئهم جبناء » . لمزيد من المعلومات حول هذه الشخصيات الخرافيــة ارجع الى مقالنا عن الجن ، المعتقد الشعبى المصرى ، الذى سبقت الاشارة اليه .

ثالثا : الأدب الشعبى والطفل :

أ ــ أغانى الطفــل :

الاغانى الشعبية عموما هى أكثر عنــاصر التراث الشعبى التى أثبتت بشكل واضح العلاقة بين الثقافة الراقية (أو الرسمية) والثقافة الشعبية • وتحتل أغانى الاطفال مكــانا متميزا داخل تراث الاغانى الشعبية • فهى أقدم أنواع الاغانى الشعبية على الاطلاق وأوسعها انتشارا • كما نجدها تتشابه فيما بينها الى حد بعيد من حيث النغم ومن حيث المضمون بين الثقافات على امتداد العالم • وهى من أغنى المصادر التى تحفظ لنا بقايا معتقدات وممارسات ومناسبات درست ولم يعد لها وجود فى عالمنا الحاضر (٥٤)

ومن أوجه الاهمية الكبيرة التى تحفزنا الى ضرورة الاهتمــام بتسجيل أغانى الاطفال ودراستها وتحليلها :

---

(٥٤) سوف نقتصر فى هذا القسم من الدراســة على تناول موضوعى اغانى الاطفال والالغاز ، مع علمنا بأن هنــاك بعــض الانواع الادبية الشعبية الاخرى الوثيقة الاتصال بالطفل ، ولكنها تحتاج الى دراسات مستقلة ، وعلى رأسها الحكايات الخرافية . كما أن معالجتنا للموضوعات الشعبية ستأتى بالضرورة موجزة اشد الايجاز لأنها قد درست بتفصيل اكبر فى المؤلفات الخاصة بالأدب الشعبى . أنظر حول موضوعنا مزيدا من التفاصيل عند ، رشدى صالح ، الادب الشعبى ، مواضــع متفرقة ، نبيلة ابراهيــم ، الدراسات الشعبية بين النظرية والتطبيق ، مرجع سابق ، واشكال التعبير فى الادب الشعبى ، « الحكايات الخرافية » ، وأنظر نماذج عند أحمد امين ، مرجع سابق ، وكذلك قاموس فونك للفولكلور ، ص٢١٩ ، وقاموس باتيل للفولكلور صص٤٠٩ ــ ٤١٠ .

أ ـ تتميز أغاني الاطفال الشعبية بوضوح ارتباطها الاجتماعي ، فهي تعبير حي واضح عن المجتمع ، وهي ما يمكن أن نسميه تراثا شعبيا بالمعنى الصحيح .

ب ـ كشفت الدراسات السابقة لأغاني الطفل (العربية والأوربية على السواء) بوضوح شديد عن صفة الاستمرار عبر الزمن ، على نحو يمكن أن يمتد عبر مئات أو آلاف السنين أحيانا ، وهي تشبه في ذلك أغلب عناصر التراث الشعبي المتصلة بالطفل .

وتتميز أغاني الاطفال من الناحية الشكلية (أو الفورم) بأن الايقاع هو الذي يلعب الدور الحاسم فيها . وهذا يفسر لنا طبيعة العلاقة الوثيقة بين أغاني الاطفال والالعاب الشعبية ، وكذلك بين أغاني الاطفال والرقص الشعبي . كما تتميز أغاني الاطفال بالقافية الواضحة التي يستبدل بها أحيانا السجع والجناس الاستهلالي . أما النغم فموقع توقيعا شديدا ، ويتميز بنفس الشكل الاساسي الذي يطوع عضويا مع كل النصوص . بل يمكن القول بأن لحن أغنية الاطفال واحد متكرر ، طالما لم يتعرض بالطبع لمؤثرات من المدرسة أو أي مصدر آخر من مصادر الثقافة الرسمية .

ويمكن تقسيم أغاني الاطفال من حيث المضمون الى أربع مجموعات أو فئات كبيرة هي :

أ ـ المجموعة الاولى هي تلك الاغاني التي تتردد في أثناء التعامل بين الطفل والكبار المحيطين به ، خاصة الأم . وتنتمي الى تلك المجموعة أغاني المهد ، وأغاني ملاعبة وهدهدة الطفل ، والاغاني ذات المضمون التربوي بصفة عامة[55]

---

(55) انظر بعض نصوص لأغاني هدهدة الطفل عند رشدي صالح ،

ب ــ المجموعة الثانية هي تلك التي تتردد من خلال تعامل الطفل مع البيئة ، وخاصة البيئة الطبيعية المحيطة . فالطفل يغنى لكثير من الظواهر والتغيرات الطبيعية التي تلفت نظره أو تخيفه أو تعجبه أو تفاجئه ... الخ فهو يفرح للمطر ، ويمضى تحت وابله منتشيا ؛ فيتمنى أن يشتد ليزكو الزرع ويفيض الانتاج فيمتلىء بطنه[٥٦] . ومرة ثانية يتمنى أن تصيب السماء ماءها فيملأ «القلة»[٥٧] . وأغنية أخرى يرجو فيها أن يفيض المطر فتفيض به دروب القرية ويعوم الاوز[٥٨] . والطفل يغنى للقمر عندما يختنق ، ويغنى للشمس وهو يرمى اليها بسنته التي سقطت[٥٩] ويغنى للرعد والبرق ... الخ . كما يغنى للحيوانات والطيور المعروفة في بيئتها . وقد أورد رشدى صالح أغنية تحكى قصة طائر « أبو قردان » الذى طالما عرضه في الحقول وبهرهم بخفته وسمعوا من آبائهم أن صيده «حرام» ، والذى تثير مثل هذه الاغنية حبهم له لأنه «مسكين» بلا ولد[٦٠] .

جـ ــ المجموعة الثالثة هي تلك الاغانى التي تنشأ نتيجة العلاقة الوثيقة بين الايقاع واللعب ، فتنشأ أغانى اللعب ، وأغانى الرقص ،

= الادب الشعبى مرجع سابق ، الجزء الثانى ، صص١٠٥ وما بعدها .

(٥٦) انظر نصا لأغنية بهذه المناسبة عند رشدى صالح ، الادب الشعبى ، مرجع سابق ، ص٢٣٩ .

(٥٧) نص الاغنية في المرجع السابق ، ص ٢٤٠ .

(٥٨) النص في المرجع السابق ، نفس الموضع .

(٥٩) أنظر هانز فينكلر ، الفولكلور المصرى (بالالمانية) ؛ شتوتجارت ، ١٩٣٦ .

(٦٠) نص الاغنية عند رشدى صالح ، المرجع السابق ، ص٢٣٩ .

والاغانى التنافسية ... الخ[٦١] .

د ــ أما المجموعة الاخيرة فتنشأ بنتيجة التفاعل بين الطفل والمجتمع المحيط به فى مناسبات العادات الشعبية المختلفة فى مراحل دورة الحياة (كأغانى السبوع ، والختان . والزواج ... الخ) ، والمناسبات التى ترتبط بمرور العام وتتابعه (كأغانى الاعياد الدورية ورمضان .. الخ). ويبدو هذا بشكل جلى سمة هامة من سمات الاغنية الشعبية (بالمعنى العام الشامل) التى فقدتها بمرور الوقت ، وظلت باقية فى أغانى الاطفال فقط . وأعنى الترابط العضوى الوثيق بين الاغانى الشعبية ومناسبات العادات الشعبية المختلفة . ولا نغالى اذ نقول أن استخدام تلك الاغانى فى مناسبات العادات الشعبية أصبح هو المبرر الاول لبقاء واستمرار أغانى الاطفال .

ولكن ماذا عن مستقبل أغانى الاطفال ؟ من الملاحظ بالنسبة لمجتمع كالمجتمع المصرى ــ على سبيل المثال ــ أن الثقافة الرسمية (الراقية) لم تكن تحفل بأغانى الاطفال ، وان كل أغانى الاطفال كانت مستمدة ــ حتى عهد قريب ــ من التراث . ولم يكن هناك اختلاف بين الطبقات الاجتماعية أو المناطق الجغرافية فى هذا الامر . اذ كان الجميع يهدهدن أطفالهن بأغان تعلمنها من أمهاتهن وجداتهن . كذلك كان الاطفال فى سن المدرسة يلهون بأغان مما لم يتم انتاجه فى «معامل» الثقافة الرسمية . ولكن ما أن بدأت الثقافة الرسمية تنتج أغانيا للطفل ، حتى تلقفها أغلب الطبقات العليا والوسطى ، خاصة تلك الفئات التى ترغب فى أن تنفض عن نفسها العناصر الشعبية وتبعد

---

(٦١) أنظر بعض النصوص فى المرجع السابق ، صص ٢٤٠ ــ ٢٤١ .

عن نفسها أى شبهة انتماء شعبى (لأنه أصبح يعنى انتماء للطبقات الدنيا) . ثم لا ننسى بعد هذا دور المؤسسات التربوية الحديثة (المدارس أساسا) ووسائل الاعلام فى ترويج كثير من أغانى المناسبات الوطنية للأطفال . معنى هذا أن ثروة أغانى الاطفال فى مجتمعاتنا المستمدة من التراث الشعبى معرضة للزوال فى المستقبل القريب ، ما لم نلتفت الى تطويرها والترويج لها (من خلال وسائل الثقافة الرسمية أيضا) .

٢ ـ الألغــاز :

يرى بعض العلماء أن الالغاز فى نشأتها الاولى تعد نوعا من الشعر الشعبى من مستوى رفيع ، شأنه فى ذلك شأن التعاويذ والأدعية السحرية ، وصيغ الاستنجاد بالقوى العلوية . ويرى هذا الفريق من العلماء أن الطرق الصوفية والفرق الدينية كانت تستخدم هذا الاسلوب (من التساؤلات الحكمية ذات المغزى الدينى أو الصوفى) فى تربية أفرادها والحكم عليهم وترقيتهم فى مدارج الطريق . كما كان بعض المطاردين من أصحاب الدعوات الدينية والصوفية وأصحاب الدعوات السرية يتخذون الالغاز أسلوبا لتبادل الرأى واذاعته(٦٢) .

ولكن هناك الى جانب ذلك عامل آخر فى تكوين اللغز والاحتفاء

---

(٦٢) وذلك على أساس أن الالغاز رموز لمعان مخبوءة ، قد يستطيع الفرد حلها بذكائه ، ولكن الكثير منها لابد أن يعرف المرء «شيفرته» كما يقال . انظر رشدى صالح ، فنون الادب الشعبى ، الجزء الثانى ، ص ص ١٤ — ١٥ ، حيث تجد معالجة أوسع لموضوع الالغاز من وجهة نظر دارسى الادب الشعبى .

به لدى الأطفال والكبار على السواء . هذا العامل هو الرغبة الكامنة لدى الانسان والميل الى لعبة الاخفاء . ويبدو هذا الميل فى أوضح صوره لدى الطفل ، ولكنه موجود لدى كل منا على أى حال .

ومحور هذا الاسلوب حفز المشتركين الى البحث عن الاشياء العادية المألوفة وراء هذا الوصف الشعرى المعمى . وهذه الرغبة فى الاخفاء والالغاز تتعارض بطبيعة الحال مع أسلوبنا العصرى (الرسمى) الذى يتوسل بالمنطق ويسعى الى الوضوح . ولكنه يتفق مع ذلك مع التصور البدائى عن وجود صلة قرابة بين كل الاشياء الموجودة فى هذا العالم . وهو تصور قائم على الاعتقاد البدائى بوجود نوع من التناغم فى الوجود كله . ومعناه أنه توجد بين كافة الاشياء والعمليات التى تبدو متقاربة أو متباعدة فى الظاهر علاقة داخلية عميقة .

فعلى حين يبدو لنا أسلوب اللغز أمرا مجافيا لتفكيرنا المنطقى ، فقد كان يؤدى فى الاصل وظيفة عميقة الدلالة هى رؤية صلة القرابة والرابطة المشتركة بين البشر ، والحيوانات ، والنباتات ، وكافة الأشياء ، وادراكها ككائنات على مستوى واحد .

ويمكننا أن نلتمس اليوم القواعد الراسخة لكل من الالغاز والحكايات الخرافية من نفس القطاعات الشعبية ، حيث تتجلى بأوضح صورها لدى الأطفال . فهم اليوم الجمهور الاول لكل من اللغز والحكاية الخرافية . فالصبى أو الفتاة يحفظون منها قدرا يسوقه الواحد منهم عندما ينازل أحد أقرانه ، ويتلهى الأب والأم بايرادها على مسامع أبنائهما . وذلك بأن حل اللغز من أكثر الموضوعات رواجا وقبولا لدى العامة ، ومن أكثر الموضوعات نجاحا فى الأدب الشعبى .

وتعكس الالغاز علاوة على هذا سمة من السمات المميزة للغـــة الشعبية بصفة عامة ، وهى الميل الى التشخيص (أو التجسيد) ، مما لا مجال للخوض فيه تفصيلا هنا ، ويجد القارىء دراسات وافيـــة فى بعض مراجع الأدب الشعبى الحديثة[٦٣] .

ويترتب على تلك السمات السابقة للغز اننا لايصح أن نفاجأ عندما يحاول البعض اقامة الدليل على وجود نفس اللغز (وكذلك بعـــض الحكايات الخرافية) ربما بنفس النص ونفس الاستخدام — فى أماكن متباعدة على خريطة العالم ، بل ربما فى كافة أرجاء العالم . ذلك لأنه يستجيب بهذا الوضع لسمات انسانية عامة لصيقة بالانسان حيثمـــا كان ، لأنها انبثقت عنه بوصفه انسانا .

ومع ذلك فلابد أن نسلم فى نهاية الامر — ورغم كل ما قلناه — بأن الحضارة العقلية الحديثة التى تتسم بالرشد قد أدت الى تراجع اللغز حتى بين الإطفال أنفسهم . حيث أصبح الناس أكثر انطبـــاعا بالاسلوب المنطقى فى التفكير ، علاوة على أن سرعة ايقاع الحيـــاة الصناعية الحديثة لم تعد تدع مكانا للتفكير العـــابث أن يأخذ مداه ويستغرق فى حل ما يطرح عليه من ألغاز .

والملاحظ كذلك — على الاقل فى كثير من دراسات الفولكـــلور الاوروبى — أن الميل الى الالغاز (تأليفها وحلها) لدى الكبـــار قد انحسر بحيث أصبح يقتصر أساسا على ميـــدان الجنس . وفى هذا المجال تداخل اللغز الجنسى مع النكتة الجنسية المعتمدة على التورية والجناس والتلاعب اللفظى .

---

(٦٣) أنظر على سبيل المثـــال ، ريشارد فايس ، المرجع الســـابق ، ص‌ص٢٥٢ — ٢٧٦ . وكذلك المراجع والدراسات الواردة هناك .

رابعـــا :

ألعاب الاطفال الشعبية :

الالعاب الشعبية ضرورة أساسية من ضرورات الطفولة تصاحب الطفل منذ بداية تكون القدرات الحركية عنده ، وتتطور معه تبعــا لتطــور قدراته الجسمية والنفسية والاجتماعية ٠ فهــى بذلك حاجة طبيعية لديه ، لا تحتاج الى تربية معينة لتعويده عليها أو جذبه اليها، وربما فقط لتنظيم ممارسته لها ٠ ويتم هذا التنظيم بشكل تلقائى عادة من خلال التفاعل مع أمه فى البداية ، ثم مع رفاقه بعد ذلك ٠

والالعاب الشعبية بصفة خاصة متنوعة تنوعا كبيرا فمنها الالعاب الصغيرة والكبيرة ، ومنها الفــردية والجماعية ، والهــادئة والكثــيرة الحركة ، ومنها الداخلية (التى تتم داخل مكان مغلق) والخارجية ٠ كما أنها متدرجة ففيها ما يصلح لكل الاعمار والقدرات ٠ وهذا التنوع الكبير يلبى شرط العمومية والانتشار ، ففيها المناسب لكل اتجاه ولكل قدرة ولكل مرحلة عمرية ٠ والالعاب الشعبية لا تحتاج لمعدات خاصة أو أدوات رياضية معقدة ، ولا تحتاج بالطبع لملاعب خاصة ، وانما يمكن تدبيرها بأبسط الامكانيات وبما هو متاح فى البيئة المحليــة ، وعلى أى أرض أو فى أى مكان متوفر أمام الطفل ٠ والسمة الهــامة الاخرى فى الالعاب الشعبية أنها لا تتطلب مسبقا أية استعداد خاص أو مهارات معينة فيمن يود ممارستها ، بل هى التى تربى المهــارات وتهذب الاستعدادات وتنميها ٠ وهى لذلك تتسم بالبساطة اذ بوســع أى فرد أن يفهمهــا وأن يؤديهــا ، لأن القوانين التى تحكمها سهلة ميسورة وبسيطة ٠ وهذه الخاصية تجعلها فى متناول الجميع فلا يشعر

أحد بعجزه ازاءها • وتلك من العوامل التى تؤكد ذيوعها وانتشارها بين كل الدوائر الشعبية • ومن أهم سمات الالعاب الشعبية أنها طابع محبب يستهوى اللاعبين • فهى تهدف — من بين ما تهدف اليه — الى اظهار المهارة وسرعة البديهة (وأحيانا القوة) ، فتشد الاطفال الى ممارستها وتحقق لهم بذلك قدرا من الاشباع هم فى حاجة طبيعية اليه، وهى كذلك تساهم فى نهاية الامر — من خلال المران المستمر عليها — الى تنمية سرعة الخاطر وحضور البديهة لدى ممارسيها •

لذلك يمكن أن نقول بحق أن الالعاب الشعبية تعمل على تكوين الشخصية الناضجة ، وتتيح الفرصة للطفل لتنمية استعداداته وقدراته، ومتابعة احتياجاته الاساسية بدنية ونفسية واجتماعية[٦٤] •

وتتميز ألعاب الاطفال شأنها شأن كافة العناصر الشعبية المتعلقة بالطفل (كأغانى الاطفال مثلا) بأنها تحتل فى المجتمع مكانة أكبر من ألعاب الكبار • كما أنها تعكس مثل بقية عناصر التراث الشعبى الخاصة بالأطفال تراث الاجداد بشكل أوضح من تراث الكبار[٦٥] •

---

(٦٤) انظر حول هذا الموضوع ، محمد عادل خطاب ، الالعاب الريفية الشعبية ، مكتبة الانجلو ، القاهرة ، الطبعة الثانية ، ١٩٦٤ ، صص ٣٢ وما بعدها •

(٦٥) استعرض وليم نظير ، المرجع السابق ، صص ٥٨ وما بعدها عددا من الالعاب التى وردت شواهد عن وجودها عند قدماء المصريين ، ومازالت تمارس حتى اليوم فى مدن مصر وقراها • من هذا مثلا التحطيب ، ولعبة الكرة (تقاذف الكرة باليد بين الفتيات) ، والنط (التى تعرف باسم نطة الانجليز) ، والسيجة والداما (الداما كانت على هيئة مائدة من الطين غير المحروق فوق اربع قطع من الطين تقوم مقام الارجل ، وسطحها مقسم الى

فعلى حين نجد أن ألعاب الكبار لا تعدو أن تكون فى أغلب الاحيان مجرد تمارين بدنية أو عمليات تحريك للجسم ، نجد أن ألعاب الاطفال تتميز بأنها مزيج رائع بين حركة الجسم والمضمون الذى تعبر عنه .

ومن هنا ندرك سبب اهتمام علم الفولكلور فى كل بلاد العالم بدراسة ألعاب الاطفال بدرجة تفوق الاهتمام بدراسة ألعاب الكبار . فقد لاحظنا أن ألعاب الاطفال قد حفظت لنا كثيرا من عناصر التراث القديم ، التى كان يمكن أن تختفى دون أثر لولا ارتباطها بألعاب الاطفال . ولكن هذا الاستمرار الثقافى يفرض علينا التزام الحذر الشديد عند التعرض لتفسير مدلول هذه الالعاب ومعانى ما تتضمنه من رموز أو اشارات ، ذلك أننا هنا بصدد صور باهتة غالبا ما تكون مشوهة أو معدلة — لألعاب قديمة درست من عالم الثقافة التقليدية على امتداد آلاف السنين .

ولكن هذا الحذر وهذا التحفظ لم يمنع كثيرا من الباحثين من أن يؤكدوا بكل قوة : ان دلالة التراث والمجتمع بالنسبة لعالم الطفل وألعابه دلالة واضحة وقوية . ويرى هذا الفريق من الباحثين أن دراسة ألعاب الاطفال تعد اسهاما هاما بعيد الاثر فى تأسيس فهم انثروبولوجى شامل ومتكامل للانسان[٦٦] .

ثمانية عشر مربعا ومعها نحو اثنتى عشرة قطعة للعب مصنوعة من الطين ومغطاة بالشمع . وهى لعبة مسلية) . هذا علاوة على رياضة الصيد ، بأنواع وأساليب مختلفة . وقد أورد نصوص وصور عدد من الشواهد التى استند اليها .

(٦٦) انظر مزيدا من التفاصيل عند ريشارد باتيل ، قاموس الفولكلور ، مرجع سابق مادة العاب الاطفال ، صص ٤١١ — ٤١٢ .

ويدلنا التأمل السريع لألعاب الاطفال التى عرفتها المجتمعات فى العصور الغابرة وتلك التى مازالت معروفة فى أيامنــا أن بعض تلك الالعاب مجرد تقليد لبعض العمليات أو أساليب السلوك وبعضهـا الآخر مجرد تدريب أو استعداد (ربما من الوجهة البيولوجية) لحياة الطفل فى مرحلة البلوغ عندما يصل اليها . أما الجانب الاكبر من تلك الألعاب فيعكس لنا بوضوح خيال الانسان وقدراته الخــلاقة ، وفن التجسيد الحى للافكار والعمليات والمعانى ، والقدرة على الفهم الحقيقى لكثير من جوانب الحياة .

ويبدو أن اللعبة (أعنى الدمية أو الشيء الذى يلعب به الطفل) هى التى تضفى على ألعاب الاطفال طابعها الرئيسى ومعناها الخاص. ولكننا نلاحظ مع ذلك أن تطور اللعبة واندماج الطفل فيهـا يأخذ فى الابتعاد التدريجى عن اللعبة كشيء مادى ، وتحتل فيها اللعبة (الدمية) مرتبة ثانوية فى عملية اللعب نفسها . ولكن لنا أن نتساءل اذا كانت اللعبة (الدميـة أو الشيء) تتقلص أهميتها ويتراجع دورها بهـذا الشكل ، ففيم اذن ذلك الاهتمـام الكبـير من جانب دارسى التراث الشعبى بألعاب الاطفال ؟ ربما يرجع ذلك الى أننا نرى فى تلك الالعاب تعبيرا عن قدرة فنية بدائية على التشكيل ، تتفق وشخصية الطفـل وتكوينه النفسى والفكرى والعاطفى[٦٧] .

---

(٦٧) يثير بعض المشتغلين بالفولكلور مسألة تحول انواع معينة من ادوات السحر والادوات المستخدمة فى الطقوس والمناسبات الاعتقـادية الى مادة اللعب أو الى حيث تكون مادة للسخرية . ومن الامثلة التى يقدمونها شاهدا على ذلك عرائس الأطفال . فالمعروف أنها شائعة فى شتى الوان السحر فى كل العصـور ، تتخـذ انموذجا

والملاحظ بصفة عامة أيضا أن ألعاب الاطفال الراقصة والغنائية ترتبط بالمرحلة العمرية للطفل ، فكل عمر له ألعابه وله أغانيه التى تتفق ومزاجه وتتفق كذلك و «العرف» السائد بين الاطفال . فطفل العام والعامين يسعد أكبر السعادة حين الاعبه لعبة «البيضة» ؛ ويستنكف طفل السادسة أن ألاعبه اياها .

ولكن فى كل تلك المراحل تتحدد حركات اللعب بايقاع الاغانى أو الكلمات المسجوعة المصاحبة ، فهى التى تضبط هذه الحركة وتنظمها ، وتدخل فى تكوينها مكونة معها نسيجا عضويا متماسكا . ولكن مع اضطراد نمو الطفل ، ثم نلحظ بدايات حدوث اختلاف بين تطورها عند الاولاد وعند البنات . حيث تظل الايقاعات الغنائية والكلمات المسجوعة تنظم حركة اللعب عند البنات . أما عند الاولاد فتتجه الالعاب الى اتخاذ الطابع الحركى والطابع الصراعى الواضح (الذى لا يخلو من العنف أو استخدام القوة البدنية) .

وهذا التطور هو نفسه الذى يجعل من الصعب علينا فى بعض

للكائن البشرى ، فنلقى عليها العزيمة او الرقية . ومازال النساء فى قرانا حين يردن رد العين يصنعن عروسا يثقبنها بدبوس ؛ ويلقينها فى النار بين البخور ، وكأنها تمثال للحاسد او الحاسدة . ثم تجد البنات يشغفن شغفا جما بالعرائس . ونقطة الجدل هنا خاصة بالصلة بين السحر واللعب . ويرى رشدى صالح فى كتابه الادب الشعبى (ص٢٤١) إن الفراغ ووسائل تمضيته توأم العمل ذاته ، ومثله فى العراقة والقدم . ويرجح أن الانسان بدأ فى فجر تاريخه يلهو اثناء قعوده عن طلب الطعام وقبلما يخطو الى حيث يريد السيطرة على مصادر الخير والشر . وبالتالى فاللعب ووسائله اعرق من السحر .

الاحيان أن ينفصل فصلا قاطعا حاسما بين ألعاب الاطفال وألعاب الكبار . اذ تمثل تلك الحلقة بدايات الدخول فى ألعاب الكبار أحيانا .

وأقصى ما يمكن أن نجريه فى هذا الصدد هو التمييز بين ألعاب الشباب أو كبار الاطفال وألعاب الكبار العاملين (الذى بدأوا يمارسون عملا منتجا) . ولكن لاشك أن مثل هذا التمييز شئ قليل الفائدة وضعيف الدلالة بالنسبة لتاريخ الالعاب من وجهة نظر دارسى الفولكلور . وأقصى ما يستطيع دارسو التراث الشعبى عمله اليوم هو تحديد الخطوط العريضة لتطور ألعاب الاطفال فى ضوء التاريخ العام للألعاب عموما . .

خاتمـــة :

لسنا على امتداد الدراسة كيف أن الطفل هو محور لكثير من العادات والمعتقدات الشعبية ، ومستهلك رئيسى لعديد من الانواع الادبية الشعبية ولطائفة كبيرة من الالعاب الشعبية . وهو البطل الاول لعملية التنشئة الاجتماعية ، وكل عملية نقل التراث ، من جيل الى جيل انما هى بيان عملى حى متجدد لأهمية الطفل من حيث علاقته بالتراث الشعبى .

ولكن الملاحظ أن طريقة الاهتمام بالطفل قد اختلفت فى المجتمع المعاصر عن المجتمعات التقليدية ، واتخذت مسارا مغايرا . فقد أصبح الطفل فى مجتمع اليوم تعبيرا عن مستوى الاسرة ، وأصبح مظهره مقياسا لحالة الاسرة . ولذلك أصبحت عملية تنشئة الطفل متأثرة بسيطرة النزعة الفردية على مجتمعنا المعاصر . ذلك المجتمع الذى

يركز بكل الشدة والاصرار على تدعيم القدرات الفردية لكى يحقق الطفل نجاحا كبيرا فى مستقبله • والتعليم هو فى رأى أبناء كافة الطبقات الاجتماعية خير ضمان لتهيئة مستقبل مناسب للطفل • ولم يكن هذا التوتر قائما فى الماضى ؛ لأن الطفل كان يرث مكانة أسرته كما يرث مهنة والده •

وهذا التركيز على الاعداد الفردى للطفل حرمه من اللعب ؛ ومن الغناء ، وصرف نظر الوالدين عن كثير من أركان عملية التربية الحقة • لأن المهم هو تحصيل مزيد من التعليم ، وتحقيق النجاح الفردى فى المستقبل •

وترتبط هذه النقطة كذلك بانفتاح الطبقات الاجتماعية ، وشدة وكثافة الحراك الاجتماعى فى المجتمع المعاصر • فهذا الانفتاح الطبقى وبروز المكانة المكتسبة كعنصر غالب فى تحديد مكانة الشخص ، جعل الطموح الفردى أو طموح الوالدين لابنهما لا يقف عند حد • ومن هنا تفسير هذا الاهتمام الهستيرى بنجاح الابن فى المستقبل • ذلك أن هذه المرونة فى سلم التدرج الاجتماعى هى نفسها التى تجعل من السهل أن يسقط أو ينحدر هذا الابن فى سلم التدرج الاجتماعى اذا لم يزود بامكانيات النجاح •

فالطفل فى مجتمع كثير من البلاد النامية اليوم دخل طرفا فى سباق الصعود الطبقى ، فأرهقت ملكاته الرقيقة ، واستنفذت فى أغلب الأحيان لغير ما خلقت له • فأصبح هذا الطفل — ما لم ندركه بالعلاج المناسب — أقل سعادة وأقل «طفولة» •

الفصل الثانى

التنشئة الاجتماعية(*)

تمهيد :

يمثل موضوع التنشئة الاجتماعية واحدا من نقط الالتقاء الكبيرة بين علمى الاجتماع والنفس الاجتماعى ، وهو يمثل حقلا خصبا للدراسة ومحور اهتمام لكل فريق منهم • ويشارك هذين الفريقين الاهتمام بهذا الميدان فرع ثالث من العلوم الاجتماعية هو الإنثروبولوجيا سواء الاجتماعية أو الثقافية ، وخاصة الانثروبولوجيا التربوية • وسوف نحرص فى هذا العرض على أن نفيد من اسهامات أصحاب هذه العلوم الثلاثة فى دراسة التنشئة الاجتماعية ، بالتركيز على المجتمع المصرى فى الفترة موضوع الدراسة ، دون أن نفرد الكلام عن أصحاب علم دون الآخرين ، الا اذا اقتضت ضرورة محددة ذلك التخصيص •

(*) من تأليف الدكتورة علياء شكرى • وقد سبق نشره ضمن مجلدات المسح الاجتماعى للمجتمع المصرى • وتقدم المؤلفة الشكر بهذه المناسبة للمركز القومى للبحوث الاجتماعية والجنائية الذى مول اجراء هذه الدراسة ، ثم نشرها •

والتنشئة الاجتماعية يمكن تعريفها بطريقتين ، طريقة فيها توسيع وفيها شمول في النظرة ، وطريقة فيها تركيز وفيها تحديد .

الطريقة الاولى : تنظر الى التنشئة الاجتماعية كعملية اجتماعية شاملة تستهدف نقل تراث المجتمع الى الفرد وطبعه بطابع الجماعة التي يولد فيها والتي يتعامل معها ، وعلى ذلك فان تعدد الجماعات التي يتعامل معها الفرد ، وتلك التي ينتمي اليها في مراحل حياته المختلفة ، يجعل من هذه العملية عملية متصلة مستمرة طول حياة الانسان . وفي هذه الحالة أيضا تتعدد أدوات وأجهزة التنشئة الاجتماعية ، فتشمل الى جانب الاسرة ، المدرسة ، جماعة اللعب ، الرفاق ، الجماعة المهنية ، جماعة الجيرة ، الاتحادات الخاصة التي ينتمي اليها الفرد ، ووسائل الاتصال الجماهيري وغير ذلك مما يؤثر في شخصية الفرد ويحاول أن يغرس فيه فكرا أو عادة أو اتجاها معينا ... الخ .

أما الطريقة المحدودة في التعريف فتقصر هذه العملية على ذلك الجانب منها الذي يتم داخل الاسرة ، وبالذات في مرحلة الطفولة . ففي هذه المرحلة يكتسب الفرد (الكائن البيولوجي) شخصيته الاجتماعية ويتحول من ثم الى كائن اجتماعي . والجدير بالذكر أن الكتاب الذين يستخدمون التنشئة بهذا المعنى المحدود يستخدمون مصطلحا آخر هو التنشئة الثقافية لتغطية مرحلة التنشئة فيما بعد مرحلة الطفولة ، فيطلقونه على عمليات الاكتساب الثقافي أو التغير في العضوية الاجتماعية التي تحدث في مرحلة ما بعد الطفولة ، أي في مرحلة البلوغ والنضج[1] . وبذلك يقسمون نفس العملية الى مرحلتين

(1) يلاحظ من سياق العرض في هذا الفصل وجود نتائج لعديد من

متميزتين ؛ احداهما محدودة بحدود زمنية دقيقة ، ومتأثرة بأجهـزة تربوية واجتماعية محددة ومحدودة ، والاخرى متسعة ممتدة ، تتنوع فيها الاجهزة ، وتتبدل فيها المراحل

وأيا كان الخلاف ، فاننا يمكن أن نصف التنشئة الاجتماعية فى عبارة موجزة فنقول : هى عملية اجتماعية أساسية تعمل على تكـامل الفرد فى جماعة اجتماعية معينة ، وذلك عن طريق اكتساب هذا الفرد ثقافة الجمـاعة ، ودورا يؤديه فى هذه الجمـاعة ولو اعتبرنا هذه العملية ممتدة طول عمر الفرد ، فإن أهم مراحل تلك العملية وأكثرها خطورة هى تلك التى تتم فى مرحلة الطفولة حيث يستدمج الطفـل القيم ، والاتجاهات ، والمهارات ، والادوار التى تشكل شخصيته ، والتى تؤدى الى تحقيق تكامله مع المجتمع الذى يعيش فيه • وترجع أهمية هذه العملية الى انها ذات خطورة كبرى بالنسبة لتكـوين الأنا عند الطفل ، لأنه يتوصل من خلالها الى تكوين تصور عن ذاته كشخص من خلال سلوك الآخرين معه واتجاهاتهم نحوه • كما تتبدى صورة الذات الاجتماعية بوضوح من خلال تعلم هذا الفرد أداء عدد من الادوار الاجتماعية المختلفة •

ويجب أن نضيف الى هذا أن تعلم الشخص أى دور اجتمـاعى جديد يمكنه من أداء وظيفته كعضو فى جماعة معينة انما هو بمثـابة جزء أصيل من عملية التنشئة الاجتماعية • ومعنى ذلك أن الجنـدى المرشح للالتحاق بقوات الشرطة ، أو الفرد العضو فى جماعة كشفية

- الدراسات التى تنـاقش خصائص مرحـلة التنشئة الاجتماعيـة وما بعدها :

أو المرشح لعضوية أى جماعة اجتماعية جديدة عليه ، يتعين عليه أن يتعلم وأن يهضم جيــدا القيــم والاتجــاهات والاعراف والادوار الاجتماعية الخاصة بتلك الجماعة ، وبذلك فهو يعد داخلا فى عمليــة تنشئة اجتماعية حقيقية • ومن هنا اصرار الكثيرين على اعتبار التنشئة عملية ممتدة بامتداد الحياة •

وواضح أن حديثنا السابق يبرز بشكل خاص أن عملية التنشئة هى عملية تطبيع اجتماعى ، أى جهد تبذله الجماعة لتشكيل الفــرد وصياغته فى قالب معين • ولكننا نؤكد هنا أنها عملية تفاعل اجتماعى بمعنى الكلمة ، عملية تسير فى اتجاهين ، وليس فى اتجاه واحد • فكما أن الجماعة تصوغ شخصية الفرد . فالفرد هو الآخر يؤثر — وهو متلقــى — فى شخصية من يلقنــونه القيــم ، وأســاليب السلوك ، والاتجاهات • أننا نستطيع القول أن المراهق وهو ينشأ اجتماعيا ، انما ينشىء والديه فى محاولته أن ينقل اليهما حقائق تغير مكانتهما فى داخل الاسرة ، وتحدد دورهما ، ثم يهتم أكبر الاهتمام أن ينقل اليهما حقائق تغير وضع الأبوين فى المجتمع الحديث ، من هذا مثلا : دعوى الابن : « أن الأب والأم اليوم لا يمكن أن يكونا على نفس الدرجة من الشدة والصرامة التى كان عليها آباء هذين الأبوين • ان درجة اهتمام الوالدين برفاهية أبنائهم اليوم تفوق اهتمــام هذين الأبوين وهكذا •• فالمقارنات التى يعقدها المراهق لوالديه هدفها الاكبر ابراز هذا الاختلاف ، من أجل احراز مكاسب لنفسه وتحقيق مكانة أفضل له فى علاقته مع والديه •• والنتيجة أن اتجاه الوالدين تجاه طفلهما وابنهما المراهق يختلف بالقطــع عن اتجــاهات الاجداد نحــو هذين الوالدين • ونحن ولاشك واهمون أشــد الوهم لو أغفلنــا الطبيعة

التفاعلية لعملية التنشئة الاجتماعية ؛ لأنهـا لو كانت مجرد عمليـة « تطبيع اجتماعى » ، كما يرى البعض ، لخرج الابناء نسخا دقيقة أمينة من شخصيات الآباء[٢] ولكـن شيئا من هذا لا يحدث ولا يمكن أن يحدث . فكما نغير أبناءنا ، فانهم يغيرون فينا ، وبديهى أن قوة الطرفين فى الفاعليـة ليست متكافئة ، فالجيل القائم بالتنشئة أقوى فاعلية ، والطرف المتلقى أقل فاعلية .

خطة دراسة التنشئة وأسس التصنيف :

هناك أكثر من طريقة يمكننا أن نستخدمها لتصنيف الدراسـات التى تناولت موضوع التنشئة الاجتماعية فى المجتمع المصرى . فهناك طريقـة تنطلق من التخصص العلمى المحدود حيث يمكـن على هذا الاساس أن نعرض لدراسات علم الاجتماع ، ودراسات علم النفس الاجتماعى ودراسات علم الانثروبولوجيا وهكذا . وقد أوضحنا فى موضع سابق أن هذا اللون من العرض ان كان مفيدا فى تقييم اسهام

---

(٢) ممن يستخدمون مصطلح التطبيع الاجتمـاعى للدلالة على عملية التنشئة الاجتماعية :

مصطفى سويف ، مقدمة فى علم النفس الاجتماعى ، القـاهرة ، مكتبة الانجلو ، ١٩٧٠ ، ص٥٩ .

وعبد الهادى عفيفى ، التربية والتغير الثقافى ، القاهرة ، مكتبة الانجلو ، ١٩٦٤ ، ص١٠٧ .

وسيد أحمد عثمان ، علم النفس الاجتمـاعى التربوى والتطبيـع الاجتماعى ، القاهرة ، مكتبة الانجلو ، ١٩٧٠ ، ص١٧ .

وأنا لا أعتبر الاختلاف فى الترجمة مجرد اختلاف فى الاجتهاد ، ولكنه اختلاف فى النظرة الى حقيقة الطبيعة التفاعلية لهذه العملية الاجتماعية الهامة .

كل علم من هؤلاء فى دراسة التنشئة الاجتماعية ، ووزنه وتدعيمه ، الا أنه ليس مفيدا من وجهة نظر التعرف على ملامح التنشئة الاجتماعية فى المجتمع المصرى • لأننا ننطلق من أصحاب التخصص العلمى ، وليس من الموضوع •

كذلك يمكن اتباع طريقة أخرى فى التصنيف تقوم على أساس المنهج ، فهذه دراسات نفسية تجريبية تطبق الاختبارات ، وهذه مجموعة أخرى من الدراسات تعتمد على الملاحظة بأنواعها وتتبنى منهجا أنثروبولوجيا وتلك دراسات ثالثة تتبنى اتجاها تجريبيا احصائيا وهكذا • وبنفس المنطق نجد أن هذا اللون من التصنيف يفيد هدف التقييم العلمى لهذا المنهج أو ذاك ، وفحص كفاءته ، ولكنه لا يدخل بنا الى صميم الموضوع ، أعنى ملامح عملية التنشئة الاجتماعية نفسها •

وهناك امكانية أخرى تعتمد التصنيف الريفى الحضرى الدراسات، فتفرد مكانا خاصا لعرض الدراسات التى تناولت الريف ، وآخر للدراسات التى تناولت الحضر ، وربما ثالثا للدراسات التى تناولت البدو أو أى جماعات أخرى • ورغم أن هذا المدخل التصنيفى أقرب من المدخلين السابقين الى الكشف عن الموضوع ، الا أنه لن يحمينا من الوقوع فى التكرار ، ولن يمنع التداخل • فوق أن هذه التصنيفات متغيرة الملامح من مجتمع لآخر ، ومن فترة زمنية لأخرى • علاوة على أنه يطمس معالم التباين الطبقى ، والعمرى والنوعى ••• الخ •

وهكذا يظل الأساس الثابت والواضح فى رأينا لتصنيف الدراسات ، واعتماده مدخلا لمعالجة ملامح التنشئة الاجتماعية فى

مجتمعنا لانطلاق من المراحل الزمنية للعملية نفسها ، فأبدأ بالتنشئة الاجتماعية فى مرحلة ما قبل المدرسة ، ثم مرحلة المدرسة ، ثم مرحلة المراهقة . وأخيرا عملية التنشئة الاجتماعية المستمرة ، أو مرحلة النضج . هذا فى حقيقة الامر أساس واضح ومأمون للكشف عن تلك الملامح ، والاستفادة المثلى من نتائج الدراسات السابقة .

وبديهى أن الكلام عن كل مرحلة لابد أن يأخذ فى اعتباره الابعاد المختلفة للعملية ، كالبعد الريفى الحضرى ، والبعد الطبقى ، وبعد العمر ، وبعد النوع (ذكر أو أنثى) .. الخ . وبذلك نتمكن باستخدام هذا المعيار فى تقسيم الموضوع من الجمع بين مزايا كافة المداخل بقدر الامكان .

غير أنه سيتضح لنا على الفور أن الدراسات تتباين فيما بينها تباينا شديدا فى الاهتمام الذى أولته لمراحل التنشئة المختلفة . فسوف نجد دراسات وجهت اهتمامها الاول لمرحلة ما قبل المدرسة ، وأعطتها أولوية وخصتها بالتأثير لما لها من أسبقية على المراحل الأخرى . ولأن التأثيرات والسمات التى تتشكل فيها تظل باقية ومؤثرة فى كل المراحل التالية عليها . وسوف نجد دراسات أخرى ركزت اهتمامها الأكبر على مرحلة المراهقة واعتبرتها المرحلة الحاسمة فى حياة الفرد : لأنها تمثل الحد الفاصل بين الطفولة والنضج ، وبداية الصراع بين الفرد والبالغين من حوله ، وهى لذلك أخطر مراحل التنشئة الاجتماعية وأكثرها حساسية على الاطلاق وبالتالى أولاها من حيث الاهتمام أحقها بالدراسة[٣] .

---

(٣) سوف نغض النظر عن العناوين التى اتخذتها بعض الدراسات ، حيث أوضحت أنها تستهدف دراسة مرحلة المراهقة ، ولكنها اطلقت =

يضاف الى هذا كله بعد آخر يعكس مشكلة واقعية أخرى أن هناك عدم توازن ، أو عدم تكافؤ عددى ، وأحيانا نوعى ، بين الدراسات التى أجريت على المراحل المختلفة . ففى حين نجد كثافة فى الدراسات التى أجريت على مرحلة ما قبل المدرسة ، تليها من حيث الكثرة الدراسات التى أجريت على مرحلة المراهقة ، نجد خلخلة كبيرة فى دراسة مرحلة التنشئة المستمرة ، أو التنشئة فى مرحلة النضج .

ولتلك الاسباب سوف نعتمد فى هذا العرض مدخلا عمليا ، يتفق وسلامة مبدأ التصنيف على أساس المراحل ، ولكنه سيقسم الموضوع الى مرحلتين ، بحيث نفرد الكلام عن مرحلة ما قبل المدرسة ، ثم نعالج مرحلة المدرسة (أى العمر المدرسى ، لأنه من البديهى أنه ليس كل من فى العمر المدرسى يزور المدرسة) والمراهقة معا ، وسوف نضطر الى اسقاط الكلام عن مرحلة النضج . ويمكن أن تكون هذه المرحلة موضوع معالجة مستقلة فى المستقبل . ثم نضيف بعد ذلك فقرة مستقلة

- المعالجة على كل المراحل ، أو ارادت أن تتحدث عن المرحلة المدرسية واستغرقت جانبا كبيرا من معالجتها لمرحلة ما قبل المدرسة ... وهكذا . وسوف اعتمد فى الاستعانة بالدراسة على مضمونها الحقيقى ، وليس على العنوان الذى تحمله ، والذى قد يختلف عن المضمون نحو ما اشرت . ويمكن أن اضرب مثلا على ذلك دراسة هدى الشناوى عن التنشئة الاجتماعية فى القرية المصرية ، دراسة أنثروبولوجية فى احدى قرى الصعيد . دراسة ماجستير غير منشورة ، كلية بنات الازهر ، ١٩٨١م ، التى لم تركز معالجتها الموضوعية على المراهقة ، ولكنها وسعتها ونوعتها وخرجت عن عنوانها لتجيىء فى النهاية دراسة فى ملامح عامة للتنشئة تناولت أشياء كثيرة ومختلفة على نحو ما سنوضح فى موضع لاحق من هذا الفصل .

نعرض فيه لنتائج الدراسات والبحوث التى تناولت الملامح العامة لعملية التنشئة فى مجملها . ودون الاقتصار على مرحلة بعينها . وتمثل تلك الاقسام الثلاث صلب المعالجة فى هذه الورقة :

اولا : الرضاعة والفطام :

١ ـ الاجراءات والاحتياطات فى الأيام الأولى :

هناك بعض المراحل فى حياة الطفل لا نستطيع أن نتناوله فيها بعيداً عن أمه . فهو يظل مرتبطا بأمه فى مرحلة الحمل ، وفى الولادة ، وفى الرضاعة ... الخ . فدراسة هذه المرحلة هى دراسة للأم والطفل معا[٤] . وان كانت تتأثر بعديد من المتغيرات داخل الأسرة وخارجها . ولكننى أردت بهذه الاشارة أن أبرز مدى تلاحم العلاقة وقوتها فى تلك المرحلة .

وتدخل تلك العلاقة الوثيقة فى مرحلة جاسمة ، كما أنها تتعرض لأول تجربة قوية فى عملية الفطام . ومن ثم اهتمت معظم الدراسات الخاصة بالتنشئة بهذه المرحلة ، ولم يشر الا القليل النادر من الباحثين الى مرحلة ما قبل الولادة ، والولادة ، وما قبل الفطام بالرغم من دلالتها العميقة . فهذه المراحل جميعا تستهدف حماية الجنين والوليد من الاخطار التى تتهدده سواء من جانب قوى منظورة أو خفية . هذا الى جانب أنها تعد فرصة الاحتكاك الاول بين الوليد والمجتمع .

فبعد نزول الجنين من بطن أمه وليدا تجرى له بعض الاستعدادات وتقدم له بعض ألوان الرعاية : كقطع الحبل السرى ، ودهان جسمه

---

(٤) محمد الجوهرى ، الطفل فى التراث الشعبى ، عالم الفكر . الكويت ، العدد الثالث ، من المجلد العاشر ، ١٩٧٩ ، ص ٦٤٠ .

ببعض البود . وتكحيل عينيه ... الخ . وقد لاحظ حامد عمار[٥]
أن فترة الاربعين يوما التى تعقب الولادة تحاط بكثير من النواهي
والاحتياطات والاجراءات التى يحددها التراث . خاصة فى ريف مصر .
ففى فترة الاربعين تسمى الواضعة بلفظة «نفسا» . والمقصود بلفظة
«نفسا» كما يتداوله الناس أن «نفس» السيدة طوال هذه الفترة
يكون غير نظيف . وتكون فترة الاربعين هده فترة راحة فى المنزل
تتفرغ فيها الأم لطفلها . وتحظى هى غيها برعاية كاملة تحافظ فيها
على نفسها وتنصح بعدم الحركة الكثيرة . أو التواجد فى مكان مظلم .
وتتغذى بنوعيات شهية ومغذية من الطعام كالدواجن والزبد .

ويعتقد الناس أن الملائكة — فى هذه الفترة — تحرس الصغير
من الشياطين والارواح الشريرة . ولذلك يجب على الأم الا تترك
صغيرها بمفرده أبدا ، اذ من الجائز لأى سبب أن تغيب الملائكة عنه
لحظات — حسب المعتقد الشعبى — فيحدث له أى مكروه . واذا
اضطرت الأم اضطرارا الى ترك الصغير بمفرده فيجب أن يكون فى
صحبة شخص آخر يجلس الى جواره .

ولاشك أن هذه الملامح قد تعرضت لعديد من التغيرات فى كل
من الريف والحضر على السواء ، الا أنه رغم مرور أكثر من ربع

---

(٥) انظر دراسة حامد عمار ، التنشئة الاجتماعية فى قرية مصرية ،
وسوف يرد عرض تفصيلى لها فى مواضع متفرقة .

ومن الجدير بالذكر ان وصف حامد عمار ينسحب على نساء
الطبقتين الوسطى والعليا ، حيث أن ملاحظاتنا الميدانية المعاصرة
تؤكد ان المرأة فى الطبقات الدنيا فى الريف المصري تذهب الى الحقل
بعد الانتهاء من عملية الولادة مباشرة ، كما ان نوعيات الطعام
المقدمة اليها لا تزيد عن الاكل اليومى المعتاد .

فرى على وصف حامد عمار (الذى يصـــدق أساسا على ريف الوجه القبلى) . فمازالت هذه العادات والمعتقدات راسخة فى كثير من قرى مصر . ومازالت ملاحظات حامد عمار تمثل بصمات واضحة فى رؤيتنا لهذه المرحلة من مراحل التنشئة الاجتماعية .

٢ - التسميـــة :

الاسم هو الشـخص . كما يعلمنا علم الفولكلور ، واذلك تحـاط عملية التسمية فى المجتمعات التقليدية ببعض الاجراءات والاحتياطات وتخضع لبعض القواعد الدقيقة . فالاسم هو تكريس للميلاد الاجتماعى الكائن البيولوجى ؛ الذى يدخل من خلال عملية التسـمية الى عضوية الوحدة الاجتماعية التى ينتمى اليها .

والعادة أن يشترك الوالدان فى عملية اختيار اسم الوليد ، ولكن من المألوف أيضا أن يشترك كبار السن من الأقارب فى اختيـــار هذا الاسم . والاساس أن يختار أسم أحد الأقارب فى الأسرة من المعمرين (ليعيش الطفل عمرا مديدا مثله) أو أصحاب المكانة الرفيعة فى المجتمع من الأقارب ، أو يختار اسم من التراث الدينى العريض . وفيما عدا اطلاق اسم جد الفتى على الولد أو اسم الجدة على الفتاة ، يمكـن أن يختار من بين الاسماء التالية :

أ ـ أسماء الرسول ﷺ مثل : محمد ، محمود ، أحمد ، مصطفى .. الخ وتصل هذه الاسماء الى أكثر من ثلاثين اسما .

ب ـ أسماء أفراد العائلة المحمـدية الكريمة كأم الرســول (آمنة) أو مرضعته (حليمه) ، أو أسماء زوجاته عليهن السلام (خديجة ، عائشة .. الخ) أو أعمامه .. الخ .

جـ ـ أسماء واحد من أولياء الله الصالحين ، خاصة ذلك الأكثر شيوعاً في المنطقة .

د ـ أسماء خادم (أي عبد) واحد من الاسماء الحسنى التسعة والتسعين : عبد الرحمن ، عبد الحفيظ ، عبد الشكور ... الخ .

هـ ـ أسماء الانبياء الذين ورد ذكرهم في التراث : ابراهيم : سليمان ، زكريا ... الخ .

غير أن هناك بعض الموضات التي طرأت وتطرأ على الاسماء ، حيث تختار الأسرة أسماء من غير هؤلاء ، خاصة الاسماء الحضرية الحديثة مثل : محسن ، نوال ، فؤاد ، صباح .. الخ . ويؤثر على تيارات تلك الموضة أسماء الزعماء السياسيين ، والملوك والثقافات التي ينفتح عليها المجتمع وغير ذلك .

واذا سلمنا بأن الاسم ينبيء عن مستقبل صاحبه ومصيره ، لاستطعنا أن نلقي الضوء على القيم والصفات التي يرغب الاهل أن ينشئوا أولادهم عليها[٦] .

والملاحظ أن ظاهرة ارتفاع معدلات وفيات الاطفال الرضع (خلال السنة الاولى من العمر) قد دفع بعض الأسر الى أن تطلق على أطفالها بعض الاسماء الغريبة أو القبيحة « لكي يعيش الطفل » . ومن هذه الاسماء : خيشه ، وغراب ، وعجل ، وشحات ... الخ .

---

(٦) يعتقد في بعض الثقافات التقليدية ان الوليد لا تدب فيه الروح الا بعد ان يتسمى باسم معين ، فالاسم والوجود الروحي شيء واحد ، ومن هنا يمكن ان نفهم سر الرابطة التي يقيمها المعتقد الشعبي بين الاسم والمسمى .

وتطلق هذه الاسماء على الطفل الذى تعثرت أمه فى حمله (أى جاء بعد عدة مرات من الاجهاض) ، أو جاء ذكرا فى عقب عدد من الاناث ... الخ • وجدير بالذكر أن أســس هذه التسمية أكثر انتشــارا فى الطبقات الدنيا عنها فى الطبقتين الوسطى والعليا ، سواء كان ذلك فى الريف أو الحضر • وبتراجع وفيات الأطفال الرضــع تراجعت هذه الظاهرة ، فضلا عن عوامل اجتماعية أخرى ، كانشار التعليم ، وغيره مما جعل الطفل يواجه باسمه القبيح أعدادا كبيرة من الاطفال الآخرين، فيزداد نفور الناس منه •

٣ - أســاليب الرضــاعة :

نالت أساليب الرضاعة والفطام قدرا كبيرا من اهتمام المهتمين بدراسة التنشئة الاجتماعية فى المجتمع المصرى • وقد اهتمت بعــض الدراسات بابراز دور المتغيرات الاجتماعية المختلفة كالطبقة والتعليم وغير ذلك ، مما سنبرزه فى عرضنا التالى •

وتنحصر أساليب الرضاعة فى ثلاثة أساليب هى :

أ - الرضاعة الطبيعية من ثدى الأم •

ب - الرضاعة الصناعية باستخدام الالبان الصناعية •

جـ - الرضاعة المختلطة باستخدام الاسلوبين معا •

وتشكل الرضاعة عاملا هاما فى تنشئة الطفل والتأثير على شخصيته وعلى حياته فيما بعد ، وقد دلت على ذلك الدراسات التى أجريت حول هذا الموضوع • فقد أشار حامد عمار فى دراسته فى صعيد مصر الى أن ثدى الأم يمثل رمزا للحنان ، وأنه لا توجد علاقة أقوى من علاقة

الطفل بثدى أمه . عندما [illegible] لابن ولا يصيح من أمه تقول له :
« هو انت ما رضعتش منى » . وبذلك تبقى هذه العلاقة رمزا لطاعته ومساعدتها والاخلاص لها عندما تتقدم بها السن[٧] .

كذلك اهتم نجيب اسكندر وعماد الدين اسماعيل بالتأكيد على أن الرضاعة لا تقتصر على الناحية البيولوجية . بل انها تتضمن جوانب اجتماعية وانفعالية لا تقل فى اهميتها بالنسبة لكيان الطفل وسلامته عن الناحية البيولوجية[٨] . وأكد هذه العلاقة كذلك محمود عبد القادر فى دراسته عن الاساليب الشائعة للتنشئة الاجتماعية فى الريف المصرى[٩] .

أما بالنسبة لانتشار كل أسلوب من أساليب الرضاعة على الخريطة الطبقية ، فتدلنا دراسة محمود عبد القادر بالنسبة للريف على أن الاسلوب الطبيعى هو الاكثر انتشارا ، ثم يليه فى درجة الانتشار الاسلوب الطبيعى مدعما برضعات من اللبن الصناعى . أما أقل الشرائح عددا فتمثلها الأمهات اللاتى يرضعن أطفالهن صناعيا فقط . وقد عالج الباحث فى تلك الدراسة الاسلوب المستخدم فى الرضاعة فى ضوء بعض المتغيرات الاجتماعية للأسرة ، وخلص الى أن أسلوب الرضاعة الطبيعية هو أكثر الاساليب شيوعا فى الريف المصرى حتى فى حالة الاختلاف فى بعض المتغيرات الاجتماعية مثل مستوى تعليم الوالدين ، ومهنة الزوج .

---

(٧) حامد عمار ، المرجع السابق ، ص٩٩ .
(٨) نجيب اسكندر وعماد الدين اسماعيل ورشدى فام ، المرجع السابق ، ص١٥٣ .
(٩) محمود عبد القادر والهام عفيفى ، المرجع السابق ، ص ص٣١ — ٣٢ .

وقد بينت تلك الدراسة أنه كلما ارتفع مستوى معيشة الأسرة فى الريف المصرى ظهر بوضوح ميل الأمهات نحو استخدام الرضاعة الصناعية ، ويعود هذا الى أن الرضاعة الصناعية تعد مكلفة للأسرة الى حد ما ، كما أنها تتطلب درجة أعلى من الوعى الصحى عند استخدامها[١٠]

٢ ـ الاستجابة لبكاء الطفل وصراخه :

تحاول الأم بعد الاربعين اتخاذ مواقف عقلية رشيدة من وليدها، لتبدأ بذلك عملية التنشئة الاجتماعية بشكل ارادى • حيث تبدأ محاولة عدم الالتحام الفيزيقى بوليدها بعد أن حملته تسعة شهور ولازمته أربعين يوما ليلا ونهارا •

ومن معالم البداية الاولى لعملية التنشئة عدم حمل الرضيع عندما يصرخ ، وعدم النوم بجواره ، وعدم تدليله ووضعه فى أحضان أمه باستمرار • ويعاون الأم فى اتخاذ كل هذه المواقف ويشد من عزمها على مقاومة الطبيعة صديقاتها وزميلاتها فى العمل وقريباتها وجاراتها من نفس طبقتها العمرية ومن ذات ظروفها الاجتماعية والاقتصادية •

وهذه الظاهرة التى أشير اليها انما هى ظاهرة حضرية حديثة لها أبعاد طبقية ولكنها ترتبط أوثق الارتباط بعمالة المرأة خارج المنزل، وخاصة فى الحضر ، وفى بعض القطاعات الاجتماعية العليا والوسطى الريفية أيضا •

---

(١٠) محمود عبد القادر والهام عفيفى ، المرجع السابق ، نفس الموضع

ولا يتم ذلك دون معارضة عنيفة من جانب كبار السن وأهل الخبرة فى أسرتها ؛ الذين يحضونها على عدم ترك الطفل يبكى طويلا، أو ينام وحده .. الى غير ذلك من الآراء والنصائح التى تقف على طرفى نقيض مع آراء وخبرات الجيل الذى عاش عمل المرأة وأحس بمشاكلها ؛ ويزداد صراع الاجيال حدة فى الأسر الممتدة ، فى الريف والحضر على السواء وتقل حدته أو يختفى فى الأسر النووية .

وقد تناول محمود عبد القادر بالدراسة استجابة الأم عندما يبكى رضيعها بشكل غير عادى ، ووجدها تختلف تبعا لعديد من المتغيرات الاجتماعية ، وتتمثل تلك الاستجابات فيما يلى :

أ ــ « تشوفه عايز ايه » ، وأجاب على ذلك ٤١٥ سيدة بنسبة ٥٨,٣٪.

ب ــ « تعطيه سوائل مهدئة » ، ويفعل ذلك ٩٩ سيدة بنسبة ١٣,٨٪.

جـ ــ « تعهد به الى طبيب يفحصه » ، ويفعل ذلك نسبة ١٢,٨٪ .

د ــ « يشوفه حد من الكبار أو يرقيه » ويفعل ذلك نسبة ١٠,٧٪ .

هـ ــ « يتركه يبكى كى يتعلم السكوت ويتسع صدره » نسبة ٤,٤٪ .

وبمقارنة هذه النتائج بنتائج الحضر تبين أنها مغايرة نسبيا ، اذ تبين أن أمهات الحضر « يحملونه ويهدهدونه » ، وقد « يداعبونه ويلهونه » ، وذلك بنسبة ٢٥٪ ، كما أوضحت الدراسة أيضا أن نسبة ٢٥٪ من أمهات الحضر قد يقدمن الرضيع عندما يبكى بشكل غير عادي ، « البزازة أو الثدى أو الثدى أو التيتينة » . ويرى ١١٪ من أمهات الحضر ترك الطفل يصرخ حتى لا يتعود على البكاء بعد ذلك . وتفضل ٢٢٪ من أمهات الحضر معرفة السبب ومعالجته بأى طريقة ، وذلك فى حالة الصراخ الشديد . وأخيرا ترى ١١٪ من أمهات الحضر

اللجوء الى تقديم السوائل المهدئة » أو وقف صراخ الرضيع بأى شكل خوفا على صحته أو خشية أن تفتق سرته[١١] .

وتشير ملاحظاتنا الميدانية الى وجود فروق حادة فى الاستجابة تبعا لجنس الرضيع بشكل عام فى الريف والحضر على السواء . ففى حالة بكاء البنت بشكل غير عادي قد تترك لتبكى وتصرخ لمدة طويلة ، ويعلل ذلك بأن البكاء يوسع رئتى البنت . أما بكاء الذكر فيؤدى الى الفتق السري . ولا يعنينا اذا كان الاعتبار الصحى هو الاساس الحقيقى لهذه الاستجابة أم لا ، وانما يعنينا أن هناك فرقا فى استجابة الأم لبكاء الطفل الذكر والأنثى .

وفيما يتعلق بصراخ الطفل أو بكائه بشكل غير عادى نجد المعتقد الشعبى يفسح مكانا كبيرا للعوامل السحرية ، كأن يعلله باصابة الطفل بعين حاسد ، أو تأثير بعض الكائنات فوق الطبيعية وأبرزها القرينة أو أم الصبيان[١٢] . فيفسر الصراخ المفاجىء والمستمر بأن الرضيع «مبدول» (أى أن تلك الكائنات فوق الطبيعية قد أبدلته) . وفى مثل هذه المواقف حيث تسود مثل هذه المعتقدات تتمثل استجابة الأم لذلك بقراءة بعض الأدعية أو الرقى أو عمل الأحجبة أو غير ذلك من الاساليب . وعندما تتكرر هذه الحالة تحمل الأم رضيعها الى أحد المشايخ (المشتغلين بالسحر) ، أو لزيارة ضريح أحد الأولياء . وهناك ـ كما دلت الدراسات ـ بعض الأولياء المتخصصين فى شفاء الأطفال وحل مشكلات تربيتهم[١٣] .

---

(١١) محمود عبد القادر والهام عفيفى ، المرجع السابق ، صص ٣٦ - ٣٨ .

(١٢) محمد الجوهرى ، المرجع السابق .

(١٣) سعاد عثمان احمد ، النظرية الوظيفية فى دراسة التراث الشعبى ،

٥ ـ الأطعمة الاضافية التى تقدم للطفل :

تدلنا الملاحظة اليومية على أن أغلب الأمهـات لا يقتصرن على الثدى فقط كوسيلة لتغذية الطفل . اذ يقمن من وقت لآخر باعطائه أنواعا أخرى من الغذاء . وتزداد نسبة الغذاء الاضافى بزيادة عمـر الطفل . وتؤكد هذه الملاحظة اليومية نتائج البحوث والدراسات العلمية حول الموضوع .

فقد أشار حامد عمار الى أن الطفل ـ فى سلوا ـ لا يعتمد فى غذائه اعتمادا كليا على لبن الأم طوال فترة الرضاعة ، ولكن الأم تبدأ بعد الشهر الرابع فى تقديم بعض أطعمة البالغين للطفل . كما لاحظ الباحث أن تقديم هذه الأطعمة الاضافية يحدث بالنسبة للأطفال الذكور فى عمر مبكر عن الاناث من أجل التعجيل بنموهم(١٤) . كذلك أكدت نفس المعنى الدراسات الحديثة التى أجريت بعد دراسة حامد عمار بأكثر من ربع قرن ، وعلى مجتمعات قروية فى دلتا مصر(١٥) .

ودلتنا ملاحظاتنا الميدانية المعـاصرة على حى حضـرى قاهرى (هو حى الخليفة) على تأكيد هذه الملاحظة ، حيث تقدم الأمهـات لأطفالهن السوائل والأطعمة ، مع وجود بعض الفوارق الطبقية فى هذا

دراسة ميدانية لتكريم الاولياء فى المجتمع المصرى ، رسالة ماجستير غير منشورة ، كلية البنات ، جامعة عين شمس ، ١٩٨١ ، المجلد الثانى ، ص ٥٩٠ .

(١٤) حامد عمار ، المرجع السابق .

(١٥) الاشارة الى دراسة سيد عبد العاطى فى ثلاثة مجتمعات قروية، وقد وردت الاشارة اليها عند محمد سعيد فرح ، الطفولة والثقافة والمجتمع ، الطبعة الاولى ، الاسكندرية ، منشأة المعـارف ، ١٩٨٠ .

الصدد . ففى الطبقة الأدنى تقدم الأمهات السوائل للطفل منذ الميلاد، وهى فى الغالب نباتات طبيعية تغلى وتقدم كعلاج فى حالات المغص كالكمون والنعناع . كما يقدم للطفل فى هذه السن بعض عصير الفاكهة — كالبرتقال والعنب ولكن بكميات قليلة — أما تقديم الطعام للطفل فلا يبدأ فى هذا المستوى الاجتماعى الا بعد بلوغ الطفل الشهر الرابع من عمره ، كما أوضحت الدراسات السابقة . والطعام هنا وجبات بسيطة تزداد كميته وتنوعاته بزيادة عمر الطفل . فاذا أتم الطفل الشهر السادس أصبح من الممكن أن يقدم له أى طعام .

أما فى الطبقة الوسطى فتبدأ الأم بعد الاربعين فى تقديم السوائل للطفل وحتى يبلغ الشهر السادس . وفى الفترة من الشهر الرابع وحتى الشهر السادس تبدأ الأم فى تقديم الطعام للطفل تدريجيا . ولكن هذا التدريج يتم بصورة سريعة ، بحيث أنه بعد شهر ونصف أو نحو ذلك يمكن أن يقدم للطفل أى طعام .

وفى المستوى الاجتماعى الأعلى لا تبدأ الأم فى تقديم طعام اضافى للطفل الا عند بلوغ الشهر السادس تقريبا(١٦) .

---

(١٦) تمت الملاحظات الميدانية فى فترة الاشراف على البحث الانثروبولوجى الذى عاون فيه فريق من الباحثين المتخصصين الأكفاء بملاحظاتهم القيمة :
مركز التنمية والتكنولوجيا، جامعة القاهرة، هيئة العمل الدولية: دراسة أنثروبولوجية متعمقة لأنماط عمالة المرأة والتغيرات الديموجرافية وهى دراسة ريفية — حضرية — تشكل جزءا من بحث دولى مطبق على خمس دول منها مصر . والدراسة تتناول الانماط المختلفة لعمالة المرأة فى الريف والحضر ، وانعكاس نوع العمل على مهنية =

٦ ــ رضاعة الذكور والاناث :

تتمثل الفروق فى ارضاع الذكور والاناث فى مدة الرضاعة فقط ، وبالتالى فى السن الذى تبدأ فيه الأم تقديم أطعمة اضافية لوليدها . فقد أشار حامد عمار الى أن الطفل الذكر يرضع مدة أقل من تلك التى ترضعها الأنثى ، وأن مغزى هذا فى سلوا هو التعجيل بنمو الاطفــال من الذكور ، وبلوغهم فترة الرجولة بشكل أسرع[١٧] .

وجاءت نتائج دراستنا الأنثروبولوجية لأنماط عمالة المرأة فى مصر لتؤكد ــ بفارق ربع قرن ــ نفس النتيجة التى انتهى اليها حامد عمار بالنسبة للصعيد[١٨] .

أما دراسة محمود عبد القادر عن الريف ، فأوضحت أنه لا توجد فروق بين مدة ارضاع الاطفال الذكور والاناث[١٩] . وان كانت دراستنا الانثروبولوجية عن عمالة المرأة فى الحضر قد توصلت الى نفس ما وجده محمود عبد القادر ، وهو عدم وجود فروق بين الذكور والاناث لا فى مدة الارضاع ، ولا فى سن الفطام . وترجع الفروق بين طفل وآخر ــ فى بعض الاحيان ــ الى مدى توافر اللبن فى ثدى الأم وغير ذلك من الاسباب الصحية الشخصية التى تتعلق بالأم .

٧ ــ تنظيم مواقيت الرضاعة :

أشارت الدراسات التى أجريت حول الموضوع فى الريف الى أن

= التنشئة الاجتماعية . وقد اجريت الدراسة على عينة مختارة طبقا لأنماط العمالة . وقد بدأت الدراسة فى اكتوبر ١٩٨١ . فى حين تم جمع الحالات المنظم من يناير ١٩٨٢ الى يناير ١٩٨٣ .

(١٧) حامد عمار ، المرجع السابق .

(١٨) دراسة انثروبولوجية متعمقة سبق الاشارة اليها .

(١٩) محمود عبد القادر والهام عفيفى ، المرجع السابق ، ص٢٩ .

توقيت الرضاعة لا يخضع لأى قيود[٢٠] • وقد أكدت هذا دراسة حامد عمار ، حيث أوضح أن هناك مبدأين أساسيين يتحكمان فى ارضـــاع الطفل :

الأول : أن تقدم الأم ثديها للطفل حين يبكى •

والثانى : أن تقوم الأم بارضاع طفلها حين يمتلىء صدرها باللبن•

هذا ويلاحظ أن عدد رضـعات الطفل الذى بلغ الشـهر الرابع تتراوح ما بين ٦ الى ١٥ رضـعة فى اليـوم ، وجميعها غـير مقيدة بجدول زمنى ، ويمكن أن تزيد على ذلك لو تكرر بكاء الطفل •

ومما يسهل على الأم القيام بهذه العملية ارتداؤها جلبابا بفتحـة واسعة حول الرقبة أو بفتحتين أماميتين فى مواجهة الثديين ، فتقـوم باخراج ثديها من هذه الفتحة دون أدنى مجهود • وبذلك يمكن أن تتم رضاعة الطفل فى أى وقت ، حتى أثنـاء انشغالها بأنشطة أخرى ، كالاشتراك فى جمع أحد المحاصيل أو اعداد الطعام أو غير ذلك[٢١] •

أما بالنسبة لتوقيت الرضاعة فى حضر مصر ، فقد اتضح أن نسبة غير قليلة من الأمهات يضعن قيودا على الرضاعة • فأشـار محمـود عبد القادر الى أن نسبة الأمهات اللائى ينظمن عملية الرضاعة فى الحضر بلغ حوالى ثلث عدد الأمهات(٣٣٪)[٢٢] •

---

(٢٠) المرجع السابق ، صص٣٢ ، ٣٣ ، وكذلك حامد عمار ، ص٩٩ .

(٢١) من ذلك مشهد الام ـــ فى قرى الفيوم ـــ تجلس على الارض لجنى محصول الشيح (البابونج) ـــ وهو عمل نسائى اساسا ـــ حيث لا يزيد ارتفاع شجرته عن ٢٠سم عن الارض ، وطفلها فى حجرها يرضع ، وهى منهمكة بكامل قوتها فى قطف الثمار .

(٢٢) محمود عبد القادر ، اساليب الثواب والعقاب التى تتبعها الأسرة

وعند معالجة هذه النقطة فى ضوء البعد الطبقى تبين أن هناك اختلافا بين أمهات الطبقة الوسطى وأمهات الطبقة الدنيا ، حيث تميل أمهات الطبقة الوسطى الى فرض قيود على رضاعة الطفل ، فى حين أن أمهات الطبقة الدنيا يتركن مطلق الحرية للطفل فى الرضاعة .

وعندما تناول الباحث فى دراسته الريفية (عن الاساليب الشائعة فى التنشئة الاجتماعية فى الريف المصرى) معالجة موضوع تقييد الرضاعة فى ضوء بعض المتغيرات الاجتماعية وهى : مستوى تعليم الأم — مستوى تعليم الأب — عمر الأم — مهنة الأب ، تبين أن نسبة كبيرة من الأمهات الأميات يتركن الحرية للطفل فى الرضاعة ، بنسبة ٨٧٫٨٪ ، فى حين أن نسبة من يضعن قيودا على الرضاعة بلغت ١٢٫٣٪ . ومعنى ذلك أنه كلما ارتفع مستوى تعليم الأم كلما زاد اتجاهها نحو تقييد الرضاعة .

كما دلت نتائج نفس الدراسة على أن نسبة من يضعن قيودا على الرضاعة للطفل تتزايد بارتفاع مستوى تعليم الأب ، اذ بلغت نسبة من يضعن قيودا من زوجات الأميين ٩٫١٪ ، وبلغت بين زوجات المتعلمين ١٤٫٨٪ فى حين وصلت هذه النسبة بين زوجات المؤهلين الى ٢٤٫٧٪ .

أما فيما يتعلق بمهنة الأب فقد تبين أن نسبة من يضعن قيودا من زوجات الأجراء وصغار الملاك بلغت ١٠٫٧٪ ، فى حين بلغت هذه النسبة ١٧٪ بين زوجات الحائزين لأكثر من ثلاثة أفدنة[٢٣] .

= فى تدريب الطفل وأثرها على شخصية الابناء ، رسالة دكتوراة غير منشورة ، كلية الآداب ، جامعة القاهرة ، ١٩٦٦ .

(٢٣) محمود عبد القادر والهام عفيفى ، المرجع السابق ، ص٣٢ الى ٣٤ .

وقد جاءت دراسة سيد عبد العاطى — حديثا — لتؤكد ما توصل اليه كل من حامد عمار ومحمود عبد القادر عن الريف[٢٤] .

٨ — الفطام وأساليبه :

يقصد بالفطام منع الطفل من اشباع حاجته الى الطعام عن طريق الرضاعة بقصد اكسابه أسلوبا جديدا للحصول على الطعام . ويهمنا فى دراسة موضوع الفطام جانبان :

الأول : هو أسلوب الفطام .

والثانى : هو السن الذى تبدأ عنده الأم فطام طفلها .

ويمكن حصر أساليب الفطام فى مصر فى ثلاثة هى :

أ — الفطام التدريجى :

حيث تبدأ الأم فى احلال وجبة من الطعام محل رضعة الطفل ثم يزداد عدد الوجبات تدريجيا الى أن يستغنى الطفل عن عملية الرضاعة كلية . ويعد هذا الاسلوب أفضل الاساليب جميعا ، لأنه لا يترك آثارا سيئة على نفسية الطفل[٢٥] .

ب — الفطام التعسفى :

ويتمثل فى منع الطفل من رضاعة الثدى بشكل مفاجىء وبطريقة مؤلمة ، بأن تضع الأم مادة «الصبار» على الثدى ، أو أى مادة حريفة.

---

(٢٤) ورد ذكرها عند محمد سعيد فرح ، المرجع السابق ، ص١٠٢ .

(٢٥) انعام عبد الجواد ، تنشئة الاطفال لدى المراة العاملة وغير العاملة، رسالة ماجستير غير منشورة ، كلية الآداب ، جامعة عين شمس، ١٩٧٤ ، ص٨٨ .

وهناك بعض الأمهات يعتبرون هذا الاسلوب من الفطام تدريجيا ، حيث يعنون بالتدريج هنا أن الطفل سوف لا يلبث أن يكف عن الاحتجاج بالتدريج ، ويقبل الامر الواقع • الا أن هذا الاسلوب يخلق لدى الطفل أنواعا مختلفة من الصراع[٢٦] •

جـ ـ الفطام المفاجىء :

وهو انقطاع الأم انقطاعا مفاجئا عن ارضاع طفلها ، وهو أسلوب أقل شيوعا من الفطام التعسفى • ويتم ذلك بأن تقوم الأم بتغطية صدرها بطريقة يتعذر معها وصول الطفل الى الثدى ، أو تقوم بارسال طفلها الى أحد الاقارب ليبقى هناك بضعة أيام ، أو غير ذلك • الا أن الأمهات اللاتى يستخدمن هذا الاسلوب قد يصيبهن الانزعاج أو القلق بسبب صراخ الطفل المستمر ، فيلجأن الى ارضاعه على فترات متباعدة أو متقاربة • ومن شأن ذلك ألا يقتصر الضرر على ما يصيب الطفل من صدمة الفطام المفاجىء ، بل يتجاوز ذلك الى أخطار التذبذب فى المعاملة ، وما يترتب على هذا التذبذب من آثار نفسية سيئة على الطفل •

وهناك فيما عدا تلك الاساليب الثلاثة احتمال آخر يتمثل فى امتناع الطفل تلقائيا عن الرضاعة • وقد يكون ذلك بسبب النقص فى كمية لبن الأم ، أو ما يطرأ على طعمه أو رائحته من تغير أو غير ذلك من الاسباب •

وسنحاول فيما يلى أن نتتبع الاساليب المستخدمة فى المجتمع المصرى فى كل من القطاعين الريفى والحضرى ، مع مراعاة بعض

---

(٢٦) نجيب اسكندر وآخرون ، المرجع السابق ، ص١٥٧ •

المتغيرات الاجتماعية الاقتصادية ، على ضوء ما انتهت اليه الدراسات التى أجريت على المجتمع المصرى •

أشار حامد عمار الى أن الأم فى سلوا لا تمنع طفلها عن كلا الثديين مرة واحدة • اذ يبدأ الفطام عادة من أحد الثديين ، ثم يلى ذلك — بعد فترة — حرمان الطفل من الثدى الآخر • ويتم ذلك بدهان الثدى بالحناء ، أو الصبار ، أو حجر الملح ، أو بخليط من التوابل أو روث النعاج • ويسبق ذلك ويصاحبه بعض الترتيبات والاحتياطيات الخاصة اذ يتم الفطام عادة قبل بداية الشهر القمرى بيومين أو ثلاثة أيام ، حيث يعتقد أن فطام الطفل يصبح مسألة صعبه بعد ظهور الهلال • كما أن المرأة التى تقوم بفطام الطفل فى بدايه الشهر تجد صعوبة فى الحمل مرة أخرى • كما يسبق فطام الطفل عادة زيادة كمية الطعام الاضافى التى تقدم له • كذلك تقوم الأم بادارة ثوبها الى الخلف بحيث يتعذر على الطفل الوصول الى الثدى • وفى خلال اليومين الأولين من الفطام تقوم الأم بتقديم البيض الملون الى الطفل، حيث يلعب به ، ثم يأكله حين يشاء[٢٧] •

وقد أوضحت دراسة نجيب أسكندر وزملاؤه أن الفطام فى الحضر يتم بطريقة فجائية على عكس الريف • ووجه الاتفاق بين الدراستين أن السائد هو استخدام المواد المرة (كالصبار) أو الحريفة (كالشطة) التى يدهن بها الثدى لينفر منه الطفل • وأشارت الدراستة الى أن الأفراد الذين فطموا تدريجيا يشكلون نسبة محدودة ، الا أنهم يكونون أكثر استقرارا من الناحية الانفعالية ممن فطموا فجأة[٢٨] •

---

(٢٧) حامد عمار ، المرجع السابق ، ص١٠٣ •

(٢٨) نجيب اسكندر وزملاؤه ، المرجع السابق ، ص‌ص١٥٧ ، ١٥٨ •

وكشفت دراسة أنعم عبد الجواد — فى مدينة القاهرة — عن وجود فروق جوهرية بين الأمهات العاملات وغير العاملات فيما يتعلق بأسلوب الفطام . فعند العاملات يتم الفطام عادة بعد التمهيد له ، وذلك بتقديم الوجبات بين الرضعات . أما الأمهات غير العاملات فيشيع بينهن استخدام الصبار أو المواد الحريفة . وكشفت الدراسة عن أن الأمهات العاملات يلجأن الى الفطام التدريجى وعيا منهن بأخطار الفطام المفاجئ أو التعسفى على شخصية الطفل(٢٩) .

وأكدت دراسة محمود عبد القادر نفس النتائج ، فأشارت الى أن استخدام الصبار يتم لدى ٤٤٪ من مجموع الأمهات . وتلجأ الى الفطام المفاجئ حوالى ٢٨ر٨٪ ، والتدريجى ٢ر١٥٪ ، والتلقائى ويتم فى ٥ر١١٪ من الحالات(٣٠) .

وأشارت نتائج بحث احتياجات الطفولة الى أن أكثر الأساليب شيوعا فى فطام الاطفال المصريين يتمثل فى تغطية حلمة الثدى بمادة منفرة مثل الصبار أو الشطة حيث تستخدمه ٥٤٪ من الأمهات الريفيات ، فى مقابل ٣٢٪ من الأمهات الحضريات(٣١) .

وفيما يتعلق بعلاقة أسلوب الفطام بالمتغيرات الاجتماعية توصلت دراسة محمود عبد القادر الى أن الأميات أكثر ميلا من الأمهات المتعلمات الى الاسلوب الفجائى فى الفطام والى استخدام المواد

---

(٢٩) انعام عبد الجواد ، المرجع السابق .

(٣٠) محمود عبد القادر والهام عفيفى ، المرجع السابق ، ص٣٩ .

(٣١) المركز القومى للبحوث الاجتماعية والجنائية بالاشتراك مع اليونيسيف ، بحث احتياجات الطفولة فى جمهورية مصر العربية ، دراسة مسحية على مستوى الجمهورية ، التقرير النهائى ، القاهرة ، ١٩٧٤ .

المنفرة • ولم يتوصل البحث الى الكشف عن علاقة وثيقة بين أسلوب الفطام بالصبار وتعليم الوالد ، ولا بين أسلوب الفطام ومهنة الوالد، ولا أسلوب الفطام وعمر الأم[٣٢] • ويمكن القول بصفة عامة بأنه كلما ارتفع مستوى معيشة الأسرة زاد انتشار أسلوب الفطام التدريجى، وكلما انخفض هذا المستوى زاد انتشار استخدام الصبار والمواد الحريفة لحمل الطفل على كراهية الثدى •

٩ ــ سن الفطام :

المقصود بسن الفطام هو عمر الطفل عند اتمام امتناعه عن الرضاعة ، سواء كانت رضاعة طبيعية أو صناعية • وتشير نتائج الدراسات الميدانية الى وجود فروق ريفية حضرية ، وفروق طبقية ، فى سن الفطام ، وكذلك فروق حسب المستوى التعليمى للوالدين وهكذا •

ففيما يتعلق بالفروق الريفية الحضرية فى سن الفطام اتضح أن الاطفال فى الحضر عادة ما يفطمون فى سن مبكر بالقياس الى سن الفطام فى الريف ، والمتوسط المعتاد لعمر الطفل عند الفطام فى الحضر يتراوح ما بين سنة وسنة ونصف ، فى حين يتراوح هذا السن فى الريف ما بين سنة ونصف الى سنتين •

كما أشارت نتائج بعض الدراسات الى وجود فوارق طبقية فى سن الفطام ، من هذا ما توصلت اليه دراسة نجيب اسكندر وزملائه ــ فى الحضر ــ الى أن هناك فروقا طبقية دالة احصائيا فى سن الفطام بين الطبقتين الوسطى والدنيا • فالطبقة الوسطى تميل الى أن تفطم أطفالها فى سن مبكرة عن تلك التى تفطم فيها الطبقة الدنيا•

---

(٣٢) محمود عبد القادر والهام عفيفى ، المرجع السابق ، ص٣٩ •

وحديثا دلت دراسات الانثروبولوجية عن أنماط عمالة المرأة والتغيرات الديموجرافية — بالنسبة لمدينة القاهرة — على وجود فروق طبقية فى سن الفطام ، حيث تستمر الأم فى الطبقة الدنيا فى ارضاع طفلها حتى الولادة الثانية • وبذلك يمكن أن تستمر الرضاعة لمدة عام أو عامين وربما ثلاثة أعوام • وفى حالات أخرى قد يتحكم فى طول مدة الرضاعة مدى غزارة لبن الأم • أما فى الطبقة الوسطى فاذا كانت صحة الأم جيدة وكمية اللبن مناسبة ، فان مدة الرضاعة تتراوح ما بين سنة ونصف الى سنتين • أما اذا كانت صحة الأم مجهدة — كأن تكون الولادة غير طبيعية — فان الأم تلجأ الى الرضاعة الصناعية ، وعادة ما تفطم طفلها بعد عام تقريبا • وفى الطبقة العليا غالبا ما تكون الرضاعة صناعية بسبب خروج الأم للعمل أو عدم وجود كمية لبن كافية ، وهنا يتم فطام الطفل بعد سنة تقريبا •

وبالنسبة لمتغير تعليم الوالدين — سواء فى الريف أو الحضر — أظهرت نتائج الدراسات أن سن الفطام لدى الأمهات الأميات وغير المتعلمات يكون أعلى من سن الفطام لدى الأمهات المتعلمات • وينطبق نفس الشىء على علاقة سن الفطام بمتغير مهنة الزوجين • والخلاصة انه كلما ارتفع المستوى الاجتماعى والاقتصادى للأسرة زاد الاتجاه نحو الفطام المبكر ، والعكس بالعكس حيث يلاحظ أنه كلما انخفض هذا المستوى ظهر الاتجاه نحو تأجيل سن الفطام[٣٣] •

أما فيما يتعلق بتفسير اطالة فترة الرضاعة فى الريف ، وكذلك فى المستويات الاجتماعية والاقتصادية الدنيا ، فالملاحظ أن الأمهات

---

(٣٣) أنظر بحث المركز القومى للبحوث بالاشتراك مع اليونيسيف عن احتياجات الطفولة ، مرجع سابق ، صص٨٥ — ٨٧ وكذلك محمود عبد القادر والهام عفيفى ، مرجع سابق ، ص٤٢ •

يطلن فترة الرضاعة ويؤخرن سن الفطام لانخفاض الدخل من ناحية وارتفاع تكاليف تغذية الطفل فى مرحلة الطفولة من ناحيــة أخرى • وأوضحت دراسة سعيد عبد العاطى فى ثلاثة مجتمعات قروية مصرية أثر العقيدة الدينية فى تأجيل سن الفطام (الوالدات يرضعن أولادهن حولين كاملين)[٣٤] • وكذلك دور العادات والتقاليد فى تأجيل عملية الفطام ، حيث أن الرضاعة وسيلة مضمونة لتنظيم النسل ، اذ غالبا ما ينقطع الطمث أثناء الرضاعة ، وبذلك تضمن الأم عدم الانجاب[٣٥] •

١٠ ــ الفترة التى تستغرقها عملية الفطام :

هناك أيضا فروق فى طول الفترة التى يحتاجها الطفل منذ بداية تدريبــه على الفطام وحتى انهاء فطامه ، وهى تختلف تبعــا لنفس المتغيرات الاجتماعية التى أشرنا اليها عند الحديث عن سن الفطام •

فبالنسبة للريف أشارت دراسة محمود عبد القادر والهام عفيفى الى أن الأم التى تلجأ الى اســتخدام الصبار فى فطام الطفــل قد لا يستغرق معها أمر الفطام أكثر من يوم أو يومين ، وربما أسبوع على أقصى تقدير • وقد يستغرق الفطام الفجائى نفس هذه الفترة فى حين أن الفطام التدريجى يستغرق بطبيعته فترة أطول • أما الابتعــاد التلقائى فله وضــع خاص متميز ، اذ يسبقه بفترة تطــول أو تقصر استخدام الأم لبعض الايحاءات والاشــارات لاثارة الاشمئزاز من الثدى أو البزازة •

وبالنسبة للحضر أشارت دراسة لنفس الباحث الى أن المتوســط

---

(٣٤) سورة البقرة ، آية ٢٣٣ •

(٣٥) محمــد سعيد فرح ، المرجع السابق ، ص٢١٢ ، انظــر كذلك ص٢١٣ •

العام للفترة التي يستغرقها فطام الطفل تقترب من ثلاثة أشهر ونصف، والفرق بين هذا المتوسط ونظيره في الريف واضح كل الوضوح • كما تختلف المسألة طبقيا أيضا ، اذ تطول فترة عملية الفطام لدى الطبقة الوسطى الى عشرين أسبوعا ، في حين تبلغ ثمانية أسابيع فقط أو نحو ذلك لدى الطبقة الدنيا • وفيما يتعلق بعلاقة طول هذه العملية بتعليم الوالدين اتضح أنها تطول مع ارتفاع مستوى تعليم الأم والأب • ولم تكشف الدراسات عن وجود علاقة بين طول فترة الفطام بتغير مهنة الوالد ، وكذلك عمر الأم • وبذلك يتضح جليا أن الفترة التي تستغرقها عملية الفطام تزداد كلما ارتفع المستوى الاجتماعي للأسرة ، الا أن طولها يرتبط الى حد كبير بالأسلوب المستخدم في الفطام •

ثانيا : النظافة وتنظيم الاخراج

تمهيد :

بعد أن يمر الطفل بمرحلة الرضاعة والفطام يجد أمامه المواقف المتعلقة بتدريبه على نظافة جسمه وضبط المثانة والمستقيم • وتأخذ عملية تنظيم الاخراج شكلا أكثر الحاحا وتحظى بدرجة أكبر من اهتمام المحيطين بالطفل ، وتضع لها الثقافة القواعد والتنظيمات التي تبرز مكانتها على نحو يفوق الاهتمام بأمور النظافة العامة لأجزاء الجسم الأخرى (كالاستحمام ، ونظافة الشعر ، والأذن ، والعين والأنف واليدين ••• الخ) •

ويلفت نظرنا أن الدراسات المتاحة عن التنشئة الاجتماعية قد جارت هذا الاهتمام الثقافي ، فأغفلت الكثير من عمليات النظافة العامة، وركزت على مواقف تنظيم الاخراج والتدريب عليه • وهذا يعكس في

رأينا تباينا فى طبيعة الاهتمامات العلمية ، فالاهتمام بنظافة أجزاء الجسم المختلفة يعكس اهتماما انثروبولوجيا ثقافيا بالنظرة الى الطهارة والى أجزاء الجسم الانسانى ، والى الدلالة الاجتماعية للرائحة . والى المكانة الاجتماعية للطفل فى الأسرة .. الخ . بينما يعكس الاهتمام بعمليات تنظيم الاخراج اهتماما سيكولوجيا تقليديا ، وان اكتسب فيما بعد أبعادا ودلالات اجتماعية واضحة .

والملاحظ أن الثقافة تبدى تسامحا أكبر ، كما تبرز قدرا أكبر من التفاوت فيما يتصل بأمور نظافة الجسم ، بينما تبدى نفس الثقافه صرامة أكبر فيما يتعلق بتنظيم الاخراج . فالثقافة غالبا لا تعرف التهاون فيما يتعلق بالاخراج ، وهى تفرض التزاماتها بشكل مطلق ، دون أن تعمل حسابا للفروق الفردية . واذا لم يتعلم الطفل هذه العادات (المتصلة بتنظيم الاخراج) فى الوقت المناسب وتبعا للمعايير التى يضعها الكبار وليس تبعا لمقدرته هو فقلما يحظى بالتقدير والاحترام والتقبل ممن حوله . ويبدو هذا من خلال ملاحظة مدى القلق الشديد الذى يعترى الوالدين عندما يفقد طفلهما القدرة على ضبط الاخراج والتحكم فيه ، وهو قلق غالبا ما يدفعهما الى اللجوء للعقاب .

وينبهنا السيكولوجيون الى أن هذا العقاب يكون له تأثيره البالغ على الطفل الذى لا يريد أن يفقد حب والديه أو رعايتهما له ، اذ أن مجرد تهديدهما له يثير لديه توترا شديدا مما يدفعه الى تفادى عقابهما ، والتخلص من القلق الذى يصيبه نتيجة للعقاب فيحاول أن يتحكم فى ضبط الاخراج ، وأن يحافظ على جسمه نظيفا وأن يضبط اشارته لهذه الأشياء[٣٦] .

---

(٣٦) نجيب اسكندر وآخرون ، المرجع السابق ، صفحة ١٧٢ و ١٧٧ .

ومن المفيد أن نأخذ فى اعتبارنا أن عملية تنظيم الاخراج لابد أن تؤخذ برمتها فى اطار موقف النظافة الشخصية العام ، فتنظيم هذه العملية هى بالقطع جزء من نظافة الجسم والملبس والمكان وكل ما يحيط بالفرد • فنلاحظ أن هذا الاحساس بالنظافة أو الافتقار اليه ينتقل من مجرد كونه حاجة بيولوجية أو احساسا بيولوجيا الى أن يصبح احساسا نفسيا وقيمة ثقافية ، ومؤشرا هاما لنوع الحياة الإجتماعية التى يعيشها الفرد(٣٧) •

ومن الأمور ذات الدلالة الثقافية بالنسبة لعملية النظافة الشخصية اختلاف النظرة الى الأجزاء الحساسة من جسم الطفل ، ففى الطبقة الدنيا فى الريف والحضر غالبا ما يترك الاطفال دون ارتداء ما يستر هذا الجزء من الجسد ، الذى يعد عند أبناء الطبقة الأعلى أحد المحرمات التى يحرص عليها الفرد أشد الحرص • واحساس الطفل بمدى التهاون وعدم الاهتمام تجاه ظهور هذا الجزء الحساس من الجسد يظل ملازما فى مراحل متقدمة من العمر (ربما حتى المراهقة) ، حيث نجده قد يلجأ بلا تحرج الى قضاء هذه الحاجة فى أماكن مكشوفة ، حيث اعتاد وهو صغير ، أو على الأقل فى أى مكان كيفما اتفق ، بينما يحرص أبناء الطبقات العليا والوسطى على قضاء حاجاتهم فى المكان المخصص لها(٣٨) •

= ومن المغالاة أن نتصور أن هذا الموقف المتشدد الذى وصفناه ينسحب على كافة أفراد المجتمع ، اذ أن موقف الاخراج من المواقف التى تبدو فيها الفروق الطبقية والاجتماعية الاخرى بجلاء ، خاصة البعد الريفى الحضرى ، كما سيتضح من سياق هذه الفقرة .

(٣٧) يكفى أن نتذكر أن جانبا كبيرا من لوازم عمليات النظافة يعتمد على توفر امكانيات مادية معينة ، كالملابس والغيارات واللفافات والقصرية ... الخ .

(٣٨) يجب أن نلاحظ أن كلمة « المكان المخصص » لا يعنى دائما

وازاء القصور الموجود فى الدراسات المصرية بالنسبة لدراسة عمليات النظافة وتركيزها على موقف الاخراج ، فسوف نركز عرضنا التالى على ثلاثة موضوعات هى الاساليب المتبعة فى تدريب الطفل على عمليات الاخراج ، وسن بدء التدريب على تنظيم الاخراج ، وسن انتهاء هذا التدريب أو اكتماله لدى الطفل .

١ ــ الأساليب المتبعة فى تدريب الطفل على عمليات الاخراج :

أشارت دراسة حامد عمار فى قرية سلوا بأسوان الى أن عملية الاخراج تمثل الحاجة الاساسية الثالثة للطفل بعد دفء حضن الأم والرضاعة . ويتمثل أسلوب الاخراج عند الطفل خلال الاشهر الاربعة الاولى (أى قبل جلوس الطفل) فى قيام الطفل بالتبول أو التبرز فى «اللفة» وهى قطعة من القماش تلف حول جسم الطفل من وسطه الى ركبتيه حتى ثوبه (جلابيته) . وهذه اللفة تنزع لغسلها أو مجرد تجفيفها فى الشمس أو تغييرها . وينظف الطفل عادة بقطعة من القماش، ثم تقوم الأم بالقائها وليس من الضرورى أن تقوم بغسلها واعادة استعمالها .

ومع بداية الشهر الخامس تقوم الأم باجلاس طفلها على قدميها ليتبرز ، وذلك عندما تشعر هى أنه يصرخ أو يشعر بعدم الراحة . وجدير بالذكر أن الأم تضع اللفافة للطفل فى هذه السن عند النوم فقط ، أما باقى اليوم فانه يترك دون أى ملابس داخلية .

المرحاض ، لأن المرحاض ليس مرفقا شائعا فى كافة بيوت الريف او احياء المدن ، ولكن المقصود التساهل فى اماكن قضاء الحاجة بالنسبة للطفل ودون التزام بالذهاب الى الخلاء او قضائها بالضرورة فى حظيرة المواشى .. حسب الاحوال .

ومع بداية تدريب الطفل على المشى تبدأ الأم فى تدريب طفلها على قول كلمة «كاكه» عندما يريد التبرز ، وعندئذ تقوم الأم برفع ثوب الطفل وتوجهه الى الذهاب الى ركن مخصوص أو الى حجرة مخصوصة (الحظيرة مثلا) أو الى خارج المنزل . ولم تشر دراسة حامد عمار الى وجود أى فوارق طبقية فى استخدام هذه الاساليب ، وهذا يأتى متفقا مع نتائج الباحث حول المواقف السابق تناولها كالرضاعة والفطام[39] .

وجاءت دراسة نجيب اسكندر وزملائه لتنتبه الى الفروق الطبقية المتبعة فى تدريب الطفل على الاخراج .

وعرضت الدراسة للأساليب التالية :

أ ـ خلق ظروف صناعية للتدريب (اصدار صوت خاص .. النحنحة) .

ب ـ أسلوب العقاب البدنى والتهديد به .

جـ ـ طرق سليمة مثل :

ـ يعرضون «القصرية» على الطفل قبل النوم .

ـ أثناء الرضاعة يتعود الطفل الجلوس على «القصرية» .

ـ ملاحظة الاطفال فى الميعاد وقبل النوم وعند الاستيقاظ .

ـ الاهمال .

ـ التهديد بالحاق الضرر بالعضو التناسلى .

وقد تبين أن أسلوب العقاب البدنى هو من أكثر الاساليب شيوعا

---

(٣٩) حامد عمار ، المرجع السابق ، صص١٠٣ ، ١٠٤ .

فى الطبقة الدنيا ، اذ شكلت استجابات الآباء تجاهه نحو ٤٢٪ ، فى حين تقابلها نسبة ضئيلة من استجابات الطبقة الوسطى هى ١٠٪ فقط .

أما أسلوب «النجنحة» فهو عبارة عن اجلاس الطفل فى المكان المخصص فى الوقت الذى تستخدم فيه الأم كلمة معينة تظل تكررها لفترة طويلة ، حتى يتعلم الطفل أن يربط بين هذه الكلمة وبين عملية الاخراج . وقد اتضح أن هذا الاسلوب يعد من أكثر الاساليب شيوعا فى الثقافة المصرية ، وتستخدمه الأمهات المثقفات وغير المثقفات على السواء فهولا يميز طبقة عن غيرها .

أما أسلوب الطرق السليمة (رقم ج) فاتضح أن نسبة استخدامه بين أمهات الطبقة الوسطى أعلى منها لدى الطبقة الدنيا ، حيث بلغت فى الأولى ٢٠٪ ، وفى الأخرى ٥٪ فقط .

والاهمال كأسلوب فى تدريب الطفل على الاخراج معروف فى الطبقة الدنيا بنسبة ٨٪ ، فى حين أنه غير متبع على الاطلاق فى الطبقة الوسطى .

وتشير تلك النتائج الى بعض الدلالات الاجتماعية لانتشار هذه الاساليب ، لعل أبرزها درجة حرص أسر الطبقة الوسطى على التزام أطفالهم مستوى معينا فى سلوكهم ، وهو ما يوضح ما تتصف به هذه الطبقة من الترمت .

أما بالنسبة لأسلوب التهديد بالحاق الضرر بالعضو التناسلى فقد وجدت حالة واحدة فى الطبقة الوسطى ، ولم يقابلها أى حالة فى الطبقة الدنيا ، وبذلك يتضح مدى ندرتها وقلة انتشارها[٤٠] .

---

(٤٠) نجيب اسكندر وزملاؤه ، المرجع السابق ، ص١٨٣ . وقد أيدت بعض تلك النتائج دراسة انعام عبد الجواد ، المرجع السابق ،

وقسم محمود عبد القادر أساليب التدريب الشـائعة فى الريف المصرى الى ثلاثة أنماط كبرى هى :

أ ـ الأسلوب التلقائى : حيث يترك الطفل ليتعلم من تلقـاء نفسه ، ويقـلد أخوته الآخرين ؛ وتستخدمه نسبة محـدودة من أفراد العينة ، بلغت حوالى ١ر٣٪ .

ب ـ أسلوب التدريب بالعقاب : وتستخدمه أيضا نسبة محدودة بلغت حوالى ٦ر٤٪ .

جـ ـ أسلوب التدريب بالتوجيه : وهو الشائع لدى الغالبية العظمـى من أفراد العينة ، وقد بلغت ٣ر٩٢٪ . وينطوى هذا الاسلوب على الايحاء بالمحاكاة والحث على التشبه بالآخرين(٤١) .

أما بالنسبة لرد فعل الأمهات تجاه عدم تنظيم الطفل للاخراج فقد برز فيه وجود اختلاف بين مواقف الأمهات فى الريف والحضر * . فالاتجاه الغالب على استجابات الأمهات فى الحضر تجاه هذا الموقف هو التشدد ، والاستثناء هو اللامبالاة والتجاهل .

وقد أشارت نتائج الدراسة الأنثروبولوجية التى أجريناها حديثا فى المجتمع المصرى على عمل المرأة فى القطاعين الريفى والحضرى أن الطبقة الدنيا فى الريف والحضر تترك الطفل دون اهتمام بتدريبه على تنظيم عمليات الاخراج أو تخصيص أماكن معينة لذلك . وإن الطفـل فى الشهور الاولى يلف ، وغالبا ما يترك مبللا دون العناية بتنظيفه .

---

* حيث استخدمت معظم الامهات طريقة تعويد الطفل على الجلوس عند قضاء الحاجة ، ولم تكتشف وجود أى فروق طبقية سواء بين الأمهات العاملات او غير العاملات .

(٤١) محمود عبد القادر والهام عفيفى ، المرجع السابق ، ص٥١ .

وأحيانا تبدأ الأم فى تعويد طفلها الجلوس على حجرها وتضع تحته قطعة من القماش يتبرز فيهـا الطفل ، ثم قد تغسلها وتعيد استخدامها وقد تتخلص منها دون الاهتمام بغسلها • ويستمر الطفل فى التبول دون أن يثير ذلك أدنى اهتمام من قبل الأم • أما عمليات التبرز فقد أكدت معظم الأمهات أنها تبدأ الاهتمام بها بعد بلوغ الطفل عامه الأول ، وذلك بوضع الطفل على قدميها وعند نهاية الساقين ، بعد وضع الساق والقدم فى صورة تسمح بوجود تجويف بينهما يجلس عليه الطفل ، حيث تقوم الأم باصدار أصوات معينة يعتاد الطفل على أن يربط بينها وبين القيام بعملية الاخراج •

ويتفق هذا مع النتيجة التى توصل اليها نجيب اسكندر وزملاؤه فى دراستهم فى الحضر منذ فترة طويلة ، حيث أشار الى أسلوب لتدريب الطفل يعرف بأسلوب «النحنحة» وهو قيام الأم باصدار أصوات معينة يربط بينها الطفل وبين القيام بعملية الاخراج • وينتشر هذا الاسلوب فى الريف والحضر وبين كافة الطبقات •

كذلك أوضحت الدراسة الأنثروبولوجية الحديثة المشار اليها هنا أن الأمهات القرويات لا يقمن طوال مرحلة ما قبل المشى بتدريب الطفل على تنظيم عملية الاخراج ، والبعض يتركن أطفالهن يتبولون على أنفسهم وحتى سن متأخر ، كما يترك الطفل يتبول فى الشارع أو أى مكان حتى يستطيع دخول دورة المياه بمفرده حين يكبر[٤٢] •

٢ ـ سن الطفل عند بداية التدريب على الاخراج :

تبدى الأم عادة اهتماما عندما يتبرز طفلها يفوق ذلك الذى تبديه

---

(٤٢) مركز التنمية والتكنولوجيا بجامعة القاهرة بالاشتراك مع هيئة العمل الدولية ، نشر تقرير البحث تحت عنوان المرأة فى الريف والحضر ، دار المعرفة الجامعية ، الاسكندرية ، ١٩٨٨ ، اشراف علياء شكرى •

عندما يتبول ويصدق ذلك على الريف والحضر ، وعلى كافة الطبقات ، بعد ذلك تتباين سن بدء تدريب الطفل من مجتمع الى آخر •

ففى صعيد مصر أشار حامد عمار الى أن الأم تبدأ تدريب الطفل على تنظيم الاخراج عندما يبدأ المشى (صفحة ١٠٤) • أما نجيب اسكندر وزملاؤه فقد أوضحوا أن هذا التدريب يبدأ من سن سنة حتى اذا بلغ الطفل عامه الثانى يكون قد أتم التدريب حيث يحتاج الى سنة على الأقل من التدريب • كما أشارت نفس الدراسة الى أن بعض الأمهات — بنسب أقل — يقمن بتدريب الطفل على ذلك قبل بلوغه العام الأول[٤٣] •

وأكدت دراسات أخرى أن هناك علاقة بين سن الطفل عند بداية التدريب على تنظيم الاخراج وبين خصائص الوالدين من حيث المستوى التعليمى والوضع الاقتصادى[٤٤] •

وبالنسبة للفروق الطبقية فى سن بدء التدريب ، فالملاحظ على وجه العموم أن أمهات الطبقات الوسطى والعليا يملن بقوة الى التبكير فى تدريب الطفل على تنظيم الاخراج ، على حين أن أمهات الطبقة الدنيا — فى الريف والحضر — لا يبدين نفس القدر من الاهتمام بتدريب الطفل على ذلك فى سن مبكر • وعموما فكلما ارتفع المستوى الاجتماعى الاقتصادى اتجه سن بدء تدريب الطفل الى الانخفاض •

فقد أوضحت دراستنا الانثروبولوجية أن الأمهات فى الطبقة الدنيا لا يضعن أى ضوابط على عمليات الاخراج قبل سن الثلاث سنوات

---

(٤٣) نجيب اسكندر وزملاؤه ، المرجع السابق ، ص ١٧٥ •

(٤٤) من ذلك دراسة محمود عبد القادر والهام عفيفى ، المرجع السابق ، والدراسة الانثروبولوجية عن عمل المرأة فى الريف والحضر •

سواء فى الريف أو الحضر • ويقوم الطفل عادة بقضاء حاجته فى أى مكان بالمنزل ، ثم تقوم الأم (فى الريف) بردمها بالتراب ، أو قد يقوم بذلك خارج المنزل • ولا يرتدى الاطفال فى المستوى الاجتماعى الأدنى الريفى ملابس داخلية فى فصل الصيف عادة سواء كانوا ذكورا أو اناثا ، ويقتصر على ارتداء الجلباب فقط • أما فى فصل الشتاء فيرتدى الطفل سروالا ويقوم بعملية الاخراج فيه ، وبعد ذلك تقوم الأم باستبداله بآخر وتغسله فى البحر (الترعة) ثم تعيد غسله بالمنزل • ومن الثابت أن الطفل لا يتلقى عادة أى عقاب قبل سن الثلاث سنوات اذا قام بالاخراج على ملابسه أو فى مكان نومه •

أما فى الطبقتين المتوسطة والعليا الريفية فتؤكد الأمهات المتعلمات (تعليما متوسطا وعاليا) ضرورة التبكير فى تدريب أطفالهن على القيام بعملية الاخراج فى «القصرية» ويتم ذلك فى الفترة من الشهر الرابع وحتى الشهر السادس ، حتى اذا بلغ الطفل سن السنة والنصف فان الأم تبدأ فى عقابه اذا قام بالاخراج فى غير المكان المخصص لذلك ، ومدحه وتقريظه ان فعل(٤٥) •

٣ ــ سن الطفل عند نهاية التدريب :

ذكر حامد عمار أن سن الطفل عند نهاية التدريب يتراوح ما بين الثالثة والرابعة حيث يقوم الاطفال ــ ذكورا واناثا ــ بقضاء حاجتهم خارج المنزل ، أو فى المكان المخصص لذلك داخل المنزل •

---

(٤٥) من الجدير بالذكر ان علماء النفس يؤكدون أن المبالغة فى التبكير على تدريب الطفل على تنظيم الاخراج يكون ذا آثار ضارة على شخصية الطفل ، كما أن التشدد فى معاملته فى السنوات الاولى يؤدى الى بطء التعلم فى هذه الناحية اكثر مما يساعد على تقدمه. انظر نجيب اسكندر وآخرون ، المرجع السابق ، صص١٨١ ، ١٨٢ •

وأوضحت دراسة نجيب اسكندر وزملائه أن سن نهاية التدريب تقل فى الحضر عنها فى الريف ؛ حيث أن نصف عدد الآباء تقريبا يرون أن الطفل يجب أن يصل الى سن السنتين عند نهاية التدريب ، فى حين أن ثلث هذه النسبة قد يصلوا فى تعسفهم الى أكثر من ذلك ، حيث يرون أن السن المناسب هو نهاية السنة الأولى أو أقل من ذلك .

كما أشارت الدراسة الى وجود فروق طبقية من حيث السن الذى يتوقع فيه الوالدان أن يضبط الطفل فيه عمليات الاخراج . فقد أشارت النتائج الى أن حوالى ٦٠٪ من آباء الطبقة الوسطى يتوقعون أن يقوم الطفل بذلك قبل سن الثانية ، وحوالى ٤٠٪ من آباء الطبقة الدنيـــا يتوقعون هذا الموقف من الطفل فى تلك السن . وعلى العكس فان الذين يتوقعون اتمام عملية الضبط بعد سن الثانية هم ٣٤٪ من آباء الطبقة الوسطى ، و ٤٧٪ من آباء الطبقة الدنيا .

ولقد جاءت نتائج دراسة اليونيسيف عن احتياجات الطفولة مؤيدة لفكرة التبكير فى سن التدريب على عمليات النظافة والاخراج ، فالغالبية العظمى من الأمهات المصريات فى كل من الريف والحضر يقمن بتدريب أطفالهن على التحكم فى عمليات الاخراج ما بين ســن سنتين وثلاث سنوات[٤٦] . كما أوضحت نتائج الدراسة أيضا وجود علاقة قوية بين السن المبكر فى عمليتى التحكم فى الاخراج والنظافة بمتغيرات أخرى مثل الوعى الأسرى ، وصغر حجم الأسرة وارتفاع المستوى التعليمى للوالدين ، والمستوى الاقتصادى الاجتماعى ومكانة مهنة الأب . فعلى سبيل المثال بينت الدراسة أن ٩٩٪ من الأسر التى يزيد دخلها عن

---

(٤٦) المركز القومى للبحوث الاجتماعية وهيئة اليونيسيف ، المرجـــع السابق ، ص٨٩ .

مائة جنيه تسعى الى أن يتم تحكم الطفل فى الاخراج قبل سن ١٨ شهرا . فى الوقت الذى جاء فيه أن ٧٤٪ من نسبة الأسر التى يقل دخلها عن عشرة جنيهات يتم تحكم الطفل بمجرد بلوغه ثلاثة سنوات. كما أوضحت النتائج أيضا أن الغالبية العظمى من الأمهات العاملات فى المناطق الحضرية يرون أن سن سنتين يكفى لتدريب الطفل على التحكم فى الاخراج . فى حين ترى ربات البيوت فى نفس المناطق أن سن ثلاث سنوات هو السن الملائم لهذا التحكم[٤٧] .

وقد أكدت دراسة محمود عبد القادر والهام عفيفى وجود فروق بالغة الدلالة إحصائيا بين الريف والحضر . حيث اتضح من استجابات الأمهات أن عمر الطفل فى فترة التدريب يتراوح بين أقل من سنة وأكثر من أربع سنوات . وقد تبين من تحليل هذه الاستجابات أن المتوسط العام لعمر الطفل عند استكمال سيطرته على عمليات الاخراج فى الريف يكون ما بين سنتين ونصف وثلاث سنوات . بينما يصل هذا المتوسط فى الحضر الى ٢٧ شهرا[٤٨] .

أما النتائج الخاصة بهذا الموقف كما أوضحتها الدراسة الانثروبولوجية لعمالة المرأة فتدل أن الأم تبدأ فى توجيه طفلها عندما

---

(٤٧) المرجع السابق ، ص٨٩ .
جاءت نتائج دراسة انعام عبد الجواد عن الامهات العاملات وغير العاملات مختلفة عن نتائج البحث السابق ، حيث انتهت الى عدم وجود فروق فى سن انهاء التدريب بين الامهات العاملات وغير العاملات فى مدينة القاهرة . ولكن سائر الدراسات وكذلك الملاحظات تؤكد ان سن انهاء التدريب تنخفض عند الامهات العاملات عنه عند الامهات غير العاملات

(٤٨) محمود عبد القادر والهام عفيفى ، المرجع السابق .

يبلغ سن الثالثة ، فتبدأ فى تعليمه على القيام بهذه العملية خارج المنزل فى المزارع القريبة من المنزل ، واذا حدث وأخطأ الطفل ، وقام بهذا العمل داخل المنزل أو فى ملابسه (سرواله) فان عقابه يكون النهر وليس بالضرب •

وقد لوحظ أن هذا الاتجاه ليس قاصرا على أمهات الطبقة الدنيا فقط ، بل قد تشاركهم فيه أمهات الطبقة الوسطى من الأميات ، فى حين أنه كان لتعليم الأم دلالة واضحة من حيث التبكير فى تدريب الطفل على عمليات الاخراج •

من هذا العرض يتضح أن الغالبية العظمى من الأمهات تؤيد فكرة التبكير فى التدريب على تنظيم الاخراج ، على أن يكون متوسط عمر الطفل عند نهاية ضبط العملية والتحكم فيهـا من سنتين ونصف الى ثلاث سنوات •

* ● *

ثالثـا : التـدريب على الاسـتقلال

تمهيـــد :

تمثل مواقف الاستقلال أحد العوامل الهامة التى تدخل فى عملية التنشئة الاجتماعية • ومن أبرز مواقف الاستقلال التى تناولتها دراسات التنشئة فى المجتمع المصرى ، والتى سوف نتناولها بالعرض المفصل فى هذه الفقرة ، المواقف التالية :

- خروج الطفل الى الشارع بمفرده •
- اعتماد الطفل على نفسه فى ارتداء ملابسه وخلعها •
- الدخول الى النوم ، والاستقلال فى مكان النوم ، والنظافة الشخصية •

ومن خلال ذلك يتضح المقصود بمواقف الاستقلال بأنه درجة تحرر الطفل فى سلوكه فى مواقف معينة من رقابة الآباء واشرافهم .

١ ـ خروج الطفل الى الشارع :

أشارت الدراسات الى وجود فروق طبقيـة وريفية حضرية فى استجابات الآباء واتجاهاتهم فيما يتعلق بالسن التى يسمح فيها بخروج أطفالهم الى الشارع بمفردهم فى كل من الطبقتين الوسطى والدنيا . فأوضحت دراسة نجيب اسكندر وزملائه أن ميل آباء الطبقة الدنيا الى التساهل فى السماح لأطفالهم بالخروج الى الشارع فى سن مبكرة : وذلك فيما بين بداية الحبو (حوالى سبعة أشهر) وحتى سن الرابعة . وجاءت الاستجابات مؤكدة لذلك لأكثر من ٥٠٪ من آباء العينة .

واذا نظرنا الى آباء الطبقة الوسطى نجد القلة منهـم هى التى تسمح لأطفالها بالخروج فى هذا السن ، فجاءت الاستجابات حوالى ١٤٪ فقط . وتأكدت تلك الفروق عند السؤال عن السن التى يؤجل فيها الآباء خروج أطفالهم بمفردهم الى الخارج ، حيث وجد أن نسبة الآباء من الطبقة الدنيا الذين يؤجلون السماح بالخروج حتى سن ست سنوات فأكثر بلغت ١٥٪ ، على حين وصلت هذه النسبة عند الطبقة الوسطى الى ٤٥٪[٤٩] .

ولقد قام محمد سعيد فرج بجمع بيانات عن بعض الأسر بمدينة الاسكندرية ، فجاءت نتائجها متفقة مع استجابات الطبقة الوسـطى التى وردت عند نجيب اسكندر وزملائه[٥٠] .

---

(٤٩) نجيب اسكندر وزملاؤه ، المرجع السابق ، ص ص ١٦٨ ، ١٦٩ .
(٥٠) محمد سعيد فرج ، المرجع السابق ، ص ٢٢٧ .

وأظهرت نتائج الدراسة الانثروبولوجية لأدوار المرأة والمتغير الديموجرافى فى الريف والحضر ميل أمهات الطبقة المتوسطة والدنيا الى التساهل فى السماح بخروج أطفالهن بمفردهم الى الشارع فى سن مبكر (بدءا من سن الحبو : ٧ ـــ ٨ شهور) .

وتلاحظ أن أمهات الطبقة الدنيا يقمن باصطحاب أولادهن ابتداء من سن ثلاث سنوات تقريبا لمساعدتهم فى بعض أعمال الحقل الخفيفة، مثل جمع ثمار نبات الشيخ (البابونج) لقصر عيدانه وقربها من الأرض، فتجلس الأم على الارض ومن حولها أطفالها الصغار ويقومون بجنى هذه الثمار . وفى أحيان أخرى يقوم الطفل بجر الحمار لمساعدة والدته. وعندما يصل الطفل الى سن السادسة أو السابعة تعتمد عليه الأسرة فى كثير من أعمال الفلاحة ، وان كانت هذه النسبة تزيد فى الطبقات الدنيا عنها فى الطبقات الوسطى .

ويلاحظ أيضا أن الأمهات فى الطبقات الدنيا والوسطى الريفيـــة يعودن أطفالهن ابتداء من سن خمس سنوات على قضاء حاجات الأسرة من السوق ، مثل شراء الكبريت والجاز ، والصابون ، أو احضـــار طلب من الجيران .

أما بالنسبة للاناث فالملاحظ أن الأمهات يعودن بناتهن ابتداء من خمس الى ست سنوات على الخـــروج لملء أوانى الماء من الصنبور العام خارج المنزل أو من الترعة أو تقـــوم بغسل الأوانى فى الترعة وجمع روث الحيوانات لعمل الجلة . وتساعد الأم فى حمل أخوتهـــا الصغار وأحيانا تجلس للبيع أمام المنزل (ليمون ، طماطم ، برتقال).

أما بالنسبة للأمهات فى الحضر فان أمهات الطبقتين الوســـطى والدنيا يتركن الاطفال (ذكورا واناثا) ينزلن الى الشارع دون أى

قلق أو خوف على الطفل من أن يضع شيئا فى فمه (مما يلتقطه من أرض الشارع) وترى بعضهن أن هذه الأشياء تفتح شهيته لتناول الطعام • ولا تستشعر الأم خوفا على طفلها من بقائه فى الشارع فى هذا السن المبكر • ولكننا نجد — برغم هذا الاتجاه العام — بعض أمهات الطبقة الوسطى ترفض نزول وليدها بمفرده الى الشارع قبل سن السادسة •

ويختلف الوضع بالنسبة للطبقة العليا الحضرية ، اذ لا تسمح لأطفالها بالنزول الى الشارع للعب فيه خوفا عليه من الاخطار التى قد يتعرض لها ، أو المشكلات التى قد يثيرها مع أطفال الغير • وان كانت هناك فئة — أقل عددا — يسمحن للأطفال الذين بلغوا سن المدرسة بالنزول الى الشارع ، ولكن بشرط أن يكون المكان قريبا ومأمونا كفناء المدرسة أو فناء المسكن أو حديقة قريبة •

من هذا العرض يتضح بجلاء اتجاه عام كل العمومية ، وهو أن هناك علاقة طردية بين ارتفاع الوضع الطبقى وتشدد الأسرة فى السماح للطفل بالنزول بمفرده الى الشارع والعكس ، فكلما انخفض الوضع الاقتصادى الاجتماعى زاد التساهل فى السماح للطفل بالخروج بمفرده• ولا نبالغ حين نقول أن الطبقة الوسطى قد تكون فى بعض الاحيان أشد الجميع تزمتا وتضييقا على الطفل فيما يتعلق بهذا الموقف •

٢ — تعويد الطفل على الاعتماد على نفسه :

خلص نجيب أسكندر وزملاؤه الى أن آباء الطبقة الوسطى أكثر حرصا على التبكير فى تعويد أطفالهم على الاعتماد على أنفسهم والعناية بالنظافة ، فى حين نلاحظ أن آباء الطبقة الدنيا يميلون الى التأخير — نسبيا — فى تعليم أطفالهم الاعتماد على النفس والعناية بالمظهر •

وأوردت النتائج الاحصائية السن الذى يتوقع فيه تعويد الطفل على الاعتماد على نفسه ، ففى الطبقة الوسطى أكدت نسبة ٣٠٪ من الأسر سن الخامسة أو أقل كسن مناسب لهذا الاستقلال ؛ على حين بلغت الاستجابة على نفس السن ١٩٪ فقط من أسر الطبقة الدنيا(٥١).

وأشارت دراسة انعام عبد الجواد الى أن هناك بعض الأمهات اللائى يبدأن تعويد أطفالهن على الاعتماد على النفس عندما يبلغون العام الثانى من العمر . ولم تظهر هذه الدراسة فروقا بين الأمهات العاملات وغير العاملات فيما يتعلق بالاهتمام بتعويد الصغار فى سن مبكر نسبيا على الأداء المستقل . حيث وجدت أن هناك مجموعة تعود أطفالها عندما يبلغون عامهم الرابع ، ومجموعة ثالثة تهتم بتدريب الاطفال على أداء بعض الاعمال بأنفسهم عندما يبلغون العام السادس.

وقد أشارت انتصار يونس الى انتشار الأداء المستقل بين أطفال المستوى الاجتماعى الاقتصادى المرتفع . وعلق سعيد فرح على تقارب نتائج دراسة انتصار يونس مع نتائج دراسة نجيب اسكندر وزملائه، بالرغم من أنهم أكدوا على أن الطفل فى الطبقة المتوسطة لا يفكر فى الاستقلال بحياته فى سن مبكر(٥٢) .

والحقيقة أن مفهوم الاستقلال فى هذه النقطة يتعرض لنوع من سوء الفهم وسوء الاستخدام ، ذلك أن المقصود فى الحقيقة الاستقلال عن طريق تعويد الطفل الاعتماد على نفسه فى أداء عمليات

---

(٥١) نجيب اسكندر وزملاؤه ، المرجع السابق ، صص١٧٣ — ١٧٥ .

(٥٢) محمد سعيد فرح ، المرجع السابق ، ص٢٢٧ ، وانظر كذلك دراسة انتصار يونس لأطفال دور الحضانة فى مدينة الاسكندرية، مرجع وارد عند سعيد فرح ، المرجع السابق ، ص٢٢٦ .

محددة أشرنا اليها بدقة : كتغيير ملابسه ، وتنظيف جسده ، والخروج الى الشارع .. الخ . ولكن اذا كنا نقصد بالاستقلال نزول الطفل الى سوق العمل والتكسب من هذا العمل (سواء دخل هذا المكسب الى جيبه أم الى جيب أبويه) . فالواضح أن أسر الطبقات الأدنى يعرفون على نطـاق أوسـع من الطبقتين الأعلى والأوسـط ظاهرة الاستقلال الاقتصادى للاطفال فى سن مبكر ، حينما يقذف بهم الى سوق العمل ، ربما أحيانا الحصول على غذائه .

ومع ذلك لم تظهر نتائج دراسة سـعيد فرح فروقا ذات دلالة بالنسبة للسن المناسب لأداء الصبية أفعالا معينة لدى الأمهات العاملات والأمهات غير العاملات فى مدينة الاسكندرية . فقد أجمعت الأمهات على أن العام الثامن هو السن الذى يبدأ فيه الطفل الاعتمـاد على نفسه .

وقد أشارت الملاحظات الانثروبولوجية الميدانية فى قرية فيديمين (محافظة الفيوم) الى أن الطفل حتى سن خمس الى ست سـنوات لا يبالى بتنظيف نفسه أو ملابسه ، فيمكن أن يظل طوال اليوم بدون غسيل وجهه وبملابس متسخة(٥٣)

ومع أن الطفل يمكن منذ الخامسة من العمر أن يرتدى ملابسه بمفرده ويلبس حذاءه عند ذهابه الى المدرسة ، الا أنه قد يؤدى ذلك

---

(٥٣) مع ملاحظة أن هذا الطفل قد يستحم مرة ولكنه يتسخ بعـدها بلحظات كما تتسخ ملابسه نتيجة لظروف البيئة التى يلعب فيها . ونحن لا نتصور فى ضوء تلك الظروف أن يظل الطفل يغتسل كل خمس دقائق ، أو أن يكف عن اللعب فى الطين والتراب . ولذلك فتقريرنا هنا لا ينطوى على لوم ولا تحقير ولكنه ينصرف الى تقرير صورة الوضع القائم دون تعمق فى الخلفيات والمسببات .

دون اتقان كبير ، لأنه يفعل هذا غالبا دون توجيه مباشر أو اهتمام من جانب الكبار •

وهناك بعض الفروق الطبقية الظاهرة فى هذه النقطة ففى الطبقة الدنيا لا يستطيع طفل فى الخامسة من العمر أن يقوم بتغيير ملابسه بمفرده ، الى جانب عدم قدرته على المحافظة على نظافة ملابسه بنفسه فى حوالى سن الثالثة ؛ كما تبدو ملابسه أكثر نظافة من أقرانه الأدنى مستوى طبقيا • وحين ننتقل الى الطبقة العليا نجد أن الطفل قد يتأخر فى العادة الى سن السادسة أو نحو ذلك قبل أن يستطيع تغيير ملابسه بمفرده ، وهو لا يتحمل كثيرا مسئولية الابقاء على نظافة ملابسه ؛ كما أنه لا يستقل فى اختيار قطع الملابس التى يرتديها •

من هذا العرض يتضح بجلاء أيضا أن هناك اتجاها عاما — اذا أخذنا المنظور الطبقى فى الاعتبار — وهو أن الطبقات العليا والدنيا فى الريف والحضر على السواء أكثر تساهلا فيما يتعلق بموقف تعويد الطفل الاعتماد على نفسه ، وأن الطبقة الوسطى هى أكثر الجميع تشددا من حيث الحرص على تعويد الطفل على ذلك الاعتماد فى سن مبكرة ، وعلى الحفاظ على مظهر الطفل نظيفا(٥٤) •

---

(٥٤) لا يعنى ذلك ان طفل الطبقة الوسطى اكثر نظافة او افضل مظهرا من طفل الطبقة العليا ، ولكن المقصود ان الاول أشد حرصا على قطعة الملابس التى يرتديها من نظيره الآخر . لانه اولا يحاط بعدد اكبر واقسى من النواهى والتعليمات ، ولان الطفل الميسور ان فعل ، واتسخت ملابسه ، فبوسع أسرته ان تصلح الامر بشكل أسرع بتغيير ملابسه . فالمقصود بالحرص هو المحافظة على قطعة الملابس الواحدة •

٢ ـ الاستقلال فى النوم :

تتمثل قضية الاستقلال فى النوم فى نقطتين رئيسيتين :

الاولى : هى تعويد الطفل أن ينام فى موعد محدد ، وطريقة الزامه بهذا الموعد (ان وجد) .

والثانية : هى نوم الطفل فى مكان مستقل ، وذلك يتحقق على مستويين ، الاول هو فصل مكان نوم الكبار عن الاطفال أصلاً ، والثانى هو فصل الاطفال الذكور عن الاطفال الاناث فى المكان .

واذا حددنا القضية على هذا النحو فسوف نجد أن استجابات الآباء تختلف حول النقطة الاولى (موعد ثابت للنوم) ، وذلك دون مؤثرات طبقية أو ريفية حضرية واضحة ، ولكن بالنسبة للنقطة الثانية (تخصيص مكان مستقل للنوم) سوف نجد أن الامكانيات المادية ، مع شىء من الوعى ، هى التى تؤثر فى اتخاذ موقف الاستقلال فى المكان من عدمه ، وبذلك نجد أنه كلما ارتفع المستوى الاقتصادى والاجتماعى ، كلما زادت امكانيات تحقيق هذا الاستقلال .

وقد ركزت دراسة نجيب اسكندر وزملاؤه على عرض الاساليب التى يستخدمها الآباء لالزام الطفل بمواعيد النوم ، وقد تنوعت على النحو التالى :

أ ـ أسلوب العقاب البدنى ، ولا تستخدمه سوى نسبة ضئيلة من الطبقتين الوسطى والدنيا ، وان كانت نسبة الآباء الذين يلجأون الى الضرب فى الطبقة الدنيا أعلى منها فى الطبقة الوسطى .

ب ـ أسلوب التهديد والتخويف ، وتلجأ اليه نسبة ضئيلة أيضا من آباء

الطبقتين الوسطى والدنيا ، وأن كانت نسبة هؤلاء أعلى لدى الطبقة الدنيا عنها فى الطبقة الوسطى .

جـ ـ أسلوب تهيئة الجو المناسب ، بأن تدخل الأم الاطفال الى مكان النوم ، وتطفىء الأنوار ، وقد تجلس تتحدث معهم أو تسامرهم الى أن يغرقوا فى النوم . وتلجأ الى هذا الاسلوب نسبة أكبر من الأمهات ، بلغت حوالى ٥٠٪ من آباء الطبقى الوسطى وحوالى ١٠٪ من آباء الطبقة الدنيا .

د ـ أسلوب الترك ، بحيث ينام الطفل عندما يحلو له ويشعر هو بالرغبة فى ذلك ، وقد اتضح وجود فروق واضحة بين الطبقتين الدنيا والوسطى فى استخدام هذا الأسلوب . فالآباء الذين لا يعتنون بنوم أطفالهم فى ساعة محددة ويتركونهم وشأنهم تكثر نسبتهم فى الطبقة الدنيا عنها فى الطبقى الوسطى ، والفرق بين الطبقتين له دلالة احصائية .

ويرجع هذا الموقف الى أن الطبقة الأدنى أكثر تساهلا من الطبقة الوسطى كما رأينا فى مواضع كثيرة سابقة . وقد أكد عدد من هؤلاء الآباء أن عملية النوم لا تأتى بالنصح والارشاد ولا بالعقاب ، وانما هى عملية تتعلق بالطفل ورغبته الخاصة[٥٥] .

هذا ولم تظهر لنا نتائج دراسة انعام عبد الجواد أى فروق بين عينة الأمهات العاملات وغير العاملات فيما يتعلق بتحديد موعد ثابت لنوم الاطفال . فنصف عينة الدراسة من المجموعتين يترك الطفل ينام

---

(٥٥) نجيب اسكندر وآخرون ، المرجع السابق ، صفحة ١٤٧ ، وصفحة ١٥٠ .

بنفسه وبدون مواعيد ، وانصف الآخر يعود الطفل على النوم فى وقت معين •

وتتفق معظم أمهات العينة من العاملات وغير العاملات على عادة نوم الطفل بجوارهن منذ لحظة الولادة ، وعدم استخدام فراش خاص للطفل • وترى بقية المجموعة خلاف ذلك ، وضرورة استقلال الطفل بمكان للنوم منذ أول لحظة من حياته ، وغرضهن من ذلك تعويد الطفل على الاستقلال فى النوم وعدم الخوف من الظلام عندما يكبر(٥٦) •

وقد اهتمت دراسات محمود عبد القادر فى الريف والحضر بالقاء الضوء على نقطتى مواعيد النوم واستقلال مكان النوم• فبالنسبة للمواعيد المحددة أفادت ٨ر١٠٪ من الأمهات الريفيات باهتمامهن بنوم الطفل فى موعد محدد ، بينما زادت هذه النسبة بين الأمهات الحضريات الى ٥٥٪ • وهناك فريق آخر من الأمهات يرى أن ينام الطفل وقت نوم الوالدين ، وهؤلاء بلغت نسبتهم ٦٥٪ من مجموع أفراد العينة(٥٧) •

أما بالنسبة لنقطة الاستقلال فى مكان النوم فقد أوضح محمود عبد القادر أن نسبة كبيرة من الاطفال فى الريف ينامون فى نفس الفراش مع الوالدين ، وقد بلغت هذه النسبة حوالى ٥ر٧٣٪ • فى حين ذكرت نسبة محدودة أن الاطفال فى الريف ينامون فى غرفة الوالدين ، ولكن فى فراش مستقل ، وهم حوالى ٩ر١٦٪ • وذكرت نسبة محدودة

---

(٥٦) انعام عبد الجواد ، المرجع السابق ، صص٢٧٧ ، ٢٧٨ •

(٥٧) محمود عبد القادر والهام عفيفى ، المرجع السابق ، ص٥٤ ؛ وكذلك محمود عبد القادر ، أساليب الثواب والعقاب ... ، مرجع سابق ، ص٥٣ •

جدا أن الاطفال ينامون فى غرفة مستقلة خاصة بهم ، وهؤلاء يمثلون ١ر٩٪ فقط •

أما بيانات الأمهات فى الحضر فجاءت مغايرة للوضع السائد فى الريف ، حيث تفضل أغلب الامهات الحضريات — بل ويحرصن — على أن ينام أطفالهن ذكورا واناثا فى مكان خاص مستقل يكون بمعزل عن الوالدين وهن يدربن الاطفال على هذا السلوك منذ وقت مبكر • ويظهر هذا الاتجاه بشكل أوضح فى الطبقة الوسطى حيث الامكانيات متوفرة وعدد الحجرات يساعد على ذلك • وقد اتضح على سبيل المثال أن متوسط عمر الطفل الذى تسمح له هذه الطبقة بالاستقلال فى النـــوم لا يتجاوز ثلاث سنوات ونصف ، فى حين وصل هذا السن فى الطبقة الدنيا الى خمس سنوات •

وهكذا يتضح من نتائج تلك اندراسات أنه كلما ارتفع المستوى الاقتصادى الاجتماعى والمستوى التعليمى للوالدين ظهر ميل واضح من قبل الأم نحو عزل الطفل عنها فى النوم • كما أن انخفاض مستوى الأسرة فى هذه النواحى بوجه عام يساعد على عدم اهتمام الأم بهذا الموقف ، بحيث نجد الطفل ينام مع والديه فى فراشهم • ويظل هذا الموقف مألوفا حتى عندما يقترب عمره من سن المدرسة ، وربما بعد ذلك أيضا •

وقد أيدت ملاحظاتنا الأنثروبولوجيـــة فى الريف والحضر هذه النتائج بوجه عام ، بل ان عامل الوضع الاقتصادى الاجتماعى للأسرة أبعد دلالة وأهم تأثيرا فى هذا الصـــدد من عامل المستوى التعليمى للأم •

* ● *

رابعا — التفرقة بين الذكر والأنثى

يعد هذا الموضوع من أصعب موضوعات التنشئة الاجتماعية من حيث أسلوب الدراسة الاحصائية (بالاستمارة) على نطاق واسع ، فالاستجابات اللفظية عنه تكون بعيدة عن الحقيقة الواقعة فى كثير من الاحيان • وغالبية أرباب الأسر ينكرون اليوم — على المستوى اللفظى — وجود مثل هذه التفرقة من جانبهم فى معاملة أبنائهم الذكور والاناث ، ادراكا منهم لأن هذا التمييز أمر ليس عصريا ولا يتفق مع التطورات الحديثة •

ولكن الاستجابات اللفظية شىء ، والواقع المعاش شىء آخر ، فالتفرقة قائمة فى الحقيقة ، وتحتاج منا الى دراسة متعمقة للكشف عن حقيقتها واظهار معالمها الواقعية •

والصورة التقليدية التى نستطيع أن نرسمها من واقع الدراسات المتاحة لقضية التفرقة بين الذكر والأنثى تبدو على النحو التالى :

الأسرة المصرية التقليدية (أى فى الريف أساسا ، وربما فى الطبقات الدنيا والوسطى الصغيرة فى الحضر أيضا) تميز الذكر عن الأنثى ، وتفضل الذكر الكبير على الذكر الصغير • وهى من أجل ذلك تتبع أساليب فى التنشئة الاجتماعية تقوم على تكريس هذا التمييز ، بما فى ذلك أساليب الثواب والعقاب ، والحقوق والواجبات المقررة لكل فريق منهما ••• الخ • ويصل الامر الى حد التمييز بين الذكر والأنثى من الاطفال فى كمية الطعام ، ونوعيته أيضا[٥٨] • ونتيجة

---

(٥٨) اثبت هذه النقطة بشكل جلى من دراستى لعادات الطعام وآداب المائدة فى بعض القرى المصرية ، منها فى محافظة الفيوم ، وفى =

هذا الوضع أن يحظى الطفل الذكر — عندما يكبر — بسلطة على أخوته الأصغر منه — ذكورا واناثا — وعلى أخوته البنات الأصغر منه والأكبر منه على السواء • وتتجلى هذه المكانة — على سبيل المثال فى موقف اختيار العريس للفتاة فى الأسرة • فاذا كان الأب حيا فرأى الابن الأكبر يأتى بعد رأى الأب . أما اذا كان متوفى فرأى الأخ الأكبر — الذى هو سيد البيت — هو الفيصل فى الموافقة أو الرفض . ولا تستطيع الفتاة اختيار شريك حياتها بمفردها — بالمثل تظهر سلطة الذكر ومسئوليته فى مواقف الخلافات الزوجية لأخواته الفتيات . وفى تقرير الحل الذى قد ينطوى أحيانا على انهاء هذه العلاقة •

تلك هى الصورة التقليدية كما قلت ، ولكنها بدأت — تحت وطأة التغيرات الاجتماعية السريعة المتلاحقة — وسنحاول فيما يلى أن نسجل بعض مظاهر هذه التغيرات .

١ — لم تعد مساعدة الولد الذكر لوالده فى الحقل ، ومساعدة البنت لأمها فى أعمال البيت والتدريب على الاشغال اليدوية أو الصناعات الشعبية هى محور التنشئة الاساسى ، فقد أصبحت التلمذة المحترفة ، أى التفرغ للدراسة ، هو المحور الجديد • وبذلك زال — أو على الاقل ضعف — مظهر هام من مظاهر تكريس التفرقة بين الذكر والأنثى •

٢ — مع دخول قطاعات أكبر من الآباء والأمهات — حديثى السن — فى دائرة التعليم والعمل خارج الاقتصاد العائلى التقليدى ، زاد

= محافظة المنوفية . ومحافظة المنيا . وهى نقطة تنكرها اى ام لو سئلت عنها صراحة . ولكنها لا تنكشف للباحث الا من خلال المعايشة والملاحظة المتعمقة .

الاتجاه نحو المساواة فى معاملة الاطفال الذكور والاناث • وقد أشارت نتائج بحث احتياجات الطفولة الى أن الرعاية المتساوية للجنسين فى المناطق الحضرية قد تجلت فى أحسن صورها عند صغار السن من الآباء والأمهات ، أقل من ثلاثين سنة ، وبين الآباء الأفضل تعليما ، وزوجات الرجال الأعلى مستوى اجتماعيا ووظيفيا[٥٩] •

٣ ــ ان دخول أعداد أكبر من النساء الى ميدان العمل بأجر ، قد عمل بطريق مباشر على زيادة اسهام المرأة فى دفع عجلة الحياة الاقتصادية للأسرة ، مما انعكس بالتالى على رفع مكانة الأنثى فى المجتمع بوجه عام ، ولكن على الاقل فى الأسرة التى تكون الأم فيها عاملة بأجر •

ومع ذلك تظل هناك بعض العوامل القوية التى تشبد الأسرة المصرية الى الوضع التقليدى السابق ، وتناوىء مظاهر التغير الحديثة ، وتبطل مفعولهــا أو تخفف منها أحيانا • فالذكر ــ زوجا كان أو ابنا ــ مازال مسئولا مسئولية شرعية وقانونية عن كفالة درجات معينة من قريبــاته الاناث فى حالات عجــزهن أو احتياجهــن (الأم الزوجة أساسا ــ البنات •• الخ) • وهذه الالتزامات تقابلها ولاشك حقوق معينة • وقد تكون تلك المسئولية كامنة ــ فى أغلب الاحوال ــ أى أنها لا توضع موضع التنفيذ ، بسبب سيطرة النزعة الفردية على أفراد الأسرة المعاصرة بشكل متزايد ، ولكن مع ذلك تظل هذه النظرة المتميزة

---

(٥٩) المركز القومى للبحوث الاجتماعية واليونيسيف ، بحث احتياجات الطفولة ، مرجع سابق ، صفحة ٩٠ ــ ٩١ •

للذكر كامنة أيضا ، وفى خلفية الصورة ، يدعمها التراث ويقويها الشرع والقانون •

ومازالت قوانين الاحوال الشخصية والمواريث وغيرها ، تمثل عاملا من عوامل تكريس مكانة الذكر فى الاسرة المصرية ، وقوة تدفع الأسرة فى بعض الاحيان الى التلهف على طفل ذكر ، فاذا جاءها تتلهف على أن تحافظ عليه ، ومن هنا تميزه فى المعاملة وفى الحقوق •

وهناك درس تعلنما اياه الانثروبولوجيا الثقافية يقول أن العناصر الثقافية قد تتغير عوامل وجودها وتتعدل مبررات نشأتها واستمرارها ، بل تختفى أحيانا ، ولكنها تظل تعمل فترة من الزمن بفعل القصور الذاتى ، حتى وان خلت من المضمون • وأذكر هنا فقط برب الأسرة الفقير ذات العدد الوفير من البنات — مثلا — الذى يتلهف على طفل ذكر يحمل اسمه ويرثه ، وهو لا يملك عمليا ما يكفى لتربية هذا الطفل الذكر ، ناهيك عن أن يملك ما يورثه اياه • فقانون المواريث ليس هو نفسه العامل الفاعل فى رغبة هذا الأب ، لأنه لا وجود لميراث أصلا فى هذه الأسرة ، ولا اسم لها يشرف أحدا أن يحمله ، ولكن القيمة العالية للذكور هى الشىء الباقى فى روح هذا الأب تدفعه الى التماس انجاب الذكر ، وتدفعه الى محاباته وتفضيله •

* ● *

خامسا – الثواب والعقاب

الفكرة العامة هنا أن الوالدين فى الأسرة المصرية يلجأون الى عقاب أبنائهم من الذكور والاناث عن مخالفتهم لبعض القواعد التربوية، ويستخدمون فى ذلك أساليب متنوعة • ومن الواضح أن الأمور التى تدعو الى الثواب أو الى العقاب تختلف من بيئة اجتماعية الى أخرى،

كما تختلف أساليب الثواب والعقاب أيضا من مستوى اجتماعى اقتصادى الى مستوى آخر •

على أن الملاحظ على أى حال أن الصورة العامة لأساليب تنشئة الاطفال فى مصر تشير الى ذيوع الاتجاهات التسلطية والاتجاهات المحافظة بين الوالدين ، مما يترك مجالا ضيقا أمام الأبناء للنمو المستقل والتصرف المسئول • وهناك العديد من الامثال الشعبية والاقوال السائرة التى تؤكد أهمية التأديب والحزم فى التربية(٦٠) •

وقد أجريت حول هذا الموقف دراسات وبحوث عديدة أخذت فى اعتبارها الفروق فى معايير وفى أساليب الثواب والعقاب بين الريف والحضر من ناحية ، وبين المستويات الطبقية من ناحية أخرى •

وقد اتفقت أغلب الدراسات على أن الوسيلة الأولى التى تعمد اليها الأسرة المصرية هى العقوبة البدنية (الضرب) ، واختلفت بعد ذلك حول ترتيب الوسائل الأخرى التى تلى الضرب فى الانتشار • وقد أشارت دراسة نجيب اسكندر وزملاؤه الى أن الطبقة الوسطى تتميز بميلها الى استخدام العقاب البدنى ، على عكس الموجود فى الطبقة الدنيا حيث تستبدل بأسلوب النصح والارشاد(٦١) •

وجاءت نتائج بحث احتياجات الطفولة مؤكدة أن الوسيلة الأولى

---

(٦٠) انظر أيا من مجموعات الامثال الشعبية المصرية ، مثل أحمد تيمور ، الامثال العامية ، الطبعة الثانية ، القاهرة ، لجنة نشر المؤلفات التربوية ، القاهرة ، ١٩٥٦ •
وأنظر كذلك ابراهيم شعلان ، الشعب المصرى فى أمثاله العامية ، القاهرة ، الهيئة العامة للكتاب ، ١٩٧٢ •

(٦١) نجيب اسكندر وزملاؤه ، المرجع السابق ، ص١١١ •

للعقاب هى الضرب أيضا ، ويستخدمها حوالى ٥٠٪ من الأمهات فى الريف والحضر ، وبالنسبة للذكور والاناث • ويعد هذا البحث الوحيد الذى انفرد بمعالجة السن الذى يمتنع فيه الآباء عن عقاب أبنائهم ، وذلك عند تجاوزهم الثانية عشرة من العمر(٦٢) •

وقد أشار البحث الى أن هناك أساليب أخرى تلى العقوبة البدنية، وهى تتمثل فى الاقناع ومناقشة الطفل فى أخطائه ، ويستخدم هذا الأسلوب آباء وأمهات كل من الريف والحضر بالنسبة للجنسين • أما الصراخ فى وجه الطفل وشتمه فقد كان أسلوب كل من الآباء والأمهات فى الحضر فقط • وهناك فضلا عن هذا طائفة من الاساليب الأخرى التى يلجأ اليها نسبة أقل من الآباء فى التعامل مع أبنائهم ، وهى تتمثل فى حرمان الطفل من الاشياء التى يحبها (فى الريف والحضر) ، وأسلوب ابداء الملاحظات للطفل (حضر) وأخيرا أسلوب تحقير الطفل وتوبيخه ويستخدمه الآباء فى الريف والحضر بنسب مختلفة •

أما دراسة انعام عبد الجواد فقد أوضحت أن أسلوب الضرب هو الأسلوب الاساسى عند الأمهات العاملات وغير العاملات ، ويليه أسلوب النصح والارشاد ، ثم يلى ذلك أسلوب التخويف والتهديد • كما أن هناك نسبة قليلة جدا من الأمهات لا يبدين استجابة محددة تجاه أطفالهن فى مثل هذه المواقف ، فيتخذن موقفا أقرب الى اللامبالاة(٦٣) •

---

(٦٢) المركز القومى للبحوث الاجتماعية ، بحث احتياجات الطفولة ، مرجع سابق ، ص٢٢٩ ، ص٢٣١ •

(٦٣) انعام عبد الجواد ، المرجع السابق ، ص٢٧٩ •

وأوضحت دراسة محمود عبد القادر أن حوالى ٢٠٪ من الأمهات فى الريف يلجأن الى أسلوب الضرب ، يليه حرمان الطفل من الاشياء التى يحبها • والنتيجة التى يبرزها الباحث فى هذه الدراسة هى الربط بين أسلوب العقاب وحجم الأسرة • حيث أوضح أن الأمهات فى الأسر الكبيرة الحجم تستخدم أسلوب التهديد والتخويف والضرب بنسبة أكبر من الأسر الصغيرة الحجم •

وأكدت البيانات التى جمعها محمود حسن من الأحياء الشعبية فى الاسكندرية أن الضرب هو الوسيلة الأكثر شـيوعا لتأديب الصغار ، على حين توصلت انتصار يونس الى نتائج تدل على أن الضرب يأتى فى المرتبة الثانية فى أحياء ذات مستوى اقتصادى اجتماعى مختلف فى نفس المدينة[٦٤] •

ومن هذا يتبين لنا بجلاء أن جميع الدراسات قد اتفقت ــ على اختلاف البيئات المحلية التى أجريت فيها ــ على أن الأسلوب الأول الذى تعتمد عليه الأسرة المصرية هو الضرب ، مع فروق بين الريف ــ والحضر وبين الطبقات المختلفة • ولكن لم تشر الدراسات الى فروق دالة احصائيا بين الطبقتين الوسطى والدنيا من حيث السن الذى يبدأ فيه الآباء تطبيق معايير الثواب والعقاب ، ولا السن التى يتوقفـون عندها عن ممارسة كل أسلوب من أساليب العقاب التى سلفت الاشارة اليها •

وليست تلك هى كل الثغرات التى تتصف بها الدراسات السابقة، ولكننا نلاحظ ــ فى الختام ــ أن تلك الدراسات والبحوث قد أغفلت

---

(٦٤) نقلا عن محمد سعيد فرح ، المرجع السابق ، ص٢١٦ •

امدادنا بالمعلومات اللازمة عن المعايير التربوية التى تستوجب العقاب، وتلك التى تستحق الثواب ، أى أن النسق القيمى فى علاقته بالتنشئة الاجتماعية مازال فى حاجة الى بلورة وتوضيح كبير ، مع ابراز تضاريسه المختلفة تبعا للأبعاد الاجتماعية المتنوعة .

كما أن البحوث السابقة لا تطلعنا على معلومات كافية عن شخصية القائم بممارسة الجزاء ثوابا كان أم عقابا ، هل هو الأب أم الأم ، أم يحق ذلك لأفراد آخرين فى الأسرة (كالجدين ، والعم والأخ الأكبر ... الخ) ، وهل يختلف ذلك بالنسبة للذكور والاناث ... الخ. والحقيقة أن تلك الملاحظات هى التى تحفزنا الى مزيد من البحث فى هذا الميدان لالقاء ضوء أكبر على مختلف جوانبه وعلى بقية أبعاده ، بما ينعكس على تأكيد وتدعيم لمجتمعنا المصرى كله . وهو الهدف الأخير لكل البحوث والدراسات .

المراجـــــع

أولا : المراجـــع العربيـــة :

١ ــ ابراهيم أحمد شعلان ، **الشعب المصرى فى أمثاله العاميـــة** ، القاهرة ، الهيئة المصرية للكتاب ، ١٩٧٢ .

٢ ــ أحمد تيمور ، **الأمثال العامية** ، الطبعة الثانية ، القـــاهرة ، لجنة نشر المؤلفات التيمورية ، ١٩٥٦ .

٣ ــ المركز القومى للبحـــوث الاجتماعية والجنائية بالاشتراك مع اليونيسيف ، **بحث احتياجات الطفولة فى جمهورية مصر العربية**، دراسة مسحية على مستوى الجمهورية ، التقرير النهـــائى ، ١٩٧٤ .

٤ ــ انعام عبد الجواد ، **تنشئة الأطفال لدى المرأة العاملة وغـــير العـــاملة** ، رسالة ماجستير (غير منشورة) ، جامعة عـــين شمس ، القاهرة ، ١٩٧٤ .

٥ ــ جامعة الاسكندرية ، كليـــة الآداب ، قســـم الانثروبولوجيا ، **أبحاث بناء الانسان المصرى ــ مقومات الطابع القومى المصرى ــ التنشئة الاجتماعية واحتياجات الطفولة** ، اعداد أحمد أبو زيد، الاسكندرية ، سبتمبر ١٩٧٩ .

٦ ــ زكى اسماعيل ، **التربية والبناء الاجتماعى ، دراسة فى مجتمع**

بدائى ، رسالة دكتوراة (غير منشورة) ، جامعة الاسكندرية ،
١٩٧٥ .

٧ — سعاد عثمان ، **النظرية الوظيفية فى دراسة التراث الشعبى ، دراسة ميدانية لتكريم الأولياء فى المجتمع المصرى** ، رسالة ماجستير (غير منشورة) ، كلية بنات عين شمس ، القاهرة ، ١٩٨١ .

٨ — سيد أحمد عثمان ، **علم النفس الاجتماعى التربوى والتطبيع الاجتماعى** ، الطبعة الأولى ، القاهرة ، مكتبة الانجلو ، ١٩٧٠ .

٩ — محمد الهادى عفيفى ، **التربية والتغير الثقافى** ، القاهرة ، الطبعة الأولى ، مكتبة الانجلو المصرية ، ١٩٦٤

١٠ — محمد سعيد فرح ، **البناء الاجتماعى والشخصية** ، رسالة دكتوراة (غير منشورة) ، جامعة الاسكندرية ، ١٩٧١ .

١١ — محمد سعيد فرح ، **دراسات فى المجتمع المصرى** ، الأسكندرية ، الهيئة العامة للكتاب ، ١٩٧٦ .

١٢ — محمد سعيد فرح ، **الطفولة والثقافة والمجتمع** ، الأسكندرية ، الطبعة الأولى ، منشأة المعارف ، ١٩٨٠ .

١٣ — محمد محمود الجوهرى ، **الطفل فى التراث الشعبى** ، مقال بمجلة عالم الفكر ، الكويت ، العدد الثالث من المجلد العاشر ، ١٩٧٩ .

١٤ — محمود عبد القادر والهام عفيفى ، **دراسة ميدانية عن الأساليب الشائعة للتنشئة الاجتماعية فى الريف المصرى** ، المجلة الاجتماعية القومية ، جمهورية مصر العربية ، العدد الثانى عشر ، يناير ١٩٧٥ .

١٥ ــ محمود عبد القادر محمـــد على ، **الدفء والانسجام الأسرى وعلاقتهما بشخصية الطفل ، دراسة تجريبية فى دينامية تكـوين الضمير عند الطفل من خلال عملية التنشئة الاجتماعية** ، قراءات فى علم النفس الاجتماعى فى البـــلاد العربيــة ، ج٠م٠ع٠ ، المجلد الثانى : ١٩٧٠ م ٠

١٦ ــ محمود عبد القادر محمد على ٠ **أساليب الرضــاعة والفطــام الشائع فى الثقافة المصرية وأثرها على شخصية الطفل ، دراسة تجريبية** ٠ المجلة الاجتماعية القومية ٠ ج٠م٠ع٠ ، مايو ١٩٦٨ ٠

١٧ ــ محمود عبد القادر محمد على ٠ **دراسة تجريبيــة فى أساليب الثواب والعقاب التى تتبعها الأسرة فى تدريب الطفــل وأثرها على شخصية الأبناء** ، رسالة دكتوراة (غير منشورة) ، جامعة القاهرة ، ١٩٦٦ ٠

١٨ ــ مركز التنمية والتكنولوجيا بجامعة القاهرة بالاشتراك مع هيئة العمل الدولية ، **دراسة أنثروبولوجية متعمقة لأنمــاط عمــالة المرأة والتغيرات الديموجرافية ، دراسة ميدانية (أنثروبولوجية)**، اشراف أ٠د٠ علياء على شكرى ٠

١٩ ــ مصطفى سويف ، **مقدمة فى علم النفس الاجتماعى** ، الطبعــة الأولى ، القاهرة ٠ مكتبة الانجلو المصرية ، ١٩٧٠ ٠

٢٠ ــ **نجوى عبد الحميد سعد الله ، القرابة عند بعض الجمــاعات السكانية المتمايزة فى منطقة أسوان** ، رسالة ماجستير (غــير منشورة) ، كلية البنات ٠ جامعة عين شمس ، القاهرة ، ١٩٨١٠

٢١ ــ نجيب اسكندر وعماد الدين اسماعيل ورشدى فام ٠ **كيف نربى**

أطفالنـا ، التنشئة الاجتماعية للطفـل فى الأسرة العربيـة ، الطبعـة الثانية . القاهرة . دار النهضة العربية ، ١٩٦٦ .

٢٢ ــ هدى الشناوى ، **التنشئة الاجتماعية فى القرية المصرية ، دراسة انثروبولوجية فى احدى قرى الصعيد** ، رسالة ماجستير (غير منشورة) ، كلية البنات الاسلامية ، جامعة الازهر ، القاهرة . ١٩٨١ .

ثانيـا ــ المراجـع الأجنبيـة :

1 — Ammar, Hamed, **Growing Up in an Egyptian Village, Silwa** : Province of Aswan, 1. ed., London, Routledge and Kegan Paul, 1954.

2 — George and Achilles Theodorson, **A Modem Dictionary of Sociology**, 1st ed. London, Harper and Row, 1979.

الملحــــق

دراسات التنشئة الاجتماعية فى المجتمع المصرى

تمهيــــــد :

اهتم عدد من الباحثين المصريين بدراسة عملية التنشئة الاجتماعية فى المجتمع المصرى ، وقد بدأ هذا الاهتمام مع بداية الخمسينات من هذا القرن . وسنحاول هنا أن نقدم عرضا لهذه البحوث والدراســات حيث أنها تعكس اتجاهات ومعالجات مختلفــة فمنها الدراسات التى تدخل فى نطاق الانثروبولوجيا وعلم النفس الاجتماعى كدراسة حامد عمار بصعيد مصر ، ودراسة نجيب اسكندر وعماد الدين اسماعيل فى الحضر ، ودراسات محمود عبد القادر سواء ما أجرى منها على القطاع الريفى أو القطاع الحضرى ، ومنها الدراسات الانثروبولوجية كدراسة أحمد أبو زيد ونجــوى عبد الحميد ، والدراسة التى قام بهــا مركز التنمية والتكنولوجيا بجامعة القاهرة بالتعاون مع هيئة العمل الدولية، ومنها أيضا الدراسات السوسيولوجية كدراسة انعام عبد الجواد .

ينبغى الاشــارة هنا الى أن هذه الدراســات قد استطاعت فى مجموعها تغطية القطاعات المتعددة للحياة الاجتماعية فمنها ما تناول التنشئة الاجتماعية فى القطاع الريفــى وأخرى فى القطاع الحضرى وثالثة فى القطاع الصحراوى .

وسنحاول فيما يلى تقديم هذه الدراسات موضحين مدى الاتفاق

والاختلاف فى مستوى وأسلوب المعالجة ومدى التطابق الذى أحرزته نتائج هذه الدراسات ، الا أن هدفنا ينحصر أولا وأخيرا فى محـاولة تقديم صورة واقعية لطريقة التى تتم بها عملية التنشئة الاجتماعية فى المجتمع المصرى • والقاء الضوء على الخبرات التى يمر بها الطفـل المصرى منذ سنى عمره المبكرة • ولنا أن نتصور بعد ذلك مدى ما تحدثه هذه الاساليب فى شخصية الطفل فيما بعد •

ولقد حاولنا فى عرضـنا لهـذه الدراسـات أن نتتبع التسلسل التاريخى لها لعل هذا يمنح القارىء فرصة تتبع ما يطرأ على مواقف التنشئة الاجتماعية من تطورات •

* ● *

أولا ـ دراسة حامد عمار (فى صعيد مصر)[1] :

ظهرت دراسة حامد عمار عن التنشئة الاجتماعية فى عام ١٩٥٤ • وهى من الدراسات الرائدة بين دراسـات التنشئة الاجتماعيـة التى أجريت على المجتمع المصرى • وقد أجريت الدراسة بقرية سلوا بحرى محافظة أسوان وهى قرية بلغ تعدادها وقت اجراء الدراسة ٤٥٠٠ نسمة •

١ ـ وقد جاءت الدراسة فى ثلاثة أقسام رئيسية تناول القسم الاول منها الحياة اليومية للقرية والتنظيم الاجتماعى للمجتمع المحلى، والحياة الريفية ، والتغير الاجتماعى •

أما القسم الثانى فقد شمل الجزء الخاص بمواقف التنشئة

1 — Ammar, Hamed, Growing Up In An Egyptian Village, Silwa, Province of Aswan, London, Routledge and Kegan Paul, 1954.

حيث تناول الولادة ، والطفولة المبكرة وأهم خصائص الطفولة، وصف وتحليل لعب الاطفال ، ثم قصص الاطفال مضمونها ودلالتها ثم يتعرض لمرحلة المراهقة • وأخيرا يتناول التعليم الاقليمى ويختتم دراسته بعدة ملاحق يعرض فيها لأدوات البحث والجداول الاحصائية •

٢ ــ وقد اتخذ الباحث من نظرية الثقافة والشخصية كاطار مرجعى للبحث وتفترض هذه النظرية أن الثقافة تطبع شخصية الفرد بطابع معين ويكون لديه ردود فعل معينة ، ومع ذلك فهى لا تغفل الفروق الفردية اذا كانت فى اطار الثقافة السائدة •

٣ ــ أما عن المناهج المستخدمة فى البحث فقد استعان الباحث بالمنهج الانثروبولوجى فى دراسة الأسرة والعلاقات للعائلية ونظام المعيشة فى الأسرة الممتدة • كما استعان أيضا بالمنهج التاريخى وذلك باعتماده على الاخباريين فى تعمق الجذور الممتدة لظاهرة معينة ، أما المنهج النفسى فقد استخدمه الباحث للكشف عن الظواهر النفسية الخفية كالشعور والدوافع •

٤ ــ وفيما يتعلق بأدوات البحث فقد استعان الباحث بالأدوات المعروفة فى الدراسات الانثروبولوجية آنذاك وهى الملاحظة بالمشاركة حيث عاش بالقرية محل الدراسة حوالى ستة أشهر • كما استعان بالاخباريين • وقد برر الباحث عدم استخدامه لدراسة الحالة بسبب تخوف الأهالى من اتصال البحث بجهة رسمية وبسبب الاتجاه السائد فى القرية نحو اخفاء المشاكل الشخصية وعدم الكشف عنها •

٥ ــ وقد خلص الباحث فى معالجته للبناء الاجتماعى للقرية الى أن

هذا البناء يستند على ثلاثة محاور رئيسية تتداخل فيما بينها ، لتحدد العلاقات والمسئوليات وتوزيع العمل واتخاذ القرارات. وهذه المحاور هى القرابة والنسب ، والجنس أو النوع وأخيرا السن . فنجد الباحث يعتمد على المدخل القرابى كنسق اجتماعى يفسر به العديد من أساليب التنشئة الاجتماعية ، أما عن عنصر الجنس فقد لاحظ الباحث أن هناك حدودا فاصلة بين عالم الرجل والمرأة . وهذا على عكس ما نلاحظه فى المجتمعات الريفية المصرية حيث نجد المرأة تشارك فى العمل الزراعى . وبالنسبة للعنصر الثالث وهو السن فقد أشار الباحث الى أن القرية تنقسم الى ثلاثة مجموعات عمرية متمايزة وواضحة هى الصغار ، ثم الشباب ، ثم الكبار . وهذه الجماعات العمرية لا تختلط الا من خلال مراعاة شروط وقواعد الأدب والرموز التى تلقن للطفل منذ مراحل عمره الأولى .

- كما أن الباحث لم يقتصر على دور الأسرة والعائلة فى عملية التنشئة الاجتماعية بل تناول أيضا الدور الذى تمارسه بعض المؤسسات التربوية والتعليمية فى هذه الناحية . فنجده يتناول المواقف التى تحيط بالأم أثناء الحمل والولادة . ثم ميلاد الطفل وموقف الأسرة من الطفل خلال الأربعين يوما الأولى حيث يعتقد أن الملائكة تحيط به تحميه من الشياطين والأرواح الشريرة ، وعلى ذلك يجب ألا يترك الطفل بمفرده .

ثم تناول تسمية المولود حيث وجد الباحث أن التسمية فى سلوا تتم فى يوم السبوع وأحيانا فى نهاية اليوم الأربعين من الولادة . وان الاسماء عادة ما تكون على الجد فى حالة الذكر ، أو الجدة فى حالة الأنثى . وأن أكثر الاسماء شيوعا هى أسماء

الرسول الكريم والعائلة النبوية أو أسماء أولياء الله الصالحين.
ويستطرد الباحث حديثه عن هذه الفترة فيذكر أن الرضاعة الطبيعية تمثل النمط الشائع فى مجتمع البحث ثم يتعرض لموقف الفطام والسن الذى يتم فيه فطام الطفل وكذلك أسلوب الفطام . فيشير الى أن الفطام يكون تدريجيا من أحد الثديين يليه الثدى الآخر بعد تدريب الطفل على تناول الطعام وأنه يتم — أى الفطام — ما بين سنتين ، وسنتين ونصف . ويواصل دراسته عن مرحلة التسنين ، والتدريب على الجلوس ثم الاستقلال .

ان اهتمام حامد عمار بالتنشئة الاجتماعية لم ينحصر فى مرحلة الطفولة المبكرة على غرار معظم الدراسات الخاصة بالتنشئة ، بل انه اهتم بالتنشئة منذ مرحلة ما قبل الميلاد . فالولادة ، ثم مرحلة الطفولة المبكرة والمتأخرة وأخيرا تناول مرحلة المراهقة .

٧ — ويشير الباحث الى أن أهم الملامح المميزة للتنشئة الاجتماعية فى سلوا فى هذه المرحلة — مرحلة الطفولة والطفولة المبكرة — تتميز بالتساهل واللين فالأربع أو الخمس سنوات الأولى من حياة الطفل لا ترتبط بنواهى أو ممنوعات . فالطفل يرضع وقت ما يشاء ، وينام حين وأين شاء . ثم تأتى الضوابط من سن الخامسة فتنتقل الطفل نقلة مفاجئة حيث يصبح عليه أن يتحمل مسئوليات عديدة فى البيت والحقل .

٨ — وقد اهتم الباحث بعقد لقاءات مع الاطفال للتعرف على الدور الذى تمارسه المؤسسات التربوية فى عملية التنشئة . فتحدث

مع الاطفال عن التعليم فى القرية ، وموقف الاطفال من الكتاتيب، والمناهج التى يدرسونها ، وتطلعات الاطفال والمستقبل الذى يتصورونه بعد الانتهاء من الدراسة ، وكذلك القيم التى تغرس فيهم عن طريق التعليم . كما تناول القصص والالغاز التى يتداولها الاطفال ، وطرق لعبهم ولهوهم .

ثم يتعرض الباحث لمرحلة المراهقة فيذكر أن من الملامح المميزة لهذه الفترة نفور الشباب من الجنسين من العمل والنشاط ، والابتعاد عن مشاركة الصغار فى ألعابهم . كما يشير الباحث الى التفرقة القائمة بين الذكور والاناث فى هذه المرحلة حيث أن الذكور يتمتعون بقدر كبير من الحرية فى الحركة والتنقل والخروج بصحبة الآخرين على عكس الفتيات اللاتى تقيد حريتهن ويحرمن من الخروج بعد سن البلوغ أو التنقل بدون استئذان أو بغير صحبة الأهل . وترتدى الفتيات فى هذه الفترة ملابس تغطى أجزاء من وجوههن كما أن الأهل لايشجعوهن على ابداء زينتهن بينما يبدأ اهتمام المراهقين من الذكور بالغناء وتعلقهم الشديد بالنواحى الدينية والذى يبدو فى الحرص على أداء الشعائر الدينية والمواظبة على الذهاب الى المسجد وحضور حلقات الذكر والاستماع الى دروس الوعظ والارشاد الدينى.

الا أن ملاحظات الباحث عن فترة المراهقة جاءت ناقصة ومحدودة وذلك بسبب انشغال المراهقين بالعمل ، فلم يتمكن الباحث من عقد لقاءات كتلك التى كان يعقدها مع الاطفال . وهذا يرجع الى انشغال الابناء بالعمل فى الحقل وخاصة أيام جمع المحاصيل حيث يذكر الباحث أن عدد من يعملون بالزراعة

كبير وحتى الذين يتعلمون من أبناء القرية نجدهم يهرعون الى مساعدة ذويهم فى الحقل بعد العودة من المدرسة .

٩ — وهكذا يخلص الباحث الى أن ملامح التنشئة الاجتماعية فى قرية سلوا تتميز بالتساهل والتراخى فى مرحلة الطفولة ، وبالتشدد والصرامة فى المراحل التالية ، هذا التشدد الذى يتضح فى تدريب الاطفال على الامتثال وذلك عن طريق التخويف الذى يستعمله الكبار بهدف ازعاج الصغار ، والعقاب الذى غالبا ما يكون بدنيا وشديداً . ولا تتاح الفرصة للفرد أن يبرر سلوكه الخاطىء ومن ثم تكون العلاقات بين الابناء والآباء مشحونة بالخوف مما يجعل الابناء يلجأون الى الكذب هربا من العقاب . وهكذا تتسم شخصية القروى فيما بعد بالخوف والشك والكتمان . الا أن التنشئة المتشددة والصارمة تهدف فى النهاية الى أهداف ايجابية تتمثل فى تنمية استعدادات الطفل للطاعة والرضاء وتحمل المسئولية والمشاركة الحسية والوجدانية .

١٠ — وفى النهاية جدير بنا أن نذكر أنه على الرغم من أن دراسة حامد عمار دراسة شاملة وجيدة لمواقف التنشئة الاجتماعية الا أنه لم يحذ حذوها أى من الدراسات التى جاءت بعدها . ولكن العديد من هذه الدراسات تسلك مسلكا مشابها للدراسات النفسية والتربوية التى بنيت على أساس دراسة اتجاهات الآباء فى تنشئة الأبناء وعلى رأس هذه الدراسات دراسة نجيب اسكندر وعماد الدين اسماعيل عن الاتجاهات الوالدية فى تنشئة الاطفال .

ثانيا ــ دراسة نجيب اسكندر وعماد الدين اسماعيل[٢] :

ظهرت دراسة نجيب اسكندر وعماد الدين اسماعيل عن الاتجاهات الوالدية فى تربية الاطفال سنة ١٩٥٩ ضمن مجموعة أبحاث قام بها الباحثون فى اطار موضوع شامل هو الاتجاهات والقيم السائدة فى العلاقات العائلية . وهو بحث يشتمل على جوانب عدة متداخلة بالنسبة لجو الأسرة وقيمها وأثر هذا كله على تنشئة أطفالها . وقد قسم البحث الى مرحلتين : المرحلة الأولى تبين الاتجاهات والقيم عند الآباء فى المجتمع المصرى ، والثانية هى مرحلة تحليل هذه الاتجاهات والقيم فى ضوء بعض المتغيرات الثقافية . وسوف نتناول هنا الجزء الخاص بالاتجاهات الوالدية فى تنشئة الاطفال . على أن نشير اشارة سريعة الى الجوانب المنهجية للبحث مع التركيز على هدفنا الرئيسى وهو طبيعة التنشئة الاجتماعية وكيفيتها فى المجتمع المصرى فى ضوء ما كشفت عنه الدراسة .

وينبغى الاشارة الى أن الدراسة بالرغم من أنها دراسة نفسية ، الا أنها لم تغفل الأبعاد الاجتماعية وخاصة البعد الطبقى ، وانعكاسه على التنشئة الاجتماعية . وعلى هذا قام البحث بدراسة اتجاهات الآباء نحو تربية أطفالهم فى المجتمع المصرى وذلك فى ٢٠٠ حالة : مائة حالة من الطبقة الدنيا ، ومائة حالة من الطبقى الوسطى . وقد أختيرت هذه الحالات بطريقة عشوائية من محافظتى القاهرة والاسكندرية . وبذلك يمكن اعتبار هذه العينة ممثلة للمجتمع المصرى فى هاتين المدينتين.

---

(٢) نجيب اسكندر ، عماد الدين اسماعيل ، ورشدى فام ، كيف نربى أطفالنا ، التنشئة الاجتماعية للطفل فى الأسرة العربية ، الطبعة الثانية ، القاهرة ، دار النهضة العربية ، ١٩٦٦ .

وقد هدفت الدراسة الى التعرف على الاتجاهات الوالدية فى تنشئة الاطفال بغرض تحديدهذه الاتجاهات من ناحية ، والكشف عن العلاقات التى تقوم بينها وبين بعض المتغيرات الاجتماعية (الطبقة) ، وكذلك ما يحتمل أن تؤدى اليه هذه الاتجاهات من آثار تنعكس على شخصية الطفلا مستقبلا •

وقد أمكن تصنيف هذه الاتجاهات فى ستة مواقف رئيسية هى (العدوان ، الندم ، الاستقلال ، التغذية ، الاخراج ، والجنس) ، وقد تم اختيار هذه المواقف دون غيرها حيث يتضح فيها الاحتكاك بين الآباء والأبناء • ومن هذه المواقف يتضح تركيز البحث على مرحلة الحضانة — من الميلاد الى ما قبل المدرسة •

وقد تم جمع بيانات هذه الدراسة باستخدام وسيلة الاستفتاء المقيد والمبنى على أساس المقابلة وذلك بالاستعانة بمجموعة من طلبة كلية التربية فى الأعوام الدراسية ١٩٥٥ — ١٩٥٦ ، ١٩٥٦ — ١٩٥٧ ، ١٩٥٧ — ١٩٥٨ ، وكانت هذه ضمن مجموعات الطلبة التى يقوم الباحثون بالتدريس لها •

وطالما اقتصر الباحثون على دراسة التنشئة فى مرحلة الحضانة ، فقد اقتصرت الدراسة على دور الأسرة فى عملية التنشئة • وهذا بخلاف ما قام به حامد عمار حيث اهتم بدراسة مرحلة ما قبل الميلاد ، فالطفولة ، والطفولة المتأخرة ، ثم المراهقة • ومن هنا جاء الخلاف الثانى بين دراسة عمار وهذه الدراسة حيث اهتم الاول بدراسة دور المؤسسات التعليمية فى التنشئة فى حين اقتصرت هذه الدراسة على دور الأسرة • وان كانت هذه الدراسة اتفقت مع دراسة عمار من حيث تناولها لمواقف الرضاعة والفطام ، والاخراج ، والاستقلال ، الا أن

عمار قد اهتم بكافة التفاصيل الجزئية لهذه المواقف على نحو لم تقم به هذه الدراسة • ومن نقاط الاختلاف بين الدراستين أيضـا هى أن دراسة عمار قد ركزت على القطاع الريفى ، بينما ركزت الدراسة الحالية على القطاع الحضرى • الا أنه من الانصاف أن نشير الى الدقة التى جرت عليها الدراسة الحالية وذلك من خلال مراعاتها للبعد الطبقى على نحو لم يدركه عمار فى دراسته لقرية سلوا حيث جاءت نتائجه عامة تنطبق على المجتمع ككل •

وقد خلصت الدراسة الى أن هناك اختلافات طبقية فيما يتعلق بموقف الآباء من المواقف الستة السالفة الذكر ، كما تبين أن موقف الآباء كان أكثر حساسية بالنسبة لبعض المواقف عن البعض الآخر • بمعنى أن اهتمام الآباء بتصرفات الأبناء فى المواقف الحساسة كالجنس، والعدوان كان أشد من اهتمامهم بالمواقف الأقل حساسية كالنوم والاخراج ، وان درجة اهتمام الآباء ببعض المواقف يختلف تبعا لاختلاف الطبقة التى ينتمون اليها • فآباء الطبقة المتوسطة أكثر اهتماما من آباء الطبقة الدنيا بمواقف التغذية ، والفطام ، والنوم ، والاستقلال ، والاخراج •

كما أن هناك فروقا طبقية فى الاساليب المستخدمة فى عملية التنشئة حيث تميل الطبقة الدنيا الى استخدام العقاب البدنى والتهديد به فى حين تميل الطبقة الوسطى الى استخدام النصح والارشاد اللفظى مما يثير الشعور بالذنب لدى الطفل وقلقه على مركزه سواء فى الأسرة أو المجتمع الخارجى • كما تستخدم الطبقة الوسطى أسلوب الحرمان فى حين لا تلجأ اليه الطبقة الدنيا على الاطلاق • كذلك تتضح الفروق الطبقية فى حرص الطبقة الوسطى على المظهر الخارجى للطفل

وعلى آدابه وسلوكه وكذلك شدة حرصها على تقييد حرية الطفل وميلها الى الحد منها بدرجة أكبر مما يحدث فى الطبقة الدنيا . كما تهتم الطبقة الوسطى بالتبكير فى تدريب الطفل على العادات السلوكية المرتبطة بالمواقف السابقة بدرجة أكبر وبشكل أوضح مما يحدث فى الطبقة الدنيا .

١ ـ وهكذا نخلص الى أن الملامح المميزة للتنشئة الاجتماعية فى مصر سواء فى الطبقة المتوسطة أو الطبقة الدنيا فى هذه المرحلة العمرية المبكرة ـ تتمثل فى استخدام أساليب غاية فى الشدة أو القسوة . وهى فى الطبقتين أساليب ضارة سواء ما كان منها ـ العقاب البدنى ـ والذى تتميز به الطبقة الدنيا ، أو النصح والارشاد اللفظى المثير للقلق والشعور بالذنب ـ والذى تتميز به الطبقة المتوسطة ومنها أيضا تدريب الطفل على عادات جديدة فى سن مبكرة لا تسمح له بذلك ، وكذلك الفطام المفاجىء واستخدام الطرق المؤلمة مثل وضع مادة مرة على الثدى وكل ذلك يؤثر على شخصية الطفل ويعرضه للعديد من مواقف الصراع والاحباط والأزمات الانفعالية .

٢ ـ ومن الواضح أن هذه النتائج تأتى مختلفة تماما مع نتائج حامد عمار فى الريف المصرى والتى سبق فيها وصف موقف الآباء من الأبناء فى هذه المرحلة المبكرة من العمر بالتساهل واللين .

وهكذا فان عملية التنشئة الاجتماعية اذا كانت تتصف بالشدة والعنف فى هذه المرحلة المبكرة ـ فى الحضر ـ كما أشارت هذه الدراسة ـ فانها على العكس تماما تتصف باللين والتساهل فى هذه المرحلة المبكرة ـ فى الريف ـ كما أشارت دراسة عمار فى صعيد مصر .

٣ — وقد جاءت دراسات محمود عبد القادر لتبرز البعد الريفى الحضرى ولتؤكد وجود هذين النمطين المختلفين للتنشئة الاجتماعية فى الريف ، والحضر المصرى • وسنحاول فيما يلى أن نتتبع أنماط التنشئة الاجتماعية فى الريف والحضر من خلال الدراسات التى قدمها محمود عبد القادر فى هذا المجال •

ثالثا : دراسات محمود عبد القادر :

على الرغم من مرور فترة زمنية طويلة بين الدراسات السابقة والدراسات التى أجراها محمود عبد القادر حول موضوع التنشئة الاجتماعية ، الا أن نتائج دراساته جاءت لتؤكد نفس النتائج السابقة فى كثير من الموضوعات •

فقد اهتم الباحث فى دراساته وأبحاثه بميدان التنشئة الاجتماعية، فظهرت له عدة دراسات غطت كلا من القطاعين الريفى ، والحضرى • وهذه الدراسات يمكن اجمالها على النحو التالى :

أ — ظهرت للباحث أولا دراسة عن أساليب الثواب والعقاب التى تتبعها الأسرة فى تدريب الطفل وأثرها على شخصية الأبناء • وهذه الدراسة هى رسالة الباحث التى أعدها لنيل درجة الدكتوراة سنة ١٩٦٦[٣] •

ب — تلى ذلك دراسة عن أساليب الرضاعة والفطام الشائع فى الثقافة

---

(٣) محمود عبد القادر محمد على ، دراسة تجريبية فى أساليب الثواب والعقاب التى تتبعها الأسرة فى تدريب الطفل واثرها على شخصية الابناء . رسالة دكتوراة غير منشورة ، جامعة القاهرة ، ١٩٦٦.

المصرية وأثرها على شخصية الطفل ــ وقد نشرت هذه الدراسة بالمجلة الاجتماعية القومية سنة ١٩٦٨[٤] .

جـ ــ لحقت هذه الدراسة دراسة ثالثة حول دينامية تكوين الضمير عن الطفل من خلال عملية التنشئة الاجتماعيـــة . وقد جاءت هذه الدراسة ضمن كتاب قراءات فى علم النفس الاجتماعى فى البلاد العربية سنة ١٩٧٠[٥] .

د ــ هذا وقد تنبه الباحث الى أن هذه الدراسات الثلاث غطت القطاع الحضرى الى جانب دراسة نجيب اسكندر وعماد الدين اسماعيل، ولهذا حاول أن يسد النقص عن تربية الاطفال فى الريف المصرى، فى الدراسة التى أجراها مع الهام عفيفى .

كما أن الطبقة الدنيا تعتبر أقل تحفظا من الطبقـــة الوسطى فى تعبيرها عن حبها وتقبلها لأبنائها ، وأن آباء الطبقة الوسطى يعتبرون أكثر تحفظا فى التعبير عن مشاعرهم لأبنائهـــم من آباء الطبقة الدنيا الذين يتميزون بالتلقائية والبساطة فى التعبير عن حب الطفل وتقبله . الا أنه لا توجد أى فروق طبقية فيما يتعـــلق باستخدام الاسلوب المعنوى والمتمثل فى « مقاطعة الطفل وخصامه لمدة طويلة » . حيث تبين

---

(٤) محمود عبد القادر ، اساليب الرضاعة والفطام الشائع فى الثقافة المصرية وأثرها على شخصية الطفل ، دراسة تجريبية ، المجـــلة الاجتماعية القومية ، ج.م.ع. مايو ١٩٦٨ .

(٥) محمود عبد القادر ، الدفء والانسجام الأسرى وعلاقتهما بشخصية الطفل ، دراسة تجريبية فى دينامية تكوين الضمير عند الطفل من خلال عملية التنشئة الاجتماعية ، قراءات فى علم النفس الاجتماعى فى البلاد العربية ، ج.م.ع. المجلد الثانى ، ١٩٧٠ .

أن هذا الأسلوب لا يرتبط بالمستوى الاجتماعى والاقتصادى للآباء بقدر ما يرتبط بسمات شخصيات الآباء وعاداتهم وأسلوبه معاملتهم . الا أن هناك فروقا طبقية فيما يتعلق بمساواة الآباء فى معاملتهم للأبناء. فآباء الطبقة الدنيا يميلون الى التمييز الشديد بين الأبناء فى المعاملة اذا ما قورنوا بآباء الطبقة المتوسطة الذين يحرصون على المساواة بين أبنائهم فى المعاملة .

وينبغى الاشارة هنا الى أن محمود عبد القادر قد انفرد بمعالجة أساليب الثواب والعقاب وتأثيرها على شخصية الأبناء فى دراسة مستقلة . وهو فى هذا قد اختلف عن المواقف التى عالجتها الدراسات السابقة والخاصة بالتنشئة الاجتماعية ، الا أنه اقترب من هذه الدراسات حين تناول فى دراستيه التاليتين وهما « أساليب الرضاعة والفطام الشائع فى الثقافة المصرية » ، « الأساليب الشائعة للتنشئة الاجتماعية فى الريف المصرى » . تناول نفس المواقف التى تناولتها الدراسات السابقة وهى مواقف الرضاعة والفطام والاستقلال . ولعل هذا يمنحنا فرصة لتتبع ما طرأ على هذه الأساليب من تطورات

ففى دراسة الباحث عن أساليب الرضاعة والفطام الشائع فى الثقافة المصرية ، وهى دراسة تجريبية استعان فيها الباحث باستبيان خاص بالأسرة ولكنه موجه الى الأم ، ويتضمن ٨ أسئلة عن أساليب الرضاعة والفطام التى تستخدمها الأمهات ومدى التفاعل بين الأم والطفل خلال مرحلة الرضاعة والفطام . كما استعان الباحث فى هذه الدراسة بمقياس للشخصية المتعدد الأوجه للأطفال ، ومقياس المستوى الاجتماعى والاقتصادى للأسرة .

وقد اتضح من هذه الدراسة أن النمط السائد بين الأمهات فى

الرضاعة هو الرضاعة الطبيعية حيث يمثل المركز الأول ، يليه استخدام الرضاعة الصناعية الى جانب الطبيعية • الا أن الأمهات يبدأن بالرضاعة الطبيعية ثم يتدرجن فى استخدام الرضاعة الصناعية ، وان الرضاعة الصناعية خاصة تميز الطبقة المتوسطة • أما فى الطبقة الدنيا فتسود الرضاعة الطبيعية وليس لها بديل •

كما يسود فى الطبقة الدنيا الفطام باستخدام الصبار والمواد الأخرى كما هو الحال فى الريف • أما الفطام التدريجى فانه خاصية للأسر فى الطبقة المتوسطة وسن الفطام فى الطبقة المتوسطة مبكر عن الطبقة الدنيا • ومن الواضح هنا أن الباحث اهتم بدراسة مرحلة الطفولة المبكرة •

١ — أما دراسته عن « الأساليب الشائعة للتنشئة فى الريف المصرى » فقد اهتم الباحث كما سبق الذكر بنفس المواقف للتى اهتم بها نجيب اسكندر وزملاؤه حيث ركز على مواقف الرضاعة والفطام، والاستقلال (الاخراج والنوم) • وقد اعتمدت الدراسة على مقياس لمقياس شخصية الطفل ، والمراهق المصرى • كما استخدم استخبارا فى الاتجاهات الوالدية نحو تنشئة الطفل على نحو ما جاءت به دراسة نجيب اسكندر وزملائه • وقد تكون الاستخبار من جزأين : جزء خاص بالأم والثانى خاص بالأب •

٣ — وقد خلصت الدراسة الى أن الملامح المميزة للتنشئة فى الريف المصرى والخاصة بتلك المواقف تتشابه الى حد كبير مع ما جاءت به دراسة حامد عمار عن نفس المرحلة العمرية — الطفولة المبكرة — حيث يشيع أسلوب الرضاعة الطبيعية ويسود الفطام باستخدام المواد المرة كالصبار ، ويتأخر سن الفطام • هذا وينبغى

الاشارة الى أن الباحث عالج هذه المواقف فى ضوء بعض المتغيرات الاجتماعية والاقتصادية للأسرة حيث تبين أنه كلما ارتفع المستوى المعيشى للأسرة ظهر الفطام التدريجى وأصبح هو الأكثر شيوعا كما أنه كلما انخفض هذا المستوى ظهر أسلوب الفطام باستخدام الصبار والمواد الأخرى وأصبحت له السطوة المطلقة • كما أنه كلما ارتفع المستوى المعيشى للأسرة أيضا ظهر الميل نحـو عزلة الطفل عند النوم وظهر الميل نحو التدريب المبكر للطفل على تعلم عملية الاخراج •

٣ ـ وقد جاء على غرار معالجة محمود عبد القـادر لمواقف التنشئة الاجتماعية فى ضوء بعض المتغـيرات الاجتماعية والاقتصادية للأسرة بحث احتياجات الطفولة فى مصـر والذى قام به المركز القومى للبحوث الاجتماعية والجنائية بالاشتراك مع اليونيسيف سنة ١٩٧٤ •

رابعا : بحث احتياجات الطفولة فى ج•م•ع•(٦) :

قام بهذه الدراسة المركز القومى للبحوث الاجتماعية والجنائية بالتعاون مع اليونيسف ، وقد أعدت خطة هذا البحث فى أبريل سنة ١٩٦٧ • وانتهت الدراسة وتحليل البيانات والطباعة سنة ١٩٧٣ ، ثم نشرت التقارير النهائية له سنة ١٩٧٤ •

وقد شملت هذه الدراسة قطاعات مختلفة من الريف والحضـر والمناطق الصحراوية ، وقد تم اختيار عدد من المنـاطق على أسـاس

(٦) المركز القومى للبحـوث الاجتماعية والجنائيـة ، بالاشتراك مع اليونيسيف ، بحث احتياجات الطفـولة فى ج•م•ع• ، دراسـة مسحية على مستوى الجمهورية ، التقرير النهائى ، ١٩٧٤ .

تمثيل كل مجموعة منها لنمط معين من الأنماط الثقافية ، والظـروف الاقتصادية والاجتماعية •

وشملت الدراسة ست محافظات ، القاهرة ، المنوفية ، البحيرة ، الفيوم ، سوهاج ، ومرسى مطروح •

أما عينة الأسر فقد تألفت العينة الكلية للبحث من مجموعة من الأسر على النحو التالى :

٧٢ أسرة قاهرية •

١٠٨ أسرة من عواصم المحافظات •

٤٣٢ أسرة من القرى •

٧٢ أسرة من مرسى مطروح •

وقد روعى فى اختيار هذه الأسر أن تمثل المستويات الاقتصادية الثلاثة المختلفة وكذلك ثلاث مراحل عمرية للأطفال وهى المراحل التى اهتمت بها الدراسة وهى :

١ — مرحلة ما قبل الولادة والحمل •

٢ — مرحلة الولادة والأطفال دون سن السادسة •

٣ — مرحلة السادسة وما دون الثانية عشرة •

٤ — من الثانية عشرة وحتى سن الثامنة عشرة •

وهذه المراحل تتفق مع المراحل التى اهتم بدراستها حامد عمار فى صعيد مصر •

وقد استخدمت الدراسة الاستفتاء كأداة للبحث • وقد جاء هذا الاستفتاء على النحو التالى :

١ ـ استفتاء موجه للآباء فى الحضر .

٢ ـ استفتاء موجه للآباء فى الريف .

٣ ـ استفتاء موجه للأمهات فى الحضر .

٤ ـ استفتاء موجه للأمهات فى الريف .

٥ ـ استفتاء موجه الى الأبناء من سن ١٢ : ١٨ (فى المدرسة) .

٦ ـ استفتاء موجه الى الأبناء من سن ١٢ : ١٨ (غير المتعلمين) .

المقابلات المقننة مع عينة مختارة من الخبراء والممارسين فى مجالات الطفولة ، بجانب دراسة الحالة لبعض الحالات فى عدد من الاجهزة الخاصة بالطفولة ، وهى مركز رعاية الطفل ، دار للحضانة ، ناد للشباب ، مدرسة للمتفوقين ، محكمة للأحداث .

١ ـ وقد جاءت نتائج الدراسة الخاصة بمرحلة الطفولة متفقة مع نتائج الدراسات السابقة حيث تميل الأمهات فى الحضر الى الفطام المبكر منهم فى الريف . كما أن تدريب الطفل على الاستقلال فى الحضر يبدأ فى فترة مبكرة عنه فى الريف .

٢ ـ وعلى غرار ما قام به محمود عبد القادر من معالجة هذه المواقف فى ضوء بعض المتغيرات الاجتماعية والاقتصادية جاءت هذه الدراسة لتؤكد أيضا نفس النتائج ، حيث وجد أنه كلما ارتفع مستوى المهنة التى يشغلها الأب زاد الاتجاه نحو الفطام المبكر، كما أن الفطام المبكر يرتبط بارتفاع المستوى التعليمى للأسرة . كما تبين أن أسلوب الفطام بالصبار هو الأسلوب الشائع فى مصر وخاصة فى الريف . كما أشارت الدراسة أيضا الى أنه كلما ارتفع المستوى المعيشى للأسرة زاد الاتجاه نحو للتدريب المبكر للطفل على الاستقلال ، وقد بينت الدرلسة أن الصورة العامة

لأساليب تنشئة الطفل فى المجتمع المصرى تشير الى ذيوع الاتجاهات التسلطية والمحافظة من الآباء ، مما لا يترك الفرصة له أمام الأبناء للنمو المستقل والتصرف المسئول •

٣ — ومن النتائج الهامة التى توصلت اليها الدراسة أن هناك تغيراً فى الأساليب التى كانت تتبعها الأمهات فى مواقف التنشئة • وهذا التغيير يبدو فى حالة انشغال الأم فى عمل خارجى وهو يعكس التغير الاجتماعى فى أوضاع المرأة المصرية الحضرية • ومن هذا المنطلق بدأت دراسة انعام عبد الجواد عن تنشئة الاطفال لدى المرأة العاملة وغير العاملة •

خامسا — دراسة انعام عبد الجواد(٧) :

عاصرت الباحثة التغيرات التى يشهدها المجتمع المصرى ، وما صاحب هذه التغيرات من خروج المرأة الى ميادين العمل المختلفة ومشاركتها للرجل فى كافة أنواع المهن والوظائف ومدى تأثير هذا التغير على عملية التنشئة الاجتماعية مما دفعها الى البحث عن الاختلافات القائمة بين الأم العاملة وغير العاملة فى مواقف التنشئة الاجتماعية للاطفال • فقامت الباحثة باجراء دراسة سوسيولوجية عن تربية الاطفال لدى المرأة العاملة وغير العاملة • وقد أجريت الدراسة على القطاع الحضرى بمدينة القاهرة •

واعتمدت الباحثة على المنهج التجريبى وذلك بالاستعانة بعينة قوامها ٢٠٣ من الأمهات الحضريات • وانقسمت العينة الى عينة ضابطة

---

(٧) انعام عبد الجواد ، تنشئة الاطفال لدى المرأة العاملة وغير العاملة، رسالة ماجستير غير منشورة ، جامعة عين شمس ، سنة ١٩٧٤ .

حجمها ٧٨ امرأة ، وعينة تجريبية قوامها ١٢٥ امرأة الأولى من الأمهات غير العاملات ، والثانية من الأمهات العاملات •

ولم تقتصر الباحثة على هذا التصنيف للأمهات بل تنبهت أيضا الى ما قد ينجم من اختلافات بين هؤلاء الأمهات تبعا لاختلاف المهنة التى تمارسها كل أم • ولهذا أدركت الباحثة مراعاة التخصص الدقيق للأمهات العاملات ، فقامت بتصنيف هذه العينة الى أمهات يشغلن وظائف فنية ، وأخريات فى وظائف مكتبية ، وثالثة فى وظائف ادارية ، والأخيرة فى وظيفة التدريس •

وقد اختارت الباحثة الأمهات العاملات وغير العاملات من أسر قاهرية بطريقة عمدية • وقد راعت الباحثة فى اختيارها لعينة الدراسة تثبيت بعض المتغيرات الاجتماعية والاقتصادية فى عينة البحث ، وهى المتغيرات الخاصة بالدخل ، ومستوى التعليم ، ووجود أطفال أقل من ست سنوات • واستعانت الباحثة فى جمع مادة البحث باستمارة البحث، وقد حددت الفئة العمرية التى اهتمت بدراستها وهى من سن سنتين الى ست سنوات •

وقد بررت الباحثة هذا الاختيار العمرى للفئة العمرية بأنها المرحلة التى يبدو فيها دور الأم واضحا — اذ أنه بعد السادسة تبدأ مؤسسات أخرى تلعب دورها فى عملية التنشئة • وهذا التداخل يجعل من الصعب تحديد الدور الذى تمارسه الأم فى عملية التنشئة • وقد أختارت الباحثة بعض المواقف الهامة فى حياة الطفل فى هذه المرحلة وهى مواقف الفطام والتدريب على النظافة والجنس ، والاستقلال ، وما يرتبط بهذه المواقف من قيم اجتماعية •

وهذه المواقف تتفق مع المواقف التى قام بدراستها حامد عمار ،

ونجيب اسكندر وزملاؤه ومحمود عبد القادر • ولعل هذا يتيح لنا فرصة ملاحظة ما طرأ على هذه المواقف الخاصة بالتنشئة الاجتماعية من تغيرات • وما اذا كانت هذه التغيرات اتجهت نحو الأفضل أو الأسوأ ، أو لازالت كما هى عليه رغم ما حدث فى المجتمع من تطورات• كما تتيح هذه الدراسة أيضا فرصة التعرف على ما اذا كان التطور الذى لحق بدور المرأة والمتمثل فى خروجها للعمل قد أثر على التنشئة الاجتماعية وهل أكسبها أسلوبا وقيما جديدة أم لا •

وقد جاءت نتائج الدراسة لتؤكد أن هناك تباينا فى استخدام أساليب الثواب والعقاب والتسامح والتهديد والحرمان التى يستخدمها الآباء طبقا لاختلاف المواقف • وهذا على غرار ما جاءت به دراسة نجيب اسكندر وزملائه حيث أشاروا الى أن موقف الوالدين يتباين طبقا لاختلاف الموقف • فهم يكونون أكثر تشددا فى المواقف الحساسة وأكثر تساهلا فى المواقف الأقل حساسية •

وفيما يتعلق بالفرق بين الأمهات العاملات وغير العاملات ، فقد تبين أن هناك فروقا جوهرية بينهن فيما يتعلق بوسائل الفطام ، الا أنه ليست هناك فروق فى سن الفطام ، كما أن هناك فروقا دالة بين الأمهات العاملات وغير العاملات فيما يتعلق بالسن الذى تبدأ عنده الأم تقديم الطعام للطفل ، وتدريبه على مواقف الاستقلال • ومن الجدير بالذكر أنه قد تبين أنه ليست هناك فروق بين الأمهات العاملات فى مهن مختلفة باستثناء موقف واحد وهو أسلوب الأم فى حالة حدوث مشاجرة بين طفلها وطفل آخر • اذ تبين أن الأمهات العاملات بالتدريس أكثر ميلا الى أسلوب التوفيق بين الطرفين على عكس الأمهات فى المهن الأخرى واللاتى يكن أكثر ميلا نحو منع الطفل من اللعب مع هؤلاء الاطفال الى جانب توعية الطفل وتهديده •

ومن النتائج الهامة أن عمل المرأة أثر تأثيرا شديدا على أداء واجباتها نحو أطفالها وذلك بسبب انشغالها بمهام أخرى خارج المنزل.

سادسا : دراسة أحمد أبو زيد :

وقد شملت هذه الدراسة الأنماط المختلفة للحياة الاجتماعيه والأنساق الثقافية ، حيث أجريت دراسة مركزة فى عدد من المجتمعات المحلية ، بحيث غطت الدراسة كلا من نمط الحياة الحضرية والريفية والصحراوية .

والدراسة أنثروبولوجية استخدمت فيها الملاحظة المباشرة والملاحظة بالمشاركة ، كما أجريت خلالها المقابلات الحرة غير المقننة ، واستخدمت دراسة الحالة وتحليل مضمون الكتابات والروايات السابقة عن مصر ، ثم تحليل شبكة العلاقات ، كما استخدمت استمارة استبيان لاستكمال بعض النقاط التى تحتاج الى معلومات كمية .

وقد اهتمت الدراسة بمرحلتى الطفولة ، والمراهقة ، وأوضحت الدراسة أن هناك جوانب محددة تؤثر بشكل واضح على الشخصية المصرية وهذه تلقن للطفل عن طريق عملية التنشئة الاجتماعية وهى :

١ — الدين والقيم الدينية حيث أنها تشكل مصدرا هاما للقيم الاجتماعية والأخلاقية .

٢ — الانتماء الوطنى .

٣ — التماسك العائلى .

٤ — وأخيرا قيم ترتبط بالرجولة والأنوثة .

وقد أكدت الدراسة أن هذه الجوانب غالبا ما تقتصر الأسرة — وخاصة الأم — على تلقينها الطفل وأن ذلك يتم بطريقة بسيطة

ومحدودة • وتوصي الدراسة بضرورة تعاون كافة الأجهزة التعليمية والتربوية والثقافية كالمدرسة ووسائل الاعلام وغيرها في تلقينها للطفل • يتضح من هذا العرض الموجز لهذه الدراسة أن هناك تباينا واضحا بينها وبين ما سبقها من دراسات •

سابعا — دراسة نجوى عبد الحميد بأسوان(٨) :

هذه دراسة أنثروبولوجية استخدمت فيها الباحثة أدوات المنهج الانثروبولوجي حيث استعانت بالملاحظة المباشرة ، والملاحظة بالمشاركة، كما استعانت بالاخباريين من كبار السن والمقابلة الموجهة وغير الموجهة• كما استعانت الباحثة بدليل لتنظيم المقابلة والملاحظة تضمن ٨٥ سؤالا غطت الفروض والتساؤلات الخاصة بالدراسة •

وقد بدأت الباحثة بدراسة استطلاعية لمناطق البحث ، وقد استغرقت الدراسة الميدانية ثلاث عشر شهرا • حيث خصص أربعة أشهر لكل مجتمع من مجتمعات الدراسة الثلاثة • وشهر أخير لاستكمال البيانات الميدانية الخاصة بالبحث •

وقد وقع اختيار الباحثة على ثلاثة مجتمعات متايزة سكانيا وثقافيا فتم اختيار عينة من مدينة أسوان لتمثل النمط الحضرى ، وقرية غرب أسوان لتمثل القطاع الريفى ، وأخيرا تجمعات من بدو العبابدة والبشارية المقيمين بالقرب من مدينة أسوان لتمثيل القطاع البدوي •

وقد تناولت الباحثة دراسة نظام القرابة لدى هذه الجماعات

---

(٨) نجوى عبد الحميد سعد الله ، القرابة عند بعض الجماعات السكانية المتمايزة فى منطقة اسوان ، رسالة ماجستير غير منشورة ، كلية البنات ، جامعة عين شمس ، القاهرة ، ١٩٨١ •

السكانية المتمايزة فى منطقة أسوان • وتعرضت فى دراستها للنظم القرابية لعلاقة النسق القرابى بعمليــة التنشئة الاجتماعيــة •.ومن الملامح المميزة للتنشئة الاجتماعية فى منطقة أسوان ــ كما أوضحت هذه الدراسة ــ أن عملية التنشئة هذه لا تقتصر على الأسرة فحسب بل تضطلع بها الجماعة القرابية التى تمثل ميكانيزما لنضبط الاجتماعى فى مجتمعات البحث الثلاثة • حيث «يتكاتف» أعضاء الأسرة المتـدة كجماعة قرابية القيام بعملية التنشئة منذ السنين الاولى فى حياة الطفل من أجل اعداده لمواجهة الحياة وذلك من خلال الأب بالنسبة للذكر حيث يبدأ تعليمه ويزداد ارتباطه بوالده منذ سن الخامسة • ويعاونه فى ذلك الجد والاعمام فى تلقين الطفل القيم الاجتماعية والدينية وذلك من خلال القصص والحكايات ، والتوجيه ومحاولة اشراكه فى الحياة الاجتماعيــة باصطحابه مع البالغــين فى الأسرة للاحتكاك بالمجتمع الخارجى • كما يقوم «الكتاب» بمهمة التعليم الدينى من خلال تحفيظهم لنقرآن وتأكيده على قواعد الآداب ، والسلوك العامة واحترام كبـار السن وطاعتهم • هذا فى الجيل الاول والثانى ، أما فى الوقت الحالى فتقوم المؤسسات الأخرى كالمدرسة ووسائل الاعلام محل الكتـاب • أما الفتيات فلا ينلن نفس الاهتمام من قبل الأب ، بل يقتصر فى تدريبهن وتعليمهن على الأم وذلك ابتداء من سن السابعة فتدرب الفتاة على أن تكون زوجة وأما وتتعلم بعض شئون المنزل • وهكذا نخلص الى أن عملية التنشئة الاجتماعية فى منطقة أسوان لا تقتصر على الأسرة فقط بل تتعداها الى البناء القرابى ككل •

ثامنا ــ دراسة هدى محمد محمد حسين الشناوى[٩] :

تعد هذه الرســالة من أحدث الدراســات الانثروبولوجية التى

(٩) هدى الشناوى ، التنشئة الاجتماعية فى القرية المصرية ، دراسة

أجريت على الاساليب الوالدية فى التنشئة الاجتماعية لكل من الفتى والفتاة فى المرحلة العمرية من ١٣ الى ١٩ سنة أى مرحلة المراهقة .

وقد تبنت الدراسة المدخل الوظيفــى مستخدمة أهم اجراءات الدراسة الانثروبولوجية الى جانب اجراء دراسة متعمقة لمجموعة من الأسر تنتمى الى طبقات اجتماعية متنوعة لمحاولة التعرف على أساليب التنشئة الاجتماعية للطبقتين المتميزتين فى مجتمع الدراسة وهما الطبقة المتوسطة والطبقة الدنيا . ولقد تأثرت الباحثة فى هذا الصدد بدراسة أوسكار لويس الشهيرة عن خمس أسر فى المكسيك .

وبالرغم من أن الباحثة أقتصرت فى دراستها على عشر أسر ، الا أن نتائجها جاءت معبرة عن الواقع المصرى الى حد بعيد ، الا أنها لم تخل من بعض المآخذ التى ترجع الى اهتمام الباحثــة بدراســة التنشئة الاجتماعية داخل الأسرة واغفالها للأجهزة الأخرى التى لها دور هام فى تحديد معالم التنشئة . ولكن بالرغم من ذلك نجد أن هذا التركيز قد أتاح لها فرصة الوصول الى عديد من المحددات التى تميز الثقافة المصرية . فقد أبرزت الدور الذى تلعبه التفرقة بين الذكر والأنثى فى بناء القوة فى الأسرة المصرية ، وخاصة فى صعيد مصــر . فمن أهم النتائج التى توصلت اليها الباحثة فى هذا الصدد أن المفاضلة بين الذكر والأنثى ترجع الى أن الأب تسيطر عليه الرغبة الملحة فى استمرارية العائلة ، كما أن الولد فى نظره حتى بعد زواجه يظل متصلا بأسرته بحيث تعتبر أسرته الزوجية امتدادا حقيقيا لاســم ومكانة أسرته

انثروبولوجية فى احدى قرى الصــعيد" ، رســالة ماجستير غــير منشــورة ، جامعة الازهر ، كلية البنات الاســلامية ، القــاهرة ، ١٩٨١ .

الأبوية . وقد لاحظت الباحثة أن الآباء يفضلون انجاب الذكور لأن الأب يرى فى الطفل الذكر عملية استمرار وبقاء . وينظر البعض الآخر على أنه السند القوى فى استمرار الطبقات الدنيا ، وتشير الباحثة الى أنه بالرغم من ذلك كان جميع المبحوثين شديدى التعاطف مع الفتيات ، فالبعض ينظر اليهن كمصدر الحب والحنان للوالدين ، والبعض الآخر يتعاطف معهن لأنه يرى فيهن المركز الضعيف والشىء الذى يجب حمايته والمحافظة عليه .

كما أبرزت الدراسة ان الحالات المدروسة تجمع على أن الطلاق من حق الرجل وحده وان كان البعض يميل الى تقييده بحالة الضرورة القصوى ، ورفض الجميع فكرة أن تكون العصمة بيد «الست» وتفسيرهم لذلك أن هذا ما تعارف عليه الناس .. ومن الجدير بالذكر أنه بالرغم من أن الاسلام يبيح أن تكون العصمة بيت الست ، الا أن هذا الأمر من الأمور النادرة الحدوث للغاية ، ولا يحدث الا فى حالة بعض نجوم السينما أو غير ذلك . وهذا يبرز الى أى حد يختلف النمط السائد والشائع عن النمط المثالى ، كما أشارت الباحثة الى أنه فى حالات خاصة يرى الرجل أن التعدد عبارة عن نوع من الرفاهية لا يقترب منه سوى الاغنياء .

وفى النهاية يجب الاشارة الى أن نتائج دراسة هدى قد اتفقت مع مختلف الدراسات من حيث استخدام الأب لسلطته فى تحديد مستقبل الاولاد والبنات والضغط عليهن للوصول الى مستوى تعليمى ، حيث أكدت أن الوالدين فى الطبقة المتوسطة يميلان الى فرض أكبر قدر من الضغط على أبنائهما وبناتهما للوصول الى أعلى مستوى تعليمى وهذا من خلال التنشئة الاجتماعية . ويرى الآباء أن هذا الضغط يرجع الى اهتمامهم بتأمين مستقبل أبنائهم الاقتصادى ، كما أشارت الباحثة

الى الفروق الطبقية فى هذا الصدد حيث يقف الفقر حجر عثرة فى سبيل أمانى الآباء بالنسبة لمستقبل أولادهم وبناتهم وفى فرص حصولهم على مستويات تعليمية عالية •

تاسعا ــ الدراسة الانثروبولوجية لأنماط عمالة المرأة(١٠) :

تمثل هذه الدراسة أحدث الدراسات التى تتعرض لعملية التنشئة الاجتماعية فى المجتمع المصرى • وهى دراسة أجريت فى مركز التنمية والتكنولوجيا بجامعة القاهرة بالتعاون مع هيئة العمل الدولية • وموضوع الدراسة هو « دراسة أنثروبولوجية متعمقة لأنماط عمالة المرأة والتغيرات الديموجرافية » • وقد بدأت هذه الدراسة من أكتوبر سنة ١٩٨١ • الا أن جمع الحالات المنظم بدأ من ينـاير ١٩٨٢ الى يناير ١٩٨٣ وقد غطت هذه الدراسة القطاعين الريفى والحضرى ، حيث اختيرت حالات ممثلة لهذين القطاعين فى محافظة القاهرة (لتمثل القطاع الحضرى) وقرى من محافظة الفيوم (لتمثل القطاع الريفى)، والدراسة تجرى ضمن بحث دولى مطبق على خمس دول منها مصر• وهذه الدراسة ليست جديدة من حيث وقت اجرائها فحسب بل أيضا فى استخدامها لتكنيكات ومناهج حديثة على الدراسات الانثروبولوجية• فقد استخدم فى الدراسة منهج دراسة الحالة حيث تم اختيار عينات ممثلة لأنماط عمالة المرأة المختلفة على المستويين الريفى والحضرى ، وقد اختيرت هذه الحالات بطريقة تسمح بالتعميم من كل نمط على

(١٠) مركز التنمية والتكنولوجيا ــ جامعة القاهرة ، بالاشتراك مع هيئة العمل الدولية ، دراسة انثروبولوجية لانماط عمالة المراة والتغيرات الديموجرافية ــ دراسة ميدانية ، نشرت تحت عنـوان : علياء شـكرى ، المرأة فى الريف والحضر ، دار المعـرفة الجامعية ، الاسكندرية ، ١٩٨٨ •

الأنمـاط المشـابهة وهذا جديد أيضـا ـ أى امكانية التعميم من الدراسات الانثروبولوجية ـ وقد اختيرت العينة لتمثل أنماط العمالة على النحو التالى :

١ ـ ربة منزل •

٢ ـ ربة منزل تعمل وتدر دخلا (داخل المنزل) •

٣ ـ عاملة خارج المنزل فى الحقل ، وتجارة صغيرة •

٤ ـ عاملة متعلمـة ـ مسـتوى متوسـط (دبلومات) ، عالى (مدرسات أو غير ذلك) •

٥ ـ ملمات (بعملية الخدمات) •

وقد روعى أن تكون أنماط العمالة فى الريف ـ هى نفسها فى الحضر مع التطوير طبقا لظروف البيئة الحضرية • ويتضح هنا أن مفهـوم العمالة يختلف عنه فى أى دراسة أخرى •

وقد تناولت الدراسـة عمليـة التنشئة الاجتماعية ـ من حيث انعكاس نمط العمالة على هذه العملية ، وتتبع الاختلافات القائمة فى عملية التنشئة طبقا لاختلاف نمط عمالة المرأة • والى جانب دراسـة الحالة استعانت الدراسـة بالمقابلة المتعمقة ، والملاحظـة بالمشـاركة والأخباريين •

ومن الجدير بالذكر أن المعايشة لحالات البحث لفترة سنة كاملة مكنت من التعرف على أثر عملية التنشئة الاجتماعيـة فى المراحـل العمرية المختلفة ، كما أوضحت مدى التفرقة بين الذكور والاناث ومكنت من التعرض لموضوعات ومواقف حساسة لم تتعرض لها غـيرها من الدراسات • بل وأيضا مكنت الدراسة الميدانية الدقيقة من التعرف على حقيقة التنشئة الاجتماعية كما تتم حيث نقلت الباحثين من مستوى

السؤال الى الملاحظة • فكثير من المبحوثين أكدوا عدم التفرقة بين الذكور والاناث فى مواقف التنشئة المختلفة ، الا أن الملاحظة بالمشاركة مكنت الباحثين من ملاحظة هذه التفرقة بوضوح •

وقد دلت نتائج الدراسة الميدانية ـ سواء فى الحضر أو الريف ـ على وجود اختلافات فى أساليب التنشئة الاجتماعية فى كافة المراحل التى اهتمت بها الدراسة ـ ما قبل الولادة ، الولادة ، الطفولة ، المراهقة ، ما قبل الزواج ـ وهذه الاختلافات تبعا لاختلاف نوع المهنة التى تمارسها المرأة • فقد اتضح على سبيل المثال أن هناك اختلافات فى مواقف الأمهات من التنشئة وهذه الاختلافات تابعة لاختلاف طبيعة وظروف العمل الذى تمارسه ـ فالعمل الذى يسمح للأم مثلا باصطحاب طفلها أو وجوده معها يؤثر على عملية التنشئة بطريقة تختلف عن العمل الذى لا يسمح بتواجد الطفل مع أمه أثناء العمل •

كما أكدت الدراسة وجود اختلافات فى عملية التنشئة الاجتماعية باختلاف نوع المهنة ومستوى التعليم وغير ذلك من المتغيرات بالغة الموضوعية والدقة •

الفصل الثالث

دراسة أنثروبولوجية مقارنة لأنماط التنشئة الاجتماعية
فى مجتمع محلى بدوى ومجتمع محلى ريفى فى مصر(*)

القســم الأول

الاطار النظـرى والمنهجى

أولا ــ مشكلة البحث :

ما من شك فى أن عملية التنشئة الاجتماعية من العمليات الهامة فى حياة الفرد ، لذا فقد استحوذت على اهتمام كثير من الباحثــين حتى أنها أصبحت تشكل أحد الموضوعات المميزة للدراسات العلمية خلال القرن التاسع عشر والقرن العشرين . وعلى الرغم من اهتمــام الباحثين فى شتى مجالات العلوم الانسانية ــ وبخاصة مجال علــم النفس وعلم الاجتماع الانثروبولوجيا ــ بموضوع التنشئة الاجتماعية على المستوى العالمى بوجه عام ، فلا يزال هناك قصورا ملحوظا فى الدراسات التى اهتمت بهذا الموضوع فى المجتمع المصرى بوجه خاص.

ومن هنا تبرز أهمية الدراسة الراهنة التى تأتى بوصفها محاولة لالقاء الضوء على الاساليب المتبعة فى التنشئة الاجتماعية باعتبارها

(*) عرض لرسالة دكتوراة تقدمت بهــا الدكتورة نجــوى عبد الحميد سعد الله لنيل درجة الدكتوراة من قسم الاجتماع بكلية بنات عين شمس تحت اشراف الاستاذة الدكتورة علياء شكرى .

العملية الاساسية التى يتم من خلالهـا نقـل التراث الثقافى للأفراد ليصبحوا أعضاء قادرين على المشاركة الايجابية فى المجتمع • وتنتمى هذه الدراسة الى الدراسات الانثروبولوجيـة المقارنة ، اذ تتـاولت أساليب التنشئة الاجتماعية المتبعة لاعداد الفرد منذ ميلاده وحتى يصير عضوا قادرا على الانتاج والمشاركة الفعلية فى المجتمع ، وذلك من خلال المقارنة بين نمطين ثقافيين هما النمط الريفى والنمط البدوى •

ويمثل النمط الريفى قرية ترسا مركز سنورس محافظة الفيوم • أما النمط البدوى فقد انقسم بدوره الى نمطين فرعيين هما النمـط البدوى التقليدى ويمثله مجتمع بدو الكيمان ، والآخر بدوى متريف يمثله قرية الغرق مركز اطسا محافظة الفيوم • وقد استعانت الباحثة بالقضايا العامة للاتجاه التكاملى بوصـفه اطارا نظـريا لتحليل المادة الميدانية •

ووفقا لهذا التصور تم الجمع بين أكثر من نموذج نظرى فى آن واحد ، استخدمت كاطار تصورى ملائم للدراسة • ولا يعنى استخدام هذه الاتجاهات المتعددة أننا قد جمعنا بينها جمعا ميكانيكيا ، بل يعنى ذلك أن هناك نماذج نظرية تصلح لتفسير ظواهر معينة أكثر من غيرها وهذا ما فرضته النتائج الواقعية المستخلصة من الدراسة الميدانية •

وتكمن الاهمية النظرية للدراسة باعتبارها محاولة لاثراء التراث العلمى الخاص بموضوع التنشئة الاجتماعية فى المجتمـع المصرى ، نظرا للندرة الملحوظة فى كم الدراسات التى تمت بهذا الموضوع • كما تمثل الدراسة احدى الاضافات الانثروبولوجية عن الثقافة البدوية التى ندر الاهتمام بدراستها فى المجتمع المصرى بوجه خاص • كما تأتى الدراسة كمحاولة جديدة لاستخدام اطار نظرى شامل ، استخلص من

العديد من الاتجاهات النظرية السائدة فى الدراسات السوسيولوجية الانثروبولوجية • أما الاهمية التطبيقية فتتمثل فيما تطرحه الدراسة من نتائج تساهم فى فهم بناء ومكونات الشخصية فى الثقافة الريفية والبدوية فى ضوء مكونات البناء الاجتماعى والاقتصادى لهذه المجتمعات بما يفيد خطط التنمية الاجتماعية والاقتصادية الخاصة بها وبما يماثلها من مجتمعات •

ثانيا ــ الاجراءات المنهجية :

١ ــ فروض الدراسة :

انطلقت هذه الدراســـة من اطار تصـــورى مؤداه أن المجتمعات الانسانية تتباين فى ثقافتها وبنائها الاجتماعى والاقتصادى فى أنماط التنشئة الاجتماعية ، باختلاف الأطر الثقافية والاجتماعية والأقتصادية، وفى ضوء هذه الصياغة لمشكلة البحث أثيرت عدة فروض ، وقد ظهرت أولى المحاولات لصياغة الفروض فى صورة تساؤلات على النحو التالى :

- الى أى مدى يؤدى الاختلاف ــ التمايز ــ السـكانى والثقـافى والاجتماعى بين مجتمعات الدراسة (ريف ــ بدو) ، فى منطقـة الفيوم الى اختلاف أنماط التنشئة الاجتماعية ؟
- الى أى مدى يؤدى التباين الطبقى داخل البناء الاجتماعى والثقافى للمجتمع الى تباين فى أساليب التنشئة المتبعة فى كل طبقة ؟
- الى أى مدى يؤدى التنوع فى أنماط النشاط الاقتصادى ــ المهنة ــ فى المجتمع الى تباين فى أساليب التنشئة المتبعة فى المجتمع ؟
- الى أى مدى تعتبر التنشئة عملية اجتماعية مركبة لا تقتصر على الأسرة بل تساهم فيها الى جوارها قنوات أخرى ، بدءا من الأسرة

حتى وسائل الاعلام ، مع الأخذ فى الحسبان كل وسيلة تتباين فى دورها ومدى تأثيرها طبقا لنمط الحياة داخل الاطار الثقافى ؟

— الى أى مدى يؤدى التباين فى الأنماط الأسرية (الوحدات المعيشية: نووية ، مركبة ، ممتدة) فى المجتمع الى التباين فى أساليب التنشئة المتبعة .

— الى أى مدى تتأثر حاجة الوحدة المعيشية للاطفال بمقدار مشاركتهم فى العائد الاقتصادى المعيشى لها ؟

ولقد انبثق عن التساؤلات السابقة مجموعة من الفروض التى تم بلورتها فى ضوء النتائج الاولية المستخلصة من الدراسات الاستطلاعيه لمجتمعات البحث فضلا عما يطالعنا به التراث الانثروبولوجى من قضايا أساسية فى دراسة التنشئة الاجتماعية وهى على النحو التالى

— ان التباين فى أساليب التنشئة المتبعة داخل المجتمع الواحد قد يكون نابعا من تباين ثقافة الطبقة .

— ان التباين فى أساليب التنشئة المتبعة داخل المجتمع يرجع فى جانب منه الى التباين فى أنماط المهنة (النشاط الاقتصادى) .

— ان استمرارية عملية التنشئة باعتبارها عملية تعليمية تمتد طوال حياة الفرد ، انما هى مؤشر على تعدد القنوات (الجماعات) المشاركة فيها ، بدءا من الأسرة وانتهاءا بوسائل الاعلام ، مع اختلاف الدور ومدى التأثير الذى تضطلع به هذه القنوات فى كل مرحلة تبعا لأسلوب المعيشة السائد فى اطار الثقافة الفرعية .

— ان استمرارية عملية نقل خبرات الآباء واتجاهاتهم وقيمهم الى الأبناء ما هو الا مؤشر على أن عملية التنشئة ليست قاصرة على

الوالدين فى الأسرة ، بل تشتمل على جميع أعضاء الوحدة المعيشية من الجنسين ، وبالتالى فان التباين فى الاساليب المتبعة بها انما هو تباين تابع من الاختلاف فى ضوء نمط الأسرة •

- ان التباين فى البناء الاجتماعى يؤدى بالضرورة الى تباين فى أساليب التنشئة الاجتماعية وهذا بدوره ينعكس على خصائص الشخصية •

- ان التمايز السكانى (السلالى) الاجتماعى والثقافى بين مجتمعى الدراسة فى الريف والبدو فى منطقة الفيوم يؤثر على تباين أنماط التنشئة الاجتماعية فى كل اطار ثقافى فرعى •

- ان تباين أنماط التنشئة المرتبطة بالعمل والموضوعات ذات الصلة بها مثل تنشئة الدور وادراك الأمور الدينيـة والقرابية على مستوى الوحدة المعيشية يتباين وفقا لاطار الثقافة الفرعية ، مما يؤثر على شخصيات الافراد فى كل مجتمع •

ان حاجة الوحدة المعيشية للاطفال كحاجتها الى أى سلعة أخرى ، قد يتأثر الحجم المطلوب فيها بمقـدار التكاليف النسبية التى قد تبذل من السلع والوقت وتؤثر على التكاليف النسبية للاطفال ، بالقياس الى السـلع الاخرى من جهـة ، وتأثرها من جانب آخر بالاسعار النسبية ، بمعنى : فى حالة ما تكون العناصر الداخلة فى خدمات الاطفال (انجاب — الوقت المستغرق فى التربية والتعليم لاعدادهم ليصبحوا قادرين على المشاركة الانتاجية ، أكثر تكلفة من العناصر الداخلة فى غير هذه الخدمات ، قد يؤدى الى تغيير هامشى فى الطلب على الاطفال بالنسبة للسلع الاخرى) •

- ان التباين فى أساليب تنشئة كل من الذكر والانثى فى اطار الثقافة

الفرعية الواحدة يرجع الى الاعتقاد بأن الذكر يعتبر سندا للأب والأسرة كما يرجع أيضا الى مفهوم استمرار عطاء الابن لأسرة الانجاب حتى بعد زواجه على عكس الابنة التى يتوقف عطاؤها بمجرد زواجها •

٢ ـ التعريفات الاجرائية :

بعد الاطلاع على التراث الاجنبى والعربى ، تم تحديد وتعريف بعض المفاهيم الاجرائية التى سوف يتم استخدامها فى البحث وهى : التنشئة ، الأسرة ، الدور ، العمل ، القيم •

أ ـ التنشئة : ويقصد بها عملية نقل تراث ومهارات المجتمع للفرد تبدأ منذ الطفولة المبكرة وتستمر طيلة حياة الفرد • وقد تتباين هذه العملية باختلاف النمط الثقافى (ريفى ـ بدوى) وبالتالى تتباين الأساليب المتبعة فى كل منهما ، وقد يرجع هذا التباين والاختلاف داخل المجتمع الواحد الى تطابق النشاط الاقتصادى للوحدة المعيشية أو النمط الأسرى والمستوى الطبقى والجيلى • كما أن الأسرة ليست هى الجماعة الوحيدة المهيمنة أو القائمة بهذه العملية بل تشاركها جماعات أخرى رسمية وغير رسمية ، تبدأ من الأسرة وتنتهى بوسائل الاعلام ، مع اختلاف الدور ومدى التأثير الذى تضطلع به أى من هذه الجماعات تبعا للمراحل العمرية التى يمر بها الفرد (الطفولة ، المراهقة ، النضج) ، بحيث يتم من خلالها تعليم واعداد الفرد لأداء الادوار المنوطة به اجتماعيا واقتصاديا وانتاجيا ، على مستوى الأسرة والمجتمع" •

ب ـ الأسرة : ويقصد بها فى هذا البحث وحدة الاقامة أو المعيشة المشتركة التى تضم جميع الاعضاء المشتركين فى معيشة واحدة سواء

كانت هذه الأسرة فى شكلها النووى أو المركب أو الممتد ، كما يعتبر من يعيش من أعضائها بعيدا عنها مؤقتا داخلا فى اطارها •

جـ ـ **الدور** : ويقصد به مجموعة من أنماط السلوك المتوقع من الفرد أداؤها أثناء شغله وضعا أو مركزا ما فى جماعته (الأسرة ـ المجتمع) • وتختلف طبيعة هذا السلوك أو النشاط المرتبط بأداء الدور باختلاف طبيعة المرحلة العمرية للفرد ، وكذلك باختلاف النوع (ذكر ـ أنثى) ، وكذا تبعا لاختلاف المحيط الاجتماعى والثقافى الذى يعيش فيه الفرد ويتفاعل معه •

د ـ **العمل** : ويقصد به كل نشاط اقتصادى يتسبب فى اضافة عائد اقتصادى للاسرة ، سواء كان بشكل مباشر ـ نقدى أو عينى ـ داخل المنزل أو خارج المنزل ، فى شكل خدمات أو منتج سواء للاستهلاك أو السوق •

هـ ـ **القيم** : يقصد بها الحكم الذى يصدره الانسان على شىء ما مهتديا بمجموعة من المبادىء والمعايير التى وضعها المجتمع الذى يعيش فيه والذى يحدد المرغوب فيه والمنهى عنه من السلوك •

٣ ـ أسس اختيار مجتمعات البحث :

حيث أن هدف البحث الاساسى مقارنة أساليب التنشئة الاجتماعية للفرد فى مجتمعات متباينة ثقافيا ، فقد روعى عند اختيار مجتمع البحث أن يتسم بناؤه بالتباينات الثقافية الواضحة • وفى ضوء هذه الشروط وقع الاختيار على محافظة الفيوم لأنها تتسم بوجود أنواع من السكان متباينين سلاليا واجتماعيا وثقافيا (ريف ، بدو ، بدو متريف) • كما تتميز بقربها من القاهرة (٩٠كم) ، وسهولة المواصلات

المؤدية اليها • وفى ضوء معايشة الباحثة من خلال اشتراكها فى بحث المرأة ، تم اختيار ثلاث مجتمعات متباينة ثقافيا لاجراء البحث الحالى عليها ، وهى :

١ ـ **المجتمع الريفى** : وقع الاختيار على قرية ترسا التابعة لمركز سنورس لتمثل النمط الريفى ، حيث أنها قرية تقليدية يمثل النشاط الزراعى العمود الفقرى للحياة الاقتصادية بها •

٢ ـ **المجتمع البدوى** : نظرا لتباين السكان المقيمين بمحافظة الفيوم من حيث أصولهم السلالية ، فقد انعكس هذا بدوره على تباين نمط الحياة والسكنى ، وأيضا على النشاط الاقتصادى • فيوجد داخل محافظة الفيوم أنماط من البدو هم :

ـ **بدو المشارقة** : وهم يمثلون البداوة الخالصة (التقليدية) •

ـ **بدو المغاربة** : وهم يمثلون أشباه البدو (البدو المتريف) •

ولهذا فقد راعت الباحثة عند اختيارها للمجتمع البدوى أن يكون ممثلا لأنماط البدو المستقر بمحافظة الفيوم ، وبناء على ذلك تم اختيار مجتمعين للبدو الخالص والبدو المتريف هما :

أ ـ **بدو الكيمان** : يمثل تجمع بدون الكيمان البداوة الخالصة وهم يسكنون أطراف مدينة الفيوم بمنطقة كيمان فارس ، ويتميز تجمع بدو الكيمان بتمسكه بسمات وخصائص الثقافة البدوية الخالصة من حيث احتفاظه بالهوية البدوية ، واشتغالهم بحرفة الرعى ، ومازال يغلب على نمط حياتهم التحرك الموسمى بحثا عن المراعى ، ومازالوا يعيشون فى الخيام (الحوز) المصنوعة من شعر الماعز المغزول •

ب ـ **قرية الغرق** : تمثل قرية الغرق وهى احدى قرى مركز

اطسا نمط البدو المتريف ، يعيش معظم أهل القرى والعزب ذات الاحوال البدوية فى مركز اطسا لأن الحياة مستقرة ، وذلك نظرا لقرب مناطق استقرارهم من مناطق حضرية وريفية ، وقد أدى ذلك على مر السنين الى اندماجهم فى السمات الثقافية الريفية .

٤ ــ أسس اختيار الحالات المتعمقة وخصائصها :

روعى عند اختيار الحالات المتعمقة أن تكون ممثلة للتباينات الثقافية للمجتمعات المختارة للبحث ، فضلا عن تنوعها طبقيا بحيث تشمل الطبقات الثلاث (عليا ــ وسطى ــ دنيا) ، ومهنيا (انشطة زراعية ، تجارية ، رعى ، وظائف حكومية ، مهن تخصصية) . وفى ضوء هذه الأسس تم اختيار ٣٠ أسرة موزعة على مجتمعات البحث هم :

١٥ أسرة من قرية ترسا .

٩ أسر من تجمع بدو الكيمان .

٦ أسر من بدو قرية الغرق .

٥ ــ فترة العمل الميدانى :

بدأت الدراسة الميدانية فى سبتمبر سنة ١٩٨١ ، واستمرت حتى أبريل ١٩٨٦ ، وقد انقسمت هذه الفترة الى ثلاث مراحل :

ــ مرحلة الاطلاع على التراث النظرى حول موضوع البحث .

ــ مرحلة الدراسة الاستطلاعية لاختيار مجتمعات الدراسة : سبتمبر ١٩٨١ ، مارس ١٩٨٣ .

ــ مرحلة الدراسة الميدانية المتعمقة : مارس ١٩٨٣/ابريل ١٩٨٦ .

وجدير بالذكر أن هذه المراحل كانت تتم في الغالب متداخلة مع بعضها ، وكانت الباحثة تمزج بين هذه المراحل خاصة المرحلة الاولى مع الثانية والمرحلة الثانية مع الثالثة .

٦ ـ مناهج البحث وأدوات جمع البيانات :

فقد تم اختيار المنهج الانثروبولوجي المقارن بوصفه اطارا منهجيا لأنه يخدم أهداف البحث وفروضه ، ولما له من أهمية عند دراسة موضوع أنماط التنشئة الاجتماعية لمجموعتين متباينتين سلاليا وبنائيا وثقافيا ، كما استعانت الباحثة بالطرق والأدوات الانثروبولوجية لجمع المادة الميدانية وهي : الملاحظة ، المقابلة ، دليل العمل الميداني ، دراسة الحالة ، الاخباريون ، التصوير الفوتوغرافي ورسم الخرائط .

٧ ـ أساليب التحليل والتفسير :

تبنت الدراسة الاتجاه التكاملي ، لذا فقد تعددت أساليب التحليل والتفسير من أجل بحث أكثر عمقا وفهما لواقع الظاهرة ، ومن هذه الاساليب نذكر :

أ ـ الاسلوب الكيفي لتحليل الظاهرة ، وذلك وفقا لمقتضيات المناهج المستعان بها في البحث ، وفي ضوء الاطار التصوري تم تحليل البيانات الميدانية وفقا لهذا الاسلوب من عدة أبعاد تهدف جميعا اعطاء عمق في تحليل وتفسير البيانات هي :

ـ البعد الثقافي (ريف ، بدو ، بدو متريف) .
ـ البعد الطبقي (عليا ، وسطى ، دنيا) .
ـ البعد المهني والنشاط الاقتصادي (زراعي ، رعوي ، صناعي) .
ـ البعد المرتبط بشكل الأسرة (نووي ، مركب ، ممتد) .

ـ البعد الجيلى (جيل الآباء ، جيل الابناء) .

ـ البعد العمرى (طفولة ، مراهقة ، نضج) .

ب ـ الجمع بين الاسلوبين الكمى والكيفى : تلافيا لأوجه النقد التى تتعرض لها كل من الطريقة الكمية والطريقة الكيفية كل على حدة، فقد حاولت الباحثة أن تجمع بين الأسلوب الكيفى من خلال الملاحظة والمقابلة ، والاسلوب الكمى من خلال الاستعانة ببعض الجداول المعدة لهذا الغرض ، وقيامها بعملية رصد النشـــاط وحساب النفقات ، ومن المجالات التى استخدم فيها هذا الاسلوب نظام الكساء والتعليم ورصد النشاط الاقتصادى .

القســم الثــــانى

التعــريف بمجتمعــات البحث

أولا ــ المجتمع الريفى (قرية ترسا) :

تعتبر قرية ترسا واحدة من القرى التى تتبــع مركز سنورس اداريا ، وهى قرية متوسطة الحجــم تقع بين مدينــة سنورس وقرية سنهور على بعد ٢٠كم من مدينة الفيوم • ومن الملامح الايكولوجيــة لقرية ترسا أنها قرية تقليدية فى مظهرها العام ، حيث نجد أن معظــم شوارعها غير ممهدة ومعظم الدروب تكثر بها الهضاب الترابية وأكوام السباخ «والركشة» • ولقد شهدت القرية فى السنوات العشر الاخيرة تغيرات شملت جميع جوانب الحياة الاجتماعية والاقتصادية وكان لنظام المساكن نصيب منها ،ويوجد بالقرية ثلاثة أنماط للمساكن تعكس لنا البعد الطبقى والتباينات الاقتصادية لسكان القرية ، وسوف تهتــم الدراسة بأيكولوجية المسكن لدوره البارز فى عملية التنشئة الاجتماعية، فهو الوعاء الذى تتم فيه هذه العملية ، وهذا ما سوف يتضح من ثنايا البيانات الميدانية •

النمط الأول : وهو المساكن المبنية بالطوب الاحمــر والاسمنت المسلح ، وهى مساكن تخص الطبقة العليا وبعض أسر الطبقة الوسطى• ويتكون هذا النمط من المساكن من دور أو دوين أو أكثر ، بحيث تكثر فيه حجرات المعيشة التى تتناسب مع حجم الوحدة المعيشية •

النمط الثانى : وهو المساكن المبنية بالطوب اللبن ، ويتكون معظمها من طابق واحد أو طابقين ، وغالبا ما يكون السقف من جريد النخيــل وجزوعه ، وقد اتجه الكثيرون من أصحاب هذا النمط من المســاكن الى

تحسينها باستبدال جدران المسكن بالطوب الاحمر بدلا من الطوب اللبن دون المساس بسقف المنزل أو حدوث أى تغيير فى التقسيم الداخلى • وغالبا ما يحدث هذا التحسين نتيجة لسفر أحد الابناء للعمل بالدول العربية • ويتكون المنزل من الداخل من حجرة واحدة لنوم جميع أعضاء الوحدة المعيشية من الجنسين باختلاف أعمارهم • كما يضم هذا النمط من المساكن أكثر من أسرة يشتركون جميعا فى الاقامة والمعيشة ، حيث يمثل نمط الاقامة الأبوية السمة المميزة للسكن فى القرية •

النمط الثالث : ويتكون من حجرة واحدة مبنية بالطوب اللبن وخاليا من الفتحات عدا الباب ، وتستخدم حجرة النوم لجميع الاغراض (تخزين الطعام ، للأسرة ، استقبال الضيوف ، الطهى ، الاستحمام ، الخبيز) ، وكثيرا ما يستخدم الفرن كمكان للنوم نظرا لضيق المكان ، وفى هذا النمط من المساكن تضطر الأسرة الى قضاء معظم أعمال المنزل خارجه ، ويعيش فى هذا النمط من المساكن الطبقة الدنيا •

خصائص السكان :

يبلغ عدد سكان قرية ترسا طبقا لتعداد عام ١٩٧٦ ١٠٤٦٦ نسمة، وطبقا للتعداد المحلى عام ١٩٨٤ يبلغ ١٦ ألف نسمة •

البناء الاقتصادى :

أ ــ النشاط الزراعى : يمثل النشاط الزراعى العمود الفقرى للحياة الاقتصادية حيث يبلغ عدد المشتغلين به ٢٣٣٤ نسمة ، (منهم ٢١٩٤ ذكور ، ١٤٠ اناث) أى بنسبة ٢٧٪ من عدد سكان القرية و ٨١٥٨ نسمة ٦ سنوات فأكثر •

ب ــ النشاط الصناعى يتمثل النشاط الصناعى فى القرية بصورة بارزة فى صناعة الطوب والصناعات اليدوية المنزلية •

جـ ــ النشاط التجارى : يتمثل النشاط التجارى فى بيع الخضروات والفاكهة والمنتجات الزراعية والحيوانية والحبوب والطيور والدواجن والحصر والقاطف المصنوعة من سعف لنخيل ، يتسم هذا النشاط بالطابع الانثوى ، الى جانب قيام الاناث ببيع المنتجات الحيوانية المصنعة بالمنزل (الجبن ، الزبد ، بيع البيض) • ولقد أظهرت الدراسة مساهمة النساء من خلال تجارة القاطف وبيع المنتجات الحيوانية بحوالى ٥٠٪ من الدخل الشهرى •

النسق القرابى : تشكل العائلة الممتدة (البدنة) الوحدة الاساسية للنسق القرابى فى قرية ترسا • ويتكون النسق القرابى للقرية من أربع عائلات (بدنات) هى : عائلة الطواعية ، الهوارية ، الزراغوة ، العكاسية •

ثانيا : المجتمع البدوى :

١ ــ قرية الغرق : تعتبر قرية الغرق من القرى التى تتبع اداريا لمركز اطسا ، وهى قرية تقليدية فى مظهرها العام • تمثل المساكن الحجرية النمط الشائع فى القرية • أما عن الشكل الخارجى والداخلى للمسكن من حيث تقسيماته فهو يتفق مع ما ذكر فى قرية ترسا •

٢ ــ خصائص السكان : يبلغ تعداد قرية الغرق قبلى ٨٢٩٢ نسمة طبقا لتعداد ١٩٧٦ •

٣ ــ البناء الاقتصادى :

أ ــ النشاط الزراعى : يمثل النشاط الزراعى النشاط الرئيسى فى

القرية ، اذ يبلغ عدد المشتغلين بها من الجنسين ٢٣٧٤ نسمة أى ما يعادل ٣٤٫٢٪ من جملة عدد السكان .

ب ـ النشاط التجارى : يعتبر النشـاط التجـارى بانواعه هو النشاط التالى للنشاط الزراعى ، كمـا ندخل فئـة المشتغلين بالنشاط التجارى بقرية الغرق ضمن شريحة الطبقة العليا فى المجتمع . ويأخذ النشاط التجارى عدة صور منها :

ـ تجارة الحيوانات والاغنام (يقوم بها الذكور) .

ـ تجارة الخضر والفاكهة (يختص بها النساء) .

ـ تجارة البقالة .

ـ تجارة الاقمشة (المنى فاتورة) .

ـ نشاط تربية وتجارة الحيوانات الكبيرة (البقر والعجول) .

النسق القرابى : يتميز النسق القرابى لقـرية الغـرق قبـى وتوابعها بطبيعة متميزة حيث ينقسم السكان الى مجموعتين

ـ المجموعة الاولى : الفلاحون ذوو الاصـول التى ترجع الى البدنات والعائلات الممتدة للقرية .

ـ المجموعة الثانية : البدو ذوو الاصول القبلية التى ترجع الى قبائل الرماح والحرابى والفوايد والبراعمة القادمين من ليبيا .

ثالثا ـ مجتمع بدو الكيمان :

يقع مجتمع بدو الكيمان بمنطقة كيمان فارس فى الشمال الغربى لمدينة الفيوم ، غرب كلية التربية جامعة الفيوم ويتبع اداريا مدينـة الفيوم . مازال نمط السكنى فى بدو الكيمان يحتفظ بالطابع التقليدى

للبدو ، والاقامة فى خيام (حوزة) مصنوعة من الصـــوف وشعر الماعز (بالرغم مما شهده منطقة الكيمان بصفة عامة من حركة عمرانية وبناء مساكن جديدة حديثة) • ويبلغ عدد بيوت بدو الكيمان من ٢٠ ــ ٣٠ بيت • وتقام الخيام (الحوزات) على أعمدة غير ثابتة تربط بأحبــال متينة على الأرض بأوتاد • وتنقسم هذه الخيام من الداخل الى أقسام بحيث يخصص كل قسم لغرض معين ، فهناك مكان للنوم وآخر للطهى وآخر لاستقبال الضـــيوف ، وتخصص لكـــل أسرة (وحدة معيشية) خيمة أو أكثر ، وعادة ما يلحق بالخيمة حجرة أو أكثر مبنية بالطوب اللبن • وعند زواج أحد الابناء الذكور يقوم رب الأسرة ببناء حجرة من الطين بجوار الخيمة نظرا لسيادة نظام الاقامة المشتركة مع أسرة الأب •

خصائص السكان :

نظرا لعدم توافر أى بيانات احصائية ، قامت الباحثة بدراســة مسحية للمجتمع للتعرف عليه •

أ ــ **حجم السكان** : يبلغ حجم سكان منطقة الكيمان ــ البدو ــ ٢٠٠ ــ ٢٥٠ نسمة تقريبا يتوزعون على ٢٥ أسرة (وحدة معيشية) ، متوسط عدد أفراد الأسرة الواحدة من ٨ ــ ١٢ فرد •

ب ــ **المهنة** : تشير الدراسة الى خلو مجتمـــع بدو الكيمان من التنوع المهنى (باستثناء جيل الابناء من الذكور ٨ ــ ٣٥)

البناء الاقتصادى :

أ ــ **النشاط الرعوى** : يمثل النشاط الرئيسى لمعظم أعضاء المجتمع من الجنسين باختلاف مراحلهم العمرية ، ويستثنى من ذلك الابنـــاء الذكور من سن ٨ ــ ٣٥ سنة ، حيث انهم يعملون فى حرف متنـــوعة

(نجار ، عامل بناء ، عامل نقل تراب) ، تمثل الاناث العمود الفقرى فى استمرار النشاط الرعوى عبر الاجيال .

ب ـ **الصناعات اليدوية** : غزل الصوف ونسجه من الصناعات ذات الطابع الانثوى حيث تقوم بها الاناث بجميع مراحلها .

ـ **اشغال التطريز بالخرز** : تقوم النساء البدويات بصناعات يدوية لتزيين ملابسهن (الطرح) بشغلها بالترتر الملون على أطرافها (الانتاج المحلى) .

ـ **صناعة بعض الادوات المنزلية** هناك بعض الادوات المنزلية تقوم النساء البدويات بصناعتها يستخدم فى ذلك الخامات المتوفرة فى البيئة نذكر منها :

● **البياتة** : وهى صندوق مصنوع من خليط الطين وروث الحيوانات وتستخدم لمبيت الحيوانات الصغيرة .

● **المظفرة** : عبارة عن كيس من قماش الدمور تقوم السيدة بسد الجانبين ، وتعمل له يد من الصوف تعلقه على رأسها ويستخدم لحمل الوليد أثناء الخروج للرعى .

جـ ـ **النشاط التجارى** : ويتم على أكثر من مستوى :

ـ **مستوى السوق الخارجى** : يقوم به الذكور البالغين بالسفر خارج محافظة الفيوم لبيع الحيوانات فى المواسم كعيد الاضحى .

ـ **مستوى السوق المحلى** : يقوم به الأب أو أحد الذكور البالغين بالذهاب أسبوعيا أو وقت الحاجة لبيع جزء من انتاج الحيوانات الصغيرة بشراء متطلبات الأسرة من غلال ومواد استهلاكية .

ـ **مستوى التجارة بالمنزل** : بيع ما تقوم النساء بتربيته فى المنزل من حيوانات ومنتجاتها والطيور .

النسق القرابى :

تمثل جماعة البيت الوحدة القرابية العاصبة الاساسية للنسق القرابى فى مجتمع بدو الكيمان ، حيث تتألف جماعة البيت من عدد من العائلات التى يرتبط أفرادها بروابط قرابية الناتجة عن اشتراكهم فى جد واحد مشترك ، ويرجع الانتماء السلالى لجماعات بدو الكيمان الى قبيلة العمراب ـ كما يقول أحد الاخباريين ـ من بنى عجلان فى بلاد العرب ، شبه الجزيرة العربية • ويتكون مجتمع بدو الكيمان حاليا من بيتين هما : بيت الرئيس ويضم ١٨ عائلة ، وبيت العربى ويتكون من ٧ عائلات •

القســـم الثـــالث

أولا : التنشئة ودورة الحيـــاة

١ ــ الانجاب ومرحلة الطفولة :

يعتبر الانجاب من القيم الهــامة فى مجتمعات البحث ، ومن ثم تتولى عمليات تربية الاطفال مهمة غرس هذه القيمة فى نفوسهم من خلال الاقوال والعبارات (أسلوب التلقين اللفظى) التى تحمل معانى الامتياز والرغبات فى أن يكون لهؤلاء الصغار (ذكورا واناثا) ذرية : « عقبال ما نفرح بيك » ، « عقبال ما ناكل وتشرب فى بيتك » • وتتبلور أهمية الانجاب وتتركز حول الابنة (الأنثى) باعتبارها محورا أو وعاء الحمل والانجاب • من ثم تربى على أن الدور الاساسى لها فى الحياة هو الامومة ، وانه هو السبيل لتحقيق مكانتها ومنزلتها فى الحياة ، وذلك لتحقيق أحد القيم التى يتطلبها المجتمع ، ويبدأ القلق من عدم الانجاب بعد مرور عام على الزواج • ويدور فى مجتمعات البحث (الريفـــى والبدوى) عدة مصطلحات للاشارة الى العقم الذى ينسب الى السيدات أكثر من الرجال : فيستخدم لفظ «عاقر» أو « دكر الوز » ، فى حين ترجأ نسبة العقم للرجل الا اذا لم ينجب بعدزواجه الثانى وخاصة اذا كانت الزوجة الثانية قد سبق لها الزواج والانجاب فيطلق عليــه عاقر أو « عادم النبع » •

ــ **الولادة** : تجمع آراء معظــم الاسر بمجتمعات البحث على اعلاء قيمة الذكر ويتضح ذلك من أقوالهم عند الميلاد : « ولادة الولد يفرح لها التعبان فى الشق » لأن الولد منــه العمار • والعكس عنــد الإعلان عن ميلاد الانثى فى الاسرة ، خاصة بعد ولادة عدد سابق من

الاناث دون ذكر . فتنقلب الامور ويخيم الحزن وتتجمد البسمة على الشفاه ، وينعكس ذلك فى أقوالهم : « اخص على البطن اللى حملتها » « خسارة التعب اللى شافته الأم طوال التسع شهور » . وفى أحيان كثيرة قد يتسبب انجـاب أكثر من أنثى بدون انجاب ذكر فى تفكير الزوج فى الزواج من أخرى لانجاب الذكور . ويتضح مما سبق مدى أهمية قيمة انجاب الذكور التى ينشأ عليها أعضاء مجتمعات البحث ، ومدى انعكاس هذه القيمة على مكانة ووضع كل من المرأة والرجل(*) فى محيط أسرته والدوائر القرابية .

ــ التسمية : وفى ضـوء ما أسلفنا القول من اعـلاء مجتمعات الدراسة لقيمة الذكور جاءت التسمية لأبنائهم الذكور بأسماء غريبة أو محقرة خوفاً عليهم من الحسد مثل : « شوال ، خيشة » ، والتسمية بأسماء المسيحيين (اسحق ، عيسى) . ويبدو ذلك فى الاسر التى تكثر فيها وفيات الاطفال من الذكور . ولكن هذا لا يمنع من أن هنـاك بعض الاسر فى الريف (الطبقة العليا والمتعلمين من الطبقة الوسطى) يجمعون بين التسمية بالأسماء الدينية وبين الاسماء الغريبة والقبيحة . أما الاناث فعادة ما يتم تسميتهن بأسماء اناث الدرجات القرابية الناصبة ، الى جانب التسمية بأسماء بنـات وزوجات الرسول ﷺ (خديجة ، فاطمة) ، الى جانب لك ، فهناك انتشار للاسماء الحديثة فى جيل الابناء (رامى ــ خالد) . فى حـين جاءت الشـواهد الميدانية للمجتمع البدوى (الكيمان ، الغرق) انفرادهم بالتسمية بلون معـين

(*) وتتلخص قيمة الذكور كما تبدو فى أقوال معظم أعضاء مجتمعـات الدراسة : انجاب الذكر يمثل العزوة ، السند والملجأ ومصـدر الامن عند تقدم الوالدين فى السن ، يمثل العون والمساعدة للوالدين فى الحياة .

من الاسماء على مدى الاجيال وهى التسمية بالاسماء التى تحمل معنى (السلامة : سليمان ، سليم ، سالم) (سليمة سلامة) ، والتسمية باسم اليوم الذى ولد فيه (خميس ، جمعة) أو باسم الفصل (ربيع).

ـ **السبوع** : تمثل ليلة السبوع فى مجتمعات الدراسة (الريف والبدو) ليلة من ليالى الفرح ، وليس شرطا أن يتم الاحتفال بعد سبعة أيام ، لكن قد يكون بعد تسعة أيام . كما يراعى أن يكون يوم الاحتفال بالسبوع يوما فرديا ، كما جاءت البيانات الميدانية أن هناك شبه اتفاق بين اتجاهات مجتمعات الدراسة على تأكيد التفرقة بين الذكر والانثى فى مظاهر الاحتفال بالسبوع .

ـ **احتياطات بعد الولادة** : وتشمل العناية بالام والطفل :

العناية بالأم (الوالدة) : تؤكد الدراسة بأن هناك العديد من الاحتياطات التى تجرى فى مجتمعات البحث ـ الريف والبدو ـ ويهدف سلامة الام ـ الوالدة ـ والطفل ، وتضطلع الأم (الجدة أو الحماة) بنقل وتعليم هذه الاحتياطات الى الام اذا كانت تجهل بعضها خصوصا اذا كان الطفل المولود ذكرا ، أو ترغب فى انجاب المزيد من الذكور ، فيتم هذا الحفاظ تحت ما يطلق عليه المشاهرة (أى ينقطع انجابها أو يقل لبن الثدى) . ولذا تدرب الواضعة على كيفية درء خطر المشاهرة التى قد تحدث اما نتيجة دخول أنثى طامثة أو دخول لحوم نيئة أو طماطم أو برسيم جاف ، وذلك من أجل المحافظة على السيدة من خطر المشاهرة ، وخاصة تلك التى تضطر للخروج الى العمل قبل تمام الأربعين يوما ، (تحمل معها حبوب برسيم وسبع نوايات) .

* **العناية بالطفل الوليد** : يتركز مجال الاحتياطات بعد الولادة حول للعناية بالوليد ، اذا كان الوليد ذكرا لأنه يمثل المحور الذى حقق

قيمة من القيم التى يتطلبها المجتمع من الزواج ، ولذا تجرى بعض الممارسات التى تهدف الى حماية الطفل من الحسد أو ايذاء القرينة ؛ وعلى سبيل المثال لا الحصر نذكر :

ــ أن تتسول الأم عملات معدنية من سبع أشخاص اسمهم محمد، ثم توضع هذه العملات (القرش المخروم) فى فتله وتعلق فى رقبة الوليد •

ــ أو أن تتسول له ملابس قديمة ، وتراعى الأم أن تلبس الذكر ملابس الانثى حتى سن ٣ سنوات •

ــ **الرضاعة** : تمثل الرضاعة الطبيعية النمط الشائع فى مجتمعات الدراسة (الريف/البدو) ، كما أكدت الدراسة أن هناك شبه اتفاق بين مجتمعات الدراسة على التفرقة بين الذكر والانثى فيما يلى :

● **مدة الرضاعة** : تكون للانثى من سنة الى سنة ونصف ، وللذكر من ٢ ــ ٣ سنوات وجدير بالذكر أن عملية الرضاعة فى مجتمعات الدراسة لا تتم بوصفها نشاطا منفردا ، ذلك لأن رعاية الطفل تمثل نشاطا ثانويا بالنسبة للنشاط الاقتصادى الذى تقوم به الأم أو السيدة سواء بالمنزل أو خارجه • كما لاحظت الباحثة أن عملية الرضاعة لا تخضع لنظام ثابت فى توزيع عدد الرضعات بالنسبة لساعات اليوم، ذلك لأن هناك علاقة قوية بين بكاء الطفل وبين ارضاعه لأن معظم أمهات مجتمعات الدراسة أميات يفسرن بكاء الطفل بأنه نتيجة للجوع•

ــ **الفطام** : كما اتفقت آراء معظم أسر مجتمعات الدراسة الريفية والبدوية على التباين فى مواعيد الفطام للذكر والانثى ، والميل الى تأخير فطام الذكر بصفة عامة • فعادة ما يتم فطام الانثى فى سن من ١ ــ $1\frac{1}{2}$ سنة والذكر فى سن من $1\frac{1}{2}$ ــ ٢ سنة وقد يصل

الى ٣ سنوات فى حالة ترمل المرأة . ويرجع سبب التأخير الى شدة الخوف على الذكر من الاصابة بالأمراض . ومجيء الذكر بعد فترة انتظار طويلة ، وانخفاض المستوى الاقتصادى . ولكن هذا لا يمنع من أن تقوم الأم بتقديم الطعام لوليد الذكر بشكل تدريجى بعد العام الاول . أما عن أسلوب الفطام ، فأكدت الدراسة أن هناك شبه اتفاق بين مجتمعات الدراسة على الجمع بين أسلوبى الفطام الفجائى(*) والتدريجى . ويشيع استخدامه فيما بين المستويات الاقتصادية المنخفضة والامين ، ولكنه يتباين كلما ارتفع المستوى الاقتصادى والتعليمى للأم ، وكبر حجم الاسرة ساعد على الاخذ بنظام الفطام التدريجى وذلك لمعاونة كبار السن فى عملية التنشئة .

— عادات الطعام : أكدت الدراسة أن هناك شبه اتفاق بين مجتمعات الدراسة — الريف والبدو — على أن عملية تناول الطعام من العمليات التى يتعلمها الطفل بمفرده من خلال ملاحظة الأخوة الاكبر منه سنا وتقليدهم ، وفى ضوء ذلك ينشأ الطفل ويشب على ممارسة عادة تناول الطعام بتصرفات غير ملتزمة بقواعد الآداب العامة والصحة لأنه لم يوجه من قبل البالغين على تعديلها أثناء مراحل تعليمه لهذه العادات ، ومثال ذلك :

— عدم غسل الأيدى قبل وبعد الطعام مكتفيا بمسح الايدى بالملابس .

— اصدار أصوات أثناء تناول الطعام (التجشؤ) .

(*) يقصد بالفطام الفجائى بأن يتم الفطام مرة واحدة باستخدام المواد الحريفة كالشطة والصبار ، ويتميز هذا الاسلوب بالسرعة — ٣ أيام تقريبا .

ــ عدم مراعاة التذوق فى تناول الاطعمة ، فيمكن أن يتناول طعاما حلو المذاق يليه طعام حادق المذاق .

ــ يتعلم الطفل أن يرضى بكل ما يقدم له من طعام مهما كان بسيطا بنفس راضية (قيمة القناعة) كما أظهرت الدراسة أن هناك شبه اتفاق بين مجتمعات الدراسة على استمرارية التفرقة بين الذكر والانثى عبر مراحل تنشئتهم ، فقد لاحظت الباحثة اصرار مجتمعات الدراسة على التفاوت فى كميات الطعام لكل من الذكر والانثى ، وقد تصل الى حرمان الانثى من نصيبها المحدد من الوجبة من أجل أن ترضى الذكر ، ويتبلور ذلك فى مجموعة من العبارات الشائعة فيما بين الامهات فى الطبقة الدنيا حين يجلس الابناء من الجنسين لتناول الطعام سويا . فعادة ما توجه الام هذه الكلمات الى الإناث « خفى ايدك من الغموس وكلى من على الوش ، أو : ما تحفيش يا بنت رسيبى لاخوكى شوية » ، . بالاضافة الى ما سبق ، تؤكد الدراسة أن هناك علاقة بين المستوى الاقتصادى المنخفض للاسرة ، وبين كمية الطعام التى تقدم للفرد وذلك فى ضوء عاملين : **الاول** : حجم المساهمة فى العائد الاقتصادى ، وبالتالى فان العضو البالغ يتناول نصيبا أكبر من العضو غير البالغ ، **والعامل الثانى** : النوع أو الجنس : فنجد نصيب الانثى يقل عن نصيب الذكر بالرغم من تقارب حجم مساهمتها فى العائد الاقتصادى للاسرة ، وبذلك نجد الازدواجية فى التنشئة والتفرقة تصل الى أبسط الحقوق وهو الطعام .

ــ **الاخراج ونظافة الطفل** : بالرغم من أهمية قيمة النظافة بالنسبة لصحة الطفل بصفة عامة ، فانها لا تلقى الاهمية والاهتمام من جانب الأم ، حيث تشير الدراسة الى وجود علاقة بين التباين

الطبقى وتعليم الأم وبين الاهتمام بقيمة النظافة بصفة عامة ، ونظافة الطفل بصفة خاصة . ويتضح ذلك مما يلى :

ـ أن هناك شبه اتفاق بين اتجاهات الامهات فى كل من الطبقة الدنيا وبعض أسر الطبقة الوسطى الاميات ، فى مجتمع الدراسة على ضعف قيمة النظافة ، والتى تنعكس بدورها فى صورة اهمال نظافة الوليد والعناية به متمثلة فيما يلى :

ـ عدم مبادرة الامهات الى تغيير ملابس الوليد (اللفة) عند التبول .

ـ العداء الشديد بين الماء وجسم الوليد طوال العام الاول خصوصا فى فصل الشتاء وذلك بسبب الخوف الشديد على الطفل واعتقادهم بأن استحمام الطفل وتشطيفه سوف يؤدى الى تعرضه لنزلات البرد .

ـ هناك شبه اتفاق لدى الامهات بأن لا يمثل اتساخ ملابس الطفل بالبراز أو الطين أو التراب مصدرا للانزعاج خصوصا فى الفترة من ٢ ـ ٤ سنوات ، ولكن التصرف المألوف لدى معظم الامهات الريفيات والبدويات هو اظهار الغضب بالدعاء عليه (ضربة فى سوتك ، يدبلك ويحط عليك) .

وفى ضوء ما أسلفنا ، خلصت الدراسة بأن من أهم سمات التنشئة الاجتماعية الخاصة بالعناية بالطفل والنظافة فى الطبقة الدنيا فى مجتمعات الدراسة (الريف والبدو ـ الغرق ـ الكيمان) ـ ما يلى :

أ ـ الميل إلى التساهل وعدم المبالاة بالنسبة لعمليات النظافة العامة للوليد .

ب ـ الخوف الشديد من استحمام الطفل حديث الولادة .

جـ ـ اقتصار نظافة الوليد فى فترة الاربعـين يوما الاولى على مسح جسمه بقطعة قماش عقب عمليـة التبرز ، وبل يد الام ومسح إنوجه بالماء ، ويرجع ذلك الى انخفاض المستوى الاقتصادى مع أمية الأم ، زاد من أهمال قيمة النظافة ووصل الى حد اهمال العناية بالطفل والتسيب فى مراقبته حتى يبدأ التحرك ويخرج لمنطقة الجيرة واللعب، بأن يتعامل مع مكونات البيئة من تراب وطين وأحجار وماء قذر ، بوضعها فى فمه ، الى جانب تسببه فى اتساخ ملابسه . فى حين أظهرت الدراسة تباين قيمة النظافة فى مجتمعات البحث تبعا لتباين المستوى الطبقـى وتعليم الام ، بمعنى ما يتميز به هذا المستوى من نوفر كافة الامكانيات المادية اللازمة لتحقيق النظافة داخل المنزل (الماء والصابون والملابس والغيارات) وتعليم الام ومن خلاله يتركز الوعى لديها بأهمية قيمـة النظافة (المسكن ، الملابس ، الطعام ، الجسم) ، ثم ينعكس ذلك على العناية بالطفل .

الرعاية الصحية :

فى ضوء ما أظهرته الدراسة الخاصة بتنشئة النظافة ، لوحظ أن هنـاك عدة عوامل أدت الى عدم توافر الرعاية الصحية للافراد فى مجتمعات الدراسة ، ولذا تحاول الدراسة تتبع طرق التنشئة الخاصة بالتعامل مع الامراض المختلفة . فخلصت الدراسة الى وجود أكثر من اتجاه سائد فى مجتمعات الدراسة فى تعامله مع الامراض هى :

الاتجاه الاول : التعامل بالطرق التقليدية الشعبية بصور خالصة فى العلاج .

الاتجاه الثانى : الاستعانة بالطب الرسمى الحديث .

الاتجاه الثالث : خليط بين الاستعانة بالطب الشعبى التقليـدى والطب الرسمى .

كما أظهرت الدراسة بأن هناك عدة عوامل تتدخل فى تحديد اتجاه طرق العلاج التى يتبعها أفراد مجتمعات البحث ، وذلك على النحو التالى :

ـ اتباع طرق التنشئة التقليدية خاصة فيما يتعلق بالمفاهيم السائدة عن أسباب المرض ، كما أظهرت الدراسة أن هناك شبه اتفاق بين أفراد مجتمعات البحث الريفى أو البدوى من الطبقة الدنيا ، وبين ارجاعهم حدوث أغلب الامراض الى الحسد ويتجلى ذلك بصورة واضحة فى حالات مرض الاطفال •

ـ اعلاء التنشئة التقليدية من قيمة التجارب السابقة للاجداد •

ـ كما أكدت الدراسة أن هناك علاقة بين المستوى الاقتصادى المرتفع وتعليم الوالدين وبين الاستعانة بالطب الرسمى فى المجتمع الريفى يتمثل فيما بين أعضاء الطبقتين العليا والوسطى المتعلمين ، ولكن هذا لا يمنع من استعانة أعضاء الطبقة الدنيا الفقيرة بالطب الرسمى فى الحالات التى يعجز الطب الشعبى عن شفائها •

ـ هناك علاقة بين ارتفاع المستوى التعليمى لأعضاء الاسرة وبين الاستجابة للحملات القومية الخاصة بالتطعيم ضد الامراض •

ـ **الكساء :**

كشفت الدراسة عن تعمد أساليب التنشئة غرس بعض العادات والمفاهيم الثقافية ، ما يرتبط بنظام وعادات الكساء فى مجتمعات البحث ، وان كان ذلك يتأثر بمتغيرى الطبقة والتعليم • لقد أكدت الدراسة أن هناك شبه اجماع بين مجتمعات الدراسة : الريف (الطبقة الدنيا) ، وبدو الكيمان والطبقة الدنيا ببدو الغرق على :

- الاهمال فى شراء ملابس جديدة للوليد منذ ولادته حتى بلوغه سن من ٢ — ٣ سنة ، واعتماده على ملابس البالغين القديمة بعد تحويلها وتحويرها وتعديلها لتناسبه (غيارات داخليــة ، البنطلون اللفة ، الجلباب) •

- وقد تقوم الام بتجميع فضلات ملابس البالغين وتصنع ملابس الطفل ، خاصة اذا كان هذا الطفل ذكرا ، الى جانب حرص الام على أن يرتدى الطفــل الذكر ملابس الاناث من المهــد حتى ٣ سنوات كوسيلة من وسائل اتقاء الحسد •

- هناك شبه اتفاق بين مجتمعات الدراسة فى المستوى الاقتصادى المنخفض على وجود تفرقة بين نفقات كساء كل من الذكر والانثى ، وليس ذلك بين من هم فى فئة عمرية متقاربة فحسب ، بل تتضح التفرقة بزيادة نصيب الذكر على الانثى التى توازيه فى الفئــة العمرية والتى تكبره والتى تصغره •

— ان هنــاك شبه اتفــاق بين مجتمعات الدراســة فى المستوى الاقتصادى المنخفض على أن كساء أعضاء الوحدة المعيشية يتم مرة واحدة فى السنة ، ولا يحدث لجميع أعضاء الاسرة فى وقت واحد ، على عكس الطبقات الاقتصادية العليا والمتوسطة ، حيث تتعدد مرات الكساء تبعا لفصول السنة (الصيف والشتاء) ، الى جانب المناسبات الاجتماعية (الافراح والختان) • وخلاصــة القول أن نظام الكساء للفرد طوال مراحل نموه يظل متأثرا بالمفاهيم الثقافية والبعد الطبقى والمستوى التعليمى للاسرة التى هو عضو فيها

السمات الثقافيــة للزى فى المجتمــع الريفــى والبــدوى المتريف : (قرية ترسا/الغرق) :

من السمات المميزة للملابس فى قرية ترسا وبدو الغرق انتشــار

الجلباب لكل من الذكور والاناث كما لاحظت الباحثة تباين نوعية القماش المستخدم فى صنع الجلباب ، ويتخذ المجتمع نوعية القماش كرمز للطبقة الاجتماعية التى ينتمى اليها الفرد • أما بالنسبة لملابس الاناث (الطبقة الدنيا والوسطى الامية) ، فليس هناك فرق بين زى البنت والمرأة المتزوجة صغيرة السن نسبيا ، ويتميز هذا الزى بالآتى :

- ارتداء الملابس القطنية المنقوشة ذات الالوان الزاهية للعمل •
- يتميز الجلباب بالاتساع والقصر مع الكشكشة عند الوسط •
- تتميز الملابس بفتحة الصدر الواسعة لتسهيل عملية الرضاعة فى أى مكان •

- يشيع استخدام الاقمشة اللامعة لعمل الملابس الخاصة بالمناسبات الاجتماعية مع ارتداء شال ملون أو ايشارب •

- تمثل الكحل والحناء والعطر أدوات الزينة الرئيسية للمرأة المتزوجة فى الريف •

- أما السيدات كبار السن والارامل فتتميز ملابسهن بكونها من اللون الاسود كرمز للوقار والحشمة ، ويشيع ارتداء هذه الملابس أثناء العمل والمناسبات الاجتماعية السعيدة (الافراح ، الطهور) الى جانب ارتداء الطرحة السوداء ومنديل الرأس الاسود •

* السمات الثقافية للملابس فى مجتمع بدو الكيمان :

لا يوجد تباين واضح فيما بين ملابس الذكور فى المجتمع الريفى (الطبقة الدنيا) ، وملابس الذكور فى مجتمع بدو الكيمان الا فى تفضيل البدو ارتداء الجلباب المصنوعة من قماش الدامور أو القطن الساده • أما بالنسبة لملابس الاناث البالغات والمتزوجات فتتميز

بالشكل المحتشم الذى لا يظهر أى أجزاء من جسمها . فترتدى الانثى البالغة الملابس ذات الأقمشة القطنية زاهية الالوان المنقوشة ، داخل وخارج المنزل، مع بنطلون من قماش القطن ، ويرتدين على رؤوسهن ايشارب ملون وطرحة سوداء . أما المرأة المتزوجة فمازالت تحتفظ بالزى البدوى التقليدى وهو عبارة عن جلبات طويلة من القماش القطن الساده ذات اللون الاسود مع فتحة صدر متوسطة ، الى جانب ارتدائها بنطلونا من القماش القطن الساده أو المنقوش ، وربط الحزام فى وسطها كرمز للمرأة المتزوجة . الا أن الدراسة أظهرت أن هناك اختلافا فى الرموز الخاصة بارتداء الحزام قبل اجراء هذا البحث ، حيث كانت ألوان الحزام متعددة بتعدد المناسبات الاجتماعية فى المجتمع . اللون الابيض كرمز لفترة الحداد ، أما الحزام الملون فيرمز الى المناسبات السعيدة ، الى جانب أنه زى مشترك بين البنت والمرأة . فى حين اقتصر ارتداء الحزام الآن على المرأة المتزوجة ، إلى جانب عدم التقيد بلون معين بالاضافة الى أنه يستخدم كرمز لعفة المرأة قديما وحديثا ، وان كانت النساء فى مجتمع بدو الكيمان يلبسن الحزام بغرض استخدامه كحامل يعاق فيه المغزل اليدوى أثناء نشاط الرعى . أو بغرض تثبيت ملابسهن وظهورهن أثناء ممارستهن لنشاط الرعى لما يتطلبه هذا النشاط من كثرة الانحناء والوقوف والسير لساعات طويلة . وتضيف احدى الاخباريات : « الحزام ده لازم للواحدة منا اللى بترعى علشان يمسك ظهرها » .

٨ ــ مكان النوم واكتساب العادات المرتبطة به :

أظهرت الدراسة أن هناك فروقا ريفية وبدوية بشأن الفصل فى أماكن نوم الذكور والاناث ، التى انعكست بدورها على تباين درجة معرفة ــ ادراك ــ الطفل فى المجتمعين (الريف والبدو) بالثقافة

الجنسية ، فبالرغم من تشابه الظروف والعوامل الايكولوجية للمسكن فى مجتمعى البحث الريف (الطبقة الدنيا) والبدو ، الذى يسمح للفرد بالتعايش مع دورة حياة الحيوان (الجماع – الولادة – الاخراج) . ومن جهة أخرى سماع الاطفال لأحاديث البالغين : الا أن الفصل فى أماكن النوم بين الذكور والاناث البالغين ، والاطفال ، عامل حاسم يعزى اليه تباين درجة معرفة الطفل للثقافة الجنسية فى مجتمعى البحث الريف والبدو . كما أكدت الدراسة الفروق الريفية البدوية من حيث قلة استخدام الطفل البدوى نسبيا للالفاظ والشتائم باستخدام أسماء الاعضاء الجنسية أثناء اللعب ، فى حين تشيع بين الاطفال الريفيين الى جانب وجود نسبة من حالات الاعتداءات الجنسية وجرائم الاغتصاب فى مرحلة المراهقة فى الريف .

٢ – مرحلة المراهقة والبلوغ

تمثل مرحلة المراهقة والبلوغ مرحلة من مراحل النمو التى يصاحبها تغير فسيولوجى ملحوظ ، وأهم تغير يحدث هو البلوغ الجنسى الذى يمثل نقطة تحول وعلامة انتقال من الطفولة الى المراهقة . فى حين أظهرت لنا الدراسة أن مفهوم المراهقة أمبيريقيا يشير الى معنى النضج والبلوغ الذى من أهم علاماته تغير صوت الذكر وظهور الشعر، أما بالنسبة للانثى فهى بداية الدورة الشهرية وبروز الثديين . ومن ثم يؤهل هذا الفرد للقيام بالدور المتوقع منه بحكم الجنس هو أن يقوم الذكر بدور الرجل وأن تقوم الانثى بدور المرأة . وفى ضوء ما سبق سوف تعالج الدراسة موضوع المراهقة فى ضوء القدرة على تحمل المسئولية ، والقدرة على الزواج وتكوين أسرة . ونظرا لما أظهرته الدراسة من وجود ازدواجية فى عمليات التنشئة الخاصة بكل من الذكر

والانثى فى هذه المرحلة : فسوف نتناول هذا الموضوع باعتبار المراهقة مرحلة مسئولية بالنسبة للجنسين • ويكون ذلك على النحو التالى :

المراهق الذكر : المسئولية والحرية •

الانثى المراهقة : المسئولية والقيد •

التنشئة الاجتماعية : السلوك الجنسى القيد العام للذكر والانثى•

أ ـ المراهـق الذكـر :

* **المسئولية والحرية** : ويعنى تحمـل المسئولية الاجتماعيـه والاقتصادية كاملة للذكر ، وان يقوم الذكر بأداء دور البالغين من نفس جنسه داخل وخارج الوحدة المعيشية ، ويعرف متطلبـات الدور من حقوق وواجبات • أما المسئولية الاقتصادية فتتمثل فى المشـاركة فى اقتصاد وحدة المعيشة ، ومن خلال قدرته على الانتاج • وهذا يعنـى بعبارة أخرى انتهاء الذكر من عملية التدريب والاعداد ليكون عضـوا منتجا ، حتى يتسنى له تحقيق المشاركة الاقتصادية المتوقعة منه للاخرين على مستوى الوحدة المعيشية ، وعلى مستوى المجتمع ، وقيامه بدور الانابة عن الأب • وبالرغم مما أظهرته الدراسة من اتفاق اتجـاهات مجتمعى البحث (الريف والبدو) على مفهوم البلوغ بأنه يعنى تحمل المسئولية والمشاركة فى الاقتصاد المعيشى للاسرة والمجتمع ، الا أن ذلك لا يعنى أن هناك قدرا من الاتساق والانسجام الذى يجعـل من هذا المفهوم (البلوغ) يصـل الى درجة التعميم داخل المحتـوى الثقـافى للمجتمع • وهذا ما أشارت اليه آراء أعضاء المجتمع الريفى من اختلاف مفهوم البلوغ بكل من الطبقـة العليا وبعض أسر الطبقة الوسـطى المتعلمين من حيث استمرار فترة اعتماد الابناء على الوالدين اقتصاديا• ويرجع ذلك الى انشغال معظم أبناء هذه الطبقة بالتعليم ومواصـلة

الدراسة حتى الحصول على شهادة (عليا/متوسطة) يؤهله للحصول على وظيفة حكومية ، وبالتالى استغناء أسر هاتين الطبقتين عن أبنائهم واعتمادهم على الغير فى مباشرة أعمالهم . وقد أدى ذلك الى عزلة ذكور هاتين الطبقتين عن الحياة العملية ، وتأجيل عملية الاعداد للحياة العملية الى ما بعد الانتهاء من الدراسة . وحتى بعد الحصول على الشهادة تقتصر خبرته على العمل بالوظائف الحكومية ويقتصر دوره فى مجال الزراعة على عملية الاشراف والمتابعة .

* **المسئولية الاجتماعية** : وفى ضوء مفهوم البلوغ لدى مجتمعات البحث (ريفى/بدوى) يتم الربط بين مرحلة البلوغ على أنها مرحله النضج العام والسن المناسب للزواج ، الذى يؤهله للقيام بالدور الاجتماعى المفروض عليه بحكم الجنس ، الى جانب تمتعه بقدر من الحرية بالمقارنة بفترة الطفولة ، والقدرة على الحركة والتحرك داخل المجتمع . كما يمثل معيار تحمل المسئولية كاملة فى المجتمع شرطا يلازم تشرب البالغ من الجنسين لقواعد السلوك والآداب الاجتماعية فى المجتمع حتى يكون أهلا له للدخول الى عالم الكبار ، ومن هذه المعايير نذكر على سبيل المثال لا الحصر :

- مبدأ احترام السن : لابد أن يراعى فى تصرفاته احترام الصغير للكبير - عدم التدخل بقطع الحديث - عدم التدخين .

- تحاشى الجنس : أى التباعد بقدر الامكان عن الاحتكاك بالجنس المغاير .

- البعد عن الاساليب الطفولية فى التعامل : أى الميل الى محاكاة البالغين والاندماج فى عالم الكبار ومشاركته فى الاحداث الاجتماعية فى المجتمع .

مشكلات المراهق : من المشكلات التى أظهرتها الدراسة نذكر مثالا لذلك : المشكلات الجنسية ، العلاقات بالجنس الآخر ، التدخين وشرب الخمر ، لعب القمار • ولكن كشفت الدراسة عن تشابه مشاكل الشباب المراهق فى مجتمعات البحث : الريفى والبدوى ، بصفة خاصة بالنسبة للتدخين ، ويرجع ذلك الى الاستقلال الاقتصادى الذى يحققه الصبى فى سن مبكر •

ب ـ الأنثــى المراهقــة :

* **المسئولية والقيد** : يعنى بلــوغ الانثى فى مجتمعات البحث فرض القيود الثقافية الى أبعد مداها وتحمل المسئولية بالمشــاركة فى اقتصاديات الاسرة (الانتاج المعيشى) سواء ما يتم أداؤه داخل المنزل ـ كالصناعات المنزلية ـ أو خارج المنزل كالعمل فى الحقول ومصانع الطوب والرعى والتجارة الصغيرة وذلك بالنسبة لاناث الطبقة الدنيا• أما بالنسبة للطبقة العليا وبعض أسر من الطبقة الوسطى من المتعلمات تؤجل المشاركة لحين استكمال الدراسة والحصول على شهادة تتيــح لها فرصة الالتحاق بالعمل الوظيفى داخل وخارج المجتمع • كما أكدت الدراسة أن هناك شبه اتفاق فيما بين مجتمعات البحث الريف والبدو، بأنه بالرغم من تقارب حجم المشاركة الفعلية للانثى فى الطبقة الدنيــا فى اقتصاديات المعيشة للاسرة فى مرحلة البلوغ مع حجم مشاركة الذكر، الا أن هذه المساواة لا تعطيها نفس المزايا التى يكتسبها الذكر فى هذه المرحلة ، بل تفرض عليها العديد من القيود الثقافية ، مثال :

ـ **تقييد الحرية** : يقصد ببلوغ الانثى فى مجتمعات البحث الريفى والبدوى النضج الجسمى ، ومن العبارات الشائع استخدامها (البنت فايرة ، البنت ادورت) ، والانتهاء من مرحلة الاعداد والتدريب اللازم

لقيامها بدور الزوجة والام • ويعنى فى نفس الوقت زيادة قلق الاسرة عليها • وينعكس ذلك فى تقييد حريتها وحركتها وعدم خروجها فى غير أوقات العمل ، وذلك لارتباط مفهوم الانثى فى مجتمعات البحث بمعنى العار . وإطلاق الشائعات ومسك السيرة . ولذلك :

ـ تمنع الانثى فى الطبقة العليا وبعض أسر الطبقة الوسطى المتعلمة من الخروج واللعب فى منطقة الجيرة من سن ٨ ـ ٩ سنوات، ويستثنى من ذلك الانثى التى تذهب الى المدرسة ، أما التى لم يحالفها الحظ فى التعليم فتبقى فى المنزل •

ـ فى حين تواصل الانثى فى المجتمع البدوى (الكيمان) خروجها ومشاركها فى اقتصاديات الاسرة فى وضح النهار بصحبة أمها أو أى درجة قرابية أخرى •

كما لاحظت الباحثة أنه بالرغم من أن المجتمع الريفى قد تسمح للفتاة فى الطبقة الدنيا بالخروج والمشاركة الاقتصادية ، وفى الطبقة العليا للتعليم الا أنه وضع بعض المعايير التى تحد من هذه الحرية التى تحد من هذه الحرية فسمح لها بممارسة أنماط محددة من السلوك وتمنعها من ممارسة أنماط أخرى ، نذكر على سبيل المثال وليس الحصر:

ـ يعتبر وقوف الانثى للحديث مع أى شاب فى الطريق العام خروجا عن معايير الآداب الاجتماعية •

ـ ينظر المجتمع الى سلوك الانثى أو وقوفها أثناء حمل الماء على رأسها من الصنبور العام الى المنزل للتحدث مع من يقابلها من النساء من الامور التى لا تتفق مع قواعد الآداب والسلوك الاجتماعى •

ـ يمثل تزيين الفتاة ـ بوضع الكحل أو تخفيف شعر الحواجب ـ سلوكا غير مرغوب فيه ، ويقال عنها (دى البنت عينها بيضة) .

ـ يمثل تعمد وقوف الانثى أو جلوسها فى مجالس النساء المتزوجات وسماع أحاديثهن سلوكا خارجا عن قواعد الآداب .

مشاكل المراهقة :

بالرغم من تشدد أساليب التنشئة على الانثى فى مرحلة المراهقة، الا أن الدراسة قد أظهرت بعض المشاكل نذكر منها على سبيل المثال لا الحصر :

ـ تمثل العلاقات مع الجنس الآخر واحدة من مشاكل المراهقات فى الطبقتين العليا والوسطى ، والتى تنحصر فيما بين طالبات المدارس ـ المرحلة الاعدادية والثانوية .

التنشئة الجنسية للذكور والاناث :

اظهرت لنا الدراسة أن التنشئة الجنسية للابناء فى مجتمعات البحث ـ الريف والبدو ـ تبدأ منذ السنوات الاولى من عمر الطفل حتى لو لم تكن الاسرة على دراية بأن سلوكها هذا يؤدى الى نتائج ترتبط بالثقافة الجنسية لأبنائها ، واذا حاولنا تتبع ذلك نجد أن البذرة الاولى قد تكون منذ نعومة الاظافر وذلك من خلال ما يشيع من عادات مثل : اعتياد ترك الطفل بدون ارتداء سروال يستر أعضاءه التناسلية من المهد وحتى سن التاسعة للذكر ـ وبالنسبة للانثى حتى سن ٧ سنوات ـ صيفا وشتاء ، مما يترتب عليه وجود علاقة مبكرة بين الطفل وأعضائه الجنسية ، نظرا لمشاهدته لها طوال اليوم (أثناء اللعب ، أثناء عملية الاخراج بمنطقة الجيرة أو بالمنزل ، أثناء ملاحظته

أعضاء طفل آخر من شلة رفاق اللعب فى الدرب ، أو الجلوس أمامه أثناء اللعب أو أثناء عملية الاخراج) ويتطور علاقته بأعضائه التناسلية شكلا آخرا مع بلوغ الطفل • وبالاضافة الى ما سبق فقد أظهرت الدراسة بأن هناك مجموعة من العوامل البيئية الاجتماعية الثقافية ساهمت فى التنشئة الجنسية فى مجتمعات البحث يمكن تلخيصها فيما يلى :

ـ اتجاهات البالغين نحو الامور الجنسية تتميز بشبه اباحية على مستوى الحديث وعلى المستوى الفعلى ، ومدى انعكاس ذلك على أساليب التنشئة للذكر والانثى •

ـ تساهل المعايير الاجتماعية والثقافية فى المجتمع الريفى فى الطبقة الدنيا هيأ الفرصة لأعضائها زمنا ومكانا فى سن مبكر (الاطفال) لمعرفة الكثير عن الحياة الجنسية والاعضاء التناسلية فى عالمى الانسان والحيوان ، ومن خلال أسلوب الملاحظة والمعايشة للمواقف ، مما يجعل من الامور الجنسية لغة يتبادلها الاطفال والبالغون والناضجون فى أحاديثهم العادية ، حتى فقد معنى السرية والاحساس بالعيب والخجل لديهم •

ـ فى حين نجد أنه كلما ارتفع المستوى الاقتصادى والاجتماعى ـ كما هو الحال فى الطبقة العليا والوسطى ـ الوالدين متعلمين ـ فى الريف وبدو الغرق مالت المعايير الثقافية والاجتماعية الى التشدد والتقييد النسبى فى الامور الجنسية على مستوى الحديث ، وبالتالى تتميز أحاديثهم وأفعالهم بطابع السرية والخجل والخشية على الاقل أمام الابناء ، ويبدو ذلك فيما يلى :

ـ يراعى أعضاء الطبقة الوسطى من المتعلمين الفصل ـ بقدر الامكان ـ بين مكان نوم الوالدين ومكان نوم الابناء ذكورا واناثا •

ــ أما فى الطبقة العليا ، نظرا لتيسر المكان ــ فهناك فصل فى مكان نوم الذكور ومكان نوم الاناث فى فترة البلوغ ، وبين مكان نوم الوالدين ، ويرجع ذلك للاسباب الآتية :

ــ ميل اتجاهات الوالدين فى الطبقة العليا ــ وبعض من أسر الطبقة الوسطى المتعلمين ــ الى تعليم أبنائهم من الجنسين بالاضافة الى اتساع المنزل بحيث يوجد نوع من التخصيص لحجرات المنزل ، والفصل بين عالم الانسان وعالم الحيوان داخل وحدة المعيشة مما يساعد على تقليل فرصة المعايشة والملاحظة للمواقف الجنسية لأبناء هاتين الطبقتين من الجنسين فى سن مبكر • وذلك لتيسر الامكانيات الاقتصادية التى تجعل المنزل كبيرا ليتسع لتحقيق هذا الفصل • بالاضافة الى تعليم الوالدين ــ أو احداهما ــ ووعيهم بمبادىء الدين الاسلامى وحرصهم على تطبيقها ، وهى الفصل بين الابناء فى المضاجع من سن سبع سنوات ••

ــ ميل اتجاهات البالغين فى هاتين الطبقتين الى التشديد والتقييد فى الحديث فى هذه الامور مع الابناء فى أى مرحلة من مراحل نموهم ، مما يساعد على أن تظل أمور الجنس سرية خصوصا بالنسبة للاطفال• ولذا فان أبناء هاتين الطبقتين يكونون أكثر فضولا فى مراحل البلوغ وشديدى الشغف لمعرفة المزيد عن الحياة الجنسية والاعضاء التناسلية والعادات السوية وغير السوية المرتبطة بها • ولذلك يلجأ شباب هاتين الطبقتين الى قراءة كتب الجنس والى الحديث مع شلة رفاق اللعب (الذكور) وزميلات المدرسة •

٣ ــ مرحلة الإعداد للزواج :

أوضحت نتائج الدراسة أن هناك شبه اتفاق بين اتجاهات مجتمعى

الريف والبدو على ضرورة غرس بعض القيم الاجتماعية والثقافية والمهارات اللازمة فى تنشئة الفرد من الجنسين ـ الذكر والانثى ـ فى مرحلة لبلوغ ، ومن هذه القيم نذكر :

* **قيمة الشرف والعفة** : من القيم الهامة لما لها من تأثير وارتباط بنقاء وطهارة الانثى من جهة ، وعلاقة ذلك باستمرار حياتها أو موتها، وعلى المستوى الاوسع أهميتها بالنسبة لوضع ومكانة الاسرة عبر الاجيال المتعاقبة فى المجتمع من حيث مدى نجاح أعضاء هذه الاسرة فى تنشئة الانثى واعدادها للقيام بالدور المتوقع منها وهو دور الزوجة .

*** الزواج المبكر والمحافظة على استمرارية الحياة الزوجية :**

تجمع الاتجاهات الوالدية فى مجتمعات البحث ـ الريف والبدو ـ على مستوى الاسرة والجماعة القرابية ـ على الاهتمام بغرس قيمة الزواج المبكر كأحد المخارج الثقافية فى انهاء مرحلة المراهقة بصورة سريعة ، لما تحمله من خطورة ، ولذا تسعى الاسرة من خلال عملية التلقين المستمر الذى يقوى وينمو مع الفرد عبر مراحله العمرية المختلفة .

* **قيمة الطاعة** : تجمع نتائج الدراسة لمجتمعات البحث ـ الريف والبدو ـ على أن قيمة الطاعة من القيم اللازمة والضرورية لتنشئة الانثى فى مقابل تنشئة الذكر على قيمة السيطرة على الانثى ، والتى لا يرتبط بمرحلة عمرية معينة ، وتعمد الاسرة على تعليمها للانثى ، من خلال تعويدها على تنفيذ كل ما يطلب منها من طلبات أو أوامر يكلفها بها أعضاء الاسرة (اناث/ذكور) ويتم ذلك من خلال أسلوب النصح والارشاد ، بلفت انتباهها منذ صغرها من جانب البالغين (الام/الاخت)

وأن تكون نظيفة — وثانيا من خلال أسلوب الملاحظة — فمن ملاحظتها للعلاقة بين الأب والأم وبين الأخوة وزوجاتهم فى المنزل (الاسرة الممتدة) •

* قيمة المهارة : لقد أظهرت الدراسة حرص أساليب التنشئة على غرس قيمة المهارة باعتبارها من أهم أركان الحياة الزوجية ، حيث اتفقت معظم بيانات الريف والبدو على أن قيمة المهارة من الصفات المرغوبة فى الانثى التحلى بها والتى يعمد غرسها فى الانثى منذ طفولتها حتى تصبح عضوا قادرا على أداء جميع الانشطة التى تحتاجها وحدة المعيشة داخل وخارج المنزل • ومن المهارات المرتبطة بالاعمال المنزلية المطلوبة من الانثى إتقان أدائها فى مرحلة البلوغ ، نذكر على سبيل المثال :

— مهارة صنع الخبز ، مهارة الطهي ، مهارة حلب الحيوانات وهناك مهارات مرتبطة بأداء النشاط الاقتصادي وأخرى تدر دخلا وعائدا اقتصاديا للاسرة نذكر منها :

فى المجتمع الريفى : تتعلم الانثى — فى الطبقة الدنيا — مهارة فتل الحبال ، وصناعة المقاطف وحياكة الملابس •

فى المجتمع البدوى : غزل ونسج الصوف ، أعمال التطريز اللازمة لتزيين الملابس والطرحة •

ثانيا — التنشئة وادراك العالم الخارجى

١ — المعارف المادية :

١ — ادراك مظاهر الكون :

يحاول هذا الجزء أن يلقى الضوء على الكيفية التى يتعرف من

خلالهـا الطفل على مظاهر الكـون ومسمياتها مثـل شروق الشمس وغروبها ، الليل والنهار ، الصيف والشتاء ، ظهور القمر واختفاؤه . لقد كشفت الدراسة على أن هناك شبه اتفاق بين الاساليب التى يدرك من خلالها الطفل للمظاهر الكونية فى الريف والبدو من حيث :

* تبدأ بترديد مسميات المظاهر الكونية وتكـرار لمعناها بدون وعى من سن ٣ سنوات مثل : الشمس طلعت/الشمس غابت/الدنيـا عتمت .

* وكلما تقدم الطفل فى النمو العقلى ، انتقل فى مراحل ادراكه من مرحلة التقليد اللفظى للمسميات الى الجمـع بين التقليد اللفظى والمواقف المستخدمة فيها هذه المسميات .

* وكلما اتسعت دائرة تفاعل الطفل مع أعضاء غـير أعضـاء أسرته ، من خلال العمل أو الذهاب الى المدرسة ، ازدادت حصيلته من هذه المسميات اللفظية والمواقف المستخدمة فيها هذه المسميات . فمثلا فى مجتمع بدو الكيمان يبدأ من سن ٣ سنوات فى ترديد كلمة موسـم الربيع للدلالة على فصل الشتاء وذلك طبقا لما يسمعه من المحيطـين به فى أسرته والجماعة القرابية ، وكلما تقدم عمر الطفل بدأ فى رسـم صورة فى مخيلته عن هذا الفصل ، وهى :

* ترحل فيه الاسرة للرعى خارج المجتمع .

* يجتمع فيه معظم أعضـاء الاسرة حول النـار بعـد غروب الشمس .

* تنشط فيه حركة الاتجار بالحيوانات ويترتب على ذلك : شراء حيوانات صغيرة للتربية ، شراء كسوة لأعضاء الاسرة ، تكثر الامطار والرياح .

أما مفهومه عن فصل الصيف فهو

* الذهاب لحقول الفلاحين لنقل محاصيل القمح والفول والارز .

* يقل فيه النشاط التجارى ويصبح السوق ميتـا أو فى حالة كساد .

* يكثر فيه سهر أعضاء الاسرة خاصة فى الليالى القمريه .

* تكثر الافراح فى المجتمع .

* هنـاك وقت للقيلولة لتستريح فيه الحيـوانات (السعى) لحمايتها من حرارة الشمس .

* فى حين أكدت الدراسة أن هناك تباينا بالنسبة للطفل الذى يواصل تعليمه (الطبقة العليا وبعض من أسر الطبقة الوسطى فى قرية الغرق) .

* فيمثل أسلوب التقليد اللفظى من خلال الاسرة المصدر الاول، يتبعه المصدر الثانى بالتحاقه بالمدرسة ، وذلك نظرا لما تقوم به المدرسة من توحيد للمفاهيم الخاصة بالمظاهر الكونية ، من خـلال ما يدرسه فى مناهجها ، كما يتضح فى مادتى العلوم العامة والمواد الاجتماعية .

والخلاصة : تكشف الدراسـة عن تشـابه أساليب التنشئة فى مجتمعى الريف والبدو فى تأثير النشاط الاقتصادى للاسرة ـ الزراعة والرعى ـ على الطفل فى ادراكه الفرق بين الفصول الاربعة . الا أن هناك فروقا ريفية وبدوية ثقافية ، تشير الى تباين فى بعض مسميات الفصول واستخدامها بين المجتمعين :

ففى المجتمع الريفى يشيع استخدام كلمة ربيع للدلالة على فصل

الصيف ، أما فى بدو الكيمان فإنهم يستخدمون نفس الكلمة للدلالة على فصل الشتاء •

٢ ــ ادراك العالم المادى :

كشفت الدراسة الميدانية عن حرص الاسرة فى مجتمعات البحث ــ الريف والبدو ــ كجماعة مسئولة عن عملية التنشئة فى المجتمــع ، على تعليم وتعريف الطفل من سن مبكــر لبعض المعــارف البسيطة المرتبطة بالعالم المادى المحيط به ، أو ذات الصلة بالنشاط (العمل) الذى سيقوم به فيما بعد ، بهدف تعليمه كيفية التعامل معها وحماية نفسه من الخطر الذى قد ينتج عن هذا التعامل •

ومن هذه المعارف المادية مفهوم البيت وما يحتويه من مكــونات (لكونه عضوا مشاركا فى انتاج الاسرة) ، مفهوم الحيوانات ، مفهوم السعى ، العربة ، الحمار ، السيارة •

٣ ــ ادراك حدود المجتمع المحلى والمجتمعات المجاورة :

تسير عملية ادراك حدود المجتمع المحلى على نفس منوال العمليات السابقة من حيث حرص مجتميات البحث ــ الريف والبدو ــ على تعليمها للطفل منذ سن مبكرة ، الى جانب انهــا تجمع بين عمليــات التعليم التلقائى والعمدى • كما كشفت الدراسة أن هناك شبه اجماع بين مجتمعات البحث على تعليم الطفل من سن مبكر ، ويتضح لنا ذلك من المواقف التالية :

ــ اصطحاب الاعضاء البالغــين فى الاسرة للطفل أثنــاء آدائهم نشاطهم الاقتصادى (الذهاب الى الحقل ، الى السوق ، الرعى) •

ــ اصطحاب البالغين الطفل عند زيارة الاولياء داخل المجتمــع

المحلى (أبو العينين) وخارج المجتمع (السيد البدوى) (سيدنا الحسين) بالقاهرة .

وكلما تقدم الطفل فى نموه العمرى ازداد ادراكه لحدود مجتمعه الذى يسكن فيه ، بالتحاق الطفل بالكتاب أو المدرسة تتسع دائرة أصدقائه خارج منطقة السكن ، وتشمل رفاقا من مناطق أخرى بالقرية، أما عملية ادراك حدود المجتمع المحلى لدى الطفل فى بدو الكيمان . فهى لا تنفصل عن عملية تعليم الطفل للادراك القرابى بدءا من تعلم المصطلحات القرابية حتى الالتزامات والامور الواجب عليه أداؤها تجاه أقاربه سواء المقيمون منهم داخل مجتمع الكيمان أو خارجه . وذلك لأن طبيعة عملية التعليم الاجتماعى فى مجتمع البدو تأخذ شكلا أوسع وأشمل مما يحدث فى الريف ، وبالتالى ينعكس ذلك على عملية ادراك الطفل لحدود مجتمعه ، بأنه ليس هو المجتمع الذى يقيم فيه هو وأسرته بقدر ما هو المجتمع الاكبر الذى يجمع جميع الاقارب الذين ينتمون الى الجد المؤسس للبدنه ، وكذلك الاعضاء الآخرين الذين ينتمون الى بدو المشارقة بصفة عامة .

٣ ـ المفاهيم الاجتماعية والثقافية :

ـ ادراك العلاقات القرابية :

ـ تمثل عملية تعليم الطفل للمصطلحات القرابية خطوة هامة لتعليم الطفل التعامل مع أعضاء أسرته ، فى ادراك العلاقات القرابية داخل وحدة المعيشة .

ـ ثم تأخذ عملية ادراك العلاقات القرابية شكلا مغايرا حين يتقدم الطفل فى نموه ونضجه بتعلمه المشى والكلام ، ثم خروجه الى الدرب ومنطقة الجيرة ، ثم منازل الاقارب الذين يسكنون فى مناطق

بعيدة ، وملاحظته لتصرفات أخته وأخيه الاكبر منه ، من حيث دخول بعض المنازل المجاورة ، وفى نفس الوقت يمتنع عن دخول منازل أخرى . وتارة أخرى من خلال ملاحظته لتصرفات البالغين من أعضاء الاسرة - الأب والأم والجد - يدخلون هذا البيت دون غيره ، واذا حدثت لديهم مناسبة مفرحة أو محزنة ، يجدهم جميعهم يقفون بجوارهم ، كما يسمع أخاه الاكبر يقول (دول أصلهم قرايبنا) .

ونخلص مما سبق الى أنه من خلال المواقف السلوكية التلقائية التى يعايشها الطفل فى سن مبكرة فى محيط أسرته أو خارجها ، يبدأ ادراكه ، فيستوعب أن هناك أشخاصا من خارج الوحدة المعيشية عليه أن يقضى لهم مصالحهم أو يعاونهم ، ينادون بمصطلحات : (عمى/ مرات عمى/ابن عمى/ابنة عمى) . وكلما تقدم الطفل فى نموه العقلى ازداد وعيه بالدوائر القرابية والمصطلحات القرابية المرتبطة بها . ومن جهة أخرى ، أظهرت الدراسة حرص أعضاء الاسرة فى مجتمعات البحث على استغلال زيارات الاقارب لخلق مواقف تعليمية عمدية ، سواء فى الايام العادية أو فى المناسبات ، لتعليم الطفل المصطلحات القرابية سواء للاقارب من جهة الام أو من جهة الأب ، والحقوق والواجبات الملزمة بشقيها :

أ - الواجبات القرابية الملزمة للجماعة ازاء الطفل مثل : رعاية وتربية أبناء الأخ المتوفى ، حق التأديب وتوقيع العقوبة ، التدخل لحل المشاكل .

ب - الواجبات الملزمة للطفل تجاه جماعته القرابية مثل : الطاعة، احترام كبار السن وتحاشى التدخل معهم فى شجار ، عدم التدخين أمام من يكبره ، المشى خلف من يكبره سنا ، عدم التحدث فى مجالس

الكبار ، واجب الضيافة ، واجب الضيف للزيارة فى الاعياد والمناسبات والمواسم ، المشاركة فى المناسبات الاجتماعية كالافراح والمآتم ، مساعدة الاقارب المحتاجين ، الانابة فى الواجبات الاجتماعية •

ثالثـا ـ التنشـئة والعمـل

مقـــــــدمة :

يبدو أن هناك نوعا من الاغفال أكده الواقع الامبيريقى ، هو أن الأسرة فى المجتمعات التقليدية ـ الريف والبـدو ـ مازالت تمثـل وحدة الانتاج والعمل من جهة ، ومن جهة أخرى تقـوم بدور اعداد وتدريب أفرادها باختلاف مراحلهم العمرية ليكونوا أعضاء مشاركين فى اقتصاد الاسرة والمجتمع • وهذا ما لفت انتباه الباحثة عند دراستها للموضوع الحالى : أساليب التنشئة الاجتماعية فى المجتمع الريفـى والبدوى ، اذ لاحظت قيام الاسرة بوظيفة تنشئة العمل لأعضائها من خلال غرسها لقيمة العمل ، والحرص من جانبها على التدريب المبكر عليه ، وتشكيل اتجاهات أبنائها نحو اعلاء هذه القيمة بشكل خاص • وفى ضوء هذه الملاحظة خصصت الباحثة هذا الفصل لدراسة وظيفـة الأسرة بوصفها مؤسسة للتدريب وتنشئة أعضائها للمشاركة فى النشاط الأسرى ، والمشاركة أو المساهمة فى القوى العاملة للمجتمع من جهة أخرى • وذلك من خلال اختيارنا لبعض الاسر فى المجتمع الريفى وأخرى من المجتمع البدوى كمحاولة لتجسيد عمليات التنشئة ومراحلهـا : فى النشاطين الاساسيين ، النشاط الزراعى والنشاط الرعوى فى كل مجتمع من مجتمعات البحث ، وسيكون ذلك على النحو التالى :

١ ـ العمل العمود الفقرى للاسرة الريفية والبدوية :

تهدف الباحثة فى هذا الجزء الى بيان كيفية قيام الاسرة بوظيفة

تنشئة أفرادها فى مجتمعات البحث : الريفى والبدوى • ولبيان ذلك قمنا باختيار ثلاث أسر من المجتمع الريفى[1] ، وأسرتين من المجتمع البدوى[2] ، كمحاولة لتجسيد عمليات التنشئة التى تتبعها الأسرة المتمثلة فى النشاطين الرئيسيين فى المجتمعين : النشاط الزراعى والنشاط الرعوى ، وذلك من خلال :

ــ مقابلة أعضاء هذه الأسر •

ــ ملاحظة أعضاء الأسر على مدار فترة العمل الميدانى فى مجتمعات البحث الريفى والبدوى •

ــ استخدام جداول رصد النشاط(*) وذلك بهدف .

* التعرف على بعض الانشطة الرئيسية التى تعلمهــا الاسرة الريفية والبدوية لأبنائها ، وبالتالى تستطيع أدائها بالفعل من سن ٦ سنوات فأكثر •

* الكيفية التى تتم بها عملية التدريب على هذه الانشطة •

---

(١) راعينا فى اختيار الاسر الريفية أن تكون من قرية ترســـا ، وقرية الغرق (بدو متريف) ، نظرا لتشابه النظام الاقتصادى بهما ، الى جانب أن يكون ممثلا للبعدين الطبقى وحجم الاسرة .

(٢) راعينا فى اختيار الاسرة البدوية أن تكون ممثلة للبعدين : الاول نمط الترحال أى الرعى خارج المجتمع طوال العام والاقامة المؤقتة خارج المجتمع فى فصل الشتاء ، والثانى : نمط الاقامة المشـــتركة المتمثل فى : تعدد الزوجات ، نظرا لانتشار هذه الظاهرة فى المجتمع ، الى جانب اقامة احدى الدرجات القرابية .

(*) لقد اكتسبت الباحثة خبرة استخدام جداول رصد النشاط بحكم اشتراكها فى بحث انماط عمالة المرأة فى الريف ، تحت اشراف الدكتورة علياء شكرى .

* من هم القائمين بعملية تدريب الطفل من الجنسين على أداء هذه الانشطة سواء ما يؤدى داخل المنزل أو خارجه •

* التعرف على الانشطة ذات الطبيعة الخاصة ، بمعنى هل هناك أنشطة خاصة بالذكور وأخرى بالاناث •

* عمليات الثواب والعقاب المرتبطة بعملية التدريب على أداء النشاط والقائمين بها •

تعريف بالأسر المختارة من مجتمعى الريف والبدو

أ ــ الأسر الريفية :

تتشابه **الأسرتان الاولى والثانية** فيما يلى :

ــ صغر حيازة الارض الزراعية •

ــ كبر حجم الاسر : الاسرة الاولى تتكون من ٧ أفراد والاسرة الثانية من ١٥ فردا •

ــ أسرة ممتدة •

ــ طبقا دنيا •

ــ جميع أعضاء الاسرة يعملون فى حيازة الاسرة بالاضافة الى العمل كعمال زراعيين لدى الغير فى مواسم الحصاد والجنى •

ــ تقوم الزوجات بمساعدة الازواج فى الحقل الى جانب قيامهن بصناعة المقاطف للمساعدة فى العائد الاقتصادى للاسرة •

أما الاسرة الثالثة : فهى أسرة ممتدة ــ طبقة عليا ــ والحيازة ٢٠ فدان وتتكون من ٩ أفراد : الزوج يعمل بوظيفة حكومية ، الزوجة: ربة منزل ، الابناء يعملون بالوظائف الحكومية •

ب ـ الاسر البدوية :

الأسرة الاولى : نووية ، طبقة دنيا ، تتكون من ٩ أفراد ، الزوجة راعية غنم وتقوم بغزل الصوف .

الاناث : يعملن برعى الحيوانات ، الى جانب الاعمال المنزلية وغزل الصوف .

الذكور : يعملون برعى الغنم لدى الغير .

الأسرة الثانية : ممتدة ، ـ (تعدد زوجات لرب الاسرة) ـ طبقة عليا ، تتكون من ١٣ فردا ، الزوج يعمل تاجر جمال ، الزوجة الأولى : راعية غنم لديها ٤ ذكور ، ٢ من الاناث ، الزوجة الثانية : راعية غنم ولديها بنتان وولدان . ومن الملاحظ فى مثل هذه الاسرة تمثل كل زوجة وأبنائها فريق عمل تحت اشراف الزوج .

تحليل جداول رصد النشاط لأعضاء الاسر الريفية والبدوية :

لقد كشفت لنا جداول رصد النشاط ما يلى :

ـ تباين أنماط النشاط التى تقوم الاسر بتدريب أبنائها عليها طبقا لتباين الفئة العمرية والجنس .

ـ أنشطة خاصة بالفئة العمرية من ٤ ـ ٨ سنوات ، وتنقسم هذه الفئة الى مرحلتين :

أ ـ من سن ٤ ـ ٥ سنوات : يقتصر أداء الطفل من الجنسين على ملاحظة كل من يكبره فى السن من الاخوة البالغين فى الاسرة ، ومزاملتهم طوال أداء النشاط ـ زراعى ، رعوى ـ ينتج عن ذلك تقوية الميل لتقليد الآخرين ، ثم يقوم بمناولة الاشياء البسيطة للبالغين داخل وخارج المنزل .

ب ــ من سن ٦ ــ ٨ سنوات : أهم ما يميز الانشطة فى هذه المرحلة العمرية أنها تأخذ طابع المعاونة للبالغين فيما يؤدونه من أنشطة، داخل وخارج المنزل . كما يبدأ معها عملية ثواب وعقاب الطفل من جانب القائمين بتدريبه حين يتسبب فى خسارة ، ومن هذه الأنشطة نذكر :

ــ الانشطة الخاصة بالحقل :

يختص الاطفال من الجنسين بسحب الحيوانات الكبيرة من المنزل الى الحقل وسحب السعى (الأغنام والماعز) ، وحراسة الحيوانات فى فترة الظهيرة ، وتنقية الحشائش الضارة ، وجمع اللطع ، واحضار الطعام للبالغين .

كما أظهرت الدراسة صور اثابة الطفل الذكر حين ينجح فى تنفيذ ما يطلب منه من جهة ، وبين قيام الطفل الذكر بدور أكبر من سنه ، وعادة ما تأخذ هذه الاثابة شكل العبارات التشجيعية (أهه كده يسد عن أبوه فى غيابه) ، أو تأخذ صورة مكافأة مادية ، كأن يقوم الأب باحضار كسوة له بعد موسم الحصاد ، أو فى صور فسحة (بالذهاب مع والده لزيارة المشايخ) .

الأنشطة المرتبطة باحتياجات الأسرة :

يشترك كل من الذكور والاناث فى آداء هذه الإنشطة المتمثلة فى مناولة كل ما يحتاجه البالغون داخل المنزل ــ (احضار وقود من على سطح المنزل ، أو جلب وشراء ما تحتاجه الاسر من السوق مثل السكر والشاى والكيروسين) ــ أو ما يحتاجه الجيران أو الاقارب (المراسيل)، وحراسة الطيور ... الخ . كما أظهرت الدراسة أن أبناء الطبقة العليا ــ فى قريتى ترسا والغرق ــ فى هذه الفئة العمرية ترفع عنهم هذه الانشطة ويقتصر نشاطهم على الذهاب الى المدرسة والكتاب واستذكار دروسهم وعمل الواجبات المدرسية ومشاهدة التليفزيون واللعب .

الفئـة ٩ ـ ١٢ سـنة :

أهم ما يميز نشاط هذه الفئة العمرية انه يأخذ طابع المشـاركة الفعلية فى أداء الانشطة اما بتكليف الطفل من الجنسين بأداء جزء من النشاط أو أدائه كله ، كما تحـرص الاسرة على تدريب الانثى على القيام بأكثر من نشاط فى وقت واحد (الانشطة المزدوجة) كنوع من التوحد مع جنسها من اناث الاسرة والطبقة •

الذكـور : يختص الذكور فى هذا السـن بالانشطة التى تؤدى خارج المنزل كسحب الحيوانات الكبيرة (البقر ، الجاموس) ، حمـل السماد العضوى يوميا من المنـزل الى الحقل على الركائب ، تنقيـة الحشائش • أما بالنسبة للذكور من أولاد الطبقـة العليـا فينحصر نشاطهم فى الذهاب الى المدرسة والكتاب وعمل الواجبات المدرسية ، وجلب طلبات من السـوق للاسرة فى أوقات الفـراغ أو الاجازات ، الى جانب مشاهدتهم للتلفزيون واللعب ، فى حين يختص الذكور فى المجتمع البدوى فى هذا السن بمسئولية حماية وسلامة الحيوانات ، سواء أثناء سيرها فى الطريق الى الحقل ، وهو يمتطى حماره ، كما يتدرب على كيفية تحميل الجمل بالمحصول (ربط الشقة) •

الاناث : تختص الاناث فى هذه الفئة العمرية بالجمع بين أنشطة الحقل التى سبق ذكرها فى حالة عدم وجود ذكور فى الاسرة ، يتولون القيام بهذه الانشطة ، الى جانب قيامهن بالانشطة المنزلية ، مثـل حلب وتنظيف مكان الحيوانات الكبيرة وتجهيز السـماد العضوى فى أكوام • وبالرغم مما يتميز به هذه السن من أنها بداية الفصل بـين الجنسين فى مجـال أداء الانشطة ، فهذا لا يمنـع من مشاركتهن فى مواسم الحصاد ومواسم مقاومة دودة القطن •

ـ أما الاناث البدويات فيقع على كاهلهن فى هذه الفئة العمرية تحمل المسئولية كاملة بشأن المحافظة على حياة وسلامة الحيـوانات (السعى) من حيث مراعاة نظام سقايتها ، وحمايتها طوال ساعات الرعى، وراحتهـا من السير فى الشمس فى فصـل الصيف فى فترة القيلولة ، ويعتبر التهاون فى حماية سلامة الحيوانات سببا لتعرض الانثى للعقاب من جانب القائمين على تدريبها سـواء خارج المنزل (الأب والأخوة الذكور) ، أو داخل المنزل : (الأم ، الأخت ، أو الدرجة القرابية) • وتشير الدراسة الى أن أسلوب العقاب للانثى البدوية عادة ما يأخذ صورة الضرب ، وتارة القرص فى الفخذ ، وتارة أخرى عقابها بشـد شعرها • أما عن أسلوب الاثابة فتؤكد الدراسة أن هناك شبه اتفاق بين مجتمعات البحث على أن الاناث لا ينلن من الاثابة شيئا يذكر ، كل ما فى الامر انها تنتقل فى تدرج أدائها الى نشاط آخر غير الذى قد أتقنته •

الفئة الثالثة من ١٣ ـ ١٦ سنة :

أهم ما يميز هذه المرحلة : أنها المرحلة التى يستطيع فيها العضو من الجنسين تحمل المسئولية كاملة الى جانب الفصل التام فى مجـال الانشطة بين الجنسين •

الذكـور : يختصون بالقيام بمهام العمل الزراعى بجميع مراحله، من تجهيز الارض وعزقها بالفأس أو حرثها بالمحراث . بذر التقاوى : تخطيط الارض ، عمل الجسور ، توزيع السماد فى الحقل ، الاشتراك فى جنى وحصد المحاصيل والمعاونة فى الدراس •

الاناث : يقمن فى هذه المرحلة العمرية بالمشاركة فى جميع الانشطة السابق ذكرها ، الا أن نشاطهن فى هذه المرحلة يتميز بالاداء المتقـن

والمهارة العالية ، نظرا لارتباطه بالاعداد للزواج ، واقامة أسرة جديدة، لذا ينحصر معظم أدائهن داخل المنزل مثل صنع الخبز والطهى •

٢ ـ الملامح العامة للتنشئة المرتبطة بالعمل فى مجتمعات البحث :

أجمعت معظم آراء المتخصصين فى ميدان دراسة التنشئة الاجتماعية على أن عملية تعليم وتدريب الطفل على أداء الانشطة المرتبطة بالدور ، يعتمد على مجموعة من الاسس التربوية هى : التقليد ، التقمص أو التوحد مع الجنس ، التقوية أو التعزيز ، المصاحبة والمزاملة •

ومن خلال المعايشة الميدانية لمجتمعات البحث ودراستنا المتعمقة والتى استخدمنا فيها جداول رصد النشاط للاسرة ، خلصنا الى الكيفية التى يتم بها تدريب الطفل ، من أجل اعداده للمشاركة فى الانشطة الاسرية والمجتمعية ، الى جانب أننا انتهينا الى أهم الملامح العامة للتنشئة فى مجتمعات البحث ، والتى تتلخص فى :

* أن هناك شبه اتفاق نسبى بين ما هو سائد فى مجتمعات البحث ، من أساليب تنشئة تستخدم بشكل تلقائى لبعض الاسس التربوية ـ السابق ذكرها ـ فى تعليم أبنائهم أداء الدور أنشطته • وان كانت عملية تدريب الطفل فى الواقع الفعلى تتم للمجتمعين الريفى والبدوى ، تسير طبقا لما تمليه طبيعة البناء الاجتماعى والثقافى لكل مجتمع ، طبقا لطبيعة النشاط الاقتصادى لكل أسرة وطبقا لطبيعة ثقافة الطبقة التى ينتمى اليها •

* تمر العملية التعليمية بمراحل تتدرج فيها من البسيط الى المعقد ، فيبدأ الطفل بالملاحظة التلقائية ، ثم الملاحظة المتعمدة لأعضاء الاسرة أثناء أدائهم للانشطة ، ثم يبدأ الطفل باصطحاب ومزاملة

البالغين فى مجال أداء النشاط داخل المنزل أو خارجه ، ثم تقليده لما يقوم به البالغون من خلال المشاركة الحرفية والمعاونة ، ثم تكليفه بأداء جزء من هذا النشاط ، حتى اذا أتقنه انتقل الى القيام بالنشاط بأكمله .

* كما أظهرت الدراسة الميدانية بعدا آخرا ساعد فى العملية التعليمية يتمثل فى عملية الدمج التى يتعرض لها الطفل خلال المراحل المبكرة والتى تظهر فى مشاركته لمجالس الكبار مما يساعد على تمثلهم لأدوارهم فيما بعد واكتسابه لبعض القيم التى يعضدها المجتمع تجاه أدوار الكبار مثل قيمة العمل .

* كما كشفت الدراسة أن هناك شبه إتفاق عام بين مجتمعى الريف - الطبقة الدنيا - والمجتمع البدوى بجميع مستوياته الطبقية على أن يوم العمل يبدأ بعد أذان الفجر ، واستيقاظ جميع أفراد الاسرة ، وينتهى بمغيب الشمس وعودة أعضاء الاسرة لمساكنهم . ورغم هذا التشابه بين الاسر التى تعمل بالنشاط الزراعى والاخرى التى تعمل بالنشاط الرعوى ، الا أن هذا لا يمنع من وجود فروق ريفية بدوية تتمثل فى تباين عدد ساعات العمل الحقلى لدى أعضاء الاسر فى النشاطين : ففى النشاط الزراعى تقدر ساعات العمل بعشر ساعات فى مواسم الازدحام ، و ٨ ساعات فى المواسم الاخرى . أما فى النشاط الرعوى فتصل عدد ساعات العمل الى ١١ - ١٢ ساعة يوميا على مدار السنة .

* أما يوم العمل فى كل من الطبقة العليا فى الريف والبدو المتريف ، فيبدأ من الساعة ٨ صباحا وينتهى فى الساعة الواحدة ظهرا وتقدر مدتها من ٤ - ٥ ساعات يوميا ، ويرجع الى طبيعة نشاطهم وهو العمل فى حرف متنوعة كالوظائف الحكومية ، ومن جهة اعتمادهم على الايدى العاملة بالاجر ، لمباشرة أعمالهم .

* هناك اتفاق عام بين مجتمعى الريف والبدو على أن الاسرة المعيشية هى وحدة متكاملة للعمل والانتاج ، وان كانت هناك فروق بين الاسر الريفية والاسر البدوية ، من حيث طبيعة تقسيم العمل بين الاعضاء ، فبينما يمثل الذكور العنصر الاساسى فى فريق العمل بالنسبة للاسر الريفية ، وتشكل الاناث العنصر الأكثر أهمية فى الاسرة البدوية •

* فبالرغم مما أشارت اليه البيانات الميدانية من تشابه بين مجتمعى الريفى والبدوى (الكيمان) فى تقسيم الادوار بين الذكر والانثى ، الا أن هناك تباينا يشير الى فروق ريفية بدوية ، تتمثل فى أن مجال أداء الادوار والانشطة الانثوية البدوية يوجد خارج المنزل (رعى الحيوانات) بحيث يمثل المجال الثانوى • ومن جهة أخرى لا ينظر الى دور الأنثى البدوية خارج المنزل على أنه دور المعاون أو المشارك للذكر ، كمثيلتها الأنثى الريفية (ـ الاميات من الطبقة الوسطى ، والطبقة الدنيا ـ) ، بل يتعداه الامر الى قيام الاناث البدويات ، باختلاف أعمارهن بجميع مهام النشاط الرعوى بدرجة تجعل من مشاركتهن فى أداء هذا النشاط يصل الى حوالى ١٠ ـ ١٢ ساعة يوميا طوال العام •

* على الرغم من اتفاق اتجاهات مجتمعى البحث الريفى والبدوى ، على مبدأ التبكير فى عملية اعداد الانثى لأداء الادوار المتوقعة منها ، فان هذا لا يمنع من وجود فروق ثقافية ريفية وبدوية دالة بين المجتمعين من حيث سن البداية وحجم المشاركة ، يميل مجتمع بدو الكيمان الى التبكير فى سن التدريب للانثى للمشاركة ، عن المجتمع الريفى ، اذ يمثل السن من ٤ ـ ٥ سنوات سن بداية التعليم للانثى فى حين نجد العكس فى الريف اذ يمثل سن ٥ ـ ٦ سنوات سن البداية لتدريب الانثى للمشاركة والمعاونة •

رابعا ـ التنشئة والدين

يناقش هذا الفصل موضوع التنشئة الدينية فى مجتمعات البحث الريفى والبدوى ، ويقصد بالتنشئة الدينية : مجموعة الأساليب التى يتعلم الفرد من خلالها الامور الدينية بدءا من ادراك وجود الله وانتهاء بتعلم مبادىء الدين الذى ينتمى اليه • وسوف نقصر معالجتنا لهذا الموضوع على بعض القضايا المتصلة بأصول الشريعة الاسلامية وفروعها •

أظهرت الدراسة أنه على الرغم من أن هناك مواقف تعليمية متعمدة تتم داخل الاسرة فى المجتمع الريفى ، الا أن تباين الاسرة الريفية من حيث اتباعها للاسلوب التعليمى المتعمد والمخطط له مسبقا فى تنشئة الطفل بالامور الدينية ، بتباين المستوى الطبقى ودرجة تعليم الوالدين أو احداهما • اعتمدت الاسرة على المواقف التعليمية المتعمدة والمخطط لها • وكلما انخفض المستوى الاقتصادى وارتفع معدل الأمية بين أعضاء الاسرة ، أخذت عملية التنشئة بالمواقف غير المخطط لها ، بمعنى أنه لا يتم توجيه الطفل بالامور الدينية الا عندما يقع فى خطأ خارج عن مبدأ من المبادىء الدينية • ويلاحظه بالصدفة أحد القائمين بعملية التنشئة بأمور الدين حيث يختص بها الذكور فى الاسرة • ولا يقتصر غرس مفهوم الحلال والحرام على مجرد الربط بعملية القاء لقمة الخبز على الارض ، بل يرتبط بقيم أخرى ومواقف أخرى تحرص الاسرة فى الريف على مقاومتها فى نفوس أبنائها • ومن هذه القيم : عدم الاعتداء على حاجات الغير (السرقة) ، الرزق الحلال (المشروع) •

١ ـ استخدام الألفاظ النابية التى تسىء الى الدين :

ـ أكدت الدراسة أن هناك شبه اتفاق بين الشواهد الميدانية فى

مجتمعات البحث ـ الريف والبدو ـ علي شيوع استخدام أعضاء هذه المجتمعات لكلمات وعبارات السب والشتائم التى تسىء الى الدين •

ـ ان فئة الاطفال أكثر الفئات العمـرية استخداما للشتائم فى العابهم بمنطقة الجيزة ـ وان كان شيوع هذا السلوك يتباين من المجتمع الريفى الى المجتمع البدوى ، طبقا للمعايير الثقافية وأساليب التنشئة المرتبطة بأمور الدين ، من حيث التشدد والالتزام فى أداء الشعائر الدينية ، أو الاهمال وعدم الالتزام بأدائها • وعلى المستوى الأضيق ، فان هناك علاقة بين شيوع استخدام هذه العبارات لدى أعضاء الاسرة والمستوى الاقتصادى ودرجة تعليـم الوالدين أو أحدهما ، كما فى الطبقة العليا وبعض شرائح من أسر الطبقة الوسطى المتعلمين ، قلة استخدام هذه العبارات ، بل تنعدم نسبيا • وكلما انخفض المستوى الاقتصادى والاجتماعى وارتفعت نسبة الأمية بين أعضاء الاسر ، كما فى الطبقة الدنيا المعدمة وبعض من أسر الطبقة الوسطى الأميين ، شاع استخدام عبارات سب الدين فى الاحاديث اليومية بشكل عادى •

كما أظهرت الدراسة فى مجتمع البدو ميـل الذكور الى التحفظ النسبى فى استخدام عبارات السب فى تعاملهم اليومى ، عكس الوضع بالنسبة للاناث فانهن أكثر استخداما لعبارات السب ، خصوصا أثناء تدريب الانثى على أداء الاعمال المنزلية والنشاط الرعوى •

٢ ـ ادراك الحدود بين الأديان :

أكدت الدراسة أن قدرة الطفل تتبـاين فى المجتمع الريفى على التمييز بين الدين المسيحى والدين الاسلامى ، تبعا لتباين أسـاليب التنشئة المتبعة ، من حيث القنوات التى يستقى منها الطفل المعلومات الدينية ، والسن الذى يبدأ فيه الطفل ادراك التمايز • فبالنسبة للدين

الاسلامى ، يبدأ الطفل المسلم من سن ٤ — ٥ سنوات أول خطوة فى ادراك التمايز بين الاديان ، عند خروجه للشارع أو سماعه لأحاديث الاطفال والبالغين ، ثم محاولة تفسير ما يسمعه ويلاحظه ممن يكبرونه سنا ، سواء من أعضاء الاسرة أو من رفاق اللعب • فى حين تعتمد الاسرة المسيحية على الكنيسة فى تعريف الطفل بمبادىء الامور الدينية والتفرقة بين الاديان ، ولهذا يتأخر الطفل الى سن ٦ سنوات الى أن يتعلم القراءة والكتابة التى تؤهله للالتحاق بمدارس الاحد وفهم ما يلقن من معلومات دينية • وأيضا فاننا نلاحظ تعدد القنوات التى تمد الطفل المسلم بالمعلومات الدينية ، فهناك الاسرة ، وجماعة اللعب، والكتاب أو المدرسة ، فى حين تقتصر القنوات التى تمد الطفل المسيحى بالمعلومات الدينية على الكنيسة (مدارس الاحد) ، والمدرسة (حصة الدين) •

- ومن جهة أخرى أكدت الدراسة بأن الطفل فى مجتمع بدو الكيمان أكثر حرية فى أداء العبادات ، حتى أن بعض الشعائر التى يؤديها كالصيام لا تكون نابعة عن تنشئة أو توجيه دينى من الاسرة بقدر ما هو تقليد لسلوك البالغين — (بدليل أن الطفل يتعلم فى المدرسة كيف يصلى ومع ذلك لا نجد طفلا أو شابا أو رجلا حريصا على أداء الصلاة فى أوقاتها أو فى غيرها) — ، حتى مواعيد الصلوات الخمس فقدت وظيفتها الدينية فى مجتمع بدو الكيمان وأصبحت تستخدم لوظيفة مغايرة وهى تنظيم مواعيد العمل (النشاط الاقتصادى) • وعلى الرغم من هذا التحرر الواضح من الفروض الدينية فى المجتمع البدوى ، فقد لاحظت الباحثة أن هناك تأكيد على بعض القيم الدينية مثل : (الصدق ، عدم التعدى على ملكية الغير ، السرقة) التى تحرص الثقافة البدوية على غرسها فى نفوس الابناء من سن مبكر ، ومن ثم

انعكس ذلك على الطفل الذى لا يراعى الالتزام بها ، وقد يعــزى ذلك الى ارتباط هذه القيم بالنظام الاقتصادى البدوى ، وطبيعة نظام الملكية المتميز ، والتى لا تجعلها محكومة بضوابط مادية لحمايتها من السرقة ومن الاعتداء عليها الا من خلال هذه القيمة الثقافية •

ونخلص مما سبق الى أن أهم الاساليب المتبعة فى الاسرة الريفية ومجتمع بدو الكيمان لاعداد الطفل دينيا : بأسلوب التلقين ويأخذ صورا عدة :

١ ـ التلقــين اللفظى ـ (الاسرة جماعة اللعب) ـ النصــح الشفهى (أعضاء الاسرة الذكور) •

٢ ـ التشجيع (ربطه بالخبرة الحسية السارة والمؤلمة ، دخول الجنة وعذاب النار) •

٣ ـ اصطحاب الأب لابنه الى المسجد •

٤ ـ الالتحاق بالكتاب •

وتؤكد الدراسة فى ضوء المعايشة لمجتمعات الدراسة ، أن هذه الاساليب السابقة لا تؤتى ثمارها الطيبة فى نفس الطفل اذا فقــد القدوة الذى يقلده فى أسرته (الأب ، الاخوة) ، كما فى الطبقتــين العليا والوسطى • وفى هذه الحالة يخــرج الطفــل ليبحث عن ذلك النموذج فى جماعة الرفاق ، واذا افتقده أيضا ، فلا جدوى من ان يلتزم الطفل بأداء الشعائر الدينية ، كما هو فى مجتمع بدو الكيمان ، وخلصت الدراسة الى أن اتجاهات الوالدين فى مجتمع بدو الكيمان لا تشجع على ممارسة العبادات ، مما انعكس على أساليب التنشئة الدينية ، التى تميزت بالتسيب والاهمال فى اعداد الابناء ومن ثم فلن يعاقب الطفل على هذا الاهمال من جانب الوالدين والمجتمع • على

العكس من ذلك اتجـاهات الوالدين فى المجتمعين الريفى والبـدوى المتريف ، يشجع على ممارسة العبادات ، مما ينعكس أثره على أساليب التنشئة الدينية لدرجة تتميز بالتشدد فى اعداد الابناء الذكور ، تشددا قد يصل الى أن يعاقب الطفل الذكر على الاهمال فى أداء الشعائر من قبل الوالدين والمجتمع • فى حين لا ينسحب ذلك التشدد على الانثى لأنه لوحظ أنها تخضـع فى سلوكها الى ضرامة العادات والتقاليـد أكثر من خضوعها لصرامة الدين • ومن الاساليب الشائعة بين الريفيين لتقويم سلوك الطفل : الميل الى التدرج فى العقاب بحيث يبدأ بتوجيه النصح والارشاد لكل من الذكر والانثى — فى حال تكرار الخطأ أو الاهمال ، ثم بتهديد واذا تكرر يضرب بالعصا •

٣ — وظيفة الكتاب كمؤسسة للتعليم الدينى :

عرفنا مما سبق عن وظيفة الكتاب كمؤسسة للتعليم والتربية فى مجتمعات البحث (ترسا ، الغرق) ، وقصر الخدمة على الفئة العمرية ٤ — ١٥ سنة • الا أن الدراسة كشفت عن ازدواجية فى وظيفة الكتاب من حيث أنه مؤسسة للتعليم الدينـى ومساهم بدور هام فى تنشئة أعضاء المجتمع البالغين ، (مرحلة النضج) ، الى جانب وظيفة شيخ الكتاب وما يقوم به من عمليات تعليمية وتوجيهية لأعضاء المجتمع ، نذكر منها : الدروس الدينية بعد صلاة المغرب وصلاة العشاء وخطبة الجمعة والعيدين •

— مساهمة فى التحكيم فى المجالس العرفية لفض المنازعات التى تنشب بين عائلات المجتمعات •

— وتارة أخرى يأخذ صور وصفات علاجيـة لبعض الامراض غير العضوية مثل الحسد والمسة (اللمسة) ، وكثرة بكاء الطفل •

ـ قيامه بتفسير الاحلام لكل من يلجأ اليه من أعضاء المجتمع •

كما أكدت البيانات الميدانيــة خلو مجتمع بدون الكيمــان من المؤسسات الدينية (الكتاب والجامع) باعتبارهما مؤسسات معــاونة للاسرة فى عملية التنشئة الدينية للطفل ، ومن ثم انعكس ذلك على انتشار الأمية الدينية بين أعضاء المجتمع البدوى •

خامســا ـ التنشــئة والتعــليم

يركز هذا الفصل على الحديث عن دور المؤسسات التعليمية فى مجتمعات البحث فى عملية التنشئة الاجتماعية ، وذلك كما يلى :

١ ـ التعليم غير الرسمى (الكتاب) •

٢ ـ التعليم الرسمى : (الابتدائى ـ الاعدادى ، الثانوى) •

أ ـ التعليم غير الرسمى (الكتاب) :

أظهرت الدراسة أن الكتاب كان المؤسسة التعليمية الوحيدة قبل انشاء المدارس الحكومية فى مجتمعات البحث (الريف والبدو المتريف) ،

ويوجد ٥ كتاتيب فى قرية ترسا وستة فى قرية الغرق • أما مجتمع بدو الكيمان فيخلو تماما من الكتاتيب •

ـ كانت مصــاريف الكتــاب فى الماضى من المنتجات المنزليــة والحقلية لا تسبب ارهاقا ماديا ، وبالتالى أثر ذلك فى الاتجاه نحــو الحاق الابناء بالكتاب بغرض تنشئتهم نشأة دينية ، وتعليمهم مبادىء القراءة والكتابة فى نفس الوقت •

ـ كانت تقدم الادوات التعليمية للكتاب قديما مجانا من قبــل الحكومة ، أو أن يقوم الاطفال بأنفسهم بصنعها •

– تتبلور وظيفة الكتاب فى تعليم القراءة والكتابة (فك الخط بصورة آلية ، وتحفيظ القرآن) ، وهذه الآلية التى انعكست بدورها فى عمليات التنشئة ، تؤدى الى غرس قيمة الطاعة العمياء لدى الاطفال فى هذه المرحلة من العمر •

– ينقسم نظام العمل فى الكتاب الى فترتين : صباحية وأخرى مسائية ، أما الفترة الصباحية فتبدأ من الثامنة صباحا وتخصص لتعليم القراءة والكتابة للفئة العمرية ما قبل المدرسة ٤ – ٦ سنوات للقراءة والكتابة ، ابتداء من تعليم الحروف الهجائية ، ويستغرق ذلك عاما كاملا أو أكثر •

وخلصت الدراسة الى أن فترات العمل فى الكتاب – صباحا ومساءا – ، ما هى الا نوع من تفاعل الكتاب مع البيئة ، ومع متطلبات الاسرة ، من حيث عمليات التنشئة ، اذ أن الصبية الذين يتواجدون فى الفترة المسائية هم فى سن التدريب والمشاركة فى العمل، ومن ثم فان حضورهم الى الكتاب لا يتعارض مع عملهم ، وهذا الامر لا يتوافر بالنسبة للمدارس ، وقد ساعد ذلك استمرار وجود الكتاب واستمرار أدائه لوظائفه • أما فى الوقت الحاضر ، فيعتمد الكتاب على كتب يقوم الاطفال بشرائها (أجزاء من القرآن) فى حين كان شيخ الكتاب قديما يعتمد على ما يمليه على الطفل من آيات اللوح •

– كما لاحظت الباحثة أن عقوبة الضرب بالعصا هى الاسلوب الأوحد لتقويم مسار العملية التعليمية فى الكتاب ، ويعتبر غياب الطفل أكثر من يومين متتاليين سببا لضربه بالعصا •

– لم يختلف الاسلوب المتبع فى العملية التعليمية من القديم الى الحاضر من حيث اسلوب العقاب وتقسيم السور القرآنية الى

آيات يكلف الطفل بحفظها ويقـوم الشـيخ بتسميعها له فى اليـوم التالى •

دور الكتاب بوصفه معاونا للأسرة فى التنشئة :

أظهرت الدراسة أن وظيفة الكتاب فى الواقع الفعلى لا تقتصر على الوظيفة التعليمية والدينية ، بل تمتد أيضا الى الوظيفة التربوية، والتى يستخدم فيها الضرب كأحد الوسائل التأديبية شـأنه فى ذلك شأن الاساليب المتبعة فى الاسرة ، ومن الامثلة على ما يقوم به شيخ الكتاب من تأديب بعض الاطفال الذين تشكو منهم أمهاتهم للشيخ عن عصيانهم ، وتعديهم عليهن بالسب بألفاظ جارحة أو ضربهن فى بعض الاحيان •

ب ــ التعليم الرسمى (المدرسة) :

نشأة التعليم فى القرية :

يرجع تاريخ انشاء أول مدرسة بقرية ترسا الى عام ٥٩/١٩٦٠ ، وكانت بنظام الفصل الواحد ، ثم تدرج عدد الفصول فى الزيادة بزيادة عدد الملتحقين بالمدرسة والمنقولين الى المراحل التالية • كما يرجـع تاريخ انشاء أول مدرسة الزامية بقرية الغرق قبلى الى عام ١٩٣٩/١٩٤٠ وهى مدرسة الغرق قبلى ، وكان الالتحاق بهـا قاصرا على أبناء الطبقة العليا ، وفى عام ١٩٦٠ بدأت حركة التوسع فى الخـدمة التعليمية لتشمل أبناء قرية الغرق بجميع طبقاتها ، أما مجتمع بدو الكيمان فيخلو من أى مؤسسة تعليمية ــ التعليم العام أو الدينى ــ ومن ثم انعكس ذلك على سيادة الأمية بالمجتمع •

وضع التعليم فى مجتمعات الدراسة :

بالرغم من اتساع مظلة الخدمة التعليمية فى مجتمعات الدراسة:

الريف والبدو المتريف ، فان ظاهرة الغياب والتسرب من المدرسة الابتدائية كانت من الظواهر الملفتة للانتباه ، وهذا ما دعا الباحثة لمحاولة تتبع ظاهرة التسرب للوصول الى فهم أعمق للاسباب ، ولقد كشفت الدراسة المتعمقة أن هناك سببين رئيسيين يلعبان دورا هاما ليس فى ظاهرة التسرب فحسب بل أيضا بالنسبة للاتجاه نحو التعليم بصفة عامة ، ويمكن أن نلخص ذلك فيما يلى :

العامل الاول : يتعلق بالمدرسة كمؤسسة تعليمية ٠

العامل الثانى : يتعلق بنظرة مجتمعات البحث نحو التعليم التى انعكست بدورها على عمليات التنشئة الاجتماعية المرتبطة بقبول أو برفض قيمة التعليم ٠

العامل الاول : الاسباب المتعلقة بالمدرسة بوضعها كمؤسسة تعليمية :

تبين أن المدرسة كمؤسسة تعليمية تلعب دورا هاما فى اتجاهات التنشئة الخاصة بالتعليم ، سواء منها الايجابى أو السلبى ٠ **أما الجوانب الايجابية** فتتمثل فيما يلى :

— وجود المدرسة فى المجتمع المحلى يعد فى حد ذاته مركزا للاشعاع الثقافى من حيث انتظام التلاميذ بالحضور فى مواعيد محددة كل يوم ، والالتزام بالزى المدرسى ، ومجانية التعليم ودورها كعامل من عوامل الحراك الاجتماعى لأبناء الطبقتين الوسطى والدنيا ، وتوحيد بعض المفاهيم الخاصة بالنظافة الشخصية والبيئية والوعى الصحى ٠ **وأما الجوانب السلبية** : فقد أظهرت الدراسة عدم أداء المدرسة للوظائف المفروضة واقتصارها على أداء وظيفة تعليم القراءة والكتابة ، مثلا : قد يمر على الطفل عاما كاملا دون أن يتقن امساك

القلم بالشكل الصحيح ، أو أن يصل الى الصف الرابع أو الصف السادس دون أن يستطيع معرفة كتابة اسمه ثلاثيا . ويرجع ذلك الى سوء العملية التعليمية فى مرحلة التعليم الاساسى ، للأسباب الآتية :

— تأخر وصول الكتب المدرسية الى ما بعد منتصف العام الدراسى .

— المعاملة السيئة لتلاميذ المرحلة مما يدفع الكثير منهم الى الغياب والتسرب (أبناء الطبقة الدنيا) .

— نقص عدد المدرسين بالنسبة للتلاميذ مما يؤدى الى عدم استفادة التلاميذ الاستفادة المرجوة .

— زيادة كثافة الفصل (٥٠ — ٥٥ تلميذ) وضيق المكان .

— ارتفاع نفقات التعليم بالرغم من وهم المجانية(*) .

لقد كشفت الدراسة عن أن نفقات تعليم طفل الطبقة الدنيا فى المرحلة الابتدائية تصل الى ٢٦٫٠٠ جنيها فى العام — وقت اجراء البحث ٨١/١٩٨٦ — وبالنسبة للطبقتين العليا والوسطى ، فالطفل من الصف الاول حتى الثالث يكلف ٤١٫٥ جنيه سنويا . أما نفقات تعليم المرحلة الاعدادية (١٢ — ١٥ سنة) ، طبقا للبنود السابق ذكرها فتصل ما بين ٥٤ — ٥٩ جنيه فى السنة . كما أوضحت الدراسة الميدانية أن اضمحلال الدور التعليمى للمدرسة قد جعل معظم تلاميذ

(*) قامت الباحثة بحساب نفقات التعليم للمراحل التعليمية الثلاث بمجتمعات البحث بالاستعانة بالجدول الخاص بنفقات التعليم ، وذلك من خلال تحديدها للبنود الاساسية الداخلة ضمن نفقات التعليم لمجتمعات البحث وهى : الملابس المدرسية ، مصاريف المدرسة ، الأدوات المدرسية ، مصروف اليد او الجيب .

المرحلة الاعدادية فى محاولة لرفع مستواهم التعليمى تعويضا عن هبوط مستوى التعليم يلجأون اما الى الدروس الخصوصية أو مجموعات التقوية • ففى حالة التحاق التلميذ فى مجموعة واحدة تكون التكلفة ٦٢٫٧٥ جنيها — لمدة خمسة أشهر : ديسمبر/أبريل • وفى الالتحاق بمجموعتين تصبح التكلفة ما بين ٧١٫٥؛ ٧٦٫٥ جنيه فى السنة • أما بالنسبة للدروس الخصوصية :

درس خصوصى لمادة واحدة: ١٠٤ — ١٠٩ جنيه فى السنة •

درس خصوصى فى مادتين : ١٥٤ — ١٥٩ جنيه فى السنة

أما عن تكلفة تعليم الطالب فى المرحلة الثانوية وما فى مستواها (تجارى/صناعى/زراعى/معلمين) طبقا للبنود السابقة فتصل الى ٧٥٫٦ جنيه فى السنة ، وفى حالة مجموعات التقوية :

مجموعة تقوية لمادة واحدة : ١٣٥٫٦٠ جنيه فى السنة

مجموعة تقوية لمادتين : ١٩٥٫٦٠ جنيه فى السنة

وفى حالة الدروس الخصوصية :

تكلفة الدرس لمادة واحدة ١٠ جنيه فى الاسبوع وفى السنة تكون الجملة ٢٧٥٫٦٠ جنيها • وفى مادتين تكون ٤٧٥٫٦٠ جنيها فى السنة •

— عدم اهتمام الاسرة بمتابعة الطفل طوال العام من حيث الحضور والغياب •

— انخفاض طموح أبناء الطبقة الدنيا تجاه التعليم بسبب قلة روح المنافسة والتقليد •

— ونخلص مما تقدم الى القول بأن المدارس مؤسسات يقتصر دورها على العملية التعليمية دون المشاركة فى العملية التربوية الممثلة

فى الانشطة الاخرى كالنشاط الرياضى والثقافى وخدمة البيئة ، وافتقارها لحصص ممارسة الهوايات . وان كانت من الناحية الشكلية تحافظ على وجود التنظيمات كالاتحادات ومجالس الآباء .

العامل الثانى : نظرة مجتمعات البحث نحو التعليم :

لقد أظهرت الدراسة أن هناك اتجاهين متباينين هما :

الاول : يرفض وجود المؤسسات التعليمية والتعليم بصفة عامة.

الثانى : يعضد التعليم .

ويعمل كل من الاتجاهين على غرس ما يعتقده ملائما لوجهة نظره فى نفوس أبنائه من خلال عمليات التنشئة الاجتماعية .

ويتلخص الاتجاه المعارض فى :

ـ الاتجاهات الوالدية التى لم تدعم قيمة التعليم وتعلى فى نفس الوقت من قيمة العمل والتدريب عليه من سن مبكر ، وهذا يتضح فى أقوال أعضاء المجتمع (التعليم مالوش لازمة للى زينا) (الأفضل للواحد يشتغل شغلة أبوه وجده) ، وآخر يقول (أولادنا راحو المدرسة لأننا خايفين بس من المحضر والغرامة ، عشان التعليم ومرواح المدرسة ده بيضيع على الولد وقت لتعليمه شغلانة يجيب منها قرش يساعد به أسرته) .

ـ ساهمت المدرسة فى تحديد اتجاهات الافراد نحو التعليم باهمالهم فى التدريس للتلاميذ وهبوط مستواهم العلمى .

ـ اختفاء عامل المنافسة كدافع لاعلاء قيمة التعليم فى الطبقة الدنيا فى الريف ، حيث لا يوجد عضو على مستوى الدائرة القرابية يمكن أن يكون قدوة أو سببا فى المنافسة والاستمرار فى التعليم .

ـ تأثر الابناء منذ نعومة أظفارهم بما يسمعونه من آراء الوالدين واتجاهاتهم نحو تفضيل قيمة العمل والذين يعملون فى سن مبكر ، عن الذهاب الى المدرسة ، (التعليم أقل فايدة من العمل) ويقول أحد الاطفال عمره ٩ سنوات (أنه سمع والده يقول : العمل ده شيء لازم لكل واحد ، وكل واحد لابد أن يكون له عمل يعرف يكسب منه قرش حلال) ، (العمل مكسبه سريع يوم بيوم) •

كما أظهرت الدراسة أن هناك اتجاها مضادا للاتجاه الاول فى مجتمعات البحث ، يعلى هذا الاتجاه من قيمة التعليم ، ويتجلى ذلك فى تنشئة أبنائهم على أهمية التعليم والعلم سواء بالنسبة للفرد أو بالنسبة للمجتمع (الطبقة العليا وبعض من أسر الطبقة الوسطى) •

سادسا ـ التنشئة والنشاط الترويحى

مقدمة :

خصص هذا الفصل لدراسة الانشطة الترويحية سواء الرسمية أو غير الرسمية فى مجتمعات البحث (الريف والبدو) • حيث أظهرت الدراسة مدى مساهمة هذا النشاط فى عملية التنشئة الاجتماعية للفرد عبر المراحل العمرية المختلفة • فهى تتيح للافراد فرصة التدريب على أداء الادوار المتوقعة منهم تجاه الآخرين وتشبع حاجاتهم للنمو الاجتماعى والنفسى من جهة ، ومن جهة أخرى تساهم فى التخفيف من حدة الشحنة الانفعالية والضغوط الاجتماعية والاقتصادية التى تحيط بالأفراد سواء فى الاسرة أو فى المجتمع الخارجى •

١ ـ نشاط اللعب للجنسين فى مجتمعات البحث :

لقد أظهرت لنا الدراسة الميدانية أن أهم ما يميز نشاط اللعب فى مرحلة الطفولة (٢ ـ ٤ سنوات) انه يتسم بالطابع الحركى الفردى

والحر ، ويتمثل فى جلوس الطفل بجوار البالغين أو الوقوف بالباب لملاحظة القادمين من الخارج من أعضاء المجتمع • وفئة أخرى تقوم بتقليد حركات الأكبر منهم وتكرار بعض الكلمات المستخدمة فى اللعب•

ـ وهناك فئة ثالثة أكبر من الاطفال يفضلون اللعب فى الاماكن المتسعة •

كما أكدت الدراسة أن هناك ألعابا متشابهة بين الريف والبدو يمكن تصنيفها فى ضوء المحكات الآتية :

ـ طريقة أداء اللعبة : جماعى ـ فردى •

ـ زمن أداء اللعبة : صيفا ـ مساء ـ شتاء : صباحا •

ـ طبقا للجنس : ألعاب الذكور ، ألعاب الاناث •

أ ـ الألعاب الجماعية الخاصة بالذكور نذكر على سبيل المثال : لعبة امسك حرامى ، (عسكر وحرامية) ، (الاستغماية ، ويفضل لعبها فى الصباح فى فصل الشتاء) ، ولعبة (عنكب شد واركب) ، ولعبة نط الحبل • ومن الالعاب الجماعية الخاصة بالاناث نذكر على سبيل المثال لعبة : (أمنا الغولة) من الالعاب الصيفية ، ولعبة الحلقة يابو الليل •

ب ـ الألعاب الفردية الخاصة بالذكور ، نذكر : لعبة الطائرة الورقية ، الدبور ، عجلة اليد •

ـ الالعاب الفردية الخاصة بالأناث : نذكر : (اللعوب) ، الطائش (ريف) ، الكيلان (بدو) •

ـ ألعاب المحاكاة (التمثيل) :

الذكور : يقوم الطفل بتقليد أدوار البالغين مثلا : حفر مجرى مائى صغير يحاكى المجرى الخاص برى الأرض •

أما الطفل البدوى : فنجده يقوم بتشكيل الطين على شكل جمل ثم يتركه يجف ، يقوم بعدها بوضع عدد من أعواد البوص على ظهره كأنه يحمله بالحشيش أو أعواد الفول والذرة كما يشاهد فى مواسم المحاصيل •

الاناث : تمثيل بعض المواقف التى تقوم بأدائها الاناث الكبار (الأم ــ الأخوات) ، فكثيرا ما يلاحظ المار فى حوارى القرية البنت وهى تقوم بتقليد عملية العجين ، بأن تقوم بتجهيز الدقيق (التراب) ، ثم تحضر علبة صفيح صغيرة تضعه فيها وتصب عليه الماء وتقوم بعملية العجن ، وتقطع الطين فى شكل أقراص وتبططها • وطفلة أخرى تقوم بوضع عدد من الاحجار فوق قفص وتجلس أمامه على أنها تبيع حلوى ومأكولات وفى نهاية هذا العرض لنشاط اللعب للجنسين فى مجتمعات البحث ، خلصت الدراسة الى ما يلى :

ــ أن معظم الالعاب فى الريف تؤدى خارج المنزل •

ــ يؤكد نشاط اللعب فكرة الاعداد والتدريب لحياة البالغين لكلا الجنسين ، وانعكاسا لما يحدث فى المجتمع من أحداث ، فمعظم ألعاب الاطفال والصبية الذكور تميل الى الحركة السريعة واستخدام القوة العضلية فى صور الشد والجرى والقفز

ــ يؤكد نشاط اللعب تباين الألعاب بتباين الجنس ، ومن ثم ينعكس ذلك على تباين الاساليب الشخصية المتبعة فى حل المنازعات فى الحياة اليومية ، فتوضح لنا ألعاب الاطفال أن الذكور عادة يميلون الى اظهار القوة العضلية لحل المشاكل ، تتمثل فى صور الضرب بالأرجل (الشلوت) أو بقبضة اليد ، أو الشد من فتحة الجلباب والجذب الى الامام والى الخلف قائلا (اطلع لى بره ، بس اطلع) • فى حين نجد الاناث يملن الى شد الشعر والعض والقرص والبصق واستخدام

الشتائم • كما نجد أن الاساليب الخاصة بتنشئة الانثى تتعمد غرس وتقوية أن الانثى تكون معتمدة على الغير ، فلا يعيب الأنثى أن تبكى فى اللعب ، على عكس الذكر •

— كلما تقدمت جماعة اللعب فى النضج ، أخذت ألعابها طابعا أكثر تنظيما من خلال توزيع الادوار بين الاعضاء المشتركين فى اللعبة، معرفة كل عضو بقواعد وأصول اللعبة ، وخضوع الاعضاء لمبدأ القيادة الفردية ، واختياره على أساس كبر السن والقوة العضلية ، وقبول رأى الحكم فى حل المنازعات أثناء اللعب ، وسيادة الروح الجماعية •

كما تشير ألعاب الاطفال فى مجتمعات البحث الى المعنى الاجتماعى للعمر من حيث الكيفية التى يتم بها اختيار قادة اللعب على أساس عمرى ، الى جانب الاعتراف بأساس الاقدمية على أنها أمر ضرورى وهام لقيادة اللعبة ، الى جانب احترام ما يراه الرؤساء فى توجيه اللعب والقوة التى يتمتعون بها ، ومدى انعكاس هذه القيمة على أساليب معاملة الابناء لمن يكبرهم فى السن واحترامهم له •

— تمثل ألعاب الاطفال نوعا من أنواع النمو والتدريب من أجل التعليم ، المشاركة فى العديد من أدوار حياة البالغين •

— تتباين وجهة نظر الأسرة فى المجتمع بتباين أهمية نشاط اللعب بالنسبة للطفل (لمرحلة الطفولة) • بمعنى آخر ، لقد أكدت الدراسة أن هناك تباينا نسبيا بين وجهات النظر للأسرة فى مجتمعات البحث ، وبصفة خاصة فى المجتمع الريفى ، ومن حيث نظرتها الى أهمية اللعب• ومن ثم انعكس ذلك على تباين أساليب التنشئة الاجتماعية ، فوجد أن هناك علاقة بين ارتفاع مستوى الطبقة (العليا) (الوسطى) ، ونمط

النشاط الاقتصادى (اشراف زراعى ، العمل الحكومى) وبين النظر الى أهمية نشاط اللعب فى مرحلة الطفولة . فجاءت معظم استجابات الأسر فى هاتين الطبقتين تشير الى استغنائها عن معاونة الاطفال وتفرغهم لممارسة اللعب . ووصلت درجة الوعى الى حد جعلهم يشترون ألعابا لأطفالهم . فى حين جاءت وجهة نظر الأسر فى الطبقة الدنيا المعدمة ، وبعض أسر الطبقة الوسطى الأميين الذين يعملون بالأجر لدى الغير ، تؤكد عدم أهمية نشاط اللعب بالنسبة للطفل ، نظرا لاحتياجها الشديد الى معاونة الطفل فى الدخل الاقتصادى للأسرة ، واذا انعكس ذلك على أساليب التنشئة ، وجعلها تستبدل بساعات اللعب عند الطفل بالتدريب والاعداد لأداء النشاط الاقتصادى .

ثانيا : جماعة الرفاق : تمثل جماعة الرفاق (شلة الرفاق) واحدا من أشكال جماعات العمر المرتبطة بمرحلة المراهقة ، وتتميز جماعة الرفاق بأنها جماعة متجانسة نتيجة التقارب فى المرحلة العمرية ، وبالتالى تقارب الادوار الاجتماعية الموزعة بين أعضائها ، لوجود اتجاهات مشتركة ، وقيم واهتمامات متشابهة . فى حين أظهرت الدراسة أن هناك تباينا بين الخصائص التى تتسم بها الجماعات العمرية فى القرية ، تبعا لتباين التقسيم الطبقى ، ففى جماعة الرفاق فى الطبقة الدنيا يمثل الحديث فى أمور النشاط الاقتصادى الذى يعمل به المراهق وأسرته محور اهتمامه . وتارة أخرى يأخذ الحديث طابعه عن المسلسلات العربية التى يعرضها التلفزيون ، ومواعيد الموالد . أما فى الطبقة العليا والوسطى المتعلمين ، تدور معظم أحاديث هذه الجماعة عن المدرسة وأصول المذاكرة ، وتارة عن الانشطة الرياضية والثقافية فى المدرسة ، وتارة يأخذ الحديث الطابع الدينى والتحدث عن مواعيد حضور حلقات الذكر التى تقام فى القرية والقرى المجاورة .

٢ ـ النشاط الترويحى للذكور :

تتميز أنشطة شلة الرفاق فى هذه المرحلة بالتنوع والتنظيم والجماعية : وتنحصر فى نمطين من الانشطة هما : الانشطة الرسمية والانشطة غير الرسمية •

الانشـطة الرسـمية :

أظهرت الدراسة دخول الجماعات العمرية فى المجتمع الريفى مرحلة جديدة من حيث الشكل والتكوين ، من خلال مركز الشباب الذى يؤدى مهمة الاشراف على جميع الانشطة الشبابية على مستوى القرية مثل النشاط الدينى ونشاط التسلية والترفيه ، والنشاط الرياضى والنشاط الثقافى •

الأنشـطة غـير الرسـمية :

ــ نشاط السمر (تجاذب أطراف الحديث) •

ــ نشاط التسلية : يمثل ذلك فى صور الالعاب التى تتميز بالأداء الجماعى والفردى فى ممارستها ، ومن الالعاب الفردية نذكر : (البصرة والكومى) ، والسيجة •

٣ ـ النشاط الترويحى للاناث :

أكدت الدراسة أن هناك شبه اتفاق بين اتجاهات مجتمعات البحث الريفى والبدوى ، من حيث ان هذه المرحلة تخلو من أنشطة ترويحية بالنسبة للاناث • ولذا تشغل جميع الاناث أوقاتهن فى التجهيز استعدادا للزواج (الطبقة العليا والوسطى المتعلمين) ، أما اناث الطبقة الدنيا فيقمن بالعمل : صناعة القاطف والملق ، جزء منها لانتاج

السوق والجزء الثانى خاص بالتجهيز للزواج • ولكن هذا لا يمنع من ممارسة الاناث لنشاط السمر وذلك من خلال تجاذب أطراف الحدنث أثناء قيامهن بالصناعات اليدوية أو أثناء التجمع حول صنبور المياه أ وأثناء غسل الملابس والأونى فى الترعة •

٤ ـ النشاط الترويحى من خلال الأدب الشعبي :

يركز هذا الجزء على النمط الترويحى من خلال الأدب الشعبى الذى يشيع فى مجتمعات البحث ، ولذا سوف نتناول الحديث عن حكايات الاطفال باعتبارها أحد الروافد الداخلة فى عملية التنشئة ، بصفة خاصة فى مرحلة الطفولة ، الى جانب الأدب الشفاهى من خلال تناولنا الحديث عن الموال (الريف) والمجرودة (فى البدو) والرقص والأغانى الشعبية التى تتردد فى المناسبات المختلفة •

أ ـ حكايات الأطفال :

جاء اهتمام الباحثة فى دراستها الحالية بتناول قصص الاطفال باعتبارها عنصرا من عناصرا التراث الشعبى الذى قد يفيد فى فهم أساليب التربية الشائعة فى مجتمعات الدراسة بشكل مجمل ، ولكن اقتصرت الدراسة على تناول بعض الحكايات التى تفيد فى تفسير الحياة اليومية بشكل عملى •

لقد أظهرت الدراسة شيوع نوع من الحكايات فى مجتمعات البحث ـ الريف والبدو ـ ، ترويها للأطفال كل من الأم والجدة للأب ، أو التى توجد مع الطفل طبقا للنمط الأسري الذى ينشأ فيه ، وقد لاحظت الباحثة أنه عادة ما تستغل الحكاية التى تروى للطفل فى فترة الطفولة المبكرة ، ومن وجهة نظر الراوى بهدف التخويف • ومن هذه القصص نذكر على سبيل المثال : حكاية علو الجناجر ، حجر الكنز

(فى الريف) • فى حين يشسيع فى مجتمعات البـدو (بدو الغرق) استخدام عبارات (أبو رجل مسلوخة) و (أبو شوال) •

ب ـ الموال والأغنية الشعبية :

يمثل الموال والأغنية الشعبية صورة من صـور الأدب الشفاهى الشائعة فى مجتمعات الدراسة ، الا أن هناك فروقا ريفيـة بدوية فى مسميات هذه الصورة الأدبية • فالموال فى المجتمع الريفى يقـابله المجرودة فى المجتمع البدوى ، الى جانب أن هناك اختلافات جيلية فى هذه المسميات • ففى المجتمعات الريفية يظهر الموال بصورته التقليدية بين جيل الأجداد والآباء بينما يعرف بالأغنية فى جيل الابناء • أما فى المجتمع البدوى فيعرف الموال باسم المجرودة فى جيل الآباء والأجداد بينما يطلق عليه السامر فى جيل الأبناء •

ويمارس الأدب الشفاهى الذى يصوره الموال تأثيرا واضحا على عملية التنشئة الاجتماعية ، اذ أن شعور الافراد بالمكانة الرفيعة التى يكتسبها الفرد تؤدى الى حرصه الدائم على التمسك بالأخلاق الرفيعة والقيم الاخلاقية ، وبذلك يعمل الأدب الشفاهى كموجه ثقافى فى عملية التنشئة الاجتماعية اذ ينتقل من جيل الى جيل آخر ليؤكد المعـانى والقيم الاساسية التى يجب توافرها فى الشخص كى يصبح عضـوا ذا مكانة فى المجتمع •

جـ ـ الرقص الشـعبى :

لم تقتصر مجالات الترويح فى المجتمع الريفى على الموال والأغنية بل يمثل الرقص أحد صور الفن الشعبى • وقد أوضحت الدراسة أن هناك فروقا ريفية بدوية فى الرقص بينما تسود أنماط الرقص الفردى فى المجتمع الريفى نظير الرقص الجماعى فى المجتمع البدوى • وبينما

يظهر الفصل بين الذكور والاناث في الريف ، نلاحظ أن هناك اختلاطا بين الجنسين في المجتمع البدوى . ومن نماذج الرقص في المجتمع الريفي (الذكور) رقصة التحطيب وهي تؤدى في المناسبات الاجتماعية (الزواج والطهور والحج) ، كما تمثل أحد الانشطة المرتبطة بسن البلوغ ويتم أداؤها مع ايقاع ونغمات المزمار البلدى والطبلة .

٥ ــ وسائل الاعلام :

بالاضافة الى ما أسلفنا عن وسائل الترويح في مجتمعات الدراسة ، أوضحت الدراسة الميدانية الدور البارز الذى تمارسه وسائل الاعلام (المرئى والمسموع) كوسيلة من وسائل الترويح الاساسية في كافة المستويات الطبقية ، وفي المراحل العمرية المختلفة وانعكاس ذلك على عملية التنشئة الاجتماعية . فقد تبين أن هناك انتشارا ملحوظا لوسائل الاعلام (الراديو والتلفزيون) في مجتمعات الدراسة . ويرجع هذا الانتشار الى عاملين أساسيين يتمثل أولهما في دخول الكهرباء في المجتمعات الريفية بوجه عام ، وفي مجتمعات البحث بوجه خاص (ترسا ، الغرق) في العشرين عاما الماضية . أما العامل الثانى فيرجع الى هجرة كثير من أبناء الطبقة الدنيا والوسطى للعمل بالدول العربية ، مما ساعد على تحسين الإمكانيات المادية لهؤلاء الافراد وبسر لهم شراء معظم الاجهزة الكهربائية عند عودتهم الى أوطانهم الاصلية ، بما فيها التلفزيون والراديو والفيديو . وقد أدى ذلك الى تغير اتجاهات الافراد خاصة بالنسبة لمجالات النشاط الترويحى التقليدى ويتجسد ذلك في انخفاض عدد الساعات المستغرقة في ممارسة الألعاب في الشوارع والدروب بالنسبة للأطفال والاستعاضة عنها بمشاهدة التلفزيون (الأفلام العربية ، المسلسلات العربية ، مباريات كرة القدم ، برامج الاطفال) . أما بالنسبة للبالغين فقد

تناقصت تجمعات السمر نسبيا وممارسة النشاط الترويحى من خلال الأدب الشعبى الشفاهى كالموال والحكايات واتجه هؤلاء نحو مشاهدة برامج التلفزيون • أما فى الطبقة العليا والوسطى المتعلمة ، فقد ساعد التلفزيون بما يقدمه من برامج متنوعة اجتماعية وسياسية ودينية على زيادة الوعى ، وذلك من خلال الانفتاح على العالم الخارجى وتغيير الاتجاهات باكتساب الخبرات الجديدة • فضـــلا عن متابعة الأحداث الهامة التى قد تمس حياتهم بوجه خاص مثل : قرارات منع تجـريف الأرض •

القسم الرابع

أهم النتائج والاستخلاصات

وفى النقاط التالية نعرض لأهم النتائج والاستخلاصات التى توصل اليها البحث :

أولا : تباين أساليب التنشئة الاجتماعية فى المجتمع وفقا لتباين البناء الاجتماعى والاقتصادى والثقافى السائد ، فالخصائص المميزة للمجتمع الريفى تمنح عملية التنشئة الاجتمعية طابعا خاصا ومتميزا عما يسود المجتمع البدوى ، ويظهر هذا الاختلاف واضحا فى التباين الكمى والكيفى فى المؤسسات التى تشارك الاسرة فى عملية التنشئة الاجتماعية من مجتمع لآخر • فبينما تتعدد هذه المؤسسات فى المجتمع الريفى بين الكتاب والمدرسة ووسائل الاعلام وجماعات الرفاق ، تقتصر فى المجتمع البدوى على الاسرة والجماعة القرابية حيث تساهم الخصائص المميزة للمجتمع البدوى وما يسوده من نظم خاصة للضبط غير الرسمى (المجالس العرفية) فى أن تصبح عملية التنشئة وظيفة أساسية تشارك فيها الجماعة القرابية المقيمة فى منطقة واحدة قد تتسع لتشمل الاقارب العاصبين حتى الدرجة الرابعة •

ثانيا : تتباين أنماط التنشئة السائدة داخل اطار الثقافة الفرعية البدوية (بدو خلص وبدو متريف) تبعا لتباين الاصول السلالية من جهة(*) ودرجة التمسك بالهوية البدوية من جهة أخرى •

(*) ترجع الاصول السلالية لبدو الغرق الى القبائل الليبية التى قدمت من الجهة الغربية عبر العصور التاريخية واستقرت فى مصر

فقد أظهرت الدراسة أن هناك تباينا فى الاصول السلالية لكل من سكان قرية الغرق وبدو الكيمان ، بالرغم من انتمائهم للقبائل البدوية فهناك ميل قوى بين سكان بدو الكيمان الى التمسك بالهوية البدوية على الرغم من زحف المناطق الحضرية والريفية على مناطق سكنى البدو فى العشر سنوات الماضية • ولايزال بدو الكيمان يتمسكون بالثقافة البدوية التقليدية من حيث العمل بالنشاط الرعوى وتجارة الحيوانات ، والجمع بين حياة الاستقرار والترحال الموسمى وفقا لمتطلبات النشاط الرعوى للبحث عن مراعى لغذاء الحيوانات الى جانب السكنى فى الخيام ، والاعتماد على نمط الضبط غير الرسمى (المجالس العرفية) للمحافظة على استقرار وتوازن المجتمع ، ومن ثم ينعكس ذلك على نمط التنشئة السائدة فى المجتمع اذ أصبحت الاسرة نسقا مغلقا يختص بمفرده بعملية التنشئة الاجتماعية • فى حين أكدت الشواهد الميدانية ميل سكان بدو الغرق الى عدم التمسك النسبى بالهوية البدوية والأخذ بنمط الثقافة الريفية لدرجة أنه يخيل لزائرى

= بصفة عامة وفى الفيوم بصفة خاصة وتعرف هذه القبائل ببدو المغاربة — فى حين ترجع الاصول السلالية لبدو الكيمان الى القبائل القادمة من شبه الجزيرة العربية خاصة فى فترة الحركة الوهابية وما صاحبها من لجوء كثير من هذه القبائل الى مصر واتخاذها مقر لها نظرا للتشابه فى الظروف المناخية والجغرافية وتعرف هذه القبائل ببدو المشارقة •

للمزيد انظر :

١ — بيرج ، دراسات فى تاريخ مصر الاجتماعى لمصر — مرجع سابق •

٢ — عبد الله خورشيد البرى ، مدخل هجرات العرب وصلاتهم القديمة بمصر ، القبائل العربية فى مصر فى القرون الثلاثة الاولى للهجرة — مرجع سابق •

هذه المجتمعات أنها مجتمعات ريفية نظرا لتغير نمط النشاط الاقتصادى من النشاط الرعوى الى العمل بالانشطة الاقتصادية المتنوعة كالنشاط الزراعى والحرف المتنوعة (فى الطبقة الوسطى والدنيا) والاتجاه نحو التعليم والعمل بالوظائف الحكومية (الطبقة العليا وبعض من الطبقة الوسطى) بالاضافة الى تحول نمط السكنى من المناطق الهامشية الى القرى والمدن ومن سكنى الخيام الى الاقامة بالمساكن المبنية . كما ساعدت علاقات التجاور المكانى لبدو الغرق وساكنى المناطق الريفية والحضرية المجاورة على الدخول فى علاقات اجتماعية (مصاهرة) وأخرى اقتصادية ومع مرور الوقت اكتسبت هذه الجماعات البدوية خصائص السمات الريفية وبصفة خاصة فى الطبقتين الوسطى والدنيا . فى حين تمسكت الطبقة العليا نسبيا بعلاقات الزواج الداخلى (من الجماعة السلالية) وفيما عدا ذلك ذابت الثقافة البدوية فى خضم الثقافة الريفية ولم يبق منها سوى السمات الفيزيقية كلون البشرة والشعر والعيون كما يظهر الانتماء القبلى لهذه القبائل فى حالة حدوث صراع أو نزاع بين البدو الريفيين .

وبناء على ما سبق تأثرت أساليب التنشئة السائدة لدى بدو المغاربة (الغرق) بالاساليب المتبعة فى المجتمعات الريفية بحيث أصبح من الصعب التمييز بينهما فى حين ظهر الاختلاف واضحا بين هذه الاساليب وتلك التى تسود مجتمع بدو الكيمان ، اذ لايزال تأثير الثقافة البدوية ظاهرا بشكل واضح فيها .

ثالثا : تتفق اتجاهات التنشئة فى مجتمعات البحث الثلاث نحو التأكيد على قيمة العمل وأهميته ، ويظهر ذلك واضحا فى اتجاه الاسرة نحو تدريب الطفل واعداده لدخول سوق العمل منذ سن مبكرة ، من أجل المشاركة فى اقتصاديات الاسرة والتخفيف من الاعباء

المعيشية بما يحصل عليه من دخل أو عائد اقتصادى وعلى الرغم من أن هذه الظاهرة تعتبر من السمات العـامة المشـتركة فى المجتمعات الثلاثة فقد ظهرت اختلافات (ريفية بدوية) وأخرى طبقية فى هذا الصدد • اذ تتباين الأساليب المتبعة فى تدريب الطفل وأعداده فى الطبقة الدنيا طبقا لنمط النشاط الاقتصـادى للأسرة ، فالطفل الذى ينشأ فى أسرة يعمل أعضاؤها بالنشاط الزراعى تعمد أساليب التنشئة على اعداده ليكون فلاحا أو عاملا زراعيا بأن يعاون أسرته فى نشاطها ويعمل لدى الغير بالاجر فى مواسم زحام العمل • أما الاسرة المعدمة (الريفية) ـــ أى التى ليس لها نشاط محدد ـــ فعادة ما تعمد أساليب تنشئتها للطفل على اعداده لكى يمثلون قوة عاملة تشارك فى جميـع أنشطة المجتمع المحلى أو المجتمع الكبير وهى فى ذلك تتفق مع أسر الطبقة الدنيا فى المجتمع البدوى من حيث عدم الحرص على تدريب الطفل للقيام بنفس النشاط الاقتصادى للأسرة بل تتجه أسـاليب التنشئة نحو التغـير النسبى من أجل أن تتمشى مع موجة انفتـاح المجتمع المحـلى والمجتمع الكبـير ، الذى أدى الى تعـدد الانشطة الاقتصادية •

وفى حين تظهر الطبقة العليا بالمجتمع البدوى ميلا واضحا نحو الحرص على استمرار النشاط الاقتصادى التقليدى للأسرة (الرعى) تتجه أسر الطبقة العليـا فى المجتمع الريفى نحو العمـل بالوظائف الحكومية المختلفة أو الجمع فيها بين الاشراف الزراعى أو التجارى نتيجة لتوفر الامكانيات الاقتصادية التى تكفل امكانية الاستعانة بقوى عاملة فى مباشرة الاعمال الزراعية (نظام الشرك أو المزارعة) • ومن ثم تتجه الأسر نحو تعليم الابناء وذلك بالحرص على الحاقهم بالمدرسة عند بلوغ سن الالزام وتشجيعهم على الانتظام فى الدراسة وتحسين

مستواهم التحصيلى باعطائهم دروسا خصوصية بالمنزل (طبقة عليا) أو بمجوعات التقوية (طبقة وسطى) .

رابعا : هناك اتفاق نسبى بين مجتمعات البحث الثلاث على أن الاسرة (الوحدة المعيشية) هى وحدة العمل والانتاج ويظهر ذلك فى المجتمع الريفى والبدوى المتريف فى الطبقة الدنيا والمعدمة كما يظهر فى المجتمع البدوى فى كافة المستويات الطبقية . مع الأخذ فى الحسبان أن هناك فروقا ريفية بدوية تتمثل فى ثلاثة عناصر أساسية هى

(أ) التباين فى طبيعة تقسيم العمل بين أعضاء الوحدة المعيشية (الذكور والاناث) .

(ب) التباين فى مجال أداء النشاط لكل من الذكور والاناث .

(جـ) التباين فى سن بداية المشاركة فى اقتصاديات الاسرة وحجم هذه المشاركة .

أ ــ فمن حيث طبيعة تقسيم العمل أوضحت الدراسة أن الذكور فى الاسرة الريفية يشكلون الاساس فى اقتصادياتها بينما يشكل الاناث العنصر الأكثر أهمية فى الاسرة البدوية ، فعلى الرغم من ازدواجية الدور الذى تقوم به الأنثى فى الاسر الريفية بين ما يمارس من أنشطة داخل المنزل وأخرى خارجه ، الا أن المفهوم الشائع عن دور الأنثى أنه دور معاون أو مكمل لدور الذكور . فى حين يتفق المفهوم الشائع لدور الأنثى مع الواقع الفعلى لحجم ونوع النشاط الذى تمارسه الاناث فى المجتمع البدوى حيث يمثلن حجر الاساس فى النشاط الرعوى ولا ينكر عليهن المجتمع ذلك .

ب ــ تمثل الانشطة التى تؤدى خارج المنزل (رعى الحيوانات)

المجال الاساسى للنشاط فى المجتمع البدوى بينما تمثل الانشطة المنزلية المجال الثانوى ومن هنا تظهر نظرة المجتمع الى دور الأنثى البدوية خارج المنزل على أنه دور أساسى وليس دورا مكمــلا حيث تقــوم البدويات على اختلاف أعمارهن بجميع مهام النشاط الرعوى بدرجة تجعل حجم مشاركتهن يصل الى حوالى ١٠ — ١٢ ساعة يوميا طوال العام ، ولا يقتصر الامر على ذلك بل يتعداه الى الانتقال والترحال الوسمى فى مواسم الرعى لمدة تتراوح من ٣ — ٦ أشهر (الطبقــة العليا والوسطى) فى حين تقتصر مشاركة الأنثى الريفية على نشاطها داخل المجتمع .

جـ — بالرغم من اتفاق مجتمعات البحث الثلاث على مبدأ التبكير فى عملية اعداد الاناث لأداء الادوار المتوقعة منهن وهو المشــاركة فى النشاط الاقتصادى للأسرة وكذلك الانشطة الخدمية سواء ما يؤدى منها داخل المنزل أو خارجه أوضحت الدراسة ميــل المجتمع البدوى نحو التبكير النسبى فى سن تدريب الأنثى على المجتمع الريفى بينما تمثل المرحلة من ٤ — ٥ سنوات سن بداية تدريب الأنثى على ممارسة الانشطة والمشاركة الكاملة فى أداء بعضها مثل حراسة الحيوانات أو اطعامها أو رعاية الصغار نظرا لعدم تواجد الاناث البالغات بالمنزل ساعات طويلة متصلة من اليوم لانشغالهن بنشــاط الرعى . أما فى المجتمع الريفى البدوى المتريف فتمثل المرحلة من ٥ — ٦ ســنوات سن بداية تدريب الأنثى ويقتصر تدريبها فى هذه المرحلة على اعدادها لدور المعاونة لمن يكبرنها سنا من الاناث .

خامسا : كشفت الدراسة الميدانية عن وجود اتفاق نسبى بين مجتمعات البحث الثــلاث فى تدرج عملية التنشئة الاجتماعية وفقــا للأسس العلمية (الملاحظة المصاحبة والمزاملة/التقليد) وان كان ذلك يتم بشكل تلقائى وغير مقصود فالعملية التعليمية تمر بعــدة مراحل

تبدأ من البسيط الى المعقد حيث يبدأ الطفل بالملاحظة التلقائية ، ثم الملاحظة المتعمدة لسلوك البالغين من أعضاء أسرته أثناء أدائهم للنشاط ثم يبدأ الطفل فى مزاملة ومصاحبة البالغين أثناء أدائهم النشاط داخل المنزل أو خارجه ؛ ثم تقليده لما يقوم به هؤلاء من خلال المشاركة الجزئية ، أو المعاونة الى أن تأتى مرحلة التكليف بأداء جزء معين من النشاط ، فاذا ما أتقنه الطفل يتدرج بتكليفه بأداء جزء آخر الى أن يكلف بأداء النشاط كاملا بمفرده •

سادسا : تتجه مجتمعات البحث الثلاث (ريف خلص — بدوى متريف — بدو خاص) نحو تدعيم نظام مزدوج للتنشئة الاجتماعية وفقا للنوع • وتظهر هذه الازدواجية واضحة فى اختلاف طبيعة القيم الخاصة بتنشئة كل من الذكور والاناث فى كل مرحلة من المراحل العمرية •

تتجلى هذه التفرقة — فى مرحلة الميلاد — واضحة فى اختلاف حجم الرعاية والاهتمام والاحتياطات التى تمنح للأم وللوليد وفقا لكونه ذكر أو أنثى • أما فى مرحلة المراهقة فتظهر هذه الازدواجية فى اختلاف نسبة الحريات التى تمنح للذكور فى مقابل نسبة القيود التى تفرض على الاناث • فعلى الرغم من تعدد وتعاظم الدور الذى تؤديه الاناث فى مقابل تناقص الدور الذى يقوم به الذكور فى كل من المجتمع الريفى والبدوى ، وان كان ذلك أكثر نسبيا بالمجتمع البدوى حيث تتحمل الاناث قدرا كبيرا من المسئوليات الاقتصادية للأسرة فضلا عن دورها للمنزل • مع ذلك تظل نسبة الحريات المتاحة محدودة الى حد كبير • أما فى مرحلة الزواج تظهر هذه الازدواجية واضحة فى اختلاف طبيعة الادوار التى يعد الأفراد للقيام بها والتى تبدو فى تباين طبيعة القيم والافكار التى تسعى الاسرة نحو غرسها فى نفوس

الافراد تمهيدا لقيامهم بأدوار متوقعة منهم وذلك فى حدود التمييز التقليدى بين الذكر والأنثى فبينما تغـرس فى الاناث قيـم الطاعة والمهارة ، تغرس فى الذكور قيم السيطرة والسيادة •

ومع هذه الازدواجية المميزة التى تظهر فى كل مرحلة من المراحل العمرية أوضحت الدراسة أن هناك تشابها واضحا أو قدرا من العمومية فى بعض الاساليب المتبعة فى تنشـئة الذكور والاناث على السـواء وتظهر فى كل مرحلة من المراحل العمرية • وفى مرحلة الطفولة تتفق اتجاهات التنشئة فى المجتمعات الثلاث فى التساهل أو التراخى فى بعض الامور الخاصـة فى نظام التغـذية (الرضاعة) والاخراج والنظافة والنوم • وفى مقابل هذا تظهر درجة عالية من التشدد فى أسـاليب اعداد الطفل وتدريبه على العمل بمعنى أن هنـاك تبكيرا فى اعداد الطفل (ذكر أو أنثى من سن ٤ ـ ٥ سنوات) لأداء الأدوار المتوقعة منه للآخرين وهو أن يكون مشاركا فى اقتصاديات الأسرة ، سـواء ما يأخذ منها شكل خدمات أو انتاج سلع للاستهلاك أو السوق ، الى جانب اعداده من سن ٨ ـ ١١ سنة لأداء الدور المتمثل فى التعرف على الحقوق والواجبات الملزمة له تجاه الدوائر القرابية على مستوى الوحدة المعيشية ، أو الدوائر القرابية الأوسع والمشاركة فى المناسبات الاجتماعية المختلفة •

أما بالنسبة للسمات العامة المميزة لمرحـلة المراهقة (لكـل من الذكور والاناث) فى مجتمعات البحث الثـلاث فتتمثل فى استنزاف تلك المرحلة فى تحمل المسئوليات الاقتصادية كاملة ، فضلا عن تهيئة الافراد للقيام بدور الزوج أو الزوجة ، فى المرحلة التالية بحيث تختفى الى حد ملحوظ أهم السمات المميزة لمرحلة المراهقة كما يصورها علماء النفس •

سابعا : أوضحت الدراسة أن هناك فروقا ريفية بدوية فيما يخص أساليب التنشئة الدينية • فهناك التزام واضحا فى الأسر الريفية نحو تدريب الطفل على بعض العناصر الدينية (العبادات) ويتمثل ذلك فى تدريب الطفل على أداء الصلاة ، وصوم رمضان • وينعكس هذا الاهتمام فى شيوع بعض أساليب الثواب والعقاب التى ترتبط بمدى التزام الافراد بأداء التكاليف الدينية أو عدم أدائها • وعلى العكس من ذلك ظهر التحرز التام فى هذا الجانب بالمجتمع البدوى ، فقد تحولت وظيفة الدين وما يرتبط به من عبادات الى عناصر تؤدى وظيفة اقتصادية، فعلى سبيل المثال استخدمت مواعيد الاذان للصلاة فى تحديد مواعيد البدء أو الانتهاء من ممارسة النشاط الاقتصادى (الرعى) •
كما أوضحت الدراسة أن الأسر البدوريفية (الغرق) تميل الى التشابه مع الأسرة الريفية نظرا لتأثر هذا المجتمع البدوى الاصل بالثقافة الريفية بحكم التجاور المكانى وما أدى اليه من اندماج البدو المتريف فى كثير من شئون الحياة الاجتماعية والاقتصادية والثقافية على نحو ما أسلفناه • يضاف الى ذلك أن هذا التجاور أتاح لبدو الغرق فرصه الاستفادة بمعظم الخدمات المتوفرة فى المجتمع البدوى والتى تساهم فى وظيفة التنشئة الدينية بدور واضح ، ومنها المدرسة والكتاب فضلا عن دخول الكهرباء الذى ساعد بدوره على انتشار أجهزة الاعلام خاصة الراديو والتلفزيون التى تشارك بدور هام فى التوجيه الدينى. فى حين يخلو المجتمع البدوى (الكيمان) تماما من هذه المؤسسات فضلا عن عدم دخول الكهرباء مما أثر بدوره على الدور الوظيفى الذى تؤديه هذه المؤسسات فى التنشئة الدينية بالمجتمع البدوى • واقتصار هذا الدور على الاسرة التى انعدم دورها فى هذا الجانب خاصة بالنسبة للعبادات وبالتالى لم تعد قادرة على نقلها الى الابناء اذ أن فاقد الشىء لا يعطيه • ومع ذلك تبقى الاشارة الى أن الاسر

البدوية تتجه نحو غرس بعض القيم الدينية مثل الصدق والأمانة • ولكن هذا لا يرتبط بحرصها على الدين بقدر ما يرتبط بطبيعة الحياة ونمط الملكية فالطبيعة المميزة بالمجتمع البدوى من حيث كونه مجتمعا مفتوحا يجعل الاسر أكثر حرصا على تعويد أبنائها عدم السرقة أو الكذب الذى قد يهدد اقتصادياتها وحياتها هى وغيرها من الأسر •

تتباين الاساليب المتبعة فى التنشئة الدينية داخل المجتمع الواحد وفقا لتباين البنـــاء الطبقى ، فبينما تعتمد أسر الطبقة العليـــا على التنشئة المقصودة حيث يظهر توجيه الطفل مرارا ومن خلال الاعتماد على مصادر متعددة كالمدرسة وأجهزة الاعلام وتوجيهات الأبوين • يظهر عامل الصدفة بوضوح فى الطبقة الدنيا فالتوجيه عادة ما يرتبط بموقف معين يمر به الطفل وينتهى التوجيه بانتهاء هذا الموقف فضلا عن استخدام أسر الطبقة الدنيا للدين فى تدعيم بعض القيم الخاطئة لتوظيفها فى موقف معين•

وتشتمل تنشئة الطفل فى الطبقة العليا على كل من العبـــادات والمعاملات فى حين يقتصر توجيه الطفل فى الطبقة الدنيا على العبادات (الصلاة والصوم) •

كما تختلف نسبة وكثـــافة التوجيهات التى يتلقاها الطفـــل من الأبوين باختلاف الحالة التعليمية لهما فالأم المتعلمة يمكنها أن تشارك بقـــدر من التوجيه الدينى معتمـــدة فى ذلك على ما حصلت عليه من معلومات من المدرسة أو الكتاب أو عن طريق القراءة • أما الأم غير المتعلمة فلا يمكنها المشاركة فى هذه الوظيفة لأن الأسرة لم تعـــدها فى الاصل للقيام بها •

كما تلعب الأسرة الممتدة دورا هاما فى عملية التنشئة الدينية •

حيث تقوم الجدة بدور واضح فى غرس القيم الدينية بما ترويه للأطفال من قصص وحكايات تهدف الى غرس القيم الايجابية .

ثامنـا : تتباين المؤسسات التعليمية التى تشارك فى وظيفة التنشئة الاجتماعية وفقا لتباين البناء الاجتماعى والثقافى وطبيعة النشاط الاقتصادى والمستوى الطبقى للأسرة . فبينما تتعدد هذه المؤسسات فى المجتمع الريفى — البدوى المتريف بين المدارس والكتاتيب الاهلية ، والحكومية ، يخلو المجتمع البدوى تماما من هذه المؤسسات ونتيجة لذلك ظهرت اتجاهات الافراد نحو التعليم أكثر وضوحا فى المجتمع الريفى والبدوى المتريف نتيجة لتوافر هذه المؤسسات فى حين يتناقص هذا الاتجاه فى المجتمع البدوى نتيجة للبعد النسبى عن المؤسسات التعليمية .

وحين توافرت هذه المؤسسات ووجدت اقبالا عليها فى المجتمعين الريفى والبدوى المتريف — تضافرت مجموعة من الظروف التى أثرت من قريب أو بعيد على الدور التربوى الذى يجب أن تقوم به المدرسة فى عملية التنشئة الاجتماعية حيث أصبح هذا الدور مقتصرا على تعليم الافراد مبادىء القراءة والكتابة وتزويدهم ببعض المعلومات والمعارف عن البيئة والمجتمع ، وبعض المبادىء الدينية . فى حين ساهم الكتاب بسد هذا القصور بأدائه لدور المزدوج فى تعليم القراءة والكتابة وتزويد الطفل بالمعلومات الدينية من جهة ومساهمته فى العملية التربوية من خلال تقويم سلوك الابناء الذين يخرجون عن معايير السلوك والآداب التى يحرص عليها المجتمع .

— تؤكد الدراسة اختلاف اتجاهات الافراد نحو التعليم وفقا للمستوى الطبقى للأسرة ، ففى المجتمع الريفى والبدوى المتريف ظهر الاتجاه نحو التعليم فى الطبقة العليا والوسطى أكثر وضوحا فى الأسر

التى يكون فيها الأبوين قد نالا قسطا من التعليم بينما يقل هذا الاتجاه فى الطبقة الدنيا وذلك من أجل أن يصبح هؤلاء الاطفال قوى منتجة يمكن أن تشارك فى دخل الاسرة من وقت مبكر ولكن هذا لا يعنى مطلقا اختفاء الاتجاه نحو التعليم فى الطبقة الدنيا ولكنها حالات نسبية ومحدودة لا تقارن بمثيلتها فى الطبقة العليا والوسطى

تاسعا : يمثل النشاط الترويحى بصوره المتعددة : الحركية واللفظية التى تتم من خلال الجماعات العمرية (كجماعة اللعب وجماعة الرفاق) جزءا لا يتجزأ من عملية التنشئة الإجتماعية . فعلى سبيل المثال لا الحصر تمثل ألعاب المحاكاة والتقليد الشائعة بين الذكور والاناث فى مرحلة الطفولة جانبا من الادوار الاساسية التى يتجه المجتمع نحو تهيئة الافراد للقيام بها فى المراحل التالية . فمن خلال هذه الانشطة التى تعتمد على المحاكاة تتجه الاناث نحو تقليد دور الأمهات ، سواء بالمنزل (كالعجين أو الطهى أو رعاية الابناء) أو خارج المنزل (كالبيع ، والعمل بالحقل) . فبينما يتجه الذكور نحو تقليد أدوار البالغين مستخدمين فى ذلك المواد البيئية (الطين) فى عمل احواض وملئها بالماء تقليدا لعمليات الرى (الريف) أو فى صنع بعض الدواب تحمل الاعشاب أو تتجه نحو المراعى (البدو) . ويتضح من هذه الانشطة أنها توجه الطفل نحو الدور الملائم لنوعه (ذكر أو أنثى) كما تساهم الانشطة الترويحية فى تدريب الصغار على قيم المجتمع فى احترام قادة اللعب وبذلك تعود الطفل على احترام كبار السن وأولى الرأى فى الأسرة .

كما تغرس هذه الانشطة الصفات المرغوب توافرها فى الافراد وفقا لنوعهم واذا كانت ألعاب الاناث تسمح لهن بالانسحاب أو البكاء والغضب اذا تطلب الامر ، فان ألعاب الذكور لا تسمح لهم بذلك اذ لا يتفق هذا وصفات الرجولة التى يؤكدها المجتمع ويحرص عليها .

أما في مرحلة المراهقة فتعتبر جماعة الرفاق متنفسا للشباب من ضـغط العمليـة التربوية داخل الاسرة والجماعات الأخرى ، اذ أن انضمام الشباب لهذه الجماعات يساعد من قريب أو بعيد على تزويد الافراد ببعض القيـم والاتجاهات التى قد تتفق أو تتعـارض مع اتجاهات وقيم الوالدين فى الاسرة ، الى جانب انها تعتبر مصدرا من مصادر تعريف الشباب بمجتمعه المحلى وعلاقته بالمجتمع الأكبر ، ومع ذلك فان جماعة الرفاق تعتبر من الجماعات المميزة للمجتمع الريفـى حيث تشير البيانات الميدانية الى خلو المجتمع البدوى منها وذلك لتباين طبيعة النشاط الاقتصادى الذى يحتم على الاعضاء من الجنسين العمل خارج المجتمـع ، أما فى الرعى بالنسبة للاناث فى كافة المسـتويات الطبقية أو بالنسبة للذكور فى الطبقـة العليا ، واما للعمل بالحرف (المهن) المختلفة بعواصم المدن الكبيرة • أو فى الدول العربية (عامل معمـارى) وذلك بالنسبة للذكور من الطبقتين (الوسطى والدنيـا المعدمة) •

عاشـرا : وبناء على ما تقدم من نتـائج لدراستنا نخلص الى القول أننا نتنبأ فى ضوء الشواهد الامبيريقية الى اختفاء المجتمعات التى تحتفظ بالسمات الثقافية للبـداوة التقليدية (الخالصة) واختفاء المجتمعات التى تحتفظ بالسمات الثقافية الريفية التقليدية (الخالصة) بدليل أن الفروق الريفية الحضرية المتعارف عليها لم يعد لها وجود واقعى • وقد يرجع ذلك الى الانفتاح على العـالم الخارجى ، ومما يؤدى الى ظهور مناطق ذات أنماط متداخلة ، ليس لها حدود ثقافية محددة كالحدود الجغرافية التى يشير اليها الجغرافيون • ومع حدوث هذا التداخل والتقارب فى السمات الثقافية المميزة لكل من المجتمعين الريفى والبدوى ستظل هنـاك دائما ازدواجية قائمة وفقا للنـوع (ذكور واناث) كما ستظل أيضا الازدواجية الطبقية قائمة •

حادى عشر وكما أوضحنا فى موضع سابق أن اختيار الاتجاه التكاملى لتحليل المادة الميدانية جاء اتفاقا مع ما يطرحه الواقع الميدانى من نتائج تؤكد ضرورة الاستعانة بأكثر من اتجاه نظرى فى التفسير • فقد كشفت نتائج الدراسة عن ذلك بوضوح فهناك العديد من النتائج التى صعب تفسيرها فى ضوء اتجاه نظرى معين • فعلى سبيل المثال لا الحصر جاءت نتائج الدراسة حول الدور الذى تمارسه المؤسسات التعليمية فى عملية التنشئة الاجتماعية التى تؤكد وجود قدر من التساند والاعتماد المتبادل بين الاسرة والمدرسة كأحد النظم الاجتماعية التى تشارك الاسرة فى هذه العملية • وتلك هى احدى القضايا الاساسية التى ينهض عليها الاتجاه البنائى الوظيفى • وفى نفس الوقت تؤكد نفس النتيجة أن امكانية ممارسة المؤسسات التعليمية لدورها فى عملية التنشئة الاجتماعية يرتبط بشكل مباشر بالمستوى الطبقى للأسرة ذلك المستوى الذى يعتمد أساسا على الملكية الاقتصادية للأسرة سواء للأرض (فى المجتمع الريفى) أو لرؤوس الماشية (فى المجتمع البدوى) • وتلك هى احدى القضايا الاساسية للاتجاه المادى التاريخى ، وهكذا ينسحب حديثنا هذا على العديد من النتائج التى توصلت اليها الدراسة والتى تناولناها تباعا على صفحات دراستنا والتى تؤكد امكانية النظر الى الاتجاهات النظرية من مدخل تكاملى •

* ● *

الفصل الرابع

بعض ملامح التغير الاجتماعى والثقافى فى الريف المصرى كما تعكسه عادات دورة الحياة — دراسة متعمقة لقرية مصرية(*)

تمهيـــــد :

خرجت الدراسة التى نعـرض لها هنـا فى ٣٢٨ صفحة ، وقد تسمت الى بابين يضمان تسعة فصول • خصص الباب الاول لمعالجة موضـوع الدراسة وقضايا المنهج ، وخصص البـاب الثانى لعرض الدراسة الميدانية • وجاء ترتيب فصول الدراسة على النحو التالى :

الفصل الأول : يتناول الاتجاهات النظرية ، والثانى يقدم نظرة نقـدية لبعض الدراسات التى أجريت عن عادات دورة الحيـاة على المستوى العالمى والمحلى ، والفصل الثالث عن الاجراءات المنهجيـة للدراسة ، والفصل الرابع البناء الاجتماعى لمجتمع البحث ، أما الفصل الخامس فقدم حالات الدراسة كنموذج تحليلى لبعض ملامح التغير

(*) عرض لرسـالة : منى ابراهيم حامد الفرنوانى ، بعض ملامح التغير الاجتماعى والثقـافى فى الريف المصرى كما تعكسـه عادات دورة الحياة • دراسة متعمقة لقرية مصرية • رسـالة قدمت للحصول على درجة الدكتوراة من قسم الاجتماع بكليـة البنات — جامعة عين شمس ، عام ١٩٨٩ تحت اشراف الاستاذة الدكتورة علياء شكرى •

فى مجتمع القرية وتناول السادس والسابع والثامن عادات الميلاد والزواج والموت بين الثبات والتغير رؤية للتغيرات الاجتماعية والثقافية ، واختتمت الدراسة بالفصل التاسع الذى قدم رؤية نقدية وتحليلية لنتائج الدراسة علاوة على الملاحق التى تضم بطاقات الاخباريين ومصادر الدراسة .

وسيتم عرض أهم محتويات الدراسة من خلال مقدمة توضح موضوع الدراسة والاجراءات المنهجية ثم أهم النتائج الميدانية للدراسة وذلك على النحو التالى :

اولا : موضوع الدراسة :

تعد دراسة بعض ملامح التغير الاجتماعى والثقافى من الدراسات الانثروبولوجية الفولكلورية الاجتماعية التى انطلقت من اطار تصورى حول وجود علاقة تفاعل وتأثير متبادل بين قضايا التغير والتراث الشعبى متجسدا فى عادات دورة الحياة التى تعد أحد الجوانب المتشعبة والمرتبطة بالعديد من الجوانب الاجتماعية فى حياة الانسان ، ومن خلال هذا المنطلق اتجهت الدراسة الى محاولة الوصول الى العوامل المؤثرة فى احداث التغير فى ضوء مجتمع ريفى لا يتمثل فيه التصنيع والتحضر ، وخاصة أن هناك بعض الآراء التى ترى أن المجتمعات الريفية أبطأ فى سرعة التغير عن المجتمعات الحضرية . ومن خلال ذلك برزت العوامل الاقتصادية وعوامل الاتصال بين القرية والمدينة وكذا القرب الجغرافى من أحد المدن كمحكات لقياس التغير الامر الذى أدى بالدراسة الى اختيار قرية من قرى محافظة الجيزة — قرية البراجيل — لتوافر هذه المحكات بها .

ويرجع اتخاذ الدراسة لعادات دورة الحياة كبؤرة يمكن من

خلالها دراسة عوامل التغير ، الى أنها تعد أداة ملموسة ، يمكن من خلالها تقديم فهم أعمق لطبيعة العلاقات الاجتماعية . وقد تطلب ذلك التركيز على دراسة الاسرة باعتبارها المحور والوعاء لهذه العادات. والى جانب ما تقدم فان دراسة العادات تسهم فى اثراء دراسات التراث الشعبى ، كما تعمل على رصد وتفسير وتحليل هذه العادات قبل اندثارها أو تغييرها ، الامر الذى قد يؤدى الى فهم طبيعة الشخصية المصرية ، والتى يعد الوصول الى ملامحها أحد الجوانب التى سعت الدراسة الى تحقيقها .

ومن خلال ما تقدم حاولت الدراسة تبنى أحد النظريات لتكون هاديا لها سواء فى الجمع الميدانى أو فى التحليل ، الا أن الواقع الفعلى قد أثبت عقم الاعتماد على مدخل نظرى واحد وذلك من خلال طبيعة الدراسة الذى يتناول التغير الاجتماعى والثقافى فى آن واحد وكذا لخصوصية المجتمع المصرى من حيث كونه مجتمعا له سمات خاصة اكتسبها عبر تاريخه . ومن ذلك تبين أن الوصول الى الابعاد الحقيقية للتغير فى ضوء اتجاه نظرى واحد يؤدى الى رؤية أحادية . لذا ظهرت الحاجة الى نظرة شمولية أو تكاملية لبعض الاتجاهات النظرية التى تناولت موضوع التغير الاجتماعى والثقافى ، بحيث يتم من خلالها اختيار المداخل التى تناسب جزئيات البحث وتفسيرها ، وعلى ذلك تم الاستعانة بمداخل النظريات التالية : طقوس العبور ، الوظيفية ، التطورية المحدثة ، الاتصال ، التفاعلية الرمزية والتبعية(*) .

(*) يتم عرض هذه المداخل فى الفقرة (٤) رؤية نقدية وتحليلية لنتائج الدراسة .

ثانيا : الإجراءات المنهجية للدراسة :

ــ وقد تطلبت قضية البحث دراسة عادات دورة الحيـاة دراسة تقوم لا على مجرد الوصف أو الجمع القائم على الضبط والاحكام ، بل التحليل فى ضوء بعض الأطر التصورية ، تحليلا يضع فى اعتباره وجود علاقة تفاعل وتأثير متبادل بين الجزء المدروس متمثلا فى مجتمع القرية والكل الذى يعيش فى اطاره المجتمع المصرى ، بحيث يؤدى فهم علاقة التغير ما بين الجزء والكل الى فهم طبيعة وعوامل التغـير فى المجتمع المصرى •

ولقد أدى هذا المنظور الى استخدام المنهج الايكولوجى ، ومنهج دراسة المجتمع المحلى ، ومنهج دراسة الحالة ، بالاضافة الى مناهج البحث الانثروبولوجى والمنهج المقارن • ولعل الجمع بين هذه المناهج والمنهج الفولكلورى الذى يعمل على جمع الظاهرة ووصفها قد أدى الى الكشف عن الابعاد الحقيقية لجزئيات مشكلة البحث •

وقد قاد **المنهـج الايكولوجى** الى فهم مدلولات الخصـائص الفيزيقية لبيئة مجتمع البحث الريفية حيث كانت لهذه الخصـائص أثر فى طبع عادات دورة الحياة بسمة خاصة • كما كان لطريقة تنظيم المجتمع وشكله الناتج عن طبيعة أرضه وكذا موقعه بالقرب من مدينتى القاهرة والجيزة وسهولة الاتصال بينهم الاثر فى فهم العـديد من مدلولات العادات وتغيرها •

كما قاد منهج **دراسة المجتمع المحلى** الى معرفة دور المؤسسات الرسمية وغير الرسمية فى صياغة حياة أعضاء مجتمع البراجيل • فمن ناحية المؤسسات الرسمية نجد دور الوحدة الصحية وكذا الدور الذى تلعبه القابلات العاملات فيها بدلا من الدور التقليدى للداية • وهناك

ايضا المدارس وانتشارها وأثر ذلك على زيادة تعليم الاناث وانعكاسه فى عمليات الاختيار للزواج . أما بالنسبة لتنظيمات غير الرسمية فنجد الداية ودورها فى عمليات التوليد والاحتفالات المرتبطة بالميلاد والزواج ودور المأذون فى اتمام الزيجات . كما تلعب الجمعيات الاهلية دورا فى خلق المشاركة الاجتماعية . كما ساعد هذا المنهج على دراسة الأسرة باعتبارها الوعاء الثقافى الذى يتلقى منه وفيه الفرد المعتقدات والعادات وذلك تبعا للموقع الاجتماعى والطبقى للأسرة . وقد أدى ذلك الى الاهتمام بمراكز القوى داخل الأسرة كما أسهم فى فهم سمة من سمات شخصية القرية والمتجلية فى المشاركة الاجتماعية بين أبنائها فى احتفالات وعادات دورة الحياة .

وقد ساهم **المنهج المقارن** من خلال المقارنة الزمنية فى معرفة شكل التغير ومضمونه ، وسرعته ، واتجاهاته ، علاوة على جوانب الثبات لتلك العادات ، من خلال دراسة الوضع الراهن لهذه العادات مع تحديد فترة زمنية يتم من خلالها الوصول الى نمط العادات التى كانت سائدة من قبل .

وقد كان لمنهج **دراسة الحالة** أثر فى وضع الابعاد التى تم على أساسها اختيار الأسر محور الدراسة ومنها البعد الجيلى ، والطبقى ، والمهنى .

ولا نستطيع أن نغفل ما قدمه **المنهج الانثروبولوجي للدراسة** سواء فى اختيار مجتمع البحث أو جمع المادة الميدانية من خلال استخدام الوسائل والادوات المختلفة ومنها دليل العمل الميدانى حيث استعانت الدراسة بدليل العادات والتقاليد الشعبية لجمع المادة ، علاوة على أن تطبيقه يعد محاولة لتقنينه بعد السنوات العشرين

لظهــوره وهو هدف سعت الدراســة الى تحقيقه • كمــا ساهمت **الملاحظة والملاحظة** بالمشاركة ســواء بالنسبة للمجتمع ككل أو داخل الأسرة على تفهم الكثير من جوانب الحياة داخل القرية والذى كان الاكتفاء بوصف أفراد مجتمع البحث لن يفيها حقهــا • ولقــد كان **المقــابلات** سواء الأولية أو المتعمقة والموجهة أثر فى تعمق معايشة الباحثة مع أفراد مجتمع البحث •

كما أشارت الدراسة الى مدى ما ساهم به **المنهج الفولكلورى** فى لمس الظاهرة حيث أسهم **المنهج التاريخى** فى اظهار شكل ومضمون واتجاهات التغير • كما أن دراسة الظاهرة من خلال **المنهج الجغرافى** يؤدى الى بلورتها واظهارها كمنطقة ثقافية لها سماتها المميزة • وأدى **البعد السوسيولوجى** لهذا المنهج فى توجيه الاهتمام بدراسة الانسان كحامل للثقافة ودور الاختلافات الطبقية فى تحديد أنماط العــادات داخل كل طبقة وأثر التغيرات على حدوث حركة للتراث بين مختــلف الطبقات • ولعل هذه الابعاد تقود الى جانب **البعــد السيكولوجى** الى تحديد طبيعة السمات الثقافية لمجتمع البحث والذى قد يعكس الشخصية المصرية وخصوصيتها باعتبار أن مجتمــع البحث جزء من المجتمع الأم •

* ● *

ثالثــا : أهم النتائج الميدانية للدراسة :

١ ــ عــادات الميــــلاد :

تحظى عادات الميلاد باهتمام خاص قد يفوق تلك المرتبطة بعادات الزواج أو الموت • ويرجع ذلك كما تشير الدراسة الميدانية الى القيم التى يضعها مجتمع القرية حول الانجاب ، ومن ثم يظهر مدى أهمية الدور الذى تلعبه الأسرة فى تلقين أبنائها مختلف تلك العادات وتنشئتهم عليها •

وتظهر أهمية الانجاب من خلال القلق الذى تعانى منه الأسر عند التأخر فى الحمل • وتلعب أيديولوجية المجتمع دورا فى ارجاع العقم الى المرأة حيث يعد من المعيب ارجاع العقم الى الرجل لأن ذلك يمس قدراته الجنسية •

ومن المتوقع أن يتم الحمل بعد الزواج مباشرة ويعطى المجتمع فترة العامين كأقصى فترة يمكن انتظارها لحين حدوث الحمل • وتتدخل عوامل متباينة للانتظار حتى انتهاء هذه الفترة أو ظهور القلق قبل ذلك • ومن ذلك وضع الزوج داخل أسرته ، وعمره ، والوضع الاقتصادى والاجتماعى للأسرة • وتدل الدراسة على أن القلق قد يبدأ من أسرة الزوج ثم تليها أسرة الزوجة ، أو من الزوجة نفسها خاصة اذا كانت تعيش داخل نطاق الأسرة الممتدة •

ويؤدى القلق من تأخر الانجاب الى محاولة علاجه ، والتى تبدأ بعلاج المشاهرة وحيث يسود الاعتقاد بأنها السبب الاساسى للعقيم (المشاهرة قوة غيبية تنتج من حدوث حدثين فى زمن واحد تسبب منع الحمل للسيدات اللاتى يعشن هذه الاحداث) •

ويضع مجتمع القرية **اجراءات للوقاية من العقم** وذلك من خلال الحيلولة دون حدوث المواقف التى تسبب المشاهرة ، كما يضع اجراءات للعلاج • وتشير الدراسة الى حدوث تغير فى مجتمع البحث أدى الى زيادة الوعى الصحى الذى انعكس على محاولة علاج العقم طبيا • وقد بدأ الاتجاه بعلاج الزوجة ، الا أنه اتسع ليشمل الزوج • وعلى الرغم من ذلك فان الدراسة تؤكد أن علاج الزوج يتم بصورة مستترة تنحصر بين الزوج وزوجته الا أن المطالبة به قد تنتقل الى أسرة الزوجة اذا ما تفاقمت الامور بين الزوجة وأسرة الزوج من حيث مطالبتهم لها بضرورة الانجاب • وتظهر الدراسة أن أسرة الزوج كانت فيما مضى

تدعو الزوج الى الزواج مرة أخرى اذا تأخر انجابه أو اذا فشلت الطرق التقليدية فى علاج الزوجة •

ويعد **حدوث الحمل** من الاحداث ذات الدلالة والقيمة التى تستحق العناية والاهتمام ويتجلى ذلك فى تعدد العبارات التى تشير الى حدوثه • ويختلف اعلان الحمل وطريقته حسب طول فترة الزواج ونمط الأسرة التى تعيش فيهـا الزوجة حيث قد يتم الاعـلان فور حدوثه فى حالة الأسرة الممتدة التى تضم (السلايف) أو اذا تأخر حدوثه فترة زمنية طويلة ، كما قد يتم تأخير الاعلان بالنسبة للجيران والاهل خوفا من الحسد وذلك الى حين بدء الشهر الرابع •

ويبدأ الحمل بمـا يسمى **الوحـم** والوحم مظـاهر فيزيقيـة واجتماعية ويلعب الجانب الاعتقادى لمجتمع البحث دورا قويا فى الآثار التى يمكن أن تترتب على عدم تلبيـة طلبات الوحيم • كما أظهـرت الدراسة أن للبعد الطبقى دورا واضحا فى اختلافها بين الطبقات العليا والوسطى وبين الطبقة الدنيا •

وتتميز فترة الحمل أيضا بمحاولة التنبؤ بجنس الوليد وترجع هذه المحاولات الى القيمة التى يضعها المجتمع للذكورة ومن ثم تلعب هذه التنبؤات دورا فى تخفيف حدة التوتر الذى قد تشعر به الأسرة التى ترغب فى الوليد الذكر •

ويبدأ **الاستعداد للوضع** قرب نهاية فترة الحمل وتتضمن هذه الاستعدادات تجهيز الواضعة وكذا اعداد ما يلزم لاستقبال الوليد الى جانب تجهيز الطعام الذى سيقدم للواضعة وهو عمل تضطلع به الأسرة وقد يبدأ منذ الشهور الأولى للحمل

وحول الاستعدادات التى تتم قبيل الولادة يشير أفراد مجتمع

البحث الى أنها تتركز حول اعطاء الواضعة بعض المشروبات الساخنة أو بعض المأكولات التى يعتقد أن لها دور فى تسهيل عملية الوضــع وذلك الى جانب أداء بعض الممارسات التى تسهم فى ذلك ومنها حل جدائل الشعر حتى لا تتعقد الولادة •

وتبـــدأ **العلامات المميزة للوضع** بما يسمى الطلق • وعند ظهور هذه العلامات تقوم الأسرة بعمل اختبار لقيـــاس جدية هذه الآلام وتتولى الحماة التى هى قائد الأسرة أداء هذا الاختبار •

ومن العادات التى يجب مراعاتها أن تتم الولادة وخاصة فى المرة الأولى فى منزل والد الزوجة وقد تتم فى كل مرة ولادة ، ويعتمد ذلك على الوضع الطبقى لأسرة الزوجة وكذا على نمط أسرة الزوج ، حيث تفضل من تعيش فى نمط الأسرة الممتدة الوضع فى منزل أسرتها حيث تتمتع بالتغذية الجيدة بعيـــدا عن سلطة الحماة وأعين ســـلائفها • أما بالنسبة للطبقة الدنيا فان تفضيل الولادة فى منزل الأب يتعـــدى الرغبة فى توفير الراحة للابنة الى تحقيق بعض المصالح الاقتصادية للأسرة ، حيث يعد لزاما على الزوج ارسال هدية عينية الى الزوجة بعد الولادة مباشرة تسمى «العشا» وذلك بالاضافة الى العشا الذى سيرد الى والد الزوجة كنقوط سواء من الاهل — أهل الزوجة وأهل الزوج — أو من الاصدقاء والجيران ردا على ما قد يكون والد الزوجة أو أسرة الزوج قد قدمه سلفا • ويختلف العشا المقدم من الزوج فى كميته تبعا للوضع الطبقى للأسرة • ويتضمن العشا المقدم من الزوج معنى رمزيا لمدى غلاوة الزوجة ومدى فرحة أسرة الزوج بالوليـــد الجديد ، وكذا مدى تقدير الزوج لأهل زوجته حيث لابد وأن يتناسب مع الوضع الطبقى لأسرة الزوجة •

وقد كان **الوضـــع** فيما مضى يتم على يد داية القرية ، ولازالت

الداية تلعب دورا فى عملية التوليد ، الا أن تقدمها فى العمر علاوة على الخدمات المختلفة التى تقدمها الوحدة الصحية بالاضافة الى اقامة بعض المولدات الصحيات بالقرية واتقانهن الممارسات الشعبية التى كانت تؤديها الداية • وتظهر الدراسة أن هناك اتجاها حديثا للوضع على يد الاطباء بالبلدة الا أن ذلك لا يتم الا بالنسبة للمتعلمات من الطبقة العليا • أما الحالات العسرة فيتم نقلها الى أحد المستشفيات الحكومية •

وتتم الولادة فى أحد غرف المنزل ولقد كان يتم وضع رماد الفرن تحت الواضعة حتى يتشرب دماء الولادة ، الا أن زيادة الاتصال بالمدينة وزيادة الوعى الصحى قد أدى الى اندثار هذه العادة • وتظهر الدراسة مدى التفاعل الاجتماعى بين أبناء القرية وذلك من خلال حضور نساء الاهل والاصدقاء بل والجيران لعملية الوضع وقيامهن بدور نفسى من خلال تشجيع الواضعة والدعاء لها أو فى تأدية بعض الخدمات •

وبعد اتمام الوضع تقدم للداية هدايا نقدية من عدة مصادر الاول من والد الطفل وتسمى بشارة الولادة • وتختلف تبعا لعدة اعتبارات منها الوضع الطبقى لوالد الطفل وجنس الوليد وترتيبه ، حيث ترتفع فى حالة المولود الذكر وخاصة اذا كان الطفل الاول للأسرة والهدايا الاخرى تقدم من الحاضرات للوضع وتعد نقوطا على الواضعة ردها فى مناسبات مماثلة •

ويعد الانجاب مرحلة تكون الواضعة والوليد فيها فى وضع خاص، ولذا يكونا محورا للاهتمام والرعاية ، حيث تقدم للأم عناية خاصة يقصد بها اعادة التكامل للأم أى اعادة الأم الى حالتها الطبيعية فيما قبل الحمل والوضع • وتتم العناية سواء من قبل الداية بتكبيس الأم أو

تنظيف جسدها من آثار الوضع ؛ أو من أهل الواضعة ؛ ويتمثل فى حمايتها من الاخطار التى يعتقد أنها تتهددها فى تلك الفترة وعلى رأسها حمايتها من المشاهرة ، وتكون بمنع بعض الاشـــياء من الدخول على الواضعة ومنها حبوب السبوع وأنواع من الخضروات الطازجة ، كما تتضمن العنـــاية بها تقديم أطعمـــة دسمة تســـاعد على استردادها لصحتها •

وتلعب قيمة الطفولة دورا بارزا فى الممارسات التى تجرى للوليد فى أيامه الاولى بهدف المحافظة على حياته وحمايته من الكائنات فوق الطبيعية ، وكذا الممارسات التى تهدف الى العناية بصحته وتجميله •

ويعـــد **اعلان ميلاد الطفل وجنسه** من السمات المميزة للمجتمعات القروية حيث تتميز بالفضول وخاصة بالنسبة لجنس الوليد ، ولذا يتم الاعلان عن جنسه بمجرد الوضـــع • ويلعب الحسد دورا بارزا فى اخفاء جنسه فى بعض الاحيان ، وخاصة فى حالة انجـــاب عدة ذكور وذلك نظرا للقيمة العليـــا للذكورة فى مجتمع القرية • وقد تلجـــأ الأسرة فى هذه الحالة الى عدة أساليب وقائية منها اطلاق اسم أنثى على الوليد الذكر • ويختلف الامر فى حالة ميلاد ذكر بعد عدة اناث ، حيث يتم اعلان الخبر فور حدوثه • وقد تقوم الأسرة وخاصـــة فى الطبقة العليا والوسطى الى اقامة وليمة احتفالا بهذه المناسبة • وميلاد الذكر يعنى فرحة للأم التى استطاعت أن تحقق قيمة من قيم المجتمع بل وتدعم مركزها داخل منزل أسرة الزوج ويحفل المجتمع بالعديد من الاغانى التى تقال ابتهاجا بمواد الذكر •

وتمثل تغذية الطفل أهم أوجه الرعاية التى تحرص عليها الأسرة• ويعد نمط الرضاعة الطبيعية هو النمط السائد بالقرية الا أن الدراسة تكشف عن ظهور اتجاه جديد لدى بعض الأمهات الشابات فى تغـــذية الاطفال بالالبان الطبيعية بدلا من الرضاعة الطبيعية •

وتدور العـــديد من المعتقدات حول الآثار المترتبـــة على خروج الواضعة خارج المنزل ــ التى تتمثل فى المشاهرة ــ التى قد ينتـــج عنها اما أضرار تتعلق بادرار اللبن أو فى حسد الواضعة لقدرتها على الحركة فى فترة زمنية قليلة ولذا توضع فترة زمنية محددة لخـــروج الواضعة تتمثل فى ظهور هلال شـــهر عربى جديد . واذا اضـــطرت الواضعة للخروج قبل ذلك تعمل على تأمين سلامتها بحمل حجاب .

ولما كان **الاســـم** يعد تكريســا للميلاد الاجتماعى للانسان الذى يدخل من خلال التسمية الى عضوية الوحدة الاجتماعية التي ينتمى اليها ، ولذا يضع مجتمع البراجيل العديد من المحددات التي تســـهم فى عملية اختيار اسم الوليد ومنها اختيار اسم جد الاسرة تأكيـــدا لقوة السلطة الأبوية ، وكذا الاســـماء الدينيـــة تبركا بهـــا . ويلعب الاعتقاد فى الحسد دورا فى اطلاق أسماء الاناث على الذكور ، وكذا اختيار الاسماء المحقرة . ولقد أسهمت عوامل التغير فى ظهور أسس أخرى لاختيار الاسماء ومنها الدور الذى لعبته وســـائل الاعلام فى الاتجاه الى اختيار أسماء ممثلى السينما والتليفزيون وهناك أيضـــا ما لعبه التنوع الاجتماعى من خلال التعليم حيث قد يطلق أســـماء مشاهير الاطباء والمهندسين سواء من أبناء القرية أو خارجها أملا فى أن يسير الوليد على نفس المنوال التعليمى الناجح لسميه .

ويعد اقامة **احتفـــال السبوع** من السمات الجـــوهرية المميزة لعادات الميلاد ، حيث يكون اما رمزا لبقاء الطفل على قيد الحيـــاة ، أو خطوة لاعادة التكامل للواضعة من حيث فك القيود التى حتمتهـــا عليها حالتها فى هذه الفترة . يعد السبوع أيضا طقس ادماج للطفل مع البيئة الاجتماعية التى تحيط به . ويتجلى ذلك من خلال الممارسات

المختلفة التى يبدأ فى الاعداد لها من اليوم السابق لاجراء السبوع . والذى من المعتاد اجراؤه فى اليوم السابع للميلاد ومن ذلك اعداد الحبوب وتبييتها بجانب الطفل رمزا الى تواجد الخير معه . وهناك القلة أو الابريق الذى لابد وأن يملأ بالماء أملا أن يعم الخير حياة الطفل كما لابد وأن يشرب منه أحد المسنين حتى يكبر الوليد ويعيش مثله ، كما يتم وضع شمعة وذلك بهدف صرف الملوك التى كانت تحمى الطفل وفى هذه الليلة أيضا يتم استحمام الطفل لأول مرة . أما يوم السبوع فيبدأ العمل فيه منذ الصباح الباكر باعداد أرز مطهى باللبن رمز للخير والرزق والنقاء ، يتم توزيعه على الجيران ، وبعدها يبدأ حفل السبوع الذى يعد حفلا نسائيا تتولى فيه الداية الدور الرئيسى من حيث غربلة الطفل وحرق البخور ، واحراق ملح ، اعتقادا بأن هذه الممارسات تسهم أيضا فى صرف الملوك والتى يعتقد أن بقاءها يؤدى الى ايذاء الطفل والأم .

ويتضمن الحفل ترديد بعض الاغانى احتفالا بهذه المناسبة.وبعد ذلك تقوم الداية بعمل حجاب للطفل يعلق حول وسطه لحمايته .. ويقدم للداية بهذه المناسبة هدية نقدية من جانب أسرة الوليد وكذا من الحاضرات للسبوع ويعد دينا على أسرة الوليد . ويتولى الجد من ناحية الأب الانفاق على كافة تكاليف حفل السبوع تدعيما لقوة السلطة الأبوية على الابناء .

ويعد **الفطام** أحد المراحل الاساسية التى ينتقل الطفل بعد حدوثها الى مرحلة أخرى يصبح بعدها كيانا مستقلا عن الأم . ويختلف سن الفطام تبعا لعدة اعتبارات منها نوع الطفل وتربيته وكذا الطبقة التى تنتمى اليها الأسرة ونوعية عمل الأم .

واذا كان النمط السائد فى مجتمع القرية فطام الطفل عند سن

السنتين فان الفترة قد تمتد الى أكثر من ذلك فى حالة الطفل الأول الذكر أو بالنسبة لأبناء الطبقـة الوسطى والدنيـا من غير المتعلمات للاحساس بأن الارضاع يفيد الطفل أكثر من الطعام • ويساعد عمل الأم فى الفلاحة على ذلك حيث تستطيع اصطحاب الطفل معها •

ويعد الفطام التدريجى هو النمط السائد فى مجتمع القرية ويتم باحلال بعض الوجبات بادئين بالوجبات اللينة • ولا يتم اللجوء الى الفطام التعسفى الا فى حالة تشبث الطفل • وهنا يتم دهن الصـدر برحيق نبات الصبار أو ايهامه بأن هناك بعض المخلوقات غير الطبيعية فى صدر الأم • ولما كان الاعتقاد فى تعرض الأم للمشاهرة فى هذه الفترة فان الفطام يتم فى نهاية الشهر العربى حتى لا يطول بهـا الانتظار لحلول شـهر عربى جديد وتصبح عرضة ومجالا للمشاهرة التى قد ينتج عنها عدم الحمل مرة ثانية •

ويمثل اجراء **الختـان** للذكور والاناث جانبا من الجوانب ذات الطقوس الاحتفالية فى عادات الميلاد علاوة على تضمنه العـديد من العلاقات الاجتماعية ذات الصبغة الدينامية • وترجع أهميته بالنسبة للذكور الى الناحية الدينية أما للاناث فترجع الى الاعتقاد بقدرته على منع الزلل والتشبه الجسمانى بالذكور • ويتم الختان للذكور فيما بين سن العاشرة والحادية عشـر • أما للاناث فيفضل اجراؤه فى سـن الثامنة • وهناك بعض الحالات يتم فيها الختان فور الولادة ، وخاصة فى حالة الوضع بأحد المستشفيات • ويفضل اجراء الختان فى المناسبات الدينية تبركا بهـا أو قد يتم حـين اقامة أحد أفراح الاسرة توفيرا للنفقات ولزيادة فرح الاسرة • ويتم الختان على يد الداية بالنسبة للاناث وعلى يد الحلاق بالنسبة للذكور ، وعلى الرغم من ظهور اتجاه للتغير فى الاتجاه لأداء الختان على يد الطبيب الا أن اسـتمرار دور

الداية والحلاق يرجع الى احساس أهالى القرية بالألفة مع الحلاق والداية علاوة على محافظتهم على العادات المتبعة من الاهالى وهى أشياء لا يقرها الاطباء .

وينعكس اعلاء قيمة الذكورة فى مجتمع البحث فى العادات المصاحبة لاجراء الختان للذكور حيث تعد مناسبة يتم فيها جمع النقوط وتبدأ بوقوف الحلاق على باب منزل المختن ، ويطلق صيحات يتجمع عليها الجيران والاهل ، وتعطى للحلاق مبالغ نقدية تعد دينا على أسرة المختن ترد فى مناسبات مماثلة . ، ولقد كان اعداد وليمة فى الليلة السابقة على الختان أحد السمات المميزة لهذا الاحتفال لأسر الطبقة العليا والوسطى ، ويتم الدعوة اليها من والد المختن ، وتغنى فيها الاغانى من أهل المنزل والحاضرات أثناء اعداد طعام الوليمة . وفى اليوم التالى يحضر الحلاق ومعه الادوات اللازمة لاجراء الختان ، وقد كان من العادات المتبعة أن يقوم الحلاق بلف حرطة والدة المختن حول رقبتها (يشنقها) ولا يتركها الا اذا تم دفع مبالغ نقدية له من قبل أحد أقاربها . هذا ولقد اختفت عادة «الشنقة» وكذا النقوط المقدم للحلاق وذلك مع ارتفاع قيمة النقوط النقدية انعكاسا لارتفاع مستوى المعيشة فى القرية ، ووجد انه من الاجدى استبداله بنقوط عينى يدفع لأهل المختن .

أما بالنسبة لختان الاناث فتقوم به الداية بدون مظاهر احتفالية وتحصل على أجر نقدى فى مقابله ولا يصاحبه المشاركة الاجتماعية مثلما الامر فى حالة الذكور .

ويعتبر البلوغ من المراحل ذات الاهمية الخاصة فى حياة الافراد ، حيث يعد جواز المرور الذى يؤهل للدخول فى مرحلة النضج، والقدرة على الزواج . وتلعب الاسرة دورا غير مباشر فى تلقين بناتها

مختلف التطورات الفسيولوجية التى تمر بها ، وذلك من خلال الاحاديث التى تدور بين نساء الاسرة وتلقن لا شعوريا الى الفتيات • ويعد البلوغ المعيار الذى تمنع الفتاة بعده من اللعب مع الاطفال بل وتقوم الاسرة بعده بزيادة نصيبها من الاعباء والواجبات المنزلية تمهيدا لاعدادها لمسئولية الزواج •

ويضع المجتمع العديد من القيود والضوابط غير الرسمية حول بلوغ الفتيان ، ولعل من أهمها ادخال الاحاديث المتعلقة بتغيرات تلك المرحلة تحت دائرة العيب ، ومن ثم يلجأ الفتيان الى الرفاق كمصدر للمعلومات التى تدور حول هذا الجانب • ويعد البلوغ بالنسبة للفتيان ايذانا ببدء الاسرة فى التفكير فى ضرورة زواجه خوفا من الانحراف الذى قد يترتب عليه الكثير من المشاكل •

٢ ـ عـادات الـزواج :

يمثل الزواج المرحلة الاولى لقيام الاسرة ، ومن ثم ينتقل الافراد بمقتضاه من وضع اجتماعى الى آخر ، ويتلازم هذا الانتقال مع حدوث عدة تغيرات سواء فى الانتماء أو الدور أو المكانة التى يشغلها الانسان • ويتطلب هذا الانتقال أداء العديد من الطقوس والشعائر الاحتفالية ، كما تمثل مجالا خصبا للمشاركة الاجتماعية والتفاعل الاجتماعى بين أسر مجتمع القرية •

ويمثل الزواج المبكر أحد القيم الاساسية لمجتمع القرية ويتفاعل فى مجتمع القرية عدة عوامل ، أحدها يعمل على استمرار الاتجاه نحو الزواج المبكر ،وأخرى تعمل على الارتفاع **بسن الزواج** ،ومن عوامل الاتجاه نحو الزواج المبكر نجد انتشار نمط الاسرة الممتدة التى تضم أبناء الأعمام ، ولذا كان الاتجاه نحو الزواج القرابى المبكر خوفا

من الزلل الذى قد يقع نتيجة لمعيشة المشتركة وذلك الى جانب انخفاض التكلفة الاقتصادية حيث لم يكن يتطلب سوى بناء غرفة وشراء بعض اللوازم البسيطة . وساهم ارتفاع قيمة الانجاب واتخاذ العمل كحرفة الى انتشار وخصوبة الزواج المبكر .

أما العوامل الأخرى التى تسهم فى الارتفاع بسن الزواج فنجد انتشار التعليم وخاصة للاناث ، الامر الذى ترتب عليه اتجاه الرغبة نحو تغير نمط العمالة الزراعية الى مهن أقل اجهادا ، الامر الذى يتطلب مهلة من الوقت للحصول على عمل مناسب . وعلاوة على ذلك فلقد ساهمت زيادة وسائل الاتصال فى بلورة فكرة ضرورة **الاختيار للزواج** حيث أصبح حقا من حقوق الابناء بعد أن كان فيما مضى أحد المحددات الاساسية لأدوار الآباء . ولقد أدى انتشار نمط الاختيار الذاتى للزواج ، الى اندثار نمط الخطبه بين الاطفال ، التى كانت منتشرة وكان الجد يتولى فيها الاختيار ما بين أحفاده ويظلوا على هذه الخطبه لحين البلوغ واتمام الزواج .

وعلى الرغم من ظهور نمط الاختيار الذاتى للزواج فان القرية لا تعرف وجود وسطاء لاتمام عمليات الزواج ، وتلعب العلاقات الأولية فى المجتمعات الصغيرة دورا هاما فى ذلك وخاصة أن نمط المساكن الريفية يتيح نوعا من التجاور يؤدى الى تقارب أسطح المنازل مما يتيح فرصة لتبادل الأحاديث بين الشباب ويعد ذلك متنفسا كان ولايزال يؤدى دور الوسيط .

وتعد المناسبات الدينية **أكثر الأوقات تفضيلا لاتمام الزيجات** وبخلاف المناسبات الدينية ، فقد كان من المفضل فيما مضى اتمام الزواج فى شهر أكتوبر أى بعد بيع محصول القطن الذى كان المصدر الاقتصادى الاساسى لأبناء القرية ، الا أن تغير المحاصيل بالقرية

أدى الى عدم وجود ارتباط بموعد محدد للحصول على عوائد الانتاج الزراعى مما كان له أثر فى امداد أهل القرية بسيولة مالية فى جميع أوقات السنة ، ومن ثم لم يعد هناك موعد محدد لاتمام الزيجات .

وتمثل **الخطبــة** البداية الرسمية للزواج وتبدأ باختيار العريس أو أسرته للعروس ، ويلى ذلك معرفة رأى العروس وأسرتها ، وهى مرحلة تلعب النساء فى اتمامها دورا رئيسيا وتظهر مدى قوة ومكانة المرأة داخل الأسرة . هذا وقد يكــون الرد اما القبــول أو الرفض المباشر ، وتتدخل عمليات التفاعل الاجتماعى فى وضع هذا الرفض فى قالب يتدرج تحت الضبط غير الرسمى تجنبــا لحدوث الصراعات العلنية بين الأسر .

وفى حالة القبول تسأل والدة العريس أسرة العروس عن طلباتهم، ثم يلى ذلك سرد أم العريس لجميع مطالبهــم . وتبدأ المناورات بين الطرفين للوصول الى اتفاق يرضيهما . وتتضمن هذه الاتفاقات جميع تفاصيل الزواج . وبعد اتفاق الطرفين النهائى يتم ترتيب موعد للقاء رجال الأسرتين ، والذى يعد لقاء شكليا يتم فيه الاتفاق على شكليات الزواج فقط . وبعــد لقاء الرجال يطلق على الفتاة اســم مخطوبه والفتى خاطب ويظلا هكذا حتى شراء الشبكة وارتدائها .

وتعد **الشــبكة** واقامة حفل لها من الامور الحديثة بالقرية والتى ظهرت بعد حالة الرواج الاقتصادى بها حيث كانت تمثل رمزا لأبناء الطبقة العليا وبعض شرائح الطبقة الوسطى . وتختلف قيمة الشبكة تبعا للطبقة الاجتماعية ، وقد يحدث نوع من المشاركة لبعض شرائح الطبقة الوسطى والدنيا الا أنها تظل غير معلنة ولا تظهر الا فى حالة الخلافات وفشل الزيجة . ويتم شراء الشبكة اما من الصاغة الجائلين بالقرية ، وهو النمط الأكثر شيوعا ، أو من محــلات الصاغة بمدينة

القاهرة ، وتعد الطريقة المفضلة لأبناء الطبقة العليا والوسطى . واذا كانت الأساور والسلاسل تمثل النمط السائد للشبكة بدلا من الكردان، فلقد أدت وسائل الاتصال الجمعى دورها فى ظهور الدبل الذهبيه حتى بين أبناء الطبقة الدنيا . كما أسهم التعليم فى ظهور اتجاه يعمل على استبدال الشبكة ببعض الاجهزة الكهربائية .

واقامة **حفل الشبكة** من الأمور الحديثة بالقرية حيث كان الامر يقتصر بالنسبة للطبقة الغليا على تقديم أكواب من الشاى . وعادة ما يقام حفل للشبكة مصاحب لعقد القران . ويتضمن موعد اقامة الحفل معنى رمزيا لنوعيته حيث أنه اذا اقيم ظهرا — بعد صلاة الجمعة — لا يقدم فيه طعام الا لأهل العريس ويقتصر على تقديم الشربات الحاضرين أما اذا أقيم الحفل مساءا فيعنى ذلك وجود وليمة .

وتتم الدعوة للحفل من والدة العروس أو أحد أخواتها المتزوجات. ومن الأمور الحديثة اتجاه العروس للدعوة وهو اتجاه يتنكر له كبار السن حيث يرون أنه يقضى على الحياء الذى يجب أن تتمتع به الفتيات .

وتبدأ الاستعدادات لحفل الشبكة فى الليلة السابقة على اقامته وتعد من المناسبات التى يتجلى فيها التفاعل الاجتماعى بين أبناء القرية متمثلا فى المشاركة فى أداء مستلزمات الحفل وهى مشاركة تعد نسائية. أما مشاركة الشباب فتتمثل فى المساعدة فى تقديم الأطعمة الى المدعوين. ولا تختلف الأطعمة بين أبناء الطبقة العليا والوسطى الا فى كميتها.

وفى أثناء اعداد الوليمة يتم تزيين العروس وارتدائها ملابس الفرح ومن الغالب ارتداء الفستان الأبيض والطرحة ويتم شراؤه من

أحد محلات مدينة القاهرة • ولا تختلف الطبقة الدنيا فى ذلك اذ تتبه بعضهن الى امكانية استئجار الفستان من أحد المحلات المخصصة لهذا الغرض فى مدينة امبابة • كما يتضمن التزيين تجميل الوجه وتصفيف الشعر ، ويتم ذلك على يد أحد المتخصصين (الكوافير) حيث قد يتم استدعاؤه الى منزل العروس أو قد تذهب اليه فى محله • وينحصر هذا الاتجاه بين أبناء الطبقة العليا والوسطى على حين تلجأ عرائس الطبقة الدنيا الى أحد ساكنات القرية من الوافدات من المدن لتقوم بدور «الكوافير» ، ولعل ذلك يشير الى مدى التغيرات التى تناولت القرية حيث كان الأمر يقتصر على ارتداء جلباب نظيف والتجمل بالكحل فقط •

ويعد حفل الخطبه مناسبة تهدف الى تأكيد ادماج أسرتى العروس والعريس ، ويتمثل ذلك فى ارسال بعض المأكولات الى أسرة العروس من أسرة العريس ويصاحب ارسالها غناء تعبيرا عن الفرحة وتباهيا واعلانا عن كرم العريس وأسرته •

واذا كانت **العلاقة بين الخطيب وخطيبته** والمتمثلة فى الزيارات والهدايا أحد الطرق التى يتم من خلالها محاولة ادماج العروسين لمزيد من التفاهم ، فان مجتمع القرية يقر وجود هذه العلاقة الا أنه يضع بعض أنساق الضبط غير الرسمي ومنها تحديد المعايير التى تتم الزيارات فى ضوئها ومنها البعد الزمنى أى أداء الزيارات فى أوقات متباعدة والبعد الانفرادى أى عدم انفرادهما • ومن خلال ذلك فان خروج الخطيب مع خطيبته يعد شيئا معيبا •

وتعد هدايا الخطيب لخطيبته رمزا دالا على كرمه ومحبته ولهفته• وقد تقدم الهدايا فى المناسبات المختلفة أو بدون مناسبة • كما يعد من المعيب تبادل الخطيبه الهدايا مع خطيبها • ولا يقتصر تبادل الهدايا

على المستوى الفردى من الخطيب لخطيبته • بل يتعداه الى المستوى الجمعى ، حيث تعد مظهرا من مظاهر التفاعل الاجتماعى والاندماج بين كلا الأسرتين • وتتخذ المبادرة من أسرة العريس وترد من أسرة العروس حين حدوث مناسبة خاصة لأسرة العريس •

وتعد **المهــور** أهم الجوانب الاقتصادية للزواج ، وترتبط قيمة المهور فى مجتمع القرية ارتباطا واضحا بالطبقة ؛ حيث تضع الطبقــة العليا رمزا وتسكينا لذاتها ، من خلال ارتفاع قيمة مهــور أبنائها • ولقد أثر الرواج الاقتصادى للقرية فى ارتفاع قيمة مهورها بصفة عامة حتى بالنسبة للطبقة الدنيا • -

تكرس نقود المهر لشراء الجهاز الخشبى ويتكفل والد العروس بشراء باقى الجهاز من ماله الخاص • ولقد أثرت المتغيرات الاقتصادية أيضا على جهاز العروسين فى مختلف الطبقات حيث تعددت أنماطه بعدما كان يقتصر على بعض قطع الأثاث والادوات البسيطة • ولعــل زيادة جهاز العروس فى جميع الطبقات يرجع الى اتجــاه الأم الى ادخار كل ما يلزم الجهاز لابنتها منذ سن السادسة حيث تشترى لها على فترات متباعدة ، بعضا من الأدوات ، ويخصص صندوق لوضع هذه الاشياء ، ويساعد على وجود هذا الاتجــاه وجود باعة جائلين بالبلدة يبعن هذه المستلزمات سواء نقدا أو تقسيطا •

ويمثل **اعداد ملابس العروسين** مناسبة لتقوية أواصر العلاقات الاجتماعية ، حيث يحصر الأهل ، والاصدقاء ، والجيران لتقديم نقوط، ويتجلى ذلك بصفة خاصة فى اعداد ملابس العريس ، حيث يصاحبه بعض المظاهر الاحتفالية التى لا تقام للعروس •

وتعد **الحنــاء** أحد طقوس التزيين التى يحرص على أدائها كل من أسرتى العروسين • ويمثــل الاحتفال بليلة الحنــاء الاحتفال

الاساسى للزواج بالنسبة للعريس حيث يقام احتفال كبير بهذه المناسبة يتميز بوجود وليمة يشارك فى اعداد متطلباتها الاهل والجيران ويصاحب هذا الاعداد الغناء والزغاريد • ومن مظاهر الادماج بين كل من أسرتى العروس والعريس أن يتم ارسال جزء من الحناء المعجونة من منزل العريس الى العروس وكذا جزء من الذبيحـة بالنسبة للطبقة العليا والوسطى أو كيلوات من اللحم بالنسبة للطبقة الدنيا • ولقـد لعب التغير الاقتصادى بالبلدة دورا فى تغير نمط الوليمة حيث كانت تقتصر على خبز وعسل مضاف اليه مسلى بالنسبة للطبقة العليا •

وفى الحفل يقدم المدعون النقوط الى أحد أفراد أسرة العريس وتتم كتابة هذا النقوط حيث يعد دينا • وتلعب النساء دورا بارزا فى تنظيم العمل من أجل تقديم الطعام • وبعد انتهاء الحفل يتم تحنية العريس • ويلعب التغير دورا فى اتجاه العريس الى تحنية باطن القدم حيث أصبح ينظر الى تحنية اليدين والقدمين على أنها مظهر من مظاهر التقليدية (التخلف) •

ويختلف الامر بالنسبة لحناء العروس ، حيث لا يقام الا حفل بسيط ، يتميز بالغناء بدون وليمة • ويتم تحنية العروس من خـلال تزيين يديها وقدميها مع ابقاء الحناء عليهما الى اليوم التالى وهو يوم الزفاف •

ويعـد **يوم الزفـاف** من الأيام التى تمتلىء بالأحداث ذات الدلالة ، ليس فقط فى حياة العروسين ، ولكن أيضا بالنسبة لأسرتيهما، حيث تؤدى فيه العـديد من الممارسـات ، ومنهـا زفة الجهـاز ، والاستعدادات الشخصية لكلا العروسين ، ثم زفة العروسين •

وتبدأ **زفة الجهـاز** بعد اعداده ، وتجهيزه للنقل بوضعه على عربات نصف نقل ، ويشارك جميع رجال البلدة فى مصاحبته تعبـيرا

عن رضاء الجميع لتحقيق قيمة من القيم التى يقرها المجتمع • وعند وصول الزفة الى منزل العريس ، ينصرف الرجال ، بعد تقديم التهنئة لوالدى العروسين •

وفى أثناء اعداد وفرش منزل الزوجية يعمل كلا العروسين على أداء بعض الاستعدادات الشخصية ومن **استعدادات العروس الشخصية** نجد الحفوف والاستحمام ، وتنشئه التعامل مع الزوج وكيفية مواجهة ليلة الزفاف وتقوم بهذه المهمة احدى قريباتها الشباب• وبعد ذلك يتم ارتداء العروس لفستان الزفاف والطرحه بعد تمشيط شعرها والتزين بمساحيق التجميل • وعادة لا تهتم العروس بالالتجاء الى أحد المتخصصين بل تعتمد اما على نفسها أو احدى قريباتها أو أحد الوافدات من المدن اللائى يسكن بالقرية ويرجع ذلك الى أنها تعرف أن هذا التزين سينتهى بالاستحمام فى صباح اليوم التالى •

أما بالنسبة للعريس فتتضمن استعداداته الشخصية حلاقته والتى اندثرت مظاهرها الاحتفالية ليقتصر أداؤها عند أحد محلات الحلاقة • ويلى ذلك استحمامه ولقد كان يتم فيما مضى بصورة احتفالية وبحضور بعض شباب الأسرة للمساعدة والغناء ، الا أن انتشار التعليم والاتصال بثقافات مغايرة أدى الى ازدياد الخجل ، الأمر الذى انعكس فى اتجاه العريس للاستحمام بمفرده فى غرفته •

وعند انتهاء استعدادات كلا العروسين تبدأ **الزفة** وتنقسم الى قسمين أحدهما زفة العريس من منزله الى منزل العروس يصاحبه االاهل والاصدقاء ، والاخرى زفة العروسين من منزل العروس الى منزل العريس وذلك بعد جلوسهما سويا فى الكوشه • ويصاحب الزفة بالأهل والاصدقاء وتتعالى الزغاريد ويرقص الشباب • كما تصاحب

أيضا بأحد النساء من أسرة العروس حاملة صينية عليها قلل مليئة بالمياه رمزا على اصطحاب الخير مع العروس .

وعند الوصول الى منزل العروسين يدخل العروسان ومعهما والدة العروس وبعض قريباتها ويبقى المصاحبون بالخارج انتظارا افض غشاء البكارة . ويستحث المنتظرون بالخارج العريس على أداء هذه المهمة ببعض الاغانى ، وبعد أدائها تلوح بالمحارم وتطلق الأعيرة النارية وتدوى الزغاريد ويرتفع الغناء ، وبعد انفضاض الجمع يقوم العروسان بتناول الطعام (حلة الاتفاق) الذى تكون قد أرسلته أسرة العروس .

وفى **الصباح** تحضر أسرة العروس مبكرا للمباركة بالزواج ويحملون معهم ما يسمى بالفطرة وهى عبارة عن كحك وبسكويت وخلوى توضع فى أسبتة يختلف عددها تبعا للطبقة الاجتماعية للأسرة .

ويتم استقبال أسرة العروس بالزغاريد وتتولى أم العريس تفريغ محتويات الأسبتة وتفريقها ، ولعل ذلك يشير الى مدى قوة وسلطة الحماة داخل الأسرة الممتدة .

وتعمل أسرة العريس على تقديم الطعام لأسرة العروس . كما يبدأ توافد المهنئين لتقديم النقوط . ولقد كان هذا النقوط فيما مضى حقا للداية التى كانت تحضر مبكرا لتزين العروس وقص جزء من شعرها (سوالف) رمزا لانتقالها الى مرحلة جديدة من حياتها . وتعد العروس فى الفترة الأولى للزواج ذات وضع خاص ، لذا تعمل أسرتها على ارسال مأكولات لها لمدة سبعة أيام .

ويتميز اليوم الثالث بارسال فطير ، وتتساوى الطبقات فى كمية الفطير أو الاكتفاء بارسال مستلزماته حتى تستفيد منه أسرة العروس .

وفى اليوم السابع يتم ارسال ماكولات (عشا) من قبل أسرة العروس ويمثل انتهاء واجباتهم تجاه ابنتهم الا فى بعض الهدايا التى ترسل فى أول عيد فطر بعد زواجها ٠

ويمثل انتهاء الأسبوع الأول للزواج انتهاء فترة تميز العروس حيث يمكنها بعد هذا الأسبوع أداء جميع واجباتها كربة بيت عادية ، كما يكون هذا اليوم ايذانا بانتهاء فترة تعرضها لمخاطر القوى فوق الطبيعية ولعل أهمها المشاهرة ٠ ومن الجدير بالملاحظة أن هذه المخاطر تنصب على العروس فحسب ومن ثم يتمتع العريس بكامل الحرية فى أداء ما يرغب بدون تخوف ٠

٣ ـ عـادات المـوت :

تمثل عادات الموت محورا هاما من محاور حياة الأسرة باعتبار أن هناك جوانب اعتقادية ودينية تلعب دورا متميزا فى تشكيلها ويظهر ذلك فى **الاستعدادات المختلفة للأحياء** سواء تلك الاستعدادات التى تهدف الى الانفصال عن العالم الدنيوى أو التى تهدف الى الاندماج فى عالم الآخرة ٠ ويمكن أن نتبين أن تلك الاستعدادات تدور داخل محورين هما الاستعدادات المادية والاستعدادات الروحية ٠

وتتمثل الاستعدادات المادية فى الاشياء والمواد التى تعد لاستقبال الموت كشراء كفن ، وشراء مدفن ، شـراء بطانية أو كوفرته لتغطية النعش أما الروحية فقد تكون فى توزيع الصدقات ، والصلاة ، وفض المنازعات مع الآخرين أو فى الادلاء ببعض الوصايا ٠

وعلى الرغم من أن وصايا الموتى تعد واجبة التنفيذ ، الا أن ذلك يتم فى حدود القيم والتقاليد فى المجتمع ، لذا لا يتم تنفيذ الوصايا غير المألوفة ٠

وعلى الرغم من أن الموت غير معلوم الميعاد ، الا أن مجتمع القرية يضع بعض **العلامات التى تنبىء بحدوثه** • وتنقسم هذه العلامات الى علامات روحية وأخرى فيزيقية • ومن العلامات الروحية نجد الاحلام ، عواء كلب ضال ، بكاء طفل بصورة متصلة بدون سبب ، أما العلامات الفيزيقية فتنحصر بين المرضى أو من هم على فراش الموت ، ومنها اصفرار الوجه بصورة غير طبيعية، لزوجة العرق ، كثرة عرق اليد ، أضطراب نظرات العينين ، حشرجة الصوت ، هلوسة المريض ، انفتاح الشهية بشكل غير عادى •

ويتم التأكد من حدوث الموت للمرضى من خلال بعض كبار السن ممن لهم خبرة ، أما حالات الموت المفاجىء فيتم اللجوء الى الطبيب للتأكد • وعند التأكد من حدوث الموت يقوم أقرب المقربين بغلق العينين والتلتيم ، ثم يتم تغطية المتوفى بملاءة نظيفة ، ثم تنطلق صرخات النساء •

وبعد حدوث الموت يتوجه بعض الرجال لتحضير الاستعدادات التى تتم خارج المنزل ومنها احضار طبيب الوحدة لاستخراج شهادة أو تصريح الدفن ، احضار المغسل ، شراء الكفن وتفصيله ، والاتفاق مع المنادي •

واذا كان الصراخ هو الوسيلة الشائعة **للاعلان عن الوفاة** فى مجتمع البحث ، فهناك أيضا الاندفاع فى الطرقات ، كما يتم الالتجاء الى المنادى ليتولى اعلان الخبر • ويتم اعلان الوفاة بالنسبة للأقارب البعيدين عن طريق ارسال أحد الاشخاص لاعلانهم ويطلق عليه اسم النجاب • ومن التغيرات الحديثة اتجاه بعض أسر الطبقة العليا للاعلان عن الوفاة فى الصحف •

ويعد **تجهيز الميت** من الجوانب التى يتم من خلالهــا أعداده للانتقال الى حياته الجديدة • ويتضمن التجهيز العديد من الطقوس مثل الغسل والتكفين والنعش والصلاة على الميت • ومن المعتاد أن يتم التجهيز من مال الميت الخاص ، أو من مال أسرته ؛ أما بالنسبة لمن لا عائل لهم من الطبقة الدنيا فيتكفل أهل القرية بتجهيزهم • ومن التغيرات التى تمت فى مجتمع القرية وتشير الى انماء الروح الجمعية انشاء جمعيات المساعدات الاجتماعية تشترك فيها أسر القرية وتصرف للمشتركين مبلغا ماليا فى حالة الوفاة يكفى لتغطية تكاليف التجهيز •

وتتم عمليــات التجهيز بسرعة انطلاقا من أن « اكرام الميت دفنه » • وتبدأ بعملية **الغســل** ؛ ويضع مجتمع القرية شروطا خاصه القائمين به ، على الرغم من أن أداءه يتم تطوعا •

ومن دلائل الاعزاز الميت حضور الاقارب المقربون لعملية الغسل ومساعدتهم للمغسل فى أداء عمــله علما بأن حضور الغسل يكــون للأشخاص من نفس جنس المتوفى •

وبعد أداء الغسل يتم **تكفــين الميت** • ويختلف الكفن فى عدد ونوعية أقمشته حسب الطبقة الاجتماعية للمتوفى وكذا حسب وصيته• وبعد انتهاء التكفين يقوم المغسل والحاضرون بقراءة الصلوات على الميت ويعتقد أن قراءتها تزيد من رحمة الميت فى قبره وزيادة ادماجه بصورة ميسرة فى حياة الآخرة •

ويتم نقل الميت بعد تكفينه الى **النعش** ويتولى هذا الأقارب المقربون بعيدا عن اعزازهم للمتوفى • والنعش الموجود فى القــرية يعد ملكية عامة لأبناء القرية وقبل انشاء الجمعية كانت القرية تحضر النعوش من المحلات المتخصصة فى مدينة القــاهرة • ويختلف نعش

القرية عن ذلك الذى كان يتم احضاره من القاهرة حيث يتميز بعدم وجود غطاء له الأمر الذى يتطلب وضع غطاء يخص أهل الميت وتعمد كل أسرة الى وضع أثمن وأحسن الأغطية لديها تعبيرا عن اعزاز الميت. ويمثل خروج النعش من المنزل ، نهاية العلاقة بين الميت وبين منزله وحاجياته . وتمثل المراحل التالية أى الجنازة والصلاة على الميت والدفن المراحل الاخيرة لانفصاله عن حياته الدنيوية .

وتبدأ الجنازة بمجرد خروج النعش من باب المنزل ، ويحملها الأقارب غير القربين ؛ لأن الحزن يجعل المقربين غير قادرين على أداء هذه المهمة وبمجرد بدء حمل النعش يتعالى صراخ وعويل النساء ، وتحاول بعضهن الارتماء على النعش لمنعه من الخروج ، كما تطلق العبارات المختلفة ، تعبيرا عن حب الميت وعدم الرغبة فى فراقه . وتلعب علاقات الوجه للوجه علاوة على النمط القرابى القرية دورا فى زيادة التفاعل بين أبنائها ، وذلك من حيث اشتراك معظم أبناء القرية فى الجنازة . ويمشى وراء النعش مباشرة أقارب المتوفى من الدرجة الأولى ومعهم الأفراد المتميزون من أفراد مجتمع القرية ، وكذا أبناء الطبقة العليا ، يليهم أقارب المتوفى من الدرجة الثانية ، الثالثة ، ومعهم الاصدقاء والجيران ، ثم باقى الاهل والمشيعين من أهل البلدة ثم يليهم النساء سواء من أسرة المتوفى ، أو من الاهل ، والاصدقاء . ولقد أظهرت الدراسة تغيرا بالنسبة لسير النساء ، حيث أصبح السير فى الجنازة لنساء الطبقة العليا والوسطى يدخل فى دائرة العيب .

وتنتهى الجنازة عند أحد الجوامع بالقرية لتتم الصلاة فيه ثم ينقل الميت بعربات نقل الموتى الى المدافن التى تقع فى مدينة القاهرة. ولقد أظهرت الدراسة الميدانية أن عدم وجود مقابر بالقرية يرجع الى طبيعتها الايكولوجية من حيث عدم وجود أرض رملية تصلح لهذا

الغرض . ويتم نقل الميت فى عربة الموتى ترافقه عربات أجرة تقـل أسرته والاهل والاصدقاء والجيران ممن يرغب فى مجاملة أسرة المتوفى أو رد مجاملة سابقة ، حيث تعد هذه المجاملات دينا يرد فى مناسبات مماثلة .

ويتولى التربى عملية **الـدفن** ، ويساعده فى نقل المتوفى أقاربه المقربون ، ويتعالى صراخ النساء الى حين الانتهاء من عملية الدفن ؛ بعدها يتجمع الرجال حول القبر ومعهم بعض فقهاء المقابر للقيـام بعملية التلقين للميت والدعاء له . وبعد ذلك يتوجه أفراد أسرة المتوفى فردا فردا الى القبر ويخاطبونه بمسامحتهم له ، ومن المعتقد انه اذا لم يقم أهل الميت بمسامحته على القبر أن يظل فى عذاب فى قبره . وبعد ذلك يقدم الموجودون العزاء لأسرة الميت ، وبعد ذلك يقوم أحد المقرئين بتلاوة بعض الآيات القرآنية على روح المتوفى ، ويعمل جميع الحاضرين على منحه مبلغا من المال يعد صدقة على روح الميت .

ويعتقد أن **حساب القبر** يبدأ منذ لحظة اغلاقه . ويطلق على الليلة الأولى لوجود الجثمان ليلة الوحدة تعبـيرا عن بقاء الانسان وحده فى القبر .

وعند عودة أسرة المتـوفى إلى المنزل يتم استدعاء أحد فقهـاء القرية ، أو قد تدار أحد التسجيلات ، لتلاوة القرآن فى الغرفة التى حدثت فيها الوفاة ، اعتقادا بأن القرآن يساعد على صرف روح الميت من الغرفة وذلك حتى لا يصاب من ينام فيها بالاحلام المزعجة . ويتم ذلك لمدة ثلاثة أيام . كما يعمل أهل المتوفى على الاحتفاظ بملابسه بدون غسيل لمدة ثلاثة أيام للاعتقاد بأن روح الميت تظل عالقة بهـا هذه المدة ، وبعدها تذهب الى خالقها . وقد يتم توزيع ملابس المتوفى

على الابناء أو الأخوات أو على الفقراء وذلك بالنسبة لكبار السن ، أما بالنسبة للشباب ، فيتم الاحتفاظ بها حيث لا يستطيع والداه رؤيتها على أحد غير ابنهم .

ويمثل **الحداد** أهم مظاهر الحزن على الميت . ويعد اقامة المأتم أهم الجوانب التى تشير الى المشاركة الجمعية ، ومدى تفاعل أفراد المجتمع مع بعضهم ، وذلك الى جانب قيود الحداد التى يفرضها المجتمع على أسرة المتوفى أو التى يقوم بها أفراد المجتمع تعبيرا عن تفاعلهم داخل مجتمع واحد . كما تمثل زيارة القبور أحد مظاهر الحداد .

تجرى الاستعدادات **الخاصة باقامة المأتم** منذ اللحظة الأولى للوفاة . وتختلف المآتم باختلاف الطبقة الاجتماعية للأسرة . ولقد أظهرت الدراسة أن هناك تغيرا بالقرية يرى أصحابه رفض اقامة المآتم والاكتفاء بتقبل العزاء فى المقابر . ويرجع ظهور هذا الاتجاه الى زيادة وسائل الاتصال ، وكذا انتشار بعض الجماعات الدينية بالقرية . ومن الجدير بالملاحظة أن هذه التغيرات تقتصر فقط على مأتم الرجال أما بالنسبة للسيدات فلازال هناك استمرار لتقديم العزاء لمدة ثلاثة أيام . ولعل ذلك يظهر الدور الذى تلعبه المرأة كقوة حافظة للتراث . مما تجدر الاشارة اليه أن التغير الذى شمل مأتم السيدات انحصر فى اندثار دور الندابة .

والندابة سيدة تحترف اللطم والعويل ، وتنظم عبارات وغنائيات للرثاء وتستأجر لأداء هذه المهمة . وتظل فى منزل المتوفى لمدة سبعة أيام ، وتعمل على الطواف ومعها نساء أسرة المتوفى ومن ترغب فى المشاركة من الأصدقاء والجيران بأنحاء القرية وهن ملطخات

بالزهرة والطين مرددات عبارات تنم عن الحزن • ومن العادات التى كانت متبعة أن تقف هذه المسيرة عند البيوت التى فقدت أحد أبنائها ، مع ترديد عبارات الرثاء والنواح حتى تخرج نساؤهم للمشاركة • ويعد عدم الخروج رمزا لفك الحزن •

ويضع نسق الضبط غير الرسمي فى مجتمع البحث بعض المحددات التى يجب مراعاتها عند أداء **العـزاء** فبالنسبة للرجال يجب البقاء لفترة زمنية لسماع جزء من القرآن ، وعدم تدخين سجائر لأن ذلك يعنى فرحة • أما بالنسبة للسيدات فلابد من ارتداء الملابس السوداء، وان كان ذلك حين الحضور للعزاء أما لحظة اعلان الوفاة فيتم الحضور بالملابس التى يرتديها وقتها ، حيث يعد من المعيب التأخر لاستبدال الملابس بملابس سوداء • وعلاوة على ما تقدم فهناك أيضا ضرورة دخول المأتم بالصراخ والعويل ، ثم تحية الحاضرات بذكر موتاهم • ثم ترديد عبارات تشير الى الحسرة على فقدان الميت ، كما يجب على المعزية البقاء لفترة زمنية محددة • وعند انصراف المعزية لابد لأسرة الميت من مجاملتها بالتمنى بعدم حدوث مكروه لها •

وتظهر الدراسة أن هناك مناسبات أخرى لاقامة المأتم وهى يوم الخميس لمدة ثلاثة أسابيع بعد الوفاة ، ويوم الاربعين ، ويوم الذكرى السنوية الاولى وان كان التغير قد أدى الى إقامة هذه الذكرى بتلاوة القرآن فى المقابر ، فيما عدا الطبقة العليا ، التى تتجه لاقامة سرادق تميزا لطبقتها عن الطبقات الاخرى •

ويعد المأتم مناسبة لاظهار المشاركة والتآزر والتفاعل بين أسر القرية ، حيث يتم ارسال أطعمة مطهية لأسرة المتوفى فى اليوم الاول للوفاة من الاقارب المقربين • كما قد يتم ارسال طعام افطار فى اليوم

التالى . وارسال طعام مطهى له دلالته من حيث عدم قدرة أهل المتوفى على طهو طعام وهم فى غمرة حزنهم . ويعد ارسال هذه الأطعمة دينا يرد فى مناسبات مماثلة أو أى مناسبة أخرى . كما تتمثل مشاركة الرجال لبعضهم فى حضور العزاء والدفن والمسارعة بعرض نقود على الرجال من أسرة المتوفى . ويعد هذا العرض جميلا يحفظ لصاحبه — حتى اذا لم يتم أخذ النقود — الامر الذى يدعم العلاقات بين الافراد وبعضهم البعض .

ويضع نسق الضبط غير الرسمى **قيودا للحداد** على أسرة المتوفى ومنها :

* قيود تتعلق بالطعام: ومن ذلك تحريم طهى بعض أنواع من المأكولات يتم تحريم بعضها لمدة أربعين يوما والبعض الآخر لمدة عام كامل ولقد كان من المحرم أيضا عمل مشروبات مثلجة أو طهى أرز باللبن ولقد أظهرت الدراسة بدء تخفف أفراد المجتمع من بعض هذه القيود حيث أصبح التحريم يمتد لمدة أربعين يوما فقط . واذا كان التحريم كان يمتد ليشمل الدائرة القرابية ، فان الدراسة تشير الى انحساره واقتصاره على الدائرة القرابية من الدرجة الاولى .

ويراعى الجيران من غير الاقارب واجبات الجيرة من خلال المشاركة فى بعض قيود الحداد ، ومن ذلك عدم طهى المأكولات المحرمة ، واذا تم طهيها فيتم فى صورة مستترة . ومن العادات المتبعة عند فك قيود الحداد أن تقوم نساء أسرة المتوفى بتجهيز الأطعمة المحرم طهيها أو شراؤها بصورة علانية .

* قيود تتعلق بالملبس : ومن القيود التى اندثرت خلع الذهب وارتداء ملابس داخلية داكنة بالنسبة للنساء ، وتغيير الملابس

بالنسبة للرجال والنساء لمدة ثلاثة أيام الاولى بعد الوفاة • وتظهر الدراسة أن ارتداء اللون الأسود لايزال من العادات الواجب اتباعها حتى بالنسبة للحضريات أو الزائرات لأسرة المتوفى • ويمكن لنساء الأسرة أن ترتدى ملابس ملونة بعد مضى عدة أشهر داخل المنزل ، أما خارجه فلابد وأن تراعى ارتداء اللون الأسود•

* قيود على المظهر : ومنها تحريم تكحيل العين ، وخاصة فى حالة وفاة الشباب ، كما كان من المعيب حلاقة الرجال لذقنهم أو قص شعورهم • وقد أدت التغيرات المختلفة الى الاهتمام بالمظهر وخاصة فى حالة موت كبار السن ، أما بالنسبة لفقد الشباب فيستمر عدم الاهتمام بالمظهر فى الثلاثة الايام الاولى فقط •

* قيود على العلاقات الجنسية : وكانت تفرض على أهل منزل المتوفى ، ويتم عزل الرجال عن النساء لمدة أربعين يوما ، بل قد يمتد الامر لمدة ثلاثة أشهر ، ولذا كان من المعيب أن تلد سيدة قبل مرور عام على الوفاة • ولقد تغير الوضع حيث أصبح التحريم يمتد لمدة ثلاثة أيام فقط •

* قيود على أثاث المنزل : وكانت القيود تفرض رفع أثاث المنزل وعدم تبييض النحاس ، وفى حالة وفاة الزوج يتم فك السرير • وقد كان هذا التحريم يقتصر على أسرة المتوفى فقط دون الدائرة القرابية • ولقد انعكست التغيرات فى اندثار هذا النمط ، بل اتخذ التغير اتجاها عكسيا من حيث الاهتمام بمظهر المنزل حتى يظهر فى صورة حسنة للمعزين •

* قيود على الخروج من المنزل : ولا يقتصر الامر على الخروج للنزهة بل أن زيارة الأولياء كانت نوعا من الفرحة • وقد أدى

انتشار التطعيم الى اندثار هذه القيود فيما عدا الايام الثلاثة الأولى .

* قيود على الاحتفالات : وقد كانت تمتد فيما مضى الى العام فى حالة وفاة كبار السن ، أما بالنسبة للشباب فتمتد الى سنوات طوال ، ولقد أدى التغير الى اقتصار التحريم على أربعين يوما فى حالة موت كبار السن ولمدة عام فى حالة موت الشباب . ومن الجدير بالملاحظة أن نمط الحياة الريفية الذى يتميز بعلاقات الوجه للوجه ، يدخل الجيران فى دائرة المشاركة الاجتماعية ، اذا قد تؤجل أسر الجيران احتفالاتهم الى حين مرور أربعين يوما ، وبعدها يتم استئذان أسرة المتوفى لاقامة الاحتفال .

تعد زيارة القبورة ضرورة اذ تمثل عدم نسيان أسرة الميت له واعزازها به . وتتدخل الطبقة فى تحديد موعد الزيارة انطلاقا من تكلفتها الاقتصادية . حيث تكون الزيارة الاولى للطبقة العليا والوسطى فى أول يوم جمعة بعد الدفن والثانية فى اليوم الخامس عشر والثالثة فى صباح يوم الأربعين . كما تتم زيارات أخرى على مدار العام منها زيارات تتم فى شهر رجب ، واحدة فى أول رجب وتسمى الطلعة الصغرى، والثانية فى اليوم الخامس عشر وتسمى الطلعة الكبرى، وهناك أيضا زيارة فى عيد الفطر وتتم اما فى صباح يوم العيد أو فى اليوم السابق عليه . أما زيارات الطبقة الدنيا فتتم فى أول يوم جمعة بعد الدفن ، ثم تليها زيارة فى العيد الصغير .

ويشارك فى الزيارة النساء والرجال بل والاطفال أيضا . وكانت الزيارة فيما مضى تمتد لتصل الى سبعة أيام . ولقد أدت التغيرات الاقتصادية بالقرية الى انشغال الرجال فى أعمال الحقل ، مع ضرورة مباشرة الارض من أصحابها نظرا لقلة العمالة الزراعية ، وارتفاع

أجوزها وخروج المرأة للعمل فى الوظائف الحكومية أو اتجاه الكثيرات الى بيع الخضروات أو جمع المحاصيل ، أدى كل ذلك الى تقليل مدة الزيارة لتقتصر على يوم واحد فقط .

وتظهر الدراسة أن زيارة المقابر يصاحبها وضع زهور على قبور الموتى ، وتوزيع بعض المأكولات على فقراء المقابر ، اعتقادا بأن هذه المأكولات ستسعد الفقراء مما قد يؤدى بهم الى طلب المغفرة للميت . هذا ويتم اعطاء جزء من هذه المأكولات الى التربى ، ويحتفظ بجزء فى المنزل ليوزع على الاصدقاء والأهل والجيران . ومن الجدير بالملاحظة أنه عند **فك قيود الحداد** يتم طهى « حلة مخشى » لتوزع فى المقابر كصدقة ، وأخرى ليأكل منها أهل المنزل رمزا الى فك قيود الحداد .

٤ — رؤية نقدية وتحليلية لنتائج الدراسة :

اتجهت الدراسة الى تقديم رؤية نقدية مقارنة بين ما تقدمه الأطر النظرية وبين ما يقدمه الواقع الامبيريقى لدراسة عادات دورة الحياة وذلك على النحو التالى :

- **تتأثر الممارسات المرتبطة بعادات دورة الحياة بثلاثة أبعاد : بعد يرتبط بالانفصال عن العلاقات الاجتماعية ، وبعد آخر يرتبط بالاندماج فى نمط جديد من العلاقات ، وبعد ثالث يتناول الانتقال من وضع الى آخر ، وقد تتداخل هذه الأبعاد فى كل ممارسة أو قد توجد منفصلة .**

وقد أظهرت الدراسة أن ممارسات دورة الحياة فى مجتمع البحث تتأثر بأبعاد الانفصال والاندماج والانتقال كسمات عامة تتخطى حدود الطبقة . وذلك على مستويين : مستوى الفرد ومستوى الجماعة . فبالنسبة للأبعاد على مستوى الفرد فهى تتضمن الممارسات التى تشير

الى انفصاله عن العلاقات المتعددة التى يرتبط بها فى المناسبات المختلفة ومن ذلك ممارسات السبوع التى ترمز الى انفصال الطفل عن أمه كما تعد فترة الخطبة ، وكذا احتفالات الحناء وممارسات الحفوف واستحمام العروس وكذا حلاقة العريس وحمامه طقوسا تشير الى الانفصال عن نمط حياة العزوبية ولا نستطيع أن نغفل أن استعدادات الحى للموت تشير الى انفصاله عن الحياة الدنيوية

كما يتضمن هذا المستوى أيضا الممارسات التى تشير الى بعد الاندماج فى نمط جديد من العلاقات حيث تمثل فترة الخطبة بممارساتها أحد الطرق التى يتم من خلالها اعداد العروسين للاندماج مع بعضهما، وهناك أيضا استعدادات الحى للموت سواء عن طريق توزيع الصدقات وعمل الخير أو قراءة القرآن كوسيلة للاندماج - بشكل مطمئن - فى حياة الآخرة • ويعد أيضا تجهيز الميت (سواء من حيث الغسل ، أو التكفين ، أو الصلاة عليه) من الممارسات التى تؤدى تمشيا مع المعتقد الدينى الى ادماج الميت فى حياة الآخرة بصورة ميسرة •

وتؤدى احتفالات الختان بهدف اعداد الطفل للانتقال الى عالم الكبار وما يجب أن يكون عليه من سمات تتعلق بالطهارة للذكور وبالعفة للاناث ، كما تتضمن احتفالات الزفاف بعد انتقال العروسين الى حياة جديدة تختلف فى المسئوليات والواجبات •

أما على **مستوى الجماعة** فيشير اشتراك كل من أسرتى العروس والعريس فى نفقات حفل الشبكة وكذا تبادل الهدايا بينهما الى بعد الاندماج فى نمط جديد من العلاقات يتطلب أداء أدوار ومسئوليات جديدة كما يرمز ارسال جزء من الحنـــاء المعجونة من منزل العريس الى أسرة العروس الى هذا الاندماج •

وتظهر الدراسة أن هذه الابعاد فى كلا المستويين قد تحدث فى صورة منفصلة أو قد تتم فى صورة متداخلة مع بعضها فى آن واحد حيث قد تعد احتفالات السبوع رمزا الى انفصال الطفل عن أمة وادماجه مع البيئة الجديدة التى تحيط به ، كما قد تعد فترة الخطبة فترة اعداد للانتقال من حياة العزوبية الى الاندماج فى الحياة الزوجية، كما قد تهدف أيضا استعدادات الحى للموت الى الانفصال عن الحياة الدنيا والاندماج فى حياة الآخرة •

- ترتبط عادات دورة الحياة بعلاقات تفاعل مع طبيعة البنية الاجتماعية التى توجد فيها وذلك من حيث أن :

- مجتمع الدراسة القروى يعد جزءا من نسق أعم هو المجتمع المصرى •

- تمثل عادات دورة الحياة نسقا جزئيا يوجد فى نسق أعم يكون البنية الاجتماعية لمجتمع القرية •

- ترتبط عادات دورة الحياة بأنشطة وممارسات أخرى توجد داخل النسق الثقافى •

وتظهر الدراسة أن هذا الارتباط يتم على ثلاث مستويات تتدرج من العمومية الى الخصوصية •

المستوى الأول :

وقد أظهرت الدراسة عند هذا المستوى أن التغيرات التى تحدث فى القرية ـ وان اختلفت تبعا للمستويات الطبقية ـ ان هى الا انعكاس لتلك التغيرات التى تحدث فى المجتمع المصرى ككل ومن ذلك التغيرات الاقتصادية والاجتماعية التى شملت المجتمع المصرى بعد قيام ثورة

١٩٥٢ ، واعلان المبادىء الاشتراكية حيث يعد انشاء الجمعيات والمؤسسات التعليمية والخدمية بالقرية ، تنفيذا للفلسفات والافكار التى إنتشرت فى المجتمع المصرى ككل ، كما تعد زيادة الاتصال بين القرية والمدينة مظهرا آخر من مظاهر التغير فى هذا الجانب ، وتمثل التيارات والاتجاهات الدينية المنتشرة بالقرية حاليا انعكاسا لتلك الاتجاهات التى تسود المجتمع المصرى بشكل عام •

المستوى الثانى :

واذا انتقلنا الى مستوى أكثر خصوصية من المستوى الأول حيث تمثل عادات دورة الحياة بالقرية نسقا جزئيا يوجد فى اطار نسق أعم يكون البنية الاجتماعية لمجتمع القرية • فان الدراسة تظهر أن هناك ارتباطا يتخطى حدود الطبقة بين نسق العادات وبين طبيعة العلاقات داخل القرية (والتى تتميز بعلاقات الوجه للوجه) حيث أدت هذه العلاقات الى عدم وجود وسطاء كمحور للاختيار للزواج ، الى جانب ارتباط العادات أيضا بالتنشئة الاجتماعية من حيث الدور الذى تلعبه فى نقل العادات من جيل الى آخر مما يؤدى الى استمرارها ، وكذا ارتباط العادات بنسق الضبط الاجتماعى غير الرسمى الذى يسهر على أدائها والالتزام بها •

المستوى الثالث :

ويعد هذا المستوى أكثر خصوصية وعمقا من المستوى الاول والثانى حيث تتجلى خصوصيته فى ارتباط عادات دورة الحياة بالنسق الاعتقادى الذى يسود مجتمع البحث بمختلف طبقاته وشرائحه الاجتماعية ومن ذلك المعتقدات التى تدور حول المشاهرة وكيف تؤدى الى احداث العقم وكذا الممارسات المرتبطة بعلاج العقم • وهناك أيضا

المعتقدات التى تدور حول حماية الواضعة والوليد من أخطار القوى فوق الطبيعية أو تلك التى ترتبط بحماية العروسين من الحسد والاعمال السحرية (سواء أثناء عقد القران أو أثناء اعداد منزل الزوجية) كما ترتبط أدوات الغسل وكذا ماء الغسل بالعديد من المعتقدات حول قدرتها على فك مشاهرة العقم ، وتتجلى قوة الارتباط بين العادات والمعتقدات فى أن الخوف من عواقب عدم الأداء الذى يؤدى الى مزيد من القوة والثبات للمعتقد والعادة فى آن واحد •

- **يطرح نسق العادات ميكانيزمات (تختلف باختلاف جزئيات النسق) للتواؤم مع التغيرات الاجتماعية والثقافية التى تحدث فى البناء الاجتماعى •**

تظهر الدراسة — انطلاقا من قضايا النظرية الوظيفية — أن التفاعل المتبادل بين نسق العادات والانساق الأخرى يؤدى الى أن يطرح نسق العادات ميكانيزمات للمحافظة على التوازن والتلاؤم المطلوب بين التغيرات التى تحدث فى البناء الاجتماعى والثقافى (سواء للقرية أو للمجتمع المصرى) وبين نسق العادات وذلك على مستويين :

الاول : يتم فيه تغيير نسق العادات لأجزاء منه حتى تستطيع أن تواكب التغيرات الأخرى فى البناء الذى توجد فيه •

الثانى : يتم فيه محافظة النسق (سواء على مستوى القرية أو المجتمع المصرى ككل) على بعض الجوانب — التى تأخذ صفة الثبات — وذلك كنوع من التوازن الذى يحفظ النسق فيه ذاته من الاندثار أو من التغيرات التى تهدد بقاءه •

اما بالنسبة للمستوى الأول :

أكدت الدراسة أن التغيرات الاقتصادية التى حدثت بالقرية قد

أدت الى أن يغير نسق العادات بعضا من جوانبه تلاؤما مع هذه التغيرات (وعلى الرغم من أن التغيرات تعد سمة عامة فى مجتمع القرية الا أن الدراسة تظهر أن هناك اختلافات طبقية) ومن ذلك زيادة مقدار وكمية النقوط المقدم للواضعة أو للعروس سواء من الأهل أو الجيران ، تمشيا مع غلاء الاسعار ، كما أدت التغيرات الاقتصادية الى ظهور الشبكة حتى بين الطبقات الدنيا وارتفاع قيمة المهور على مستوى جميع الطبقات وتعدد أنماط جهاز العروس سواء من حيث الأثاث أو الملابس وظهور الولائم المصاحبة لاحتفالات الميلاد والزواج. كما أسهمت التغيرات الاقتصادية بدور بارز بالنسبة لعادات الموت من حيث ظهور الأكفان ذات الاقمشة الحريرية حتى بالنسبة لبعض الشرائح التى كانت تنتمى للطبقة الدنيا . وأدت هذه التغيرات أيضا الى ظهور صفوة جديدة اتجهت الى المبالغة فى اقامة السرادقات التى يحييها مشاهير المقرئين تشبها بالصفوة القديمة . كما انعكست هذه التغيرات الاقتصادية على التقليل من زيارة المقابر على المستوى العام لجميع الطبقات واقتصارها على عدة ساعات بدلا من عدة أيام نظرا لانشغال الرجال والنساء فى أعمالهم .

كما أدى انتشار التعليم الى تغيير بعض العادات من حيث اتجاه بعض المتعلمات وخاصة من الطبقة العليا الى الاتجاه للوضع على يد المولدات أو الأطباء بدلا من الداية مما أدى الى نبذ بعض الممارسات غير الصحية مثل الوضع على رماد الفرن وغير ذلك من الممارسات المرتبطة بالوضع على يد الداية . كما أدى أيضا الى الاتجاه الى اعداد ملابس للطفل الوليد — وان اختلف نمط الاعداد تبعا للطبقة الاجتماعية — بعد أن كانوا لا يهتمون باعدادها . كما أدى التعليم أيضا الى ظهور نمط الاختيار الذاتى للزواج بدلا من الاختيار الوالدى بدون اختلافات طبقية .

كما أدت التغيرات فى نسق الخدمة الطبية الى الاتجاه الى الوضع فى المستشفيات خاصة فى الحالات المتعسرة وظهور اتجاه بين بعض أبناء الطبقة العليا الى اجراء الختان للذكور على يد الاطباء وذلك الى جانب بدء الاعتماد على الأطباء للتأكد من وقوع الوفاة .

المستوى الثانى :

وتظهر الدراسة أن هناك ثباتا يتخطى الأبعاد الطبقية فى بعض ممارسات عادات دورة الحياة كميكانيزمات لحفظ توازن النسق ومن ذلك ثبات الوسائل التقليدية المستخدمة لعلاج العقم أو فى النتائج المترتبة على عدم تلبية طلبات الوحيم واحاطة الواضعة بالأهل والاصدقاء أثناء الوضع (حتى وان تم الوضع فى المستشفى) كمظهر من مظاهر التفاعل بين أبناء القرية ، وثبات اقامة حفل السبوع واجراء الختان ، وثبات اضطلاع النساء بالمهام الأولى فى المراحل التمهيدية للزواج وكذا ثبات التفاعل الدينامى فى المشاركة الجماعية فى جميع مراحل ممارسات عادات دورة الحياة .

وتبين الدراسة أن بعضا من هذا الثبات يستمد من تدعيم **الشريعة الاسلامية** وينعكس ذلك فى مدى عمومية هذا الثبات بين جميع الطبقات فى مجتمع القرية ـ بل قد يمتد الى المجتمع المصرى ككل كما تظهر نتائج الدراسة السابقة ــ ومن ذلك تفضيل اختيار الأسماء ذات الدلالة الدينية ، والاتجاه نحو الزواج المبكر ، وكثرة الانجاب ، وفطام الطفل فى سن السنتين ، والاهتمام بالكفن الشرعى ، وعمليات تلقين الميت .

كما أظهرت الدراسة ــ اتفاقا مع بعض نتائج الدراسات السابقة ــ أن هناك ثباتا لبعض جوانب عادات دورة الحياة على الرغم من

معارضتها للشريعة الاسلامية ــ مثل اللطم والعويل على الميت ــ وقد يرجع ذلك الى أنها تضرب بجــذورها الى مراحل سحيقة من تاريخ الشعب المصرى •

ـ **يختلف تأثر عادات دورة الحياة بالتغير : من حيث تفاوت معدلات التغير فى الشكل أو المضمون أو الوظيفة وكذا سرعة الاتجاه نحو التغير •**

وقد أظهر اختبار هذه القضية من قضايا النظرية الوظيفيــة أن هناك مستويان لاتجاهات التغير الأول يتم على مستوى التغــير بين الجزئيات داخل المراحل المختلفة لدورة الحياة والثانى على مستوى التغير بين المراحل الثلاث لدورة الحياة •

وبالنسبة للمستوى الأول

تبين الدراسة أن هناك تفاوتا فى معدل التغير فى داخل جزئيات عادات دورة الحياة (على الرغم من أنه يتم فى هذا المستوى بنوع من العمومية تتخطى الفروق الطبقية) حيث قد تؤثر عوامل التغير فى **شــكل العادة** بينما يظل المضمون والوظيفة بدون تغير • ومن ذلك تغير شكل الاحتفال بممارسات الحناء وحلاقة العريس وفض غشاء البكارة وتزيين العروس يوم الصباحية وكذا تغير ممارسات الاعلان عن الموت من خلال المنادى •

وينصب التغير فى بعض الجزئيات الأخرى على **مضمون العادة أو وظيفتهــا** بينما يستمر الشكل العام للظاهرة ومن ذلك بقاء الخلاص فى المنزل حتى يسمع ثلاث آذانات والتخلص من «الخلاص» بالقذف فى الترعة رغم اقتناع أهالى القرية حاليا أنه لا علاقة بين الآذانات وتدين الطفل الوليد ، كما أن ماء الترعة قد جف •

اما المستوى الثانى :

فتظهر الدراسة أن هناك اختلافا فى سرعة الاتجاه نحو التغير داخل الجوانب الثلاث لعادات دورة الحياة ، وأن هذا الاختلاف يرجع الى الاتجاه نحو التأثر بالعوامل المادية واللامادية للتغير ومن ثم تتجلى فيه الفروق الطبقية .

وقد أظهرت الفقرات السابقة كيفية تأثر الجوانب المختلفة لعادات دورة الحياة للعوامل المادية أما بالنسبة للعوامل اللامادية ، فتعد عادات الزواج أقل الجوانب تأثرا بالعوامل اللامادية وان كان التأثر يظهر بصورة واضحة فى ارتفاع سن الزواج وخاصة بين الاناث . وكذا فى الاختيار للزواج وتفضيل نمط الأسرة النووية بدلا من الممتدة وخاصة للطبقة العليا ، وفى مشاركة العروسين فى الزفة بين جميع الطبقات واندثار دور الداية فى الممارسات المختلفة للزواج حتى بين أبناء الطبقة الدنيا .

— تتأثر الممارسات داخل نسق العادات ببعض القوى التى تعمل على : اما تدعيم استمرار بعض جوانب العادات ، أو تقبل التغير وانتشاره أو اندثار بعض العادات اذ لم تتلاءم مع التغير .

تظهر الدراسة أن عوامل التنشئة الاجتماعية وأنساق الضبط الاجتماعى والمعتقدات المرتبطة بالعادات من أهم العوامل التى تلعب دورا واضحا فى المحافظة على **تدعيم استمرار** بعض جوانب العادات فى المراحل المختلفة للدورة كما قد يعد اتصافها بالعمومية فى الأداء بين جميع الطبقات من أهم العوامل التى تعمل على تدعيم هذا الاستمرار . كما لا نستطيع أن نغفل أن هذا الاستمرار يتجلى فى الممارسات التى تدعم بعض القيم التى يتبناها المجتمع ومن ذلك استمرار الاهتمام

بطعام الواضعة فى حالة ميلاد الذكر وكذا الممارسات التى تهدف الى المحافظة على ادرار اللبن وزيادة كميته ، وأيضا استمرار تدعيم الزواج المبكر ، وكتابة قائمة بمحتويات جهاز العروس ، الى جانب استمرار الصراخ والعويل على الميت ، وعمليات التلقين واقامة السرادقات ، كمظهر للحداد وكوسيلة للمشاركة الجماعية ، كما يظهر استمرار تقديم العزاء بالنسبة للسيدات مدى قوة المرأة كقوة حافظة للتراث • ولعل محاولة أفراد مجتمع البحث حماية هذه العادات من خلال الاستمرار فى الأداء يشير الى محاولتهم الحفاظ على تلك العادات التى تميز شخصيتهم وتعطى لهم قوة تفاعل وتماسك •

كما أظهرت الدراسة أيضا أن نسق العادات يتأثر أيضا ببعض القوى التى تعمل على تقبل ما يناسب النسق من التغيرات وتدعم هذا التقبل من خلال انتشاره بين أفراد المجتمع ، وتظهر الدراسة أن التغير فى مجتمع البحث يسير فى حركة من الصاعد الى الهابط حيث يبدأ حين تتقبله الطبقات العليا وبعد ارساء التقبل يبدأ فى الانتشار الى الطبقات الأخرى •

والى جانب الانتشار الطبقى فهناك أيضا الانتشار النوعى والذى قد يتم من الرجال الى النساء مثل تقبل بعض الافكار الدينية وتوجيه النساء الى العمل بها ، أو من النساء الى الرجال مثل تقبل تغير دور الداية وكذا عادات «الشنقة» ، كما قد يتم من الشباب الى كبار السن وذلك مثل تقبل بعض الاتجاهات الدينية ونقلها الى كبار السن • كما يتم الانتشار أيضا من الكبار الى الصغار وتلعب عمليات التنشئة دورا واضحا فى هذا المجال •

وتظهر الدراسة أن هناك اندثارا لبعض العادات التى لم

تستطع أن تتلاءم مع التغيرات التى تقبلها المجتمع ومن ذلك اندثار ممارسات «الشنقة» فى احتفالات الختان والنمط الاحتفالى المصاحب لحياكة ملابس العريس وانحسار دور الداية فى جمع النقوط فى مختلف عادات الميلاد والزواج • وكذا انحسار دور النداَبة فى ممارسات عادات الموت •

ولا نستطيع أن نغفل أن قوى الاتصال بالحضر من خلال وسائل الاعلام أو التعليم والاتصال الموجه تعد من أهم القوى التى تمد القرية بما يوجه الأحداث فيها سواء من حيث تقبل التغير أو انتشاره أو استمرار أو اندثار بعض العادات •

— تسهم الرموز بدور فى ممارسات عادات دورة الحياة من حيث كونها وسيلة للتعبير والاتصال غير اللفظى للتفاعل فى داخل العلاقات الاجتماعية وتحدد الابعاد الطبقية وكيفية ايواء الذات داخل كل طبقة مما يعمل على تميز المجتمع بسمات ثقافية خاصة •

تبين الدراسة من خلال اختبار قضايا نظرية التفاعلية الرمزية أن للرموز اسهامات واضحة فى ممارسات عادات دورة الحياة • ويتجلى هذا الاسهام فى ثلاث جوانب :

الجانب الأول :

ويتمثل فيما تمده الرموز لأفراد مجتمع البحث من أطر تتخطى حدود الطبقة وتسهم فى سهولة عمليات الاتصال بين الأفراد وتزيد من قوة التفاعل فيما بينهم • ومن ذلك ضرورة عدم دخول بعض المواد والاشياء على الواضعة تجنبا لحدوث المشاهرة ، وملء قلة السبوع بالماء رمزا الى الخير • كما تتضمن الدعوة لحضور الاحتفال بحناء العروس دعوة رمزية الى المشاركة فى اعداد الولائم ، ويعد طهى أنواع

خاصة من المكولات فى فترة الحداد اعلانا رمزيا الى فك أسرة المتوفى لقيود الحداد عليه ٠

الجانب الثانى :

ويظهر هذا الجانب مدى ما تسهم به الرموز فى وضع حدود طبقية يتحرك الافراد داخلها ويتم تسكين ذاتهم فيها بحيث لا يتم تخطى هذه الحدود الا من خلال تغيرات ذات دلالة ٠ ويتجلى هذا التسكين بالنسبة الطبقة العليا التى تحاول وضع تمايز لطبقتها ومن ذلك اتجاه أبنائهـا الى الامتناع عن توزيع أطبـاق الارز باللبن فى احتفال السبوع بعـد أن أصبحت النقود التى ترد فيهـا لا تصلح لتحديد ذاتيتهم ، وكذا اقامة وليمة فى سبوع الوليد علاوة على الاتجاه الى اقامة وليمة كبيرة فى حفـل الشبكة أو الحنـاء وكذا استخدام الكولونيا بدلا من ماء الورد (المستخدم فى باقى الطبقات) فى رش أكفان موتاهم ٠

هذا واذا كان من المألوف فى دراسـة العادات أن تسير حركة التراث من الطبقة الدنيا الى العليا فان الدراسـة تظهر ما يخالف هذا الاتجاه حيث تعد الرموز الطبقية الخاصة بالطبقة العليا وسيلة تستخدم من أبناء الطبقات الوسطى والدنيا حين الرغبة فى الحراك الطبقى وخاصة أن التغيرات الاقتصادية التى تناولت البلدة قد أسهمت فى ثراء بعض أبناء الطبقات الأخرى ٠

الجانب الثالث :

ويظهر مدى ما تسهم به الرموز فى وضع دلالات لتحديد سمات خاصة لمجتمع البحث الامر الذى قد ينعكس فى بلورة سمات ثقافية متميزة عن غيره من المجتمعات ٠ وتتجلى هذه السمات (التى تحظى

بدلالات عامة تتخطى حدود الطبقة) فى مشاركة أهل العريس فى حفل الخطبة بنفقات معروفة ومحددة ، وتمثل عادة «الشنقة» التى كانت تسود مجتمع البحث مظهرا من السمات الخاصة به ويعد أداء العمل بدون أجر - الا الأجر العينى المتمثل فى الثواب - سمة أخرى قد تميز مجتمع البحث . كما قد يعد انشاء جمعية يشارك فيهـا أبناء القرية بهـدف المساعدة فى حالات الموت وما يتبع انشاؤها من ظهور الملكية العامة سواء للنعش أو للمغاسل وعربة نقل الموتى سمة تميز مجتمع بحثنا بسمات خاصة كمنطقة ثقافية قد تختلف عن تلك المناطق التى أشارت اليها الدراسات السابقة .

- تؤثر عمليات التبادل اللامتكافىء بين القرية - باعتبارها مجتمعا محيطيا - وبين المدينة - باعتبارها مجتمعا مركزيا - يحاول استنزاف طاقات المجتمع التـابع عن طريق اسـتخلاص فائض قيمته فى تنمية التخلف للبناء الاجتماعى لمجتمع القـرية مما ينعكس فى عادات دورة الحياة باعتبارها جزءا من هذا البناء .

وقد أظهرت الدراسة وفقا لقضايا نظرية التبعية أن محاولة المركز - مدينة القاهرة والجيزة - استقطاب فائض قيمـة مجتمع القرية المحيطى من خلال رفع الدورة الزراعية عن القرية بهدف تحويل نمط المزروعات بها من المحاصيل المعيشية الى المحاصيل النقـدية من أجل الاستفادة منها فى تغذية سكان المركز قد أدى الى وجود علاقة تبادل - يراه أنصار التبعية - لا متكافىء بين القرية والمدينة وذلك من منطلق أن استخلاص فائض القيمة من القرية لا يقابله تقديم خدمات توازى ما يتم استخلاصه .

وقد أثبتت الدراسة أن نتائج هذه العلاقة تدور داخل محورين أحدهما سلبى يعضد هذا القول ، والآخر ايجابى يظهر أن خصوصية

المجتمع المصرى قد استطاعت أن تحور العلاقة لصالحها ، وأن هذين المحورين قد انعكسا فى عادات دورة الحياة باعتبار أن هذه الدورة جزء من البناء الاجتماعى لمجتمع القرية المحيطى ٠

ـ بالنسبة للمحور السلبى : ويظهر هذا الجانب مدى استئثار المركز بالخدمات دون المجتمعات المحيطية ، الأمر الذى أدى الى نقص الخدمات المقدمة للقرى مما انعكس فى اتخاذ المدينة كمركز وسوق تجارى لشراء المستلزمات المختلفة الخاصة بطقوس واحتفالات عادات الميلاد أو الزواج ٠

كما انعكس أيضا فى اتخاذ القرية سوقا للمنتجات الترفية والاستهلاكية مما أدى بأبنائها الى شراء بضائع ليست بذى قيمة ـ وذلك على مستوى الطبقات جميعا ـ مثل بعض الأوانى الزجاجية والبلاستيكية الرخيصة ٠ كما يتجلى أيضا فى محاولة عمل أوعية ادخارية من هذه البضائع كجزء من جهاز عروس ربما لازالت طفلة رضيعة ٠

كما أدى هذا المحور أيضا الى توجيه توظيف العائد الاقتصادى فى الاهتمام بالجوانب ذات الصبغة المظهرية ٠ ويتجلى ذلك فى تعدد أنماط جهاز العروس وكثرتها ، ارتفاع قيمة الشبكة وذلك الى جانب الاهتمام باقامة الولائم سواء فى احتفالات السبوع أو الشبكة أو الحناء ، وكذا فى احياء ليال المأتم بصورة مبالغة من البعض وخاصة فى الطبقة العليا وبعض شرائح الطبقة الوسطى ٠

المحور الايجابى :

٠٠ ويظهر هذا الجانب أن خصوصية المجتمع المصرى قد استطاعت أن تستخلص من علاقة التبادل اللامتكافىء جانبا ايجابيا يفيدها سواء

بالنسبة للبناء الاجتماعى للقرية أو بالنسبة لعادات دورة الحياة كجزء من هذا البناء وذلك من حيث :

ــ انشاء بعض المشروعات داخل القرية مثل الجمعية الزراعية ، والوحدة البيطرية ، والجمعيات التعاونية ، والمدارس ، مما أدى الى احداث تنمية شملت القرية ككل وانعكست على عادات دورة الحياة من حيث نبذ بعض العادات والممارسات مثل بعض الطرق الشعبية فى علاج العقم أو حين الوضع مع بدء الاتجاه نحو العلاج الطبى .

ــ كما أدى تغير نمط المحاصيل الى زيادة الاجور مع تقليل ساعات العمل الى وجود مزيد من الفرص للعمل الاضافى وقد أدى ذلك الى حدوث رواج مالى لأبناء القرية انعكس فى تحقيق بعض المطالب التى كانت تعد بالنسبة اليهم فيما سبق حلما يراودهم ومن ذلك تلبية طلبات الوحيم والاهتمام بتجهيز ملابس للطفل الوليد وكذا الاهتمام بطعام الواضعة وزيادة ملابس وأثاث العروس وتعدد أنماطه واقامة الاحتفالات المختلفة فى مراحل الزواج وظهور الشبكة كتقليد فى جميع الطبقات وارتفاع المهور • كما انعكست أيضا فى عادات الموت من حيث وجود فائض مالى حتى بين أبناء الطبقة الدنيا سمح لهم بشراء أكفانهم كما مكنهم من المجاملة فى مرافقة الموتى الى مقرهم الأخير ومن قراءة القرآن على أرواح موتاهم ــ حتى وان كان من المسجلات ــ وهى ممارسات تضفى الراحة والسكينة على أهل الميت لشعورهم بتكريمه ومدى تفاعل الآخرين ومشاركتهم لهم فى مشاعرهم •

* ● *

٥ ــ أهم النتائج والاستخلاصات من منظور مستقبلى :

قادت المناظرة التى تم تناولها بين قضايا الأطر النظرية والواقع الفعلى الى وضع صورة عن طبيعة عادات دورة الحياة والتغيرات التى

لامستها داخل مجتمع الدراسة ، ولعل هذه الصورة تقود الى التساؤل عن طبيعة هذا الجانب من التراث فى المستقبل بعد تلك التغيرات التى تعرض لها كنسق فرعى فى نسق أعم . وقد قامت الباحثة فى محاولة للإجابة على هذا التساؤل بوضع اطار تصورى ، رأت فيه أن هناك محورين يمكن أن يتناولا مستقبل التراث فيما يتعلق بعسادات دورة الحياة

الأول : يتناول تلك الجوانب التى تشير الدلالات فيها الى امكانية احتفاظ عادات دورة الحياة بدرجة من الثبات قياسا على ما استطاعت أن تظل عليه على الرغم من التغيرات التى تعرضت لها .

الثــانى : يتناول تلك الجوانب التى كانت محورا للتغير مما قد يعكس دلالات ومؤشرات تشير الى كيفية تسير اتجاهات التغــير فى المستقبل

ويتعلق الجانب الأول بالمؤشرات التى تتناول ما تلعبه الجوانب الدينية والاعتقادية من قوة ترى الباحثة أنها قد تسهم فى ثبات بعض العادات مثلما قادت الى استمرارها على مر الاجيال الماضية ومن ذلك:

الجوانب الاعتقادية : حيث أشــارت نتائج الدراسة الى مدى الدور الذى لعبته الجوانب الاعتقادية فى وضع نسق من الضبط غير الرسمى أدى الى تمسك أفراد مجتمع البحث ببعض جزئيات عادات دورة الحياة ، حيث لعب الخوف من عدم الأداء وما قد يترتب عليه من ايذاء مجهول العاقبة دورا فى ثبات هذه الاتجاهات . ومن ذلك تلك الممارسات التى تتعلق بالمشاهرة سواء الخاصــة بالعقم أو بالرضاعة وكذا تلك المتعلقة بوضع رمال على بطن الطفــل الميت ، تجنبا لتقلبه حيث يعتقــد أن حدوث ذلك يؤدى الى عقــم والدته . وهناك أيضا

المعتقدات المرتبطة بضرورة تنفيذ وصايا الموتى ، وضرورة أداء العادات الواجبة من ناحية الغسل والتكفين ، وكذا ضرورة مسامحة الميت على القبر ، والقراءات الواجبة فى الغرفة التى حدث فيها الموت حتى لاتصيب روحه من يستخدم الغرفة بالايذاء • وترى الباحثــة أن ثبات هذه العادات قد يعد مؤشرا دالا على ثباتها اذا ما ظلت المعتقدات المرتبطة بها على قوتها وتدعيمها لتلك العادات •

الجوانب الدينية : أظهرت الدراسة أن للجوانب الدينية دورا فعالا فى ثبات بعض الجوانب ، ومن ذلك ما تقدمه الشريعة الاسلامية من تدعيم لبعض العادات ، ومنهـا تشجيع كثرة الانجاب وتفضيل اختيار الأسماء الدينية ، والحث على الزواج المبكر ، وكيفية الاختيار للزواج ، والعلامات التى تنبئ بحدوث الموت والاستعدادات الواجبة له الى جانب الصفات الواجب توافرها فى القـائم بالغسل وضرورة الصـلاة على الميت والمسامحة على القبر والدعاء للميت بالتثبت فى قبره •

وترى الباحثة أن استناد تلك الجوانب الى الشريعة قد يعد مؤشرا الى مدى القوة التى تستند اليها ، الأمر الذى قد يؤدى الى ثباتها مستقبلا على الرغم من التغيرات التى قد تتعرض لها •

وبالاضافة الى الجوانب الاعتقادية والدينية فان الباحثة ترى أن هناك مؤشرا يلقى الضـوء على قدرة بعض العـادات على الرسوخ والثبات على الرغم من تعارضها مع الجوانب الدينية • ومن ذلك اللطم على الميت والمبيت فى المقابر ، واختيار الأكفان ذات الألوان ، أو دخول الأقمشة الحريرية فيها ، وكذا القيـود التى توضـع حول الحداد • واذا كانت الدراسـة تؤكد على الدور الذى تلعبه التنشئة ونسـق

الضبط فى إستمرار بل وثبات العادات فان هذا الثبات الذى يتعارض مع التعاليم الدينية قد يشير الى حدوث صراع — بين كلا الاتجاهين — الا أن الدلائل تشير الى تغـلب الجوانب ذات الطابع الدينى تمثيلا لازدياد الاتجاهات الدينية على مستوى المجتمع المصرى ككل .

أما المحور الثانى فيتضمن المؤشرات التى تشير الى التغير وتتضمن **التعـليم حيث :**

— تظهر المؤشرات المختلفة أن التغير فى الاتجاه نحـو التعليم وخاصة بالنسبة للاناث قد أدى الى الاتجاه نحو العلاج الطبى للعقم مما جعل الباحثة ترى انه قد يؤدى الى اندثار بعـض تلك العادات الدائرة حول علاجه بالطرق التقليدية ، وبالتالى قد يؤثر على الدور التقليدى للداية مما قد يؤدى الى اندثاره فى المستقبل

واذا كان التعليم قد أدى أيضا الى الاهتمام — وخاصة من جانب الأم المتعلمة — باعداد ملابس للطفل وكذا الاهتمام بالمحافظة على حياته والاهتمام بتعليمه فان ذلك قد يشير الى تغير مكانة الطفل فى المجتمع وتغير أيديولوجية المجتمع تجاهه من رأس مال اقتصادى الى مستهلك للخدمات .

تظهر المؤشرات المختلفة أيضا أن التغير فى الاتجاه نحو التعليم وخاصة بالنسبة للاناث قد أدى الى ارتفاع سـن الزواج ، وأن هذا الارتفاع قد ارتبط أيضا وأسـهم بدور فعال فى عمليـات الاختيار الزواجى حيث أصبحت تقوم على الاختيار الذاتى بدلا من الاختيار الوالدى ، الأمر الذى قد يسهم فى جانب منه الى انخفاض الزواج من داخل الدوائر القرابية وارتفاع الزواج القائم على الصلات الشخصية والتعارف ، وفى جانب آخر الى انخفاض نسبة الطلاق . ولعل هذه

المؤشرات تكون ذى دلالة بالنسبة لتغير مكانة المرأة وأيديولوجية المجتمع تجاهها .

ــ واذا كانت الدراسة تشير الى مدى ما أسهم به التعليم فى بدء ظهور الاتجاهات التى قد تؤدى الى تفضيل تجهيز منزل الزوجية بالأدوات الكهربائية بدلا من الشبكة ، ترى الباحثة أن ذلك قد يكون مؤشرا ذا دلالة من حيث الاشارة الى تغير اتجاهات المجتمع نحو الاتجاهات العملية فى التفكير .

والى جانب **التعليم** فهناك أيضا **التغيرات الاقتصادية** والتى قد أثرت على بعض جوانب دورة الحياة حيث :

ــ أظهرت الدراسة أن التغيرات الاقتصادية قد أثرت على بعض جوانب دورة الحياة من حيث ارتفاع المهور وتعدد أثاث العروس سواء بالنسبة للمفروشات أو للملابس الأمر الذى قد يعد مؤشرا الى ارتفاع مكانة المرأة فى المجتمع .

ــ كما تناولت الدراسة الدور الذى لعبته التغيرات الاقتصادية فى اتجاه الافراد الى الاهتمام بالمظاهر الاحتفالية أكثر من مضمون هذه المظاهر أو كوسيلة للتباهى والتفاخر ويظهر ذلك بصورة واضحة فى الممارسات المتعلقة بعادات الميلاد من حيث احتفالات السبوع وفى عادات الزواج واحتفالات الشبكة والحناء وبالنسبة لعادات الموت فى اقامة السرادقات وبصفة خاصة للبعض من الطبقات العليا ، ولعل هذا الاهتمام يشير الى أى مدى الاتجاه نحو الاهتمام بالشكل دون الجوهر أو المضمون وما قد يتبع ذلك من انتشار هذا الاتجاه من الطبقات العليا الى الطبقات الاخرى وهو ما قد يشكل خطورة على طبيعة الشخصية المصرية .

ـ أظهرت الدراسة أيضا أن التغيرات الاقتصادية قد أثرت فى اتجاه أفراد مجتمع البحث نحو الاهتمــام بالذات وتلبية احتياجاتها ومنها تلك المتعلقة بتلبية رغبات الوحيم والاهتمام بطعام الواضعة الى جانب الاهتمام بأثاث منزل الزوجية وتعــدد أنماطه ومحتوياته وكذا الاهتمام بقصر فترات الحداد تجنبا لطول فترات الحزن .

ولعل هذا الاتجاه يكون مؤشرا ذا دلالة لحدوث أمرين :

الاول : قد يكون ذا آثار ايجابية من حيث كونه مؤشرا لاهتمام الانسان بذاته ، الأمر الذى قد يشير الى اهتمامه بما يتعلق بتحسين ذاته وشخصيته وما قد يؤدى ذلك الى حــدوث آثار ايجابيــة على شخصية المجتمع المصرى .

الثانى قد يكون ذا آثار سلبية من حيث الاتجاه نحــو الفردية مما قد يهدد طبيعة الشخصية المصرية ذات الصبغة التفاعلية .

ـ دلت الدراســة أيضــا على مدى ما أسهمت به التغــيرات الاقتصادية فى الاتجاه نحو اذابة الفوارق بين مختلف الطبقات حيث أدت الى تقليل الهوة فيما بينها هذا وعلى الرغم مما أظهرته الدراسة من اتجاه الطبقات العليا الى محــاولة تغليف ذاتهــا بحدود طبقية ، الا أن المؤشرات تشير الى الاتجاه الدائم من باقى الطبقات الى محاولة خرق هذا الحاجز مما قد يشير الى انتقال التراث فى حركة من الصاعد الى الهابط الأمر الذى قد يعد مؤشرا الى بدء اذابة الحواجز الطبقية فى بعض جوانبها .

ـ وأظهرت الدراسة أثر **عوامل الاتصــال** على تغير بعض جوانب عادات دورة الحياة وهو ما استطاعت من خلاله الباحثة أن تستشف بعض المؤشرات التى قد تتدخل فى تحديد اتجاهات سير التغير ومن ذلك :

ــ ظهور الأسماء الحديثة بدلا من الأسماء التقليدية ، والاتجاه الى ارتداء فستان الزفاف الأبيض والطــرحة ، وكذا تزيين العروس بمساحيق التجميل ، والاتجاه الى تصفيف الشعر عند (الكوافير) بدلا من الدور التقليدى للداية •

ــ كما لا نستطيع أن نغفل أيضـــا أثر الاتصـــال فيما أظهرته الدراسة من ظهور الاتجاهات الدينية الحديثة والأثر الذى أحدثته فى تغيير بعض جوانب عادات دورة الحيـــاة ويتجلى ذلك بصفة خاصة بالنسبة لبعض عادات الموت ومحاولة أداء تلك الممارسات التى تقتصر على ما أشارت به الشريعة الاسلامية •

ولعل هذه التغيرات تعمل على اعطاء مؤشرات دالة على :

ــ اذابة الفروق الريفية الحضرية فى بعض الجوانب التفصيلية لعادات دورة الحياة وذلك من خــلال حركة التراث من المدينة الى الريف •

ــ اندثار بعض الممارسات والطقوس التى تبتعد عن ما توجبه الشريعة الاسلامية وهو ما قد يشـــير الى بدء انحسار الصراع الذى أشرنا اليه •

الفصل الخامس

أنماط رعاية الطفولة فى قرية مصرية
كما تعكسها جداول استخدام الوقت فى الأسرة(*)

مقــــــــدمة :

تتجه السياسات الاجتماعية على المستويين العالمى والمحلى نحو الاهتمام بالطفل وتطوير أساليب رعايته وتنشئته خلال مراحل نموه. وتشمل هذه الرعاية الاهتمام بالجوانب الاجتماعية والثقافية والصحية للطفل[1] . والظاهرة التى نسجلها بكل أسف إقتصار اهتمام القطاع الرسمى لرعاية الطفولة على المنــاطق الحضرية بشكل عام ، وضعف الاهتمــام ببعض القطاعات الاخرى كالريف ، حيث تضــيق قنوات الاتصال بين الكثــير من مناطق الريف والتوجهــات القوميــة لرعاية الطفولة . ومن هذا المنطلق تشكل الدافع نحو اجراء هذه الدراسة وان كانت هناك دوافع مسبقة لاجرائها(**) .

(*) اعداد الدكتورة/نجوى عبد الحميد محمد سعد الله ، مدرس علم الاجتماع ـ بكلية البنات جامعة عين شمس .

(**) نمت بذور الاهتمام بهذا الموضوع اثناء المشاركة فى اجراء الدراسات الميدانيــة المتعمقة لبحث المراة ، والمنشور عنه تقرير بعنوان : « المراة فى الريف والحضر ــ دراسة لحياتها فى العمل والاسرة »
=

وسوف أحاول أن تكون هذه الورقة بداية لدراسات متعمقة أخرى حول الطفل • وتهدف الدراسة الى محاولة القاء الضوء على الملامح المميزة لأساليب رعاية الطفل فى الأسرة الريفية • وذلك بالكشف عن حجم الرعاية التى يحظى بها الطفل بالمقارنة بالأنشطة الأخرى التى تؤديها الأم فى الأسرة وخارجها ، بدءا من مرحلة المهد حتى سن ما قبل المدرسة ، وذلك فى مجالات : التغذية — النظافة — الرعاية الصحية • وسوف تراعى الدراسة معالجة موضوعها فى ضوء المتغيرات الآتية :

أ — المستوى الطبقى (عليا — وسطى — دنيا) •

ب — نوع النشاط الاقتصادى الذى تؤديه الأم (أعمال تسمح باصطحاب الطفل ، وأعمال لا تسمح باصطحاب الطفل) •

جـ — نمط الأسرة : (نووى — ممتد — مركب) •

تساؤلات الدراسة :

فى ضوء الهدف الرئيسى للدراسة تتبلور مجموعة من التساؤلات منها :

— ما هى الاساليب الشائعة لرعاية الطفل فى الأسرة الريفية ؟

— الى أى مدى يؤدى التباين فى المستوى الطبقى داخل البناء الاجتماعى والثقافى لمجتمع الدراسة الى تباين فى الاساليب المرتبطة برعاية الطفل فى الأسرة ؟ •

— اشراف الدكتورة علياء شكرى ، دار المعرفة الجامعية، الاسكندرية، الطبعة الاولى ، ١٩٨٨ . حيث شاركت الباحثة بدراسة بعض جوانب الحياة المعيشية للاسرة الريفية . وكانت تنشئة الطفل احد محاور هذه الدراسة ، كما لفت الموضوع نفسه اهتمام الباحثة أثناء اجرائها الدراسة الميدانية لبحثها لنيل درجة الدكتوراة .

- الى أى مدى يؤدى التنوع فى أنماط النشـــاط الاقتصادى (المهنة) فى المجتمع الى تباين فى أساليب رعاية الطفل فى الأسرة ؟ .

- الى أى مدى يؤدى التباين فى نمط الأسرة (نووى — ممتد — مركب) فى المجتمع الى تباين فى حجم الرعاية المقدمة الطفل ؟ .

- الى أى مدى يؤدى التباين فى النـــوع (ذكر — أنثى) الى تباين فى نوعية حجم الرعاية المقدمة للطفل ؟ .

قائمة بأنشطة الأم نحو الطفل :

نشاط رعاية الطفل :

ويقصد بنشـــاط رعاية الطفـــل الوقت المستغرق لتلبية الحاجات الأساسية له منـــذ لحظة استيقاظه فى الصباح حتى لحظة نومه ليلا وأثناء الليل ، وتتمثل هذه الحاجات اللازمة للطفل فى هذه المرحلة فى : تغذيته (رضاعة — تناول الطعام) نظافته (غســـل الوجه والايدى والأرجل ، حمام نصف أسبوعى — حمـــام أسبوعى — تنظيفه بعد عمليات الاخراج وتغيير ملابسه بعد التبول) ، حمله أثناء مرضه — أو الخروج به للعب ، نومه (أثناء النهار والليل) .

الرعاية الصحية :

ويقصد بها مفهوم المرض ، كيفية التعـــامل معه (بالذهاب الى الطبيب — الى الصيدلى — استخدام الطب التقليدى الشعبى) .

منهج الدراسة :

تعتمد الدراسة على المنهـــج الانثروبولوجى كاطار منهجى ملائم لأهداف البحث وتساؤلاته الأساسية ، وذلك من خلال الاعتماد على الأدوات والأساليب الانثروبولوجية التالية :

جدول استخدام الوقت ــ المعايشة ــ الملاحظة ــ المقابلة ــ دليل العمل الميدانى ــ دراسة الحالة ــ الاخباريون • والى جانب الأساليب المنهجية المشار اليها استعانت الدراسة بأساليب التحليل الكمى • وتلافيا لأوجه النقد التى تتعرض لها كل من الطريقة الكمية والكيفية ؛ قامت الباحثة بالجمع بين الأسلوبين من خلال الملاحظة والمقابلة •

ويتمثل الأسلوب الكمى : فى الاستعانة بجدول معد لرصد النشاط (أنظر الملحق) الذى يقوم به كل عضو من أعضاء الأسرة منذ لحظة الاستيقاظ فى الصباح حتى لحظة النوم بالمساء(٢) ، وذلك من أجل الوصول الى :

ــ حصر عدد الأنشطة التى تقوم بها الأم طوال اليوم وتقدير تقريبى للزمن المستغرق لأداء كل نشاط من هذه الأنشطة طوال اليوم بالساعة •

ــ تحديد موقع النشاط الخاص برعاية الطفل فى الأسرة الريفيه بالنسبة لبقية الأنشطة التى تؤديها الأم أو القائمين على معاونتها لرعاية الطفل •

مجتمع الدراسة :

وقع الاختيار على قرية ترسا(*) لاجراء الدراسة الميدانية ، وهى احدى قرى مركز سنورس بمحافظة الفيوم • يبلغ عدد سكانها تسعة

(*) ترجع مبررات اختيار هذه القرية كمجال جغرافى للدراسة الى وجود علاقة طيبة بين أهالى هذه القرية وبين الباحثة نشأت فى فترة جمع المادة الميدانية الخاصة برسالة الدكتوراة ، مما شجع الباحثة على العودة ثانية لاجراء دراستها الحالية لما لاقته من تعاون واستجابة من معظم أسر القرية •

آلاف نسمة عام ١٩٦٦، وصل الى ٤٦٦ر١٠ فى تعداد ١٩٧٦[٣] ثم الى ١٦ ألف نسمة طبقاً لآخر تعداد للمجلس المحلى للقرية . ومن الملامح الايكولوجية المميزة لقرية ترسا أنه يغلب عليها الطابع التقليدى مثلها مثل الكثير من قرى الريف المصرى وذلك من حيث مظهرها العام ـ النشاط الاقتصادى للسكان ـ زراعة المحاصيل التقليدية . وتبلغ مساحة الارض الزراعية ٣٧٠٠ فدان ، الى جانب وجود أنشطة اقتصادية أخرى كصناعة القاطف (الملق) من سعف النخيل والأنشطة التجارية الصغيرة والنشاط الحكومى[٤] .

أسس اختيار الحالات المتعمقة وخصائصها :

عند اجراء الدراسة المتعمقة وقع الاختيار على عينة من الأسر تبلغ تسع أسر ، روعى عند اختيارهم أن يكونوا بقدر الامكان ممثلين للتكوينات الاقتصادية والاجتماعية والثقافية المتباينة فى مجتمع الدراسة ، وهى :

- التنوع الطبقى (عليا ـ وسطى ـ دنيا) .
- التنوع المهنى (النشاط الاقتصادى) .
- نمط الأسرة (نووى ـ ممتد ـ مركب) .

وفى ضوء هذه المتغيرات جاء اختيارهم على النحو التالى :

الطبقة العليا : أسرتان .

الطبقة الوسطى : ثلاث أسر .

الطبقة الدنيا : أربع أسر .

نتـــائج الدراســـة

تشير جداول رصد النشاط لقياس حجم الرعاية التى يتلقاها الطفل فى الأسرة الريفية الى ما يلى :

ـ أن هناك تباينا طبقيا يتحدد وفق الظروف الاقتصادية التى تحيط بالأم • وينعكس ذلك بشكل واضح على الوقت المتاح لها لرعاية طفلها ، بمعنى أنه فى المستويات العليا تصبح الفرصة متاحة للأم لكى تتفرغ من عملها المؤسس لرعاية أبنائها • ويختلف الأمر بالنسبة للمستويين الطبقيين الأوسط والأدنى ، اذ تدفع الحاجة المادية لأمهات الطبقتين الى البحث عن وسائل بديلة لتحقيق هذه الرعاية (الجدة ـ أو الدرجات القرابية فى الأسرة الكبيرة ـ الحضانة) •

ـ هناك تباين فى نسبة الوقت المخصص لرعاية الطفل طبقا لنوع النشاط الاقتصادى الذى تؤديه الأم •

ـ فالأمهات اللائى يعملن فى الوظائف الحكومية يستغرق أداؤهن لهذا النشاط ٦ ساعات يوميا ، بينما يستغرق نشاط رعاية الطفل ٣ ساعات يوميا •

ـ الأمهات اللائى يعملن فى النشاط الزراعى (بالأجر) يبلغ حجم الوقت المخصص للعمل لديها ٨ ساعات يوميا فى مقابل ساعتان يوميا تنفقان فى رعاية الطفل •

ـ أما الأمهات اللائى يعملن فى النشاط التجارى ـ التجارة الصغيرة (بائعة خضر ـ فاكهة ـ سندوتشات) فيبلغ حجم الوقت المخصص للنشاط الاقتصادى ١٠ ساعات يوميا • ولم تفصح الدراسة عن وقت مخصص لرعاية الطفل وآخر للعمل ، وانما يمكن للأم ممارسة كلا النشاطين فى نفس الوقت •

الملامح المميزة لأساليب رعاية الطفل فى مجتمع الدراسة

أولا : فى مجال التغذية :

تشير نتائج الدراسة الى تدرج أساليب رعاية الطفل فى السنة الاولى من العمر على النحو التالى :

ب - فى الأيام الأولى من عمر الوليد (٧ - ١٥ يوم) تشكل رعاية الطفل النشاط الأساسى وربما الوحيد للأم . ثم تبدأ الأم تدريجيا بعد هذه الفترة فى ممارسة بعض الاعمال المنزلية بصحبة وليدها . وتتوقف على فترات متقطعة لارضاعه ، ثم تعود الى استكمال النشاط مرة أخرى . وتتراوح عدد مرات ارضاع الطفل فى الأربعين يوما الأولى من عمره ما بين ١٣ - ١٥ (*) مرة يوميا ، وذلك بسبب عدم قدرة الوليد على امتصاص الثدى لفترة طويلة ، فضلا عن عدم خبرة الريفيات بعملية تجشيىء الطفل بعد ارضاعه مما يتسبب فى عملية القىء بعد كل رضعة مباشرة . وكلما تقدم عمر الوليد زادت مقدرته على اطالة فترة الرضاعة ، وبالتالى تقل عدد مرات ارضاعه لتصبح من ٨ - ١٠ مرات يوميا حتى سن ستة أشهر .

وتشير مرجريت ميد Margrete Mead : « لا ينتصر تدريب الأم لوليدها فى العام الأول على الرضاعة ، بل هناك عمليات أخرى تقوم بتدريبه عليها مثل كيفية الجلوس بمفرده »(٥) . ويتفق هذا مع نتائج الدراسة الحالية ، حيث يبدأ تدريب الوليد على الجلوس بمفرده فى سن من ٣ - ٤ أشهر ، بأن تقوم الأم باعداد مجلس للطفل باستخدام احد أقفاص الفاكهة (بعد أن تضع على جانبيه قطعا من القماش القديم لتساعد الطفل على الاستقرار فى جلسته وعدم الميل) . وأثناء جلوس الطفل تقدم الأمهات للطفل بعضا من قطع الخبز ليلهو بها أثناء انشغالها بأداء النشاط . وكلما تقدم الوليد فى النمو تبدأ عملية الزحف ، وهنا تترك له حرية الحركة داخل المنزل ، أو قد تحمله احدى الأخوات للهو به خارج المنزل .

(*) لا تتبع الامهات فى مجتمع البحث نظاما زمنيا محددا لارضاع الوليد وانما تتم هذه العملية تلقائيا عند بكاء الطفل او عند شعور الأم بامتلاء ثدييها باللبن .

ومع بداية الشهر السادس تبدأ الأم فى تدريب الوليد على تناول طعام البالغين (عملية تلحيس الطفل) . ومن الأطعمة المستخدمة فى مجتمع الدراسة لغذاء الطفل فى هذه الفترة : الفول المدمس والبطاطس المسلوق والأرز المسلوق .

والملاحظ أن الطفل فى الطبقات الدنيا لا يخصص له منذ الشهرين الثامن والتاسع طعـــام خاص ، اذا كانت حالته الصحية فى أوضاعها الطبيعية ــ فيأكل مما يأكل منه البالغون بدون أى تمييز ، ولاشك أن هذا يعرضه فى كثير من الأحيان للاصابة بأمراض أو متاعب صحية عارضة . وقد تتفاقم هذه الأمراض مع تغيرات الفصول خاصة بمقدم كل من الشتاء والصيف . ومن عوامل زيادة الموقف تعقيـــدا ما تتميز به البيئة من الحشرات والهوام بأنواعها ، كما سيتضح لنا عند حديثنا عن الرعاية فى مجال النظافة .

ثانيا : مجال النظافة (الجسم والملابس)

تخشى الأسرة فى كافة المستويات الطبقية بمجتمع الدراسة وضع الماء على جسم الوليد طوال فترة الأربعين يوما الأولى لميلاده اعتقادا بأن هذا يعرضه للحسد والموت وغضب الملائكة .

توطد العلاقة بين الطفل والغذاء طوال مرحلة المهد حتى خمس سنوات ، فما من مرة تقع فيها عين الناظر على الطفل الريفى (من الطبقة الدنيا) الا ووجد على وجهه أسراب من الذباب (حول العينين والفم ــ وعلى ملابسه) فملابسه دائما مبتلة من أعلى جهة الصدر بسبب افرازات الفم (الريالة) المتكررة (تبدأ من سن ٤ شهور وفترة ظهور الاسنان) . كما يتعرض للبلل المتكرر ذيل الجلبات الذى يرتديه من أسفل ، وخصوصا فى سن الحبو ، وذلك بسبب عمليات التبول

المتكررة ، أو بسبب انغماسه في أى منخفض به ماء بالمنزل أو النزول فى أى اناء به ماء ، حيث لا توجد متابعة أو رعاية(*) .

ـ كما أكدت الدراسة الميدانية أن الأم تهمل ولا تسارع فى تغيير القماشة الملتفة حول وسط الوليد (اللفة) بعد التبول مباشرة ، بل تتركها الى أن تتم عملية التبرز . واذا لم يحدث التبرز فان الأم تترك الوليد مبتلاً طوال اليوم بسبب انشغالها وتعدد مهامها .

ـ ومن العادات الشائعة فى الريف المصرى بصفة عامة ترك الطفل (ذكر/أنثى) بدون سروال بدءا من سن الحبو الى سن ما قبل المدرسة ، وذلك حتى توفر الأم جهدها فى عملية تغيير الملابس وغسلها . وقد يكون عدم توافر ملابس كافية للطفل وكذلك عدم توافر الصابون اللازم للتنظيف أحد العوامل المشجعة على استمرار هذه الظاهرة .

ويلاحظ هنا أنه لا توجد ملابس خاصة للطفل طوال سنوات نموه ، وبصفة خاصة من فترة ولادته وحتى سن سنة أو سنتين . ويرجع ذلك الى اعتقاد شائع بين الريفيين على اختلاف مستوياتهم الاقتصادية والاجتماعية والثقافية يرتبط بنوعية ملابس الطفل ، فالملابس الجديدة تثير الاعجاب وتلفت الأنظار الى الطفل مما يصيبه بالحسد وغيره من آثار العين الشريرة ، أما الملابس القديمة فتحمى الوليد من الحسد وأمراض الطفولة وغضب القرين . ومن منطلق هذه الفكرة تشيع عادة الباس الوليد حديث الولادة ملابس قديمة وذلك على النحو التالى :

(*) للمزيد انظر دراسة حامد عمار فى قرية سلوا حيث أفصحت عن نفس المشاهدات والملاحظات الميدانية حول رعاية أطفال القرية التى درسها .

ـ أن يلبس الذكر ملابس الأنثى خوفا عليه من الحسد خصوصا اذا كان المولود الأول ، أو اذا كانت معظم ذرية السيدة ذكورا . أما الأنثى فترتدى الملابس الموجودة ، سواء كانت جديدة أو قديمة وعادة ما تصنع ملابسها من بقايا أقمشة الاناث البالغات فى الأسرة. واذا لم يتوفر هذا فيمكن الباسها ملابس الذكور . والعادة أن تتكون ملابس الوليد جديث الولادة (فى فصل الصيف) من راقين ، الراق الأول ، (الخارجى) عبارة عن جلابية أو قميص ، الراق الثانى (الداخلى) جلابية من قماش جلاليب الأب أو الأخ الأكبر أو الجد القديمة .

ـ يلف بدءا من تحت الابط وحتى أقصى القدمين بجلابية الأب حتى تغطى النصف الاسفل كله ، كذلك الحال بالنسبة للانثى حيث تصنع ملابسها من ملابس الأم ، والأخوات والجدة ... الخ . وفى فصل الشتاء يلبس الطفل الريفى من ٣ : ٥ راقات من الجلاليب وأخذ هذه الراقات عبارة عن بلوفر من الصوف ، وكلما ارتفع المستوى الاقتصادى والاجتماعى وارتفع المستوى التعليمى للأم ، كلما اتجهت الريفيات الى استخدام الملابس التى يستخدمها الطفل الحضرى مثل (الشاية) الجلابية ـ والكافولة ـ اللفة من قماش سادة . وبعد ٤٠ يوما تبدأ استخدام بنطلون مصنوع من أى قماش سادة أو مقلم أو منقوش للذكر/أنثى بدلا من اللفة . وتصنع جلابية الطفل من قماش ملون لونا واحدا سواء كان ذكرا أو أنثى . واذا كانت الزوجة تعيش فى أسرة ممتدة (مركبة) فكثيرا ما تتدخل الحماة فى تحديد شكل وطريقة ملابس أحفادها ، ومن الملاحظ أنه يغلب على الطبقة الدنيا استخدام الملابس القديمة للجد لعمل ملابس الوليد . ويلاحظ عدم ترحيب الجدة فى الطبقة العليا والأم فى الطبقة الدنيا للمبالغة فى تنظيف ملابس الطفل خوفا عليه من الحسد .

— كما يشتهر الطفل الريفى بوضع سترة على رأسه فى فصل الشتاء تعرف (بالطنطور) تصنع من القماش المقلم ، وتأخذ شكل الرأس وتربط بأربطة تحت الذقن • وعندما يبدأ الطفل فى المشى (من سنة الى ثلاث سنوات) يستعاض عن الطنطور الذكر أو الأنثى بالمنديل المحلاوى للذكر والايشارب للأنثى فى فصل الشتاء •

ثالثا : أساليب الرعاية الصحية :

خلصت الدراسة الى أن هناك اتجاهات مختلفة للتعامل مع الأمراض :

الاتجاه الأول : يستعان فيه بالطرق التقليدية والشعبية الخالصة فى العلاج •

الاتجاه الثانى : يستعان فيه بالطب الرسمى الحديث •

الاتجاه الثالث الجمع بين الطب التقليدى الشعبى والطب الرسمى الحديث •

كما تشير النتائج الى أن أكثر أساليب العلاج انتشارا فى الريف هى الاساليب الشعبية فى علاج المرض بصفة عامة ، وأمراض الاطفال بصفة خاصة ، ويرجع ذلك الى ما يلى :

— ان مفهوم الريفيين عن ميكانيزمات الاصابة بالأمراض فى مرحلة الطفولة ، أن هذه الامراض ترجع الى الحسد ، وخاصة ما يتعلق منها بأمراض الذكور ، حيث يعلى المجتمع من قيمة الذكر • ومن ثم يلجأ الريفيون الى العرافين والمشايخ لفتح الكتاب وعمل الأحجبة والتحاويط للوقاية من الحسد وللشفاء من المرض •

— يميل الريفيون الى التمسك بتجارب وخبرات جيل الآباء

والأجداد . ولذا يتجه الافراد فى حالة الامراض التى لا ترجع الى الحسد الى استخدام الطرق الشعبية التقليدية فى العلاج[٦] . واذا كان البعض يلجأ الى طبيب الوحدة للعلاج ، الا أن اهمال الوحدة وعدم توفر الدواء يجعلهم يرتدون الى العلاج الشعبى مرة أخرى .

ـ نمط الاقامة (السكنى) : أوضحت الدراسة أن نمط اقامة الأسرة يتدخل الى درجة كبيرة فى تحديد استمرار التمسك بالطرق التقليدية فى العلاج . فقد تبين أن اقامة الزوجين فى الأسرة ذات المعيشة المشتركة (تضم أكثر من جيل : جيل الآباء والأبناء فى سكن واحد) ، يجعل أم الزوج (الحماة) تلعب دورا أساسيا فى اصرارها على استخدام الوصفات الشعبية التى جربتها طوال حياتها ، فى علاج أطفالها ، ولذلك تبدأ الأم بتجربة هذه الوصفات كخطوة أولى ، أما اذا كانت الجدات من اللائى يشرفن على رعاية الاطفال ، فان ذلك يصبح أمرا بديهيا .

نوع الوليد (ذكر ـ أنثى) :

أكدت الدراسة أن هناك علاقة بين نوع الطفل المريض والعلاج بالطرق التقليدية . ولما كان المجتمع يعلى من قيمة الذكر ، فمن الطبيعى أن ينعكس ذلك على التفرقة بين الذكر والانثى فى الرعاية الصحية أثناء مرض كل منهما . ففى حالة مرض الذكر يفضل علاجه بالطب الرسمى الحديث (الذهاب الى الطبيب) ، أما فى حالة مرض الانثى فيفضل علاجها بالوصفات الشعبية أو الطرق التقليدية فى العلاج . واذا لم يجد هذا فى العلاج ، تلجأ الاسرة الى طبيب الوحدة الصحية (فى الطبقة الوسطى) . أما فى الطبقة الدنيا فتصر الأم على موقفها من ناحية اهمال الرعاية الصحية للانثى ، وتكتفى بالذهاب الى الصيدلية لاحضار الدواء الذى يصفه الصيدلى

هذا ويؤكد ما لاحظته الباحثة أثناء زيارتها لواحدة من أسر الطبقة الدنيا حيث كانت الأم تعمل لدى احدى أسر الطبقة العليا . وكانت احدى الاناث ، وتبلغ من العمر ٦ سنوات ، مريضة تئن من شدة ارتفاع درجة الحرارة . ولم تكلف الأم نفسها بالبقاء الى جوارها وذهبت الى عملها . وعندما عادت الى المنزل أحضرت معها أقراصا من الصيدلية وقامت بعمل كوب من الشاى أعطته اياها مع قرص الدواء ، وطلبت منها أن تلف جسمها وتنام حتى تعرق وتنخفض درجة الحرارة وتصبح «عال» . وعندما سألت الباحثة الأم عن سبب عدم الذهاب بالابنة الى الطبيب قالت « ده شيء بسيط ، وكلنا بنعيا بالسخونة وتروح بالبرشلم بتاع الاجزاخانة » . ثم تؤكد الأم قائلة : « أصل البنات بسبعة أرواح مش هيجرى لها أى شيء بعكس الولد نجمه خفيف وأى شيء يتعب صحته » . وفى وقت آخر لاحظت الباحثة نفس هذه الأم وهى تجرى بابنها المريض الذى لايزيد عمره على ثلاث سنوات الى الطبيب الخاص (العيادة أم فلوس) حتى انها اضطرت بسبب سفر الأب وعدم وجود نقود تكفى لشراء دواء الطبيب الى بيع اناء نحاس (حلة) .

الطبيعة الايكولوجية :

تلعب الطبيعة الايكولوجية دورا فى تفضيل بل تدعيم اتجاه الطب الشعبى ، وذلك نظرا لتوفر بعض الخامات الطبيعية كالأعشاب الطبية[٧] بسعر رخيص الى جانب وجود فئة المعالجين الشعبيين (رسمى وغير رسمى) لديهم الخبرة فى استخدام الاعشاب والوصفات الشعبية لعلاج بعض الأمراض ، مثل :

— **ارتفاع درجة الحرارة (الحمى)** : عادة ما يدهن جسم الطفل باللبن أو الليمون .

ـ **التهاب وأدراض العيون** : «باللحاسة» السيدة التى تخصصت فى هذا النوع من العلاج باستخدام لسانها فى التقاط الدود من أعلى الجفن •

ـ **بكاء الطفل** : تذهب به الأم الى العـراف لعمل حجـاب أو تحويطة •

كما أكدت الدراسة أن هناك علاقة بين المستوى الطبقى للأسرة ونوع العلاج الذى تستخدمه الأسرة (شعبى/رسمى) ، فبينما لوحظ اقبال الطبقتين العليا والوسطى على الطب الرسمى اقتصرت الطبقة الدنيا على الطب الشعبى • وان كان هناك اقبال محدود من الطبقة الدنيا على استخدام الطب الرسمى خاصـة فى الحالات التى يعجز فيها الطب الشعبى عن تحقيق الشفاء • ومن هذه الامراض نذكر : (الاسهال ـ الجفاف ـ النزلات المعوية ـ البلهارسيا ـ التيفود)• ومن الملاحظ أنه بالرغم مما تقوم به وسائل الاعلام من حملات للتوعية الصحية والاعلان عن مواعيد حملات تطعيم الاطفال ، الا أن معدلات وفيات الاطفال فى مصر مازالت مرتفعة بصفة عامة حيث بلغت ٧٤٫٢٥ عام ١٩٨٢ ، وان كانت تزيد نسبة الريف عن الحضر فتبلغ ١١٦ عام ١٩٧٣ ـ كما وصل فى محافظة الفيوم الى ١٤٫٧ عام ١٩٧٦ ، وهو معدل مرتفع يعكس بعض الإتجاهات التى تؤكدها دراستنا حول نقص الرعاية المبكرة وتخلف أساليب العلاج •

ـ هناك تباين فى حجم الرعاية المخصصة الطفل وفقـا لتباين المستوى الطبقى للأسرة ، ففى الطبقة العليا يحظى الطفـل باهتمام من حيث توفير المناخ الصحى نسبيا (المسكن الجيد التهوية ـ نوعية الطعام المخصص الطفل مثـل الوجبـات الجاهزة) العـلاج الطبى الرسمى ، الملابس المناسبة لفصول السنة •

وفى الطبقة الوسطى تشير نتائج الدراسة الى أن متغير تعليم الأم يلعب دورا هاما فى تحديد حجم الرعاية المخصصة للطفل من الامهات المتعلمات ، اللاتى يملن الى اكتساب وتمثل العادات المتبعة فى الطبقة العليا ، بينما تميل الامهات غير المتعلمات الى اتباع بعض الاساليب التقليدية(*) فى رعاية الطفل بالطبقة الدنيا •

ـــ تشير نتائج الدراسة الى اختلاف عدد القائمين برعاية الطفل طبقا لنمط الاسرة ، حيث يقتصر أداء هذا النشاط فى الاسرة النووية على الأم (والأخوات أحيانا) بينما يتسع نطاق المهتمين بهذه الرعاية فى الاسرة الممتدة ليشمل جميع الدرجات القرابية المقيمة مع الاسرة •

دليـــل العمـــل الميـــدانى

اولا : مجال التغذية :

ـــ ما هو النمط الشائع للرضاعة فى المجتمع •

ـــ ما هى عدد مرات الرضاعة فى الشهور الاولى •

ـــ ما هى المواد المستخدمة لارضـــاع الوليـــد فى حالة : مرض الأم ـــ حمل جديد •

ـــ هل تتولى الأم رعاية الوليد (لاحظ) •

(*) لوحظ أن الطب التقليدى بمجتمع البحث يستخدم على مستويين : المستوى الوقائى والمستوى العلاجى ، فيظهر استخدام الجانب الوقائى منذ لحظة ميلاد الطفل ، وإن كان استخدام هذا الجانب قاصرا على الذكور دون الاناث • ففى الاسرة الريفية تحرص الأم على تسمية الطفل الذكر بأحد الاسماء الغريبة أو القبيحة مثل (خيشة/شوال/الفار) اعتقادا منهـــا أن ذلك يبعد عنه الحسد ويقيه من الامراض •

ـ هل تتوقف الأم عن أداء عملها عند رضاعة أو تغذية الوليد (لاحظ) •

ـ من يتولى رعاية الطفل : عند انشغال الأم ـ داخل المنزل ـ خارجه •

ـ متى يبدأ تدريب الطفل على الجلوس ، وكيف تتم هذه العملية (لاحظ) •

ثانيا : مجال النظافة :

ـ هل تهتم الأم بنظافة الوليد بعد عمليات الاخراج (التبول) كيف (لاحظ) •

ـ هل تهتم الأم بتدريب وليدها على عادات النظافة : غسيل الوجه ـ الأيدى ـ التشطيف ـ الاستحمام (لاحظ) •

ـ هل هناك علاقة بين عدم الاهتمام بنظافة الوليد فى السنوات الاولى وبين بعض المعتقدات السائدة فى الريف •

ـ هل هناك علاقة بين الاهتمام بنظافة الوليد وبين نوعه (ذكر / أنثى) (لاحظ) •

ثالثا : مجال الرعاية الصحية :

ـ ما هو مفهوم الريفيين عن الامراض التى تصيب الاطفال فى السنوات الاولى •

ـ ما هى أساليب العلاج الشائعة فى الريف •

ـ ما هى الامراض التى تصيب الاطفال فى المجتمع •

ـ هل هناك تفرقة بين نوع الوليد وبين الرعاية الصحية من جانب الأم والاسرة (لاحظ) •

ما هى الاجراءات الوقائية التى تتخذ للوقاية من الامراض فى المجتمع (لاحظ) •

جدول ملاحظات حول النشاط واستخدام الوقت

اسم المجتمع : رقم الاسرة

اسم الشخص : رقم الشخص

اسم المبحوث : رقم المبحوث

مكان الملاحظة : يوم وتاريخ الملاحظة

هل كان يوم الملاحظة يوم غير عادى (نعم — لا) كيف فى الحالتين

الوقت	النشاط			شدة النشاط والعمل			التكنولوجيا والادوات المستخدمة	عدد الأطفال ومدى اشتراكهم فى الانشطة	المعلومة أم الخبر عنها
	١	٢	٣	منخفض	متوسط	مرتفع			
٥ : ٦ ص									
٦ : ٧ ص									
٧ : ٨ ص									
٨ : ٩ ص									
٩ : ١٠ص									
١٠ : ١١ص									
١١ : ١٢ظ									
١٢ : ١ ظ									
١ : ٢ ظ									
٢ : ٣ ظ									
٣ : ٤ ظ									
٤ : ٥ ظ									
٥ : ٦ م									
٦ : ٧ م									
٧ : ٨ م									
٨ : ٩ م									
٩ : ١٠م									
١٠ : ١١م									
١١ : ١٢م									

مراجــع البحث

١ ــ المركز القومى للبحوث الاجتماعية والجنائية ، بحث احتياجات الطفولة فى ج٠م٠ع٠ ، دراســة مسحيــة على مستوى الجمهورية ، التقرير النهائى ، القاهرة ، ١٩٧٤ ، ص ١٠٠

٢ ــ علياء شــكرى وآخرون : المرأة فى الريف والحضر ، دراســة لحياتها فى العمــل والاسرة ، دار المعــرفة الجامعية ، الاسكندرية ، ١٩٨٨ ، ص١٦٢ ، ٣٣١ ٠

٣ ــ الجهاز المركزى للتعبئة العامة والاحصاء : التعداد العام للسكان والاسكان ، ١٩٧٦م ، تعداد السكان ، النتائج التفصيلية لمحافظة الفيوم ، سبتمبر ١٩٧٨م ٠

٤ ــ نجوى عبد الحميد محمد : دراسة أنثروبولوجية مقارنة لأنماط التنشئة الاجتماعية فى مجتمع محلى بدوى ومجتمع محلى ريفى ، رسالة دكتوراة غير منشورة ، كلية البنات جامعة عين شمس ١٩٨٦م ٠

٥ ــ Mead, Margrete, Growing up in New Guinea, Penguin Book, New York, 1942, P. 185.

٦ ــ Ammar, Hamed, Growing up in an Egyptian Village Silwa Province of Asswan, Routledge & Kegan Paul, London, 1951, P. 87.

٧ ــ حسن الخولى : الريف والمدينة فى مجتمعات العالم الثالث ، مدخل اجتماعى ثقافى ، دار المعارف ، القــاهرة ، الطبعة الاولى ، ص ٣٧٠ ٠

٨ ــ محمد الجوهرى الطفــل فى التراث الشعبى ، عالــم الفكر ، الكويت ، العدد الثالث من المجــلد العــاشر ، ١٩٧٩ ، ص٦٤١ ٠

الفصل السادس

قيمة التنشئة الاجتماعية كما تعكسها قصص وحكايات الاطفال
دراسة لعينة حضرية ريفية باستخدام منهج تحليل المضمون(*)

القسم الأول
الموضـــوع والمنهـــج

أولا : التنشئة الاجتماعية كمصـــدر لاستيعاب القيـــم وأنماط السلوك .

تعتبر التنشئة الاجتماعية هى العملية التى من خلالهـــا تتولى المجتمعات غرس روح الجماعة فى بناء أفرادها . بحيث يشب هؤلاء الافراد حاملين لقيم المجتمع وثقافته ، وهى للقيم والثقافة التى توجه سلوكياتهم فى مختلف المجالات ، أو النظم الاجتماعية . وتنجح التنشئة الاجتماعية اذا هى قد استطاعت أن تخلق تطابقا بين مستويات ثلاثة ، ما تفرضه ثقافة المجتمع وقيمه وما يوجه سلوكيات الشخص فى المجتمع،

(*) عرض لرسالة دكتوراة تقدمت بها الدكتورة فاطمة يوسف أحمد القلينى المدرس بقسم الاجتماع بكلية البنات جامعة عين شمس ، قدمتها الى قسم الاجتماع بكلية آداب القاهرة تحت اشراف أ.د. محمد الجوهرى و أ.د. أحمد على مرسى ، وأجيزت عام ١٩٨٩ .

وما يتطلبه الدافع الاجتماعى • ونتيجة لهـذا التطابق تتحقق درجة عالية من الاستقرار الاجتماعى ، وانحرافه أو عدم تحققه يعنى دعوة لبدء رياح التغير الاجتماعى والثقافى •

يؤكد ذلك على أهمية التنشئة الاجتماعية باعتبارها العملية التى يتولى المجتمع بواسطتها طبـع الافراد بطابعه • ولعـل المجتمعات الانسانية هى التجمعات الوحيدة التى تتولى تنشئة أفرادها اجتماعيا وثقافيا ، بحيث أصبحت هذه التنشئة أساسا للنمو النفسى والاجتماعى• وهو الامر الذى جعـل الطفولة البشرية أطول أنواع الطفـولة بين الكائنات الحية ، وكلما تقدم المجتمع كلمـا استطالت فترة الطفولة البشرية لأن لديه قدرا هائلا من الثقافة والتفاعلات التى يتعين على الفرد أن يستوعبها ، ولأن المجتمع أصبح معقدا بالدرجة التى تتطلب تأهيلا عاليا للفرد حتى يصبح قادرا على التعامل مع الواقع بكفاءة وقدرة عالية •

وتستند أهميـة التنشئة الاجتماعيـة والثقافية الى الحالة التى تخلقها والوظائف التى تؤديها • فهى تخلق حالة يرتبط فيهـا الفرد بالآخرين من ناحية وبالمجتمع من ناحية ثانية ، بحيث يسلم ذلك الى نوع من الوحدة والتماسك الاجتماعيين يصبح فيه الفرد مرتبطا بهدف تحقيق أو تأمين وجوده ، ويعتمد فيه المجتمع ، من أجل استمراره ، على مجموع أفراده • غير أن التنشئة الاجتماعية لهـا وظائفها على مستوى الفرد والافراد الآخرين والمجتمع •

وعلى مستوى الافراد تعمل التنشئة الاجتماعية على غرس البعد الاجتماعى والثقافى فى الانسان ، بحيث يصبح هذا البعد هو النطاق المشترك بموضع الاتفاق بين الفرد والمجتمع والانسان الآخر ، ومن ثم فالتنشئة الاجتماعية تغرس مواثيق ومعايير وقيم التعامل الاجتماعى،

ثم هى من ناحية ثانية تدرب الفــرد على الاساليب التى يتمكن من خلالها الفرد من تحقيــق اشــباعاته الاساسية ، ســـواء.كانت هذه الاشــباعات على المستوى الاجتماعى الثقــافى أو المستوى النفسى العقلى أو حتى على المستوى البيولوجى الخالص . اضافة الى ذلك فهى تغرس فى الفرد ايمانا بأن السياق الاجتماعى سوف يشكل دائما الاطار الذى يتحقق فى نطاقه أمانه الاجتماعى . ومن ثم فاذا كان الفرد يولد ولادة بيولوجية ، فمن خلال التنشئة نجده يولد — مرة أخرى — ولادة اجتماعية .

ومثلما كان للتنشئة الاجتماعية دورها بالنسبة للفــرد فهى لها دورها بالنسبة للآخرين من البشر الذين يتعاملون مع الفرد فى المجتمع، إذ تعمل التنشئة على ترتيب الآخر دائما باعتباره مشاركا فى التفاعل الاجتماعى مع الفرد لتأكيد دعم النظم الاجتماعية واستمرارها من خلال هذا التفاعل . هذا الى جانب أن التنشئة الاجتماعية تزود الفرد عادة بالتوقعات المختلفة لسلوك الافراد فى المجتمع . ومن ثم فمثلما تحدد التنشئة الاجتماعية سلوك الأنا فهى تحدد رد فعل الآخر على هذا السلوك ، لتخلق بذلك نوعا من الالتقاء الاجتماعى بين البشر فى المجتمع ، ومن ثم نوعاً من الاستقرار الاجتماعى .

الى جانب ذلك تؤدى التنشئة الاجتماعية دورها ووظائفها المتعددة بالنسبة للمجتمع . فمن ناحية نجد أن التنشئة الاجتماعية هى التى تدرب الفرد على متطلبات المجتمع واحتياجاته من الافراد ، ومن ثم فهى ترســـخ المجتمع فى نفوسهم ، وتجعـــله الاطار الذى تتــم فيه سلوكياتهم وتكتسب معناها من خلاله . اضافة الى ذلك فان التنشئة الاجتماعية هى التى تتولى الحفاظ على التراث الاجتماعى والثقافى عن طريق دعم استيعاب الافراد حتى يتحقق بقاءه واستمراره .

ثم هى التى تتولى نقل التراث من جيل الى الجيل الذى يليه ، من ثم فالى جانب أن التنشئة تحافظ على هوية المجتمع ، فهى تتولى نقل هذه الهوية من جيل لآخر • وبذلك فاذا كانت التنشئة تحافظ على استقرار المجتمع ، فهى تحافظ فى نفس الوقت على استمراره وتطوره كذلك •

بيد أنه لكى تؤدى التنشئة الاجتماعية وظائفها على المستويات الثلاث المشار اليها ، فانها تحتاج الى الوسائل أو المؤسسات التى تيسر لها ذلك ، ومن ثم نجد أنه كلمـا كانت حاجة المجتمـع هامة الى الاستقرار ، كلما سعى بفاعلية الى تنشئة أفراده من خلال وسائل أو مؤسسات التنشئة المتعددة ، كلما طالت فترة الطفولة البشرية على نحو ما أشرنا كلما انعكس ذلك على اتساع مساحة التنشئة الاجتماعية التى خضع لها الفرد عادة • واتساع المساحة يعنى تعدد المؤسسات التى يتعين عليها القيام بعملية التنشئة الاجتماعية المتنوعة والمتحدة الاهداف فى نفس الوقت •

وفى محاولة الحديث عن مؤسسات ووسائل التنشئة الاجتماعية فان الأسرة تواجهنـا كأهم وأول المؤسسات بدورها البـارز فى هذا الصدد ، ذلك لأن الأسرة تلعب دورها باعتبارها المؤسسة ، والهيئة أو المعمل الصغير الذى يتم فى اطاره تدريب الوليـد البشرى على تجارب التفاعل الاجتماعى فى المجتمع الواسع • وتتبدى أهمية الأسرة فى كونها تعكس — برغم كونها مجتمعا صغيرا — خصائص المجتمع• ففيها الانقسام على أساس النوع ، والمكانة ، والسن والثقافة والتعليم، ثم أن بها بذور النظـم الاجتماعية المتباينة ، الاقتصـاد والسياسة والدين ، وقضاء وقت الفراغ • من هنا كانت الأسرة أول وأهم وأخطر مؤسسات التنشئة الاجتماعية •

ولكى تؤدى الأسرة دورها فانها قد تلجأ فى ذلك لوسائل عديدة ، قد تلجأ الى التلقين المباشر للتعاليم الاخلاقية التى ينبغى أن تحكم سلوك الفرد ، وعلاقته مع الآخرين فى المجتمع ، أو قد تتأرجح بين الترهيب والترغيب لتأكيد اقتناع الطفل بقيم ومعايير أخلاقية محددة. الى جانب ذلك فقد تلجأ الأسرة الى رواية القصص والحكايات للطفل. من الناحية الظاهرية هى تود تسليته وملء وقت فراغه وخلق حالة من الاسترخاء لديه ، وفى الحقيقة فهى تستهدف نقل قيم ومعايير وأنماط السلوك الاجتماعى اليه . فهى تروى القصة أو الحكاية ، وأثناء ذلك تقيم له مسرحا خياليا ، تؤدى فيه الكائنات أدوارها الخيرة والشريرة، القوية والضعيفة ، المتسلطة والخاضعة . ثم هى أثناء ذلك تقرب الى ذاته النماذج التى ينبغى أن تحتذى ، وتبعد أو تشوه النماذج التى ينبغى أن ترفض . ومن ثم تعتبر رواية القصة والحكاية من الوسائل الرئيسية التى تستخدم الأسرة — مفوضة من قبل المجتمع — لانجاز عملية التنشئة الاجتماعية .

وتعتبر المؤسسة التعليمية (المدارس بمستوياتها المتتابعة) من المؤسسات الرئيسية فى انجاز عملية التنشئة الاجتماعية واستكمالها وتؤدى المدرسة دورها فى التنشئة بأساليب متنوعة ، فهى من ناحية تزود التلميذ أو الطفل بمجموعة من المعارف من خلال المقررات الدراسية المختلفة تزيد رصيد القيم والمعرفة لديه حتى يصبح سلوكه فى المجال الاجتماعى أكثر رشدا . ثم هى تقدم نماذج بشرية — متمثلة فى أساتذته ومدرسيه— ينبغى أن تحتذى يستوعب قيمها ، وسلوكياتها، وأساليبها فى ممارسة العلاقات الاجتماعية والتفاعل مع الآخرين . اضافة الى ذلك فان جماعة أصدقاء الدراسة من زملائه التلاميذ وكذلك الفرق المدرسية المختلفة (الرياضة ، التمثيل ، الموسيقى ، الرسم

.. الخ) تلعب دورها باعتبارها مجتمعات صغيرة يجرب فيها التلميذ الطفل قدرته على التفاعل مع الآخرين واقامة علاقات معهم بهدف تحقيق أهداف الجماعة أو المجتمع وتأكيد استقراره .

بيد أن أخطر وسائل التنشئة المدرسية تتمثل فى القصة المقروءة فى المكتبة المدرسية ، أو فى مؤلفات المقررات الدراسية ، أو التى يحكيها له المدرس . مرة أخرى تخلق القصة المدرسية أيا كانت طبيعتها لديه عالما خياليا أو مسرحا اجتماعيا يؤدى فيها الممثلون أو المتفاعلون أدوارهم فى صورتها المثالية . ويصبح عليه أن يرى التجربة الاجتماعية معروضة أمامه ، يتقمص بعض أدوارها وأشخاصها ، فتنساب قيمهم ومعاييرهم ونظرتهم الى الحياة الى داخله ومن ثم يستوعبها . فقد يرفض نماذج أخرى بقيمها وأسلوبها فى التفاعل أو فى تأسيس العلاقات الاجتماعية ، وتؤكد القصة دورها لأنها تعرض نفسها أمام الطفل دون أن يكون هناك فرض خارجى عليه أو قهر ، ومن ثم فاختيار الارتباط بقيم سوف يعنى الاقتناع بها ، والتأكيد عليها باعتبارها مثلا ينبغى أن يوجه سلوكه فى مختلف مجالات الواقع الاجتماعى .

فى نفس الوقت يتعرض الطفل للاعلام باعتباره فى المجتمعات الحديثة احدى هيئات التنشئة الاجتماعية التى تسعى الى تدريب الصغار على سلوكيات اجتماعية معينة . ويتخذ الاعلام لانجاز هذه الوظيفة وسائل عديدة ومتنوعة . فقد يلجأ الى الارشاد المباشر حول ضرورة تبنى قيم معينة واتباع سلوكيات محددة ، غير أن هذا الأسلوب قد لا يكون فعالا لحالة عدم الاستقرار التى تميز الطفل فى مرحلة الطفولة والتمو . وقد يلجأ الى القصة المشاهدة أو المسموعة لتحقيق أهداف الاعلام فى التنشئة ، وهى التنشئة الموجهة عادة بالأيديولوجيا الرسمية للمجتمع .

وتعتبر الأفلام والمسلسلات ، والتمثيليات التى يلعب فيها الأطفال والحيوانات والكائنات الأخرى أدوارا متنوعة ، من أخطر وسائل التنشئة الاجتماعية فى هذا المجال ، فهى تعمل أولا على نقل الطفل من عالمه الواقعى الى عالم خيالى مصطنع • وفى هذا العالم تجرى حياة أخرى من صنع الجهاز الاعلامى ، يتقمص الطفل أحد أدوارها ، ومن ثم القيم والتفاعلات المرتبطة بهذا الدور • وهى من ناحية ثانية تستغل البعد العاطفى فى الطفل ، فتعمل على اثارة خياله والارتباط بهذا العالم الجديد الذى يقدم له اشباعات محددة وواضحة • وأمام الجهاز الاعلامى (الراديو ، أو التليفزيون ، أو السينما) فهو لا يتفاعل ، ولكن عليه أن يخضع للدور الذى تقمصه ، ويستوعب ما يقدم اليه متضمنا فى هذا الدور • وبعد انتهاء القصة المسموعة أو المشاهدة يعود مرة أخرى الى واقعه الاجتماعى ليمارس سلوكياته ويشارك فى التفاعل الاجتماعى المحيط به ، ويؤسس علاقاته استنادا الى هذه القيم التى استوعبها فى عالمه الخيالى المصطنع •

وبالنسبة للأطفال تبقى القصة المقروءة ، التى قد يقرأها الطفل فى الصحيفة التى يطلع عليها من والديه ، والقصة المنشورة فى المجلة الموجهة خصيصا للطفل ، أو الحكاية المؤلفة ليقرأها الطفل فى ذاتها • واذا كانت القصة المقروءة تمثل مرحلة متأخرة بالنسبة للطفل ، اذ تسبقها القصة المروية أو المشاهدة الا أنها أكثر قربا الى الطفل ، لأنه اختارها بنفسه ، ويدرك أنها ستؤدى وظيفة واضحة بالنسبة له • ظاهرها التسلية وباطنها التعرف على القيم والمعايير والسلوكيات فى شكلها المثالى ، الذى ينبغى أن يكون •

يعنى ذلك أن القصص والحكايات تعتبر القاسم المشترك فى كل مؤسسات التنشئة الاجتماعية ، فهى قصة الجدة أو الأم فى الأسرة

وهى قصة الكتبة أو المقرر الدراسى أو الاستاذ فى المدرسة ، وهى التمثيلية أو الفيلم أو المسلسل الاذاعى أو التليفزيون فى الجهاز الاعلامى ، ثم هى القصة المنشورة والمقروءة بأشكالها المتنوعة ، والتى يلجأ الطفل اليها عادة ، ثم هى أحيانا الحكاية التى تجمع فى جو عاطفى محبب الى الذات رفاق الشارع أو المدرسة أو الحى يحكونها ويتفاعلون بشأنها ، ويستوعبون قيمها ومعاييرها أثناء ذلك .

من هنا اكتسب موضوع دور القصص والحكايات فى عملية التنشئة الاجتماعية وفقا لقيم المجتمع ومعاييره أهميته البارزة ، وأحقيته بالبحث والدراسة حيث حفز الى القيام بهذه الدراسة ثلاثة عوامل :
الأول أن الطفولة أصبحت موضوع اهتمام عالمنا المعاصر ، بحيث أصبح تقدم المجتمعات يقاس بقدرتها على الارتقاء بأحوال طفولتها . واذا كان العالم قد أعلن ذات يوم عام المرأة ، وفى يوم آخر عام الشباب ، فقد أعلن أخيرا عام الطفل ، يؤكد ذلك الاهتمام الذى نلاحظه حولنا بالطفل وبقراءة الطفل ومكتبة الطفل . **الثانى** أنه ليست هناك دراسات فى اطار علم الاجتماع محددة بهذا الهدف ، أى تحاول أن تكشف عن طبيعة دور القصص والحكايات فى عملية التنشئة ، ثم ما هى طبيعة القيم التى استوعبها الطفل خلال عملية التنشئة من خلال القصص والحكايات .

الثالث اننا نحاول تحديد طبيعة الدور الذى تلعبه هذه القصص والحكايات ، ووزن هذا الدور بالنسبة لوسائل التنشئة الاجتماعية بهدف ترشيده لتحقيق الغايات والاهداف التى تعود بالنفع على الطفل والمجتمع معا .

ثانيا : قصص وحكايات الاطفال كمصدر لقيم التنشئة الاجتماعية :

تعتبر القصص والحكايات التى تحكى وتقرأ من الفنون الاساسية

التى يتعرض لها الطفل ويستوعب من خلالها كثيرا من القيم التى يصبح لها فيما بعد تأثيرا على سلوكياته ويتعرض لها الطفل وذلك لعدة اعتبارات أساسية :

١ ـ ان القصص والحكايات عادة ما تتضمن قيما يستوعبها الطفل بطريقة تلقائية وكاملة لكونها تتسلل لبنائه الداخلى دون قصد ارادى منه ومن ثم تشكل أسسا لسلوكياته فى مختلف المجالات الاجتماعية •

٢ ـ ان استيعاب قيم هذه القصص والحكايات عادة ما يتم بصورة عميقة ، وذلك نظرا للصور الخيالية المرتبطة بهذه القيم والتى يعمل وفقا لها أبطال هذه القصص ، وأيضا بالنظر الى الشحنة الانفعالية التى يعيشها الطفل أثناء سماعه أو قراءته أو مشاهدته للقصة •

٣ ـ تعكس القصص والحكايات المسموعة والمصورة سياقا اجتماعيا معينا فى العادة (ريفيا ـ حضريا) أو (طبقيا) يتأثر بها الاطفال من الذين يستوعبون قيم هذا الاطار ، وهى القيم التى تشكل واقعا يوجه سلوكياتهم فى مختلف المجالات الاجتماعية •

ويمكن أن نحدد المصادر الأساسية لقصص وحكايات الاطفال على النحو التالى :

١ ـ ان القصص والحكايات المسموعة والمصورة والتى يذيعها التليفزيون والراديو والمسرح والتى تستهدف جمهور الاطفال أساسا حيث يرى أن الأطفال يشاهدونها ويضعون أنفسهم داخل الموقف ويعيشون فى الاطار الانفعالى والخيالى للعمل الفنى • حيث يستوعب الأطفال قيمها ومعاييرها وأنماطها السلوكية ، أولا لأن الطفل عادة ما يتابع متعمقا أو متعاطفا مع شخصيات القصة ان ايجابا أو سلبا ، وثانيا لأن الوسائل المساعدة كالديكورات والموسيقى التصويرية ،

والتصوير ، تساعد على عملية الاستيعاب الثقافى الى جانب أنها تخلق سياقا اجتماعيا أقرب ما يكون الى الحقيقة والواقع •

٢ ــ تشكل الحكايات والقصص التى يستمع اليها الطفل من أعضاء الاسرة ، أحد المصادر الرئيسية التى ينتقل من خلالها قدر كبير من القيم الى الأطفال • واذا كانت الأسرة تعمل على التنمية العاطفية والمشاعرية للطفل فان ذلك يلعب دوره كاطار مشاعرى يتقبل خلاله الطفل مجموعة القيم الأسرية ، لأن الأسرة تعتمد عادة على اثارة خيال الطفل عن طريق رواية قصص وحكايات الذات له ، لها منطقها وتتابعها وشخصياتها التى قد يتبنى الطفل موقفها • فالأسرة بذلك تخلق عالما أشبه ما يكون بالواقعى يعيشه الطفل ويوافقه على بعض قيمه أو يرفض أخرى • وتكون النتيجة استيعابه لهذه القيم أو اتاحة الفرصة لها لتدعيم بنائه القيمى •

٣ ــ وتساعد الكتب المدرسية أيضا وما تحويه من قصص وحكايات على غرس مجموعة من القيم والأتجاهات السلوكية لديه بما يجعله قادرا على المشاركة فى الواقع المحيط به بالاضافة الى تزويده ببعض المعارف والمدركات العامية (كالحساب والعلوم) هذا الى جانب ايقاظ حسه الوطنى أو الدينى أو القومى • وهى القيم التى اما أن تكون جديدة على الطفل ، أو تدعم ما استوعبه من خلال الأسرة أو المجالات الأخرى •

٤ ــ القصص والحكايات التى تتوارثها الأجيال والسير الشعبية التى أنتجها الخيال والتى نذكر منها عنترة بن شداد وفتوح اليمن والسير الهلالية والظاهر بيبرس • وتدور الحكاية الشعبية فى العادة حول بطل يحاول تغيير القيم والمعايير الأخلاقية والنظم الاجتماعية

والسياسية فى مجتمعه كما يسجل حكمه على الأحداث ويترجم مثله وقيمه[1] •

ومما لا شك فيه أن الحكاية الشعبية تخلق لدى الاطفال ارتباطا بتاريخ الوطن وأحداثه وقيمه الأساسية ، هذا الى جانب أنها تساعد الصغار على استيعاب قيم الشجاعة والفداء والتضحية من أجل الآخرين ، وتبعدهم عن القيم السلبية المضادة لذلك ، وهو الأمر الذى يجعل منهم مواطنين قادرين على المشاركة الايجابية الواعية •

ه ــ ويشكل الأصدقاء أو الرفاق من داخل شريحة العمر أحد المصادر الأساسية لقصص الأطفال وحكاياتهم حيث نجد أن الأطفال فى تجمعاتهم فى المدرسة ، أو المنزل أو أماكن اللهو يتجمعون عادة حول أحدهم الذى يروى قصة سمعها من أسرته أو قرأها أو شاهدها، بل الأكثر من ذلك نجد هناك تفاعلا يحدث فى العادة بشأن قصة شاهدتها مجموعة من الأطفال فى التليفزيون أو سمعوها من الاذاعة ، وهو التفاعل الذى يساعد عادة على استيعاب مجموعة القيم والأفكار الاساسية المتضمنة فى القصة أو الحكاية ، وتأكيدهما فى داخل كل منهم •

ثانيا : أهداف الدراسة :

١ ــ استنادا الى تحديد المصادر الأساسية للقصص والحكايات التى يتعرض لها الاطفال قد تحددت الأهداف الاساسية للدراسة على النحو التالى :

---

(١) نبيلة ابراهيم : أشكال التعبير فى الأدب الشعبى ، دار المعارف ، الطبعة الثالثة ، ١٩٨١ ، القاهرة ، ص١٢٢ •

١ - تحديد القيم الاساسية التى تترسب لدى الأطفال من مختلف القصص والحكايات التى تأتى الطفل من مختلف المصادر .

٢ - تحديد المصادر الأكثر فاعلية فى طرح القيم على الأطفال ثم تحديد أى مصادر للحكايات والقصص يستوعب الطفل قيمه منها بدرجة أكثر من المصادر الأخرى .

٣ - تحديد الأنماط الاساسية للقيم التى استوعبها الطفل فى مراحله العمرية المختلفة . هل هى قيم تتعلق بالسلوكيات الشخصية ، أو بالسلوكيات داخل الأسرة ، أو بنظرته الى الواقع المحيط به . ثم ما هى المجالات التى تغطيها القيم التى يستوعبها الطفل خلال هذه المرحلة (الوطنية ، الاقتصادية ، السياسية ، الاجتماعية ، الدينية) .

٤ - تحديد الطابع الذى تتميز به هذه القيم . هل تتخذ هذه القيم الطابع الايجابى أم السلبى ، هل تتميز بأنها تدفع الطفل الى الوقوف موقفا ايجابيا من عاله المحيط به أم تؤكد لديه الانفصال والسلبية فى سلوكه تجاه هذا العالم المحيط به .

٥ - الكشف عن الطابع العام لهذه القيم . هل القيم التى استوعبها الطفل تعكس الروح الجماعية التى قد تسود المجتمعات الحضرية المتقدمة ، أم أنها تعكس قيما مخالفة لطبيعة الإطار الاجتماعى الذى يعيش فيه نظرا لأن مصادر الحكايات أو القصص من خارج هذا الاطار الاجتماعى .

٦ - تحديد طبيعة واتجاه القيم التى استوعبها الطفل ومستوى تعليم الأبوين ، التعرض لأكثر من مصدر من مصادر القصص والحكايات ، المتغير الطبقى ، متغير حجم الأسرة ، متغير عمل الأم ، متغير السياق الاجتماعى ، متغير سن الطفل ذاته .

٧ ــ التفرقة فى مجموعة القيم التى استوعبها الطفل بين القيم التى ينظر اليها باعتبارها قيما أساسية أو جوهرية ، وبين القيم التى تعتبر ذات طبيعة ثانوية •

٨ ــ تحديد مصادر القصص والحكايات الأكثر فاعلية من وجهة نظر الطفل ، وهى التى استوعب من خلالها قدرا كبـيرا من القيم ، ثم ما هى العوامل التى تؤثر على عملية الاستيعاب الأكثر للقيم أو تلك التى تعوق عماية الاستيعاب هذه •

اذا اتفقنا على انقسام القيم بحسب مجال فاعليتها الى مجموعة من الأنماط الأساسية ، فان الدراسة سوف تحاول تحديد العلاقات التى تتواجد بين أنماط معينة من القيم ، وبين مصادر محددة للقصص والحكايات بالاضافة الى محاولة البحث عن العـلاقة التى تربط بين مصادر معينـة للقصص والحكايات ، وبين طبيعـة القيـم التى تم استيعابها من حيث الايجابية والسلبية •

ثالثا : فروض الدراســة :

استنادا الى مجموعة الأهداف العامة والفرعية التى حددتها فى الفقرة السابقة يمكن أن تتحدد الفروض التالية باعتبارها الفروض التى تولت توجيه الدراسة الميدانية وهى على النحو التالى :

١ ــ ان هناك علاقة بين المستوى الاجتماعى الاقتصادى لأبوى الطفل وبين عدد مصادر القصص والحكايات التى يتعرض لها •

٢ ــ هناك علاقة بين طبيعة السياق الاجتماعى (حضرى ــ ريفى) وبين طبيعة القيم وأنماط القيم التى توجه الطفل من مختلف المصادر •

٣ ــ هناك علاقة بين مهنة الأبوين وبين طبيعة وأنماط القيم التى يستوعبها الطفل من مختلف المصادر •

٤ ــ هناك علاقة بين المستوى التعليمى للأبوين من ناحية وبين طبيعة وأنماط القيم التى توجه الطفل من مختلف المصادر •

٥ ــ ان هنــاك علاقة بين بعض المتغيرات من ناحيــة (السياق الاجتماعى : ريفى ــ حضرى ، والمستوى الاجتمــاعى الاقتصادى ؛ التعليم ، مهنة الأبوين) ؛ وبين تعدد مصادر الحكايات والقصص التى يتعرض الأطفال لفاعليتها •

٦ ــ ان هناك علاقة بين طبيعة التوجه الأيديولوجى الذى يسود مجتمعا فى مرحلة معينة وبين مضمون القيم الذى نجده فى الحكايات والقصص المتعلقة بالأطفال فى هذه المرحلة •

٧ ــ ان هناك علاقة بين عدد مصادر القصص والحكايات وبين تنوع القيم التى يستوعبها الطفل من هذه المصادر بالاضافة الى تنوع المجالات التى تغطيها هذه القيم •

٨ ــ هناك احتمالية أن يستوعب الطفل الريفى قيما أقل من حيث القدر والتنوع اذا قارناه بالطفل الحضرى ، وذلك لتعرض الأخير لقدر أكبر من مصادر القصص والحكايات •

٩ ــ من المتوقع أن تكون القصص الشعبية التى يحكيها الأبوان أكثر بروزا كمصادر للقيم فى السياق الريفى منها فى السياق الحضرى • وعنــد الأسر ذات المســتوى التعليمى الأدنى منهــا عن الأسر ذات المستوى التعليمى المرتفع •

١٠ ــ ان هناك تباين بين طبيعة وأنماط القيم الكامنة فى المصادر التقليدية أو الشعبية من ناحية وبين ما تحاول أجهزة الاعلام غرسه فى النشء من ناحية أخرى •

١١ — ان هناك علاقة بين تفاوت فاعلية مصادر القصص والحكايات من حيث طبيعة وأنماط القيم التى تقدمها وبين متغيرات المستوى الاجتماعى الاقتصادى ، التعليم ، السياق الاجتماعى (ريفى — حضرى)، مهنة الأبوين ، وغير ذلك من المتغيرات .

رابعا : تبويب موضوعات الدراسة :

فى هذا الجزء سوف نحاول بايجاز شديد استعراض الانجازات التى حققتها الباحثة على المستويات النظرية أو المنهجية أو الميدانية وذلك على النحو التالى :

١ — الانجاز على المستوى النظرى :

ضمت الرسالة ثلاثة فصول على الجانب النظرى تحاول استعراض موقف مختلف الاتجاهات السوسيولوجية من عملية التنشئة الاجتماعية ووسائلها المختلفة وبخاصة قصص وحكايات الاطفال ومصادرها المختلفة . ونستعرض بايجاز هذه الفصول على النحو التالى :

أ — الفصل الاول : التنشئة الاجتماعية موقف الاتجاهات النظرية :

تعرضت الباحثة فى هذا الفصل لمعالجة موقف الفكر الاجتماعى باتجاهاته المختلفة وبخاصة وجهة نظر دور كيم ، وتالكوت بارسونز ، ألكس انكلز ، وبياجيه ، والكين ، وهاندل ، ورينيه كونيج من عملية التنشئة الاجتماعية ، أو الوسائل المتبعة لانجازها . فى اطار هذا الفصل عالجت الباحثة ثلاثة قضايا أساسية :

(١) دور الأسرة فى عملية التنشئة الاجتماعية .

(٢) دور المدرسة كاحدى مؤسسات التنشئة الاجتماعية .

(٣) دور وسائل الاعلام فى اطار عملية التنشئة الاجتماعية .

وسوف نعرض بايجاز لكل من هذه القضايا الثلاثة :

ا ـ الأسرة كمؤسسة التنشئة الاجتماعية :

فيما يتعلق بهذه القضية أوضحت الدراسة أن الأسرة من أهم الإركان التى يعتمد عليها المجتمع فى تنشئة وتطبيع الطفل بما لها من مركزية واضحة . فأعضاء الأسرة هم أول من يتصلون بالطفل اجتماعيا فى أعوامه الأولى التى تكون حاسمة فى ارتقائه وتطوره الاجتماعى ... حيث تشكل هذه العلاقة الانفعالية التفاعلية بين الوليد ووالديه أساسا توقعات الطفل واستجاباته فى علاقاته الاجتماعية بالاضافة الى أن معتقدات وقيم واتجاهات الثقافة تنقى من خلال الوالدين وتقدم للطفل فى أسلوب شخصى وانتقائى فضلا عن الاختلافات الشخصية ، والاتجاهات ، والطبقة الاجتماعية والاقتصادية والانتماء الدينى والتعليم ونوع جنس الوالدين يؤثر على تقبله للقيم والمعايير الثقافية .. الى جانب ذلك تؤثر الأبعاد التالية على أنماط القيم التى يتقبلها الطفل ومدى تقبله لها :

(١) اختلاف أساليب التنشئة داخل الأسرة : التسلط ، الحماية الزائدة ، الاهمال ، التدليل ، العقاب البدنى ، التذبذب أى عدم استقرار الوالدين على أسلوب معاملة الطفل ، التفرقة وعدم المساواة .

(٢) علاقة أساليب التنشئة فى الأسرة بالثقافة السائدة مثال : قبيلة أرابش اشتراك الأب والأم فى مسئولية ارضاع وفطام الطفل ، قبيلة شامبولى الاب وحده هو الذى يقوم برعاية الاطفال ، دراسة حامد عمار أسفرت عن أن هدف التنشئة هو أن تخلق لدى الطفل الطاعة والأدب .

(٣) تأثير الطبقة الاجتماعية على أساليب التنشئة (مثال دراسة

نجيب اسكندر أن خروج الطفل الى الشــارع يختلف من طبقة الى أخرى) • حيث أن أساليب التنشئة تختلف فى كل طبقــة ومستوى اجتماعى اقتصادى معين وذلك لاختــلاف أساليب التربية والوضــع التعليمى والمهنى والاقتصادى لأعضاء الأسرة •

(٤) أساليب التنشئة ودعم المعايير المرتبطة بالدور (أى تثبيت المعتقدات العــامة المشتركة التى تؤكد السلوك المناسب للولد والبنت والتأكيد على توافق سلوك الطفل مع معايير الدور المرتبطة بنوعه •

(٥) أساليب التنشئة ودعم معايير الضــبط الاجتماعى ، أساليب الثواب والعقاب واختلافها داخل الثقافات المختلفة (دراســة حامد عمار) و (عرض الدكتور الجوهرى للشخوص الفلكلورية التى تستخدم لتخويف الأطفال) •

ب ــ دور المدرسة فى التنشئة الاجتماعية :

وفى هذا الاطار تعرضت الدراسة لدور المدرسة فى التنشئة التى تعتبر بالنسبة للطفل أول انفصال عن الأم • ويكمن دور المدرسة فى تقليل الروابط الاعتمــادية على الأسرة ، هذا الى جانب أن المدرسة تبدأ فى نقل القيم والأفكار المتعلقة بالمجتمع الى الطفل • فمثلا تعمق المدرسة فى الدولة السوفيتية معايير التربية الجماعية ، على حين يكمن دور المدرسة فى الولايات المتحدة الأمريكيــة فى مساعدة الطفل على استيعاب التركيبة الطبقية للمجتمع واحترامها ، الى جانب ذلك ألقت الدراسة نظــرة على دور المدرسة فى التنشئة الاجتمــاعية من خلال الجوانب التالية :

أ ــ دور المدرس فى دعم أساليب التنشئة الاجتماعية •

ب ــ دور المكتبة المدرسية •

جـ ـ التفاعل الاجتماعى داخل المدرسة •

جـ ـ دور أجهزة الاعلام المسموعة والمقروءة والمرئية فى التنشئة الاجتماعية :

أكدت الدراسة بداية على أن نشر الثقافة العلمية يعتبر من مسئولية كل مؤسسات التنشئة التربوية فى المجتمع • وفى هذا الاطار نجد أن وسائل الاعلام تلعب دورا هاما وخطيرا فى التنشئة الاجتماعية للطفل فى المجتمع فهى تعمل على تعميق وترسيخ القيم التربوية لدى الأطفال • وارتباطا بذلك تناولت الدراسة عرض نتائج تجربة فيلادلفيا التى أجريت فى عام ١٩٧٥ حول استخدام برامج التليفزيون التعليمية بكل اطاراتها المعروفة (الدراما ، والكوميديا ، العرائس ، الكرتون ، والتعليم التسجيلى كأداة لتدريب الأطفال على القراءة)[1] حيث أوضحت نتائج الدراسة أن الأطفال الذين تتبعوا هذا البرنامج تحسنت قدراتهم القرائية بشكل مذهل •

ومن ثم نجد أن التنشئة الاجتماعية تشمل كافة القيم والأساليب التى يتلقاها الفرد من الأسرة خاصة الوالدين ، والمدرسة ، والأصدقاء والمحيطين به من أجل بناء شخصية ثابتة متوائمة جسميا ونفسيا واجتماعيا • وذلك امتداد من مواقف الرضاعة ، والفطام ، والتدريب على عمليات ، الاخراج والنظافة ، والغذاء ، واللعب ، والتعاون ، والتنافس ، والصراع مع الآخرين فى كافة مواقف الحياة من تحصيل أو عمل أو ترويح • وتختلف هذه الاساليب التى يتلقاها الفرد فى تلك

---

(١) عبد التواب يوسف : الاذاعة المسموعة والمرئية تحفز الطفل على القراءة ، الحلقة الدراسية الاقليمية ١٩٨٠ عن مكتبات الأطفال ومجلاتهم ، الهيئة المصرية العامة للكتاب ، مركز الكتاب العربى ١٩٨١ ، ص ٨٠ •

المواقف من جماعة أو ثقافة لأخرى فى الحب والرعاية والعطف والدفء، والحماية الزائدة ، والتدليل ، والاهمال والقسوة والتذبذب والتفرقة فى المعاملة • وبهذه الأساليب يمكن تعزيز أو كف استجابات سلوكية معينة من شـأنها أن تعمل أو لا تعمل على تنشئة وبناء الشخصية المتوافقة للفرد •

ب ــ الفصل الثانى : قيم التنشئة الاجتماعية :

تناولت الدراسة فى هذا الفصل مجموعة من القضايا نوجزها على النحو التالى :

أ ــ عرض نظرى للدراسات التى تناولت القيم وتعريفاتها :

عرضنا لآراء كل من كلاكهن الذى يلور مفهـوم القيمة على أنه مفهوم تجـريدى (ظاهر ــ وضمنى) يميز الفـرد أو الجمـاعة • والدكتورة فوزية دياب التى أشارت الى أن القيمة هى اهتمـام أو اختيار أو تفضيل يشعر معه صاحبه أن له مبرراته الخلقية والفعلية والجماعية أو كل هذه مجتمعة بناء على المعايير التى تعلمها من الجماعة أو وعاها فى حياته نتيجة عمليات الثواب والعقاب والتوحد مع القيمة •

وفى هذا الاطار عرضت الدراسة لوجهـة نظر أوجست كونت فى القيم باعتبارها مصدرا للتماسك الاجتماعى ، حيث يؤدى غياب الاتفاق القيمى الى تفكك بناء المجتمـع وانتشار الاضـطرابات النفسية على مستوى الشخصية •• كما عرضت الدراسـة لآراء دوركيم فى القيم وتصنيفه لأحكام القيمة • حيث يرى أنها تنقسم الى تقريرية وواقعية• كذلك اهتمت الدراسة بتعريف بارسونز للقيم ووجهة نظره فيما يتعلق بدورها فى المجتمع • الى جانب ذلك تعرضت الدراسـة للدور الذى

تلعبه متغيرات النمط الخمسة عند تالكوت بارسونز كموجهات قيمية لسلوك الفرد فى المجتمع •

ب ــ تكوين القيمة نموها وتطورها :

تعرضت الدراسة الى كيفية استيعاب الطفل انظام القيمة فى المجتمع وتكوين الضمير ومصادر تكوين هذه القيم الثقافية وما تشتمل عليه من تاريخ الجماعة وتراثها وكذلك الثقافات الفرعية •

جـ ــ القيم والعادات والاتجاهات والأعراف والتقاليد :

فى هذا الاطار تعرضت الدراسة للتعريفات المختلفة للعادات وأيضا للفرق بين العادة والاتجاه وتعريف الاتجاه ، حيث تعرضت لتعريفات كل من جلين وجلين وفوزية دياب وكمال التابعى ورفكفيتش •

تناولت الدراسة أيضا القيم والتقاليد والأعراف والتعريفات المتداولة لها وأكدت الدراسة أن أنماط الاتجاهات ، والعادات ، والسلوك ، والتقاليد ، والأعراف ما هى إلا مؤشرات ذاتية للقيم لأن القيم مهما تشكلت أو تعددت فهى بالضرورة رموز اجتماعية بلورها المجتمع من خلال تاريخه وتفاعلاته المعاصرة لكى توجه سلوك الأفراد فى نطاق المجالات الاجتماعية المتنوعة •

د ــ مستويات القيم :

تناولت الدراسة مستويات القيم (الالزامية والتفضيلية والمثالية) ، حيث أن القيم السائدة فى المجتمع لا تقف جميعا على قدم المساواة بالنظر الى بعضها البعض من حيث درجة الالتزام ولكنها تتفاوت تفاوتا كبيرا

هـ ــ نسق القيم وأنماطه :

حاولت الدراسة توضيح طبيعة العلاقة بين نسق القيم من ناحية

والبناء الاجتماعى من ناحيــة أخرى ، هذا الى جانب أن هذا القسم من الفصل ركز على توضيح المكونات الأساسية لنسق القيــم كالقيم الادراكية ، والقيم الوجدانية ، والقيــم التفضيلية والوظيفية التى يؤديها كل مكون • كذلك عرضنا فى هذا الجزء لطبيعة القيم المنظمة لمختلف مجالات الواقع الاجتماعية ، كالقيم الدينية ، والقيم المنظمة للتفــاعل الاجتماعى فى مجــال الأسرة والاقتصــاد وعلاقة الانسان بالآخرين ، كذلك القيم المتعلقة بالوطن ومدى الارتباط به •

جـ ــ الفصل الثالث : قصــص وحكايات الأطفــال كمصــدر للتنشئة الاجتماعية :

تناول هذا الفصل الدور الذى تلعبه قصص وحكايات الاطفال فى ادماج الطفل فى الاطار الثقافى العام عن طريق العمل على أن يستوعب قيم المجتمع وأنمــاط السلوك الكائنة فيه ، كذلك تدريبه على أساليب التفكير السائدة فى هذا المجتمع وغرس المعتقدات الشائعة فى المجتمع داخل البناء القيمى للطفل وذلك لكى تصبح موجها ودافعا للسلوك من داخل بناء شخصيته • وقد تعرضت الدراسة فى هذا الفصل لمجموعة القضايا التالية :

أ ــ مفهوم القصة والحكاية فى أدب الأطفال :

حيث عالج مفهوم قصص الأطفــال ، وهى المعالجة التى تناولت عناصر الحبكة • ويقدم القصة الزمانية والمكانية والموضوع والتشخيص والشكل والحجم والفرق بين القصة والحكاية •

ب ــ خصائص وأنماط قصص الأطفال :

حيث أن هناك انطباعين رئيسيين يمكن أن يخرج بهما الأطفال من قراءتهم للأدب الجيد :

ـ انطباع عام : أى أن الطفل يحب القراءة والاعتزاز بالكتب وتقديرها والميل الى الأدب فى أى صورة من صوره .

ـ انطباع خاص ويتعلق بالقيمة التى يتلقاها الطفل من القصة أو المسرحية أو غيرها من ألوان الانتاج الأدبى مما يدفع الطفل الى الاعجاب بفضيلة خلقية أو تقليد نموذج سليم للتصرف . أو النفور من عادة سيئة .

ومن ثم نجد أن قصص الأطفال قد تتعدد نماذجها وتختلف فى أشكالها وتنقسم الى عدة أنماط الغرض منها :

(١) قصص الحيوان .

(٢) قصص الخوارق .

(٣) قصص التاريخ .

(٤) القصص الفكاهية .

(٥) قصص الخيال العلمى .

(٦) القصص الدينى .

وتناولت الدراسة بالتفصيل أنماط وخصائص هذه القصص وما تغرسه فى الأطفال من قيم وسلوكيات .

جـ ـ الأساطير فى أدب الأطفال :

وقد تعرضت الدراسة للفرق بين الأسطورة والفولكلور حيث أن الأسطورة تطلق على الشعائر عند قيامها بوظيفتها العقيدية فى تفسير الكون والطبيعة بمنطق العقل البدائى وتعليل العادات والتقاليد والمراسيم بمنطق هذا العقل . فاذا تجاوزت هذه الوظيفة وتداخلت عناصرها جزئيا فيما يصدر من ضروب النشاط المختلفة أصبحت مادة

فولكلورية وأصبحت من عناصر الأدب الشعبى • ولأن الغرض الأساسى من الأسطورة هو تفسير وجود العالم والحياة والانسان وظواهر الطبيعة ، تناولت الدراسة التعريفات المختلفة للأسطورة والفرق بينها وبين الحكاية الخرافية •

وخلصت الدراسة الى أن الأسطورة مادة لا تناسب الأطفال حيث أنها مليئة بالرموز التى تجعل المعنى مختفيا فى ثنايا الحكاية مما يجعل فهمها عسيرا على عقل الطفل[1] •

وفى هذا الاطار عرضت الدراسة لآراء كلاكهن فى أساطير خمسين من الثقافات المختلفة ، ودراسة ليفى شتراوس فى كتابه ذى الأربعة أجزاء بعنوان أسطوريات ، حيث كان يتبع الأسطورة الواحدة فى أنماط معينة داخل مساحة ثقافية واسعة من الأمريكتين •

د — حكايات الأطفال :

حيث أن الحكاية جزء من الأدب الشعبى ، وللحكاية معنيان أولهما يشمل ألوان السرد القصصى الذى يتناقله الناس جيلا عن جيل وثانيهما رواية الحكاية الشعبية أو حكاية الواقع الاجتماعى (وهى تدعو فى العادة الى تأصيل القيم الاخلاقية) فقد تعرضت الدراسة لنمطين من الحكايات :

(١) الحكاية الشعبية •

(٢) الحكاية الخرافية •

هـ — دور القصص والحكايات فى التنشئة الاجتماعية :

تكمن أهمية القصص والحكايات بالنسبة لتنشئة الطفل فيما يلى:

---

(١) على الحديدى : فى ادب الاطفال ، الانجلو ، الطبعة الرابعة ، ١٩٨٦ ، القاهرة ص ١٦٠ •

(١) تفتح أمام الطفل آفاقا جديدة للثقافة العامة •

(٢) تزود الطفل بكثير من القيم والمعايير وأنماط السلوك التى تساعد فى بناء المكون القيمى فى شخصيته حتى يكون قادرا على التفاعل مع ما حوله •

(٣) تمد الأطفال بكثير من المعلومات التى تساعدهم على حل المشكلات الشخصية وتحدد الميول وتزيدها عمقا

(٤) تساعد على اعداد الطفل علميا فعن طريقها يتمكن الطفل من التحصيل الذى يساعده على السير بنجاح فى حياته الدراسية •

(٥) تساعد الطفل على التوافق الشخصى والاجتماعى واكتساب القيم والاتجاهات وأنماط السلوك المرغوب فيها •

(٢) الانجاز على المستوى المنهجى :

يتعرض هذا الجزء للجوانب والخطوات المنهجية التى تبنتها الباحثة لانجاز هذه الدراسة :

أ – اختيار مجتمعات البحث •

ب – تحديد عينة الدراسة •

جـ – تصميم دليل دراسة الحالة •

د – تصميم استمارة (استبيان) تحليل المضمون واختبار ثباته وصدقه • وسوف نعرض فيما يلى بايجاز لكل من هذه الخطوات المنهجية :

أ – منطقة الدراسة :

وقد تم اختيار منطقتين للدراسة ، احداهما تمثل السياق الحضرى، والأخرى تمثل السياق الريفى وذلك على النحو التالى :

(١) المنطقة الأولى حى السيدة زينب :

وذلك باعتبار أن حى السيدة زينب تتوفر فيه عدة خصائص أساسية منها أنه يعكس المتوسط العام لمؤشرات السياق الحضرى ، هذا الى جانب أن هذا الحى له الطابع الشعبى فى بعض جوانبه مما يجعل الطفل فيه يتعرض غالبا لمختلف مصادر القصص والحكايات الشعبية على عكس ما يتعرض له الطفل فى الزمالك وجاردن سيتى مثلا .

وقد اعتمدت الباحثة فى اختيار هذا الحى على مؤشرات الجهاز المركزى للتعبئة العامة والاحصاء وأيضا تصنيف بحث الدخل لأحياء القاهرة الذى أجراه المركز القومى للبحوث الاجتماعية والجنائية . ويقع حى السيدة زينب جنوب القاهرة الكبرى .

أما مؤشرات الاختيار فهى معدل التزاحم ، الظروف السكانية ، متوسط حجم الأسرة ... وقد تم اختيار مدرسة زهر الربيع بالمنطقة وهى مدرسة مشتركة بنين وبنات . والمدرسة بها حوالى ١٧ فصل متوسط عدد الفصل حوالى ٤٠ : ٤٥ طفل أى بها ما يقرب من ١٠٠٠ طفل . وبها ناظر ووكيل ومعهما حوالى ٣٠ مدرس بخلاف الموظفين والسعاة .

(٢) المنطقة الثانية : قرية كفر محفوظ مركز طامية :

وقد تم اختيار قرية كفر محفوظ مركز طامية باعتبارها تمثل السياق الريفى ، حتى تسهل المقارنة بعد ذلك بين السياق الحضرى والريفى ، وفى الغالب تعكس قرية كفر محفوظ نمط القرية المصرية العام ، وهى تقع ضمن محافظة الفيوم ، وتبعد عن مدينة الفيوم ذاتها بمسافة ٢٠كم وعن مركز طامية التابعة له بنحو ٤ كيلومترات .

وقد تركزت الدراسة فى اطار مدرسة بكفر محفوظ التى تحتوى على ١٨ فصلا ويبلغ عدد أطفال الفصل الواحد ٤٥ طفلا ، أى يبلغ عدد أطفال المرحلة الابتدائية ١٠٥٠ طفلا ، وبهـا ناظر ومعه ٣٥ مدرس بخلاف السكرتير والمعاون والسعاة .

ب ـ عينـة الدراسـة :

تم اختيار التلاميذ من المرحلة الالزامية فى الفئة العمرية (٧ : ١٤ سنة) بنين وبنات بقدر حوالى ٣٠ حالة فى الريف ، ٣٠ حالة فى الحضر موزعين على السنوات : الثانية ، والرابعة ، السادسة . أما مبرر اختيار تلاميذ هذه السنوات فقـد يرجع الى أن الطفل ابتـداء من المرحلة العمرية ٨ سنوات يستطيع التعبير وسرد القصص والاستيعاب أيضا .

وقد تم توزيع أطفال كل مدرسة اختيرت وفقـا لمتغيرى النوع والسنة والدراسة ، أى تم اختيار عينة مقصودة(*) (أو عينة حصصية Quota Sample) على النحو التالى :

السـنة	بنـين	بنـات	المجمـوع
الثـانية	٥	٥	١٠
الرابعـة	٥	٥	١٠
السادسة	٥	٥	١٠
المجمـوع	١٥	١٥	٣٠

(*) الاستعانة بناظر المدرسة فى كل من الحضر والريف فى تحديد أبناء كبار الملاك والمتوسطين والمعدمين .

ذلك يعنى أنه قد تم اختيار عينة البحث من مدرسة فى احدى القرى (قرية كفر محفوظ) مقابل اختيار عينة البحث الحضرية من أحد المدارس التى تقع فى حى (السيدة زينب) وهو الحى الذى يعكس المتوسط الحضرى العام لمدينة القاهرة • وفى داخل هذه العينة تم مراعاة تمثيل المتغير المتعلق بتباين المستوى الاجتماعى والاقتصادى للتلاميذ داخل السياقين الريفى والحضرى •

جـ ـ دراسة الحالة :

تم الاطلاع على الكتب والمراجع والدراسات والبحوث التى اهتمت باستخدام هذا المنهج وخاصة دراسة الأسرة بمكوناتها وتفاعلاتها ، وخاصة الدراسات التى اهتمت بالأسرة داخل المجتمع المصرى (ريفى ـ حضرى) وهى الخطوة التى أفادت فى تحديد الأبعاد الرئيسية لدليل دراسة الحالة ووضع تحديد لكل متغير ونمط من أنماط القيم التى استوعبها الطفل فعلا وما هى المجالات التى تقع فيها معظم هذه القيم وما هى الظروف التى تيسر أو تعوق عملية الاستيعاب • وذلك من خلال القاء الضوء على الظروف الاجتماعية المختلفة المتعلقة بالحالة موضوع الاهتمام • وفى هذا الاطار من خلال الاستعانة بالدليل واجراء المقابلة المتعمقة واستخدام الملاحظة المباشرة وغير المباشرة تم التعرف على الجوانب التالية :

(١) الظروف الأسرية المختلفة والمتعلقة بالطفل كالمستوى الاقتصادى والاجتماعى للأسرة ، تعليم الأبوين ، المهنة وغير ذلك من الظروف سواء كان ذلك فى الريف أو الحضر كعمالة الأم ، والبعد الطبقى والاشتراك فى النوادى (اجتماعية وثقافية) •

(٢) طبيعة الاطار الأسرى الذى يعيشه الطفل وطبيعة العلاقات الأسرية المحيطة بالطفل •

(٣) طبيعة المصادر التى يتعرض لها الطفل ، وأقصد بالمصادر تلك التى يستمع منها الطفل الى حكاياته وقصصه • وما هى المصادر التى يتعرض لها الطفل بدرجة أكثر فى مقابل التى يتعرض لها الطفل بدرجة أقل •

(٤) تحديد الحكايات التى يعرفها الطفل وتحديد المصادر التى يميل لها بدرجة أكثر •

(٥) مدى ارتباط القصة بالسياق الاجتماعى الطفل ومدى الاتساق بين قيم القصة وقيم السياق الاجتماعى •

(٦) القيم التى ارتبط بها الطفل فعلا ، وما هو المجال الذى تقع فيه هذه القيم • ثم ما هو النمط الذى تمثله بالاضافة الى تحديد الطبيعة الأساسية لهذه القيم •

(٧) مصادر الحكايات والقصص فى المجتمع المحلى ، ثم محاولة الربط بين المصادر وبين طبيعة القيم التى اعتقدها الطفل وذلك من وجهة نظر الطفل •

(٨) طبيعة وأنماط القيم التى استوعبها الطفل أثناء اجراء الدراسة من مختلف المصادر ، وهل هناك علاقة بين طبيعة ونمط القيم أو درجة الاستيعاب ، وبين سن الطفل أم لا •

د ـ تصميم استمارة الاستبيان (تحليل المضمون) :

بعد تحديد الهدف من الدراسة ، ووضع الفروض التى سيتم اختبارها ، وبعد الانتهاء من العينة بأبعادها الموضوعية والمكانية وجمع

القصص والحكايات والبيانات عن عينة الدراسة كانت الخطوة التالية هى وضع الفئات التى سيتم بناء عليها تحليل القصص والحكايات التى تم جمعها من الدراسة الميدانية ٠

(١) تصنيف المادة التى تم جمعها تحت الفئات الرئيسية ٠ كذلك تم وضع تصور نظرى لها بناء على ما تم تجميعه من أفكار رئيسية وفرعية ثم احداث بعض التعديلات على التصور النظرى المقترح لاستمارة تحليل المضمون بما يكفل تعبيرها عن واقع المادة التى سيتم تحليلها ٠

(٢) وضع تعريف اجرائى لتصنيف البيانات والقيم التى تم تضمينها القصص والحكايات التى أخذت بها الدراسة ٠

(٣) صياغة استمارة تحليل المضمون فى صورتها النهائية بما يتفق والهدف من الدراسة من ناحية وما يتفق مع طبيعة البحث وواقع القيم التى تضمنتها القصص التى ستخضع للتحليل من ناحية أخرى ٠ وقد روعى فى تصنيف فئات الاستمارة تعبيرها عن كل البيانات كما تم الحصول عليها من خلال الدراسة الميدانية ، وتحليل البيانات والأفكار والانماط الاساسية الى مكوناتها الفرعية ، وذلك لاضفاء البعد الكيفى على التحليل الكمى للمضمون ، بما يحقق الثراء العلمى فى البيانات بالاضافة الى تحقيق الدقة والموضوعية ٠ ذلك أن صياغة فئات التحليل بصورة تتناول جزئيات الموضوع تقلل من تحيز الباحث ومن فرص حكمه الذاتى على اتجاه الموضوع ٠ وقد أدت عملية ادخال البعد الكيفى على التحليل الكمى الى تعدد فئات إستمارة التحليل وكثرة تقسيماتها الرئيسية والفرعية ، وذلك من أجل قياس كل أبعاد المضمون وتفاصيله الدقيقة ٠

ونظرا لتعدد الفئات وطول الاستمارة فقد اتجهت الباحثة الى

استخدام الحاسب الآلى فى تحليل البيانات والنتائج التى خرجت بها الدراسة التحليلية . لذلك تم تفريغ البيانات على صحائف تفريغ البيانات ووضع الرموز لكل فئة من فئات التحليل حتى يمكن التعامل مع الحاسب الآلى .

وكان الهدف من هذه الخطوة تحقيق السرعة فى استخلاص البيانات والنتائج للحصول على أقصى قدر من الدقة المطلوبة .

وقامت الباحثة بتعريف كل فئة من فئات الاستمارة فى دليل يشير لكل فئة على حدة . وقد تم تقسيم فئات الاستمارة الى ثلاثة أقسام :

القسم الاول : يقيس الجانب الموضوعى للمضمون وهو يتضمن فئة بيانات الطفل .

القسم الثانى : يقيس الجانب الشكلى للمضمون وهو يتضمن فئات خاصة ببيانات عن القصة

القسم الثالث : يقيس فئات المضمون وهو يتضمن القيم بأنماطها المختلفة .

ثبات أداة البحث :

حيث أن الدراسة التى نحن بصددها قد أتبعت ما أوصى به الكتاب من تصميم الفئات بصورة موضوعية تتناول جزئيات المضمون للتقليل من فرصة تحيز الباحث ، والحد من فرصة الحكم الذاتى على اتجاه الموضوع ، وحيث أن صياغة فئات أداة البحث قد تمت على أساس استيفاء الجزئيات (الفئات المتعددة) لدراسة الحالة وما تطرحه القصص محل البحث مما أدى الى تعدد فئات الدراسة وكثرة تقسيماتها الجزئية والفرعية (حتى وصل عددها ١١٠ فئة فرعية تتدرج

تحت ٤٠ فئة رئيسية تمثل فئات الشكل والموضوع والمضمون) ، فان الباحثة قد واجهت مشكلة الحصول على درجة عالية من الثبات اذ ما تم تطبيق الاختبار الخاص به على مجموعة من الباحثين خاصة مع ندرة الباحثين المتخصصين فى مجال تحليل أنماط القيم وذوى الخبرة فى مجال تحليل المضمون . وقد استخدمت الباحثة أقياس الثبات البديل الذى طرحه «دوب»[1] وهو تطبيق تجربة الثبات بين الباحث ونفسه باعادة تطبيق نفس الفئات على ذات الموضوع أو المادة المحللة بعد انقضاء فترة زمنية بنفس الباحث .

* ● *

(١) Doob L.W., « Public Opinion and Propaganda, H., Holt, New York, 1948, P. 303.

القسم الثانى

قيم التنشئة الاجتماعية فى قصص وحكايات الأطفال

بعض الاستنتاجات

يعرض هذا القسم للنتائج العامة التى توصلت اليها الرسالة ، والتى جاءت فى صلب الرسالة تفصيلا ، مؤيدة بالتحليل الاحصائى لمضمون القصص والحكايات أو المشاهدات الواقعية • واستنادا الى ذلك نتناول نتائج البحث من خلال ثلاثة أبعاد رئيسية :

أولا : النتائج المتعلقة بفروض الدراسة •

ثانيا : أهم نتائج الدراسة •

ثالثا : توصيات وقضايا للبحث •

أولا — النتائج المتعلقة بفروض الدراسة

استعرض كل فصل من فصول الرسالة البيانات والنتائج المتعلقة بهذه الفروض ، عن طريق الاستشهاد بالتحليلات الاحصائية لتحليل مضمون القصص والحكايات ، أو باستخدام المعطيات الميدانية التى تم الحصول عليها عن طريق الملاحظة • ويقدم هذا الجزء نظرة عامة على بعض النتائج المتعلقة بهذه الفروض •

الفرض الأول :

ان هناك علاقة بين المستوى الاجتماعى الاقتصادى لأبوى الطفل وبين عدد مصادر القصص والحكايات التى يتعرض لها •

فيما يتعلق بالفرض الاول اتضح من خلال الدراسة مجموعة الملاحظات الاساسية التالية :

١ — بروز الدور الذى تلعبه قصص وحكايات الاطفال عموما

من خلال عملية التنشئة الاجتماعية فى تشكيل القيـم المختلفة ، فهى تلعب دورها البارز بالنسبة لتعريف الطفل بمنظومات القيم الاخلاقية والدينية والسياسية والوطنية والأسرية والجماعية والاقتصادية وذلك لكونها الوسيلة التى تؤثر من خلال الطبيعة العاطفية على شخصية الطفل فى هذه المرحلة .

٢ ــ أننا نجد أن أطفال الريف أقل حظا من حيث تعريضهم خلال تنشئتهم لتأثير القصص والحكايات ، فهـم يعـدون مصـدرا للدخل الاقتصادى بالنسبة لأسرهم ، وهو الأمر الذى يخفض مساحة وقت الفراغ لديهم ، ولأنهم بحكم انخفاض المستوى الاقتصادى وتخلف الريف عن الحضر يقل عدد مصادر القصص والحكايات التى يطلعون عليها ، فيقل تداول المجلات والصحف والروايات بينهم لاقتصار هذه الموضوعات غالبا على المدينة ولأن اقتصاديات الطفل الريفى لا تستطيع مجاراتها . هذا الى جانب أن سماع الحكايات من الجدات والأجداد وكبر السن قد انخفض فى الفترة الاخيرة لاتجاه معظم الأسر الريفية الى نمط الأسر النووية التى يغيب عنها كبار السن المستعدون لأداء هذا الدور .

٣ ــ أن آباء الحضر من الطبقة الوسطى الحضرية ، وبعض آباء الطبقة الوسطى الريفيـة يتعرض أطفالهم لمصـادر أكثر من مصادر القصص والحكايات ، فهم يتعرضون للقصة أو الحكاية المقروءة فى الصحف والمجلات أو المشاهدة فى التليفزيون . هذا الى جانب أن آباء الطبقة الوسـطى الحضرية على وعى بالدور الذى تلعبـه القصص والحكايات فى عملية التنشئة ويمتلكون القدرة على ذلك ، ومن ثم نجدهم هم الذين ينظمون قراءة أولادهم للقصص والحكايات .

٤ ــ فى مقابل ذلك نجد أن الطفل الريفى لا يقرأ سوى القصص

المتاحة فى المكتبة المدرسية ، وهى بالطبع قديمة ومستهلكة ، كما أنها ذات موضوعات لا تلائم المحيط الاجتماعى والثقافى للطفل ٠

الفرض الثانى :

هناك علاقة بين طبيعة السياق الاجتماعى (ريفى — حضرى) وبين طبيعة وأنماط القيم التى توجه الطفل من مختلف المصادر ٠

واستنادا الى الفرض الثانى كشفت الدراسة الميدانية عن عدة حقائق أساسية فى هذا الصدد :

١ — من هذه الحقـائق أنه برغم انخفاض مصـادر الحكايات والقصص فى السياق الريفى الا أننا نجـد أن طبيعة القيم وأنماطها التى تقدمها للطفل تتنوع الى حد كبير ، حيث نجد أن غالبية القصص الواردة فى القصص والحكـايات المسموعة والتى سـمعها الطفل من الكبار ، وكذلك الموضوعات التى تدور حولها القصص ذات صلة فى الغالب بموضوعات وقيم السياق الريفى المحيط ، بينما يختلف الامر الى حد ما بالنسبة للقصص والحكايات المشاهدة أو المقروءة حيث نجد بعضها فقط يتصل بالسياق الريفى ، بينما نجد أن قدرا كبيرا من هذه القصص والحكايات يتصل أساسا بالسياق الحضرى من حيث القيم والموضوعات التى تدور حولها هذه القيم فى القصص والحكايات التى يشاهدها الطفل فى التليفزيون لا تختـلف عن نظائرها التى يسمعها الطفل من الراديو ، ولا تختلف القصص المشاهدة أو المسموعة عن تلك التى يقرأها الطفـل فى الصحف والمجـلات أو حتى القصص المؤلفة والمنشورة ٠

٢ — يعنى ذلك أن الطفل الريفى أقل حظا من الطفل الحضرى . فالى جانب أن الطفل الحضرى يتعـرض لمصادر كثـيرة من القصص

والحكايات الشعبية ، وهو ما يعنى التعرض المكثف لقيم التنشئة من هذه المصادر ، فاننا نجد أن الموضوعات والشخصيات والكائنات التى تعرض لها هذه القصص يشاهدها ويعايشها الطفل عادة فى سياقه الاجتماعى • وهو الامر الذى يعمق هذه القيم فى ذاته ، ومن ثم يشب أكثر اتساقا مع مجتمعه المعاصر مستعدا لاستيعاب قيمه •

بينما يعانى الطفل الريفى — الى جانب قلة المصادر — من تنوع القيم والموضوعات ، فبعضها يتصل بسياقه الريفى ، بينما يتصل الآخر بقيم المدينة ، وهو الامر الذى يجعله أقل ارتباطا بسياقه الاجتماعى وقيم قريته •

الفرض الثالث :

هناك علاقة بين مهنة الأب وبين طبيعة وأنماط القيم التى يستوعبها الطفل من مختلف المصادر •

أوضحت المؤشرات الاحصائية أن قيمة العمل وتحمل المسئولية حظيت بأعلى معدل احصائى عند أطفال قرية كفر محفوظ ، وأكدت على وجود علاقة احصائية دالة بين مهنة الأب وبين القيم الاخلاقية فى مجتمع القرية • كما برزت قيمة العبادة كأحد القيم الدينية وعلاقتها بمهنة الأب وذلك يدفعنا الى استخلاص بعض الحقائق المتصلة بتأكيد مضمون الفرض الثالث :

١ — اتضح أن القيم ذات الصلة بطبيعة النشاط الاقتصادى تأتى فى المقدمة ، حيث يدرك الاطفال مبكرا معانى وأهمية قيم مثل قيم العمل وتحمل المسئولية • وذلك لأن المجتمع يعتمد عليهم ويفرض عليهم الأدوار الانتاجية مبكرا • على حين نجد أن هذه القيم تتأخر كثيرا فى السياق الحضرى نظرا لطول فترة التنشئة الاجتماعية فى

السياق الحضرى وبالتالى تأخر سن تحمل المسئولية ، والقيام بأدوار العمل فى المجتمع . هذا الى جانب بروز الاهتمام بقيم مرفوضة مثل الباطل . حيث الظلم والباطل قيم ومعانى راسخة فى أعماق الوعى الريفى .

٢ – هناك علاقة بين مهنة الأب فى السياق الحضرى من ناحية وبين تنوع مصادر التنشئة الاجتماعية من ناحية أخرى وهو الامر الذى ينعكس فى التنوع الهائل فى القيم التى تشكل مضمون التنشئة من خلال قصص وحكايات الاطفال ، وهى مسألة منطقية حيث أن تعدد المصادر يؤدى الى تعرف الطفل على أنماط كثيرة من القيم ، ولذلك تتزايد لدى الطفل الحضرى المعرفة بقدر كبير من القيم السياسية والوطنية الى جانب المعرفة الكافية بأنماط القيم الأخرى .

٣ – من الواضح أن امتهان الأم لمهنة يساعد كثيرا على تعدد مصادر التنشئة الاجتماعية ، ومن ثم تعدد أنماط القيم التى يتعرف عليها الطفل . وربما يرجع ذلك الى أن عمل المرأة الحضرية يساعد على زيادة دخل الأسرة ، مما ييسر زيادة عدد مصادر التنشئة عن طريق القصص والحكايات .

الفرض الرابع :

هناك علاقة بين المستوى التعليمى للأبوين من ناحية وبين طبيعة وأنماط القيم التى توجه الى الطفل من مختلف المصادر .

استنادا لما أبرزته الدراسة الميدانية فيما يتعلق بالفرض السابق، تبرز أمامنا مجموعة الحقائق التالية :

١ – يلعب المستوى التعليمى دورا أساسيا فى تحديد عدد مصادر التنشئة الاجتماعية للطفل من خلال القصص والحكايات . فقد وجد

مثلا أن هناك علاقة بين مستوى أمية الأبوين الريفيين وبين افتقار مصادر التنشئة الاجتماعية من خلال القصص والحكايات سواء تلك التى يسمعها من أعضاء الأسرة أو تلك التى يرويها أصدقاء الطفل ، هذا الى جانب القراءة مما هو متوفر فى المكتبة المدرسية ، وهو محدود • كما أوضحت الدراسة محدودية الاتصال بالتليفزيون لمشاهدة بعض القصص والحكايات ، اما لمحدودية الوقت ، أو لأن الجهاز غير موجود أصلا عند الأسرة ، وهكذا تأكد وجود علاقة بين الأمية والدخل الاقتصادى المتاح والملائم للانفاق على هذه الاجهزة • وبالطبع فان محدودية المصادر سوف يؤدى الى محدودية أنماط القيم •

٢ ـ على خلاف ذلك نجد أنه كلما ارتفع المستوى التعليمى للأبوين فى الحضر كلما تنوعت وتعددت أنماط القيم التى توجه الى الطفل • ويرجع ذلك الى أن الأبوين يعرفان عادة المصادر المفيدة للتنشئة من خلال القصص والحكايات ، بل ويعملان على تعريض طفلهما لهذه المصادر عن قصد وتعمد ، وذلك بهدف اكتساب الطفل لمجموعة معينة من القيم والمعانى التى تساعده فى النمو الاخلاقى والثقافى •

ومما لا شك فيه أن الأبوين اللذين حققا مستوى تعليميا عاليا فى الريف تتعدد لديهم أيضا مصادر القصص والحكايات ، اضافة الى وجود قدر من القصد والتعمد فى تعريض الطفل لها ، ولو أن ذلك يحدث بدرجة أقل مما يحدث لدى الآباء الحضريين • ويرجع ذلك بطبيعة الحال الى تأثير السياق المحلى ، ومدى توفر المصادر فيه ، كما يرجع الى درجة التأكيد والاهتمام بضرورة تعريض الطفل لهذه المصادر •

الفرض الخامس :

ان هناك علاقة بين بعض المتغيرات من ناحية السياق الاجتماعى

(ريفى ـ حضرى) والمستوى الاجتماعى الاقتصادى (التعليم ومهنة الأبوين) وبين تعدد مصادر القصص والحكايات

قدمت الدراسة الميدانية مجموعة من الحقائق فيما يتعلق بصدق هذا الفرض ، نذكر من هذه الحقائق ما يلى :

١ ــ بالنسبة لمتغير السياق الريفى الحضرى نجد أن هناك تباينا بين الريف والحضر فيما يتعلق بتعدد مصادر التنشئة الاجتماعية سواء القصص والحكايات المروية أو القصص والحكايات المقروءة ، أو المشاهدة أو المسموعة • ويرجع انخفاض المصادر فى الريف من ناحية الى انخفاض مستويات الدخول ، ومن ثم العجز عن امتلاك مصادر معينة • أو قد يرجع من ناحية ثانية الى عدم اعتياد التعامل مع مصادر معينة ، كما هو الحال فى عدم اعتياد أطفال الريف أو الطفل الريفى قراءة القصص والحكايات من المجلات والجرائد بصورة منظمة •

على خلاف ذلك نجد أن السياق الحضرى يشهد تعددا لمصادر التنشئة الاجتماعية من خلال القصص والحكايات • فالى جانب الرواية الشفوية كمصدر ، هناك وفرة فى أجهزة التليفزيون والاذاعة مما يجعلها مصدرا بارزا ، كذلك تتوفر المجلات والجرائد والقصص المؤلفة كمصادر أخرى • ويرجع ذلك من ناحية لارتفاع مستويات الدخول الحضرية عن الريفية ، خاصة دخول الشرائح المتوسطة ، الى جانب ارتفاع المستوى التعليمى لآباء المدينة ، اضافة الى توفر المصادر ذاتها بصورة ميسرة •

٢ ــ وفيما يتعلق بمتغير المستوى الاجتماعى الاقتصادى ، نجد أنه كلما ارتفعنا فى السلم الاجتماعى الاقتصادى كلما تعددت مصادر التنشئة من خلال القصص والحكايات • اذ نجد مثلا أن أبناء الطبقة

الدنيا أقل من الطبقى الوسطى ، بينما الطبقة العليا أكثرهم من حيث التعرض للحكايات ويرجع ذلك الى توفر متغيرات مجتمعة كالتعليم ، والمستوى الاقتصادى ، والوعى بضرورة التنشئة المقصودة والمتعمدة وفق قيم معينة . نلاحظ فى هذا الاطار تخلف الطبقات الريفية عن الطبقات الحضرية من حيث تعدد المصادر .

٣ ـ اتضح بالنسبة لمتغيرات التعليم والمهنة ، أن الأمية ، أو مهنة الزراعة من ناحية تؤدى الى انخفاض عدد مصادر التنشئة من خلال القصص والحكايات ، خاصة اذا أضيف اليها الدخل الاقتصادى المنخفض كما هو الحال فى السياق الريفى . على عكس ذلك فاننا نلاحظ حسبما أوضحت نتائج الدراسة أن ارتفاع المستوى التعليمى واحتلال مكانة مهنية عليا ، وامتهان الأبوين لمهن خارج المنزل كان من العوامل أو المتغيرات ذات الصلة بتعدد مصادر التنشئة من خلال القصص والحكايات وذلك لأن التعليم والتفاعل مع العالم الخارجى من شأنه زيادة الوعى بضرورة تربية الاطفال وفقا لمعايير معينة ، وهى الحالة التى ييسرها التعليم والاشتغال بمهنة معينة بالنسبة للأبوين .

الفرض السادس :

هناك علاقة بين طبيعة التوجه الايديولوجى الذى يسود مجتمعا فى مرحلة معينة وبين مضمون القيم الذى تجده فى الحكايات والقصص المتعلقة بالاطفال فى هذه المرحلة .

وقد حاولت الباحثة لقياس مدى صدق هذا الفرض اعتبار ادراك الطفل لبعض الأحداث العامة بالمعنى الذى يريده المجتمع دلالة على فاعلية التوجه الايديولوجى المجتمع فى غرس مضمون قيمى معين فى الأطفال من خلال القصص والحكايات كوسائل للتنشئة الاجتماعية .

ويمكن أن نقدم بعض المعطيات التى تساعد فى القاء الضوء على هذا الفرض :

١ ــ فمن ناحية وجد أن لدى الاطفال معــرفة مسبقة بالمعانى المستخلصة من بعض الاهداف وهى المعانى التى تعكس توجهات المجتمع الايديولوجية نحو هذه الاحداث • فعند النظر الى الحرب باعتبارها تشكل انتصارا واضحا على الاعداء ، بدا واضحا أن الاطفال الحضريين كانوا متقدمين على الاطفال الريفيين فى هذا الصدد • كما أشرنا بصورة أساسية لتعدد مصادر لتنشئة الاجتماعية من خلال القصص والحكايات على النحو السابق •

٢ ــ لوحظ أن الاطفال لديهم اقتناع ببعض القيم التى روج لها الاعلام الرسمى خلال هذه المرحلة ، مثــل القيم المتعلقة بالايمان والعلم ، والقيم المتعلقة بالنظافة وضرورة الوقاية من الامراض ، وتلك المرتبطة بالانتاج وزيادة الانتاج • حيث نجد أن غالبية الاطفال خاصة الذين تعرضوا للقصص المشاهدة والمقــروءة على وعى كامل بهــذه القيم والمعانى الى حد كبير ، وهى المعانى التى يسعى الاعلام الرسمى خدمة لأيديولوجية المجتمع وتوجهاته الى تعميقها فى الجمهور الاعلامى•

٣ ــ لوحظ أن ادراك المعــانى والقيــم الايديولوجية من خلال القصص والحكايات بالنظر الى ثلاثة أبعاد : الاول تعدد المصادر ، فكلما كانت المصادر أكثر عددا كلما كانت المعانى والقيم الايديولوجية لدى الطفل أكثر وضوحا • الثانى : كلما كان الاطفال أكبر سنا كلما توفرت لديهــم درجة أعلى من ادراك هذه القيم والمعــانى أكثر من الاطفال الصغار • الثالث أن السياق الحضرى يتقدم أيضا على السياق الريفى ، حيث كان لدى أطفــال الحضر ادراك أعلى للمعانى والقيم الايديولوجية المختلفة بدرجة تفوق أطفال الريف • ويرجع ذلك الى مجموعة من العوامل والظروف التى أشرنا اليها من قبل •

الفرض السابع :

أن هناك علاقة بين عدد المصادر والحكايات وبين تنوع القيم التى يستوعبها الطفل من هذه المصادر بالاضافة الى تنـــوع المجالات التى تغطيها هذه القيم •

تم من خلال الدراسة الميدانية التوصل الى بعض النتائج التى تلقى الضوء على هذا الفرض :

١ ـــ اتضح أن هناك علاقة واضحة بين تعدد المصادر التى يتعرف من خلالها الطفل على القصص والحكايات ، وعدد أنمـــاط القيم التى يستوعبها الطفل أو يتعرف عليها • حيث وجد أنه كلما تعرض الطفل لعدد أكبر من المصادر كلما تعرف على عدد أكبر من القيـــم ، وكلما ثبتت لديه هذه القيم ، ربما عمل وفقا لها • وارتباطا بذلك نجد أن الريف أقل من الحضر من حيث عدد المصادر التى تتاح لأطفاله ، وهو الامر الذى ينعكس على انخفاض أنماط القيم التى يتعرف عليها الطفل من خلال القصص والحكايات كمصـــدر للتنشـــئة ، وان كان بامكان الطفل أن يتعرف على هذه الانماط من مصادر أخرى متاحة فى المجتمع، ويتصل بذلك أيضا ارتفاع عدد المصادر فى الطبقات الوسطى والعليا على نحو يفوق عدد المصادر المتاحة للطبقات الدنيا ، وهو الامر الذى ينعكس أيضا فى عدد أنمـــاط القيم التى يتعـــرف عليهـــا الطفل من القصص والحكايات • وان كان بامكان أبناء الشرائح الدنيا التعرف على أنماط القيم هذه من مصادر أخرى يوفرها المجتمع •

٢ ـــ من الملاحظ كذلك أن هناك علاقة بين تنوع مصادر القصص والحكايات ، وبين امتلاك الطفل لرصيد من القيم الذى ينظم سلوكياته فى مجالات اجتماعية عديدة ، ومن هنا فان تميز الطفل الحضرى من حيث عدد المصادر المتاحة له ، يجعل رصيد القيم الذى لديه يغطى

مجالات كثيرة كالمجالات الاخلاقية والدينية ، والأسرية والجماعية ، والاقتصادية ، والسياسية والوطنية بينما تغيب بعض المفاهيم القيمية عن الطفل الريفى ، أو يكون قد تعرف عليها من مصادر أخرى غير القصص والحكايات • وسوف نجد أن الطبقات الدنيا فى الريف هى الأقل حظا من حيث رصيد القيم التى لديها من خلال القصص والحكايات كمصدر ، وذلك لانخفاض عدد المصادر المتاحة لهذه الطبقة بحكم ظروفها •

فمن السهل للغاية مثلا أن يتعرف الطفل الحضرى على أعلام الدول ، وعلى الشخصيات التاريخية والوطنية البارزة فى المجال السياسى أكثر من الطفل الريفى • وان كانت هناك بعض المجالات التى نجد تقاربا فيها بين أطفال الريف والحضر كالأفكار المتعلقة بالأسرة والدين والاخلاق ، وباتفاقهم على أنهم حصلوا على غالبية هذه القيم من القصص والحكايات المروية أو المسموعة أو المشاهدة •

الفرض الثامن :

هناك احتمالية أن يستوعب الطفل الريفى قيما أقل من حيث القدر والتنوع اذا ما قارناه بالطفل الحضرى وذلك لتعرض الأخير لعدد أكبر من مصادر القصص والحكايات •

وقد أبرزت الدراسة فيما يتعلق بهذا الفرض مجموعة الملاحظات التالية :

١ ــ أن الطفل الريفى كان أقل حظا من الطفل الحضرى من حيث القيم والمعانى التى حصل عليها من القصص والحكايات وذلك على نحو ما أشرنا • وان كان قد لوحظ أن الطفل الريفى أكثر مشاهدة للتليفزيون من الطفل الحضرى ، غير أن مشاهدته ينقصها بعدان : الأول الانتظام ، فعلى عكس الطفل الحضرى الذى يشاهد التليفزيون

فى أوقات معينة ومحددة يحددها له الأبوان ، نجد أن الطفل الريفى يشاهده فى أى وقت ، وبصورة غير مقصودة أو متعمدة ، ويقلل ذلك بالطبع من فاعلية الجهاز كمصدر للتنشئة الاجتماعية من خلال القصص والحكايات فى السياق الريفى • ونجد من ناحية ثانية أن عـــدد الأسر التى تمتلك أجهزة تليفزيون فى الريف أقل من المعدلات الحضرية ، وهو الأمر الذى يعنى أن فاعلية قصص وحكايات التليفزيون مقصورة على عدد محدود من الأسر •

٢ ـ اتضح أن هناك تعويضا حدث للطفل الريفى تمثل فى ارتفاع القصـــص والحكايات المروية شـــفاهة كمصدر من مصـــادر التنشئة الاجتماعية اذا قارناه بالطفل الحضرى ، ومع ذلك فقد أمكن رصد بعض التغيرات على هذا المصدر • فسرعة الحياة فى الريف الآن لم تعد تترك الوقت الكافى لكبار السن لكى يجلسوا الى جانب أطفالهم أو صغارهم كما كان فى الماضى لقص الحكايات والقصص • هذا الى جانب اتجـاه الأسرة الريفية فى عمومها الى أن تصبح أسرة نووية • ومن شأن الأسرة النووية أن الأبوين يكونا مشغولين خلال اليوم مما يخلق لديهم وقتا محددا لتنشئة أطفالهم من خلال قص القصص والحكايات لهم ، هـــذا الى جانب أن الادوات الحديثة مثل التليفزيون مثلا ـ قللت من التفاعل بين أفراد الأسرة وبعضهم البعض •

٣ ـ استنتاجا من ذلك نجد أن الطفل الحضرى تفوق الى حـــد كبير وامتلك الظروف والمصادر الملائمة اذا قارناه بالطفل الريفى فلديه مصادر للحكايات مروية شفويا أو مشاهدة فى التليفزيون أو الاذاعة أو مؤلفة يستطيع الحصول عليها من أى مكان فى المدينـــة أو يطالعها والداه ولكن بها بعض القصص والحكايات الموجهة اليه بصفة خاصة •

الفرض التاسع :

من المتوقع أن تكون القصص الشعبية التى يحكيها الأبوان أكثر

بروزا كمصادر للقيم فى السياق الريفى عنها فى السياق الحضرى وعند الأسر ذات المستوى التعليمى الأدنى منها عن الأسر ذات المستوى التعليمى المرتفع ٠

وارتباطا بالفرض السابق تتبدى لنا مجموعة من الحقائق التى نتعرض لها فيما يلى :

١ — اتضح من الدراسة أن القصص والحكايات الشعبية المروية فى الريف هى التى تلعب الدور الرئيسى فى التنشئة الاجتماعية من خلال هذا المصدر أو ذاك لسبب ضعف المصادر الأخرى كما أشرنا لأسباب كثيرة قد يرجع بعضها الى عزلة القرية ، وقد يرجع البعض الآخر الى ضعف المصادر المكتوبة فى مكتبة المدرسة على نحو ما أشرنا٠ غير أن أهمية الحكايات والقصص المروية ترجع أساسا لأن كبار السن عموما موجودين فى القرية فى اطار العلاقات الممتدة أو الجماعات القرابية الأخرى ، وهم الذين يقومون بهذا الدور ، وهو دور غائب فى الغالب عن الأسرة فى الحضر ، من ثم نجد أنه فى مقابل دور الحكاية والقصة المروية فى القرية ، نجد ضعفا واضحا لها فى الحضر ٠ ويرجع ذلك أيضا الى أمية الأبوين الريفيين وعدم انتشار التكنولوجيا الحديثة كالتليفزيون فى الريف بصورة كافية ٠

٢ — أننا نجد أن القصص والحكايات المروية تدور كلها حول مجموعة من قصص التراث مثل قصص : (جحا وحماره) (عفريت الساقية) (أمنا الغولة) (الشاطر حسن) (ذات الرداء الاحمر) (ست الحسن والجمال) (الجحش والثعبان) (العنزة) حيث نجد أن هذه القصص تعكس عموما الثقافة الريفية فاما أنها تتعلق بالجانب الغيبى غير المرئى ، وهو العنصر الذى يمثل بعدا بارزا فى الثقافة الريفية ، أو أنها تتعلق بحيوانات كالعنزة ، والجحش ،

والثعبان ، والحمار أو أدوات زراعية كالساقية • أى أن القصة المروية تتصل مباشرة فى العادة بسياقها الاجتماعى • ويعنى ذلك أن القصص والحكايات الشعبية فى الريف ، خاصة المروية ، لا تلعب دورا فى التغيير والتطوير بقدر ما تلعب دورها فى الحفاظ على مجموعة القيم السائدة أو القائمة فى المجتمع •

٣ — على عكس ذلك نجد أن القصص الحضرية تبتعد عن القصص التراثية المروية مثل قصص (الفضاء) (الشارة الحمراء) (طريق الغابة) (سيدنا سليمان) (البطة السوداء) (فيلم العار) (توم وجيرى) وكلها قصص مشاهدة أو مقروءة ، وهى عادة ما تعكس اما القيم المتصلة بالاكتشافات الحديثة ، أو القيم المتغيرة فى المجتمع ، أو مجرد التسلية • ومن ثم نستطيع القول أن القصص والحكايات فى السياق الحضرى تتصل الى حد كبير بالواقع المتغير وتعمل على تجسيده بقدر كبير ، هذا الى أن نمط القصص تقدمه التكنولوجيا الحديثة ، وليس الأبوين على خلاف الأسر الريفية •

الفرض العاشر :

أن هناك تباينا بين طبيعة وأنماط القيم الكامنة فى المصادر التقليدية أو الشعبية من ناحية ، وبين ما تحاول أجهزة الاعلام غرسه فى النشء من ناحية أخرى •

فاذا عرضنا لمجموعة المعطيات المتصلة بالفرض السابق سوف نلاحظ الحقائق التالية :

١ — لعل أبرز هذه الحقائق الاختلاف فى طبيعة القيم المتضمنة فى القصص والحكايات الريفية • فقد أكدت البيانات التى جمعت من كفر محفوظ أن أغلبية القيم تدور حول ابراز قيم الخير ، والشجاعة ، وتحمل المسئولية ، والعمل ، والعبادة ، والصلاة ، والجد ، والتعاون ،

والرحمة ، والمساعدة • فاذا تأملنا هذه القيـم فسوف نلاحظ غلبة الطابع الاخلاقي والديني ، ويكون من المنطقي أن تحدث تأكيدا وتركيزا على القيم الدينية والاخلاقية التي تربط الانسان بغيره بصورة عامة، وتدخل في اطار القيم المنظمة لعلاقات البشر ببعضهم البعض • هذا الى جانب مجموعة القيم المتصلة بطبيعة الحياة الريفية كالعمل والانتاج وما الى ذلك وتتأخر كثيرا قيم الوطن • والسبب : قد يكـون غيابها في القصص المروية فقط •

٢ ــ على خلاف ذلك نجد مجموعة أخرى من القيم التي تسود السياق الحضري من خلال الوسائل المختلفة • حيث تتردد قيم الانتاج والبطالة ، والاستهلاك ، والادخار ، والأمانة ، والغش ، والرشوة ، والفداء ، والاستشهاد ، والخيانة ، والتعاون ، والمنافسة ، والتضامن • وسبب هذا أن الاطفال الحضريين يتعرضون لفاعلية القصص المقروءة والمشاهدة ، وهي مصـادر من شـأنها أن تؤكد أيديولوجيا المجتمع وتوجهاته الاساسية • ومن بين هذه التوجهات التأكيد على قيم الوطن والمواطنة اضافة الى القيـم المتصلة بالجمـاعة كالمنافسة والتعـاون والأنانية وكلها تدخل في اطار القيم الأخلاقية • ولكن القيم الاخلاقية الحضرية تختلف عن الاخلاقية الريفية بصورة واضحة •

٣ ــ اذا تأملنا القيم التي تتضمنها القصص والحكايات التي تم جمعها فسوف نجد أن القيم الحضرية تميزت بالطابع الايجابي والسلبي، أي أن القصص والحكايات تعرضت لنمط القيم كما أوردنا • أما بالنسبة للقصص والحكايات الريفية فقد وجدنا أن غالبيتها يتعرض للجوانب الايجابية بصورة واضحة ، وهو الأمر الذي يعني وجود قدر كبير من التنوع في قيـم القصص والحكـايات الحضرية اذا قارناها بالقيم الريفية •

الفرض الحادى عشر :

أن هناك علاقة بين تفاوت مصادر القصص والحكايات من حيث طبيعة وأنماط القيم التى تقدمها وبين متغيرات المستوى الاجتماعى والاقتصادى والتعليم ، والسياق الاجتماعى (ريفى - حضرى) و (مهنة الأبوين) وغير ذلك من المتغيرات .

ومن خلال البيانات الاحصائية ومن الدراسة الميدانية تبرز حول الفرض السابق مجموعة الحقائق التالية :

١ - كشفت الدراسة الاحصائية للقيم المتعلقة بالأسرة كما أوضح تحليل بيانات الدراسة الميدانية أن الأسرة الريفية تؤكد على قيم العمل وتحمل المسئولية ، والشرف كقيمة أساسية ، وينعكس ذلك فى المستويات الأدنى ، حيث تحاول المستويات المتوسطة غرس قيم الخير ، والطاعة ، والاحترام ، والتضامن ، والحق ، والرحمة .

٢ - كانت قيمة العمل من أبرز القيم التى أكدت عليها الأسر التى تنتمى للطبقة الدنيا أكثر من الوسطى ، وكان هناك تركيزا على قيمة التعليم فى اطار التنشئة الحضرية وبدرجة أقل فى اطار التنشئة الريفية ، وكان التركيز عليها فى الطبقة العليا أكثر من الطبقة الوسطى .

٣ - كانت قيمة المساواة وخاصة المساواة فى المعاملة بين الأبناء أكثر بروزا فى المدينة عنها فى الريف ، وبين الطبقة الوسطى أكثر من الدنيا ، كما كانت قيم العدل والعدالة بين الاطفال تتضح فى الطبقة الوسطى أكثر من الدنيا وقيمة احترام الكبير والعطف على الصغير اكثر بروزا فى اطار التنشئة الريفية عنها فى اطار التنشئة الحضرية التى أصبح يحل محلها النذالة بين الجميع وهو الامر الذى يعنى فاعلية متغير التعليم ، والطبقة الاجتماعية (المستوى الاجتماعى

الاقتصادى) ومهنة الأبوين ، فى تحديد طبيعة ونمط مصدر القصص والحكايات التى يستوعبها الطفل من خلال القيم . هذا الى جانب كونها تحدد هذه المصادر التى يحصل من خلالها الطفل على قيمه .

ثانيا ـ أهم نتائج الدراسة

نعرض فى الصفحات التالية أهم نتائج الدراسة بصورة عامة بعد أن عرضت تفصيلا فى فصول الرسالة ، وقبل أن نعرض لهذه النتائج نرى ضرورة استعراض مجموعة الأبعاد التالية فيما يتعلق بالتنشئة الاجتماعية :

١ ـ يتمثل البعد الأول فى ادراكنا أن مجتمعنا المصرى بسياقاته المتنوعة هو مجتمع متغير الى حد كبير ، وفى هذا الاطار يؤكد المفكرون أن التنشئة الاجتماعية لها عدة وظائف فى هذا السياق ، فهى تعمل على أن يستوعب الطفل معايير المجتمع الاساسية من ناحية ، الى جانب أنها تؤكد على تكيف الفرد مع المجتمع أثناء عملية التغيير من ناحية أخرى ، فضلا عن كون التنشئة تزود الفرد بمجموعة من الافكار والقيم والمعايير الجديدة التى تيسر له التكيف مع الاوضاع الجديدة والمتغيرة .

٢ ـ البعد الثانى ويتمثل فى ادراك الآباء ـ وهم القائمون على التنشئة الاجتماعية ـ أن التنشئة الاجتماعية التى كبروا فى ظلها تختلف عن التنشئة التى ينبغى أن ينشأ الأبناء فى ظلها ، فالأولى تعكس قيم وأفكار وتقاليد الآباء ، أما الثانية تعكس الى حد كبير الاوضاع الجديدة المتغيرة . هذا الى جانب أن هناك اتجاها عاما لدى الآباء التأكيد على ضرورة أن ينشأ الأبناء فى ظل ظروف أفضل من تنشئة الآباء . وينعكس ذلك فى المدينة أكثر من الريف حيث القيم الأبوية التسلطية فى تنشئة الأبناء . ويتضح ذلك فى الطبقة الدنيا أكثر من الوسطى .

٣ — ويشير البعد الثالث الى ادراك الآباء لتنوع مصادر التنشئة الاجتماعية وأن لها مصادر أخرى غير الأسرة التى يمثلونها ، بل أننا نشاهد أحيانا صراع مصادر التنشئة كأن ينتقى الآباء ما يعرض فى التليفزيون أو يشاهده الاطفال ؛ وهو الامر الذى يعطى مزيدا من يقظة الأسرة فى عملية التنشئة . وقد توفر هذا الادراك بدرجة أكثر فى أسر التنشئة الحضرية ، وان لم يغب عن أسر التنشئة الريفية التى يرتفع فيها مستوى تعليم الأبوين .

٤ — ويتعلق البعد الرابع بأن الآباء وخاصة الحضريين يمارسون ما يمكن أن نسميه بالتنشئة الانتقائية حيث يحاولون تجنيب أبنائهم التعرض لبعض مصادر التنشئة ، أو على الاقل تنظيم هذا التعرض . بينما غاب هذا البعد الى حد كبير عن أسر السياق الريفى .

٥ — يؤكد البعد الخامس على أن هناك اختلافا بين الآباء والأبناء فيما يتعلق بالتنشئة الاجتماعية بالنظر الى متغيرات السن ، والمستوى التعليمى للأبوين ، والمستوى الاجتماعى للأسرة ، وطبيعة السياق الاجتماعى الذى تنتمى اليه الأسرة الى جانب الظروف السكنية والاجتماعية العامة التى ينبغى أن تؤخذ فى الاعتبار ، وهى الاختلافات التى أكدتها الملاحظة الميدانية والمعطيات التى توفرت عن دراسة الحالة، والنتائج التى تكشفت عن استمارة تحليل المضمون .

استنادا الى مجموعة الابعاد السابقة والى ما أكدته الدراسة الميدانية والنتائج الاحصائية التى توفرت ، يمكننا أن نشير الى مجموعة النتائج التالية فيما يتعلق بموضوع الدراسة ، وهى على النحو التالى:

١ — أظهرت الدراسة اختلافا بين أساليب التنشئة التى تعرض لها الآباء وأساليب التنشئة التى تعرض لهـا الأبناء ، كما أوضحت اختلافا بين مضمون التنشئة كما تمت فى الماضى ومضمون التنشئة

الحالى أو المعاصر مع الابناء ، وكذلك لوحظ اختلاف بين آباء وأمهات العينة فيما يتعلق بدور مختلف أساليب التنشئة وفيما يتعلق بطبيعة ومضمون التنشئة الاجتماعية .

وقد دارت الاختلافات حول مجموعة من القيم نذكر منها الاحساس بالمسئولية والمساواة بين الجنسين ، والنظرة الى التعليم ، وتقدير العمل .

٢ — بالنظر الى حقيقة الحياة الأسرية التى يعيش فى اطارها الطفل ودرجة تعرضه للقيم والمعايير السائدة أن ايجابا أو سلبا ، ومن البيانات المتوفرة عن طبيعة الحياة الأسرية ، ومدى تسلط أحد الوالدين خاصة الأب ، ومدى تبعية الآخر (الأم) واعتمادها ، فمن الطبيعى أن تؤثر الحياة الأسرية على بعض القيم التى يستوعبها الطفل كالقيم المتعلقة بالتسلط أو التعاون ، أو المساواة ، وما الى ذلك .

٣ — هناك تركيز على القيم المتعلقة بالتعليم خاصة فى إطار التنشئة الحضرية ، وكذلك الريفية وان كان بدرجة أقل حيث أن الطبقة الوسطى أكثر من الدنيا تأكيدا على هذا الجانب ، وذلك باعتبار أن التعليم هو القناة التى يحتل من خلالها مكانته الاجتماعية . ومازال للتعليم الجامعى بالذات مكانته فى التنشئة الاجتماعية ، وخاصة بين أسر العينة الحضرية . كذلك يعتبر التعليم وسيلة الحراك الاجتماعى الى أعلى من وجهة نظر هذه الطبقة .

٤ — تتحقق المساواة فى معاملة الابناء فى المدينة بدرجة أكثر من الريف ، وبين أسر الطبقة الوسطى أكثر من الدنيا ويرتبط ذلك بمدى الفروق فى تعليم الوالدين والمستوى الاقتصادى والاجتماعى للاسر ، فالأمهات الأصغر سنا هن اللاتى يعدلن بين أولادهن وهم الأرقى

تعليما ، فارتفاع قيمة الابن الذكر عن الابنة فى الريف بين الأسر الفقيرة والقليلة الدخل يرجع الى أن الابن له قيمة اقتصادية منذ صغره .

٥ ــ كشفت لنا الدراسة أن أساليب العقاب المتبعة هى الضرب ، وهو أسلوب التقويم الأكثر شيوعا فى المجتمع . وتلجأ بعض الأسر فى الطبقات الدنيا الى طرد الابن من المنزل وهناك بعض الأسر تنفرد فيها الأم بالعقاب والبعض الآخر يؤجل العقاب حتى يحضر الأب .

أما أسر الطبقة الوسطى فتلجأ الى التهديد أولا ثم الضرب ، وفى بعض الاحيان حرمان الطفل من الاشياء التى يحبها . وغالبا ما تلجأ الأمهات الى الضرب أكثر من الآباء فى كل من الريف والمدينة اذ يتسم فى الريف بالشدة والقسوة والضرب وفى الحضر التسامح واللوم والنصح . أما بالنسبة لأساليب الثواب المتبعة فغالبا ما تتجاهل الأمهات أن تكافىء أولادها على السلوك المقبول . والمكافأة التى تقدم للطفل عادة هى الأطعمة وبعض الحلوى ، أو الوعود ببعض الهدايا . ومن الطبيعى أن ينعكس المستوى الاجتماعى الاقتصادى على معايير المكافأة والعقاب .

٦ ــ تتقبل الأم الريفية والحضرية على حد سواء موقف العدالة بين الاطفال وشجارهم ، ولكنها لا تسمح بالإعتداء على ممتلكات الغير وتتمسك كل منهن بقيمة الأمانة وترفض الكذب والغش والسرقة. ومن ناحية هذه القيم نجد أن الأمهات تقف موقف التزمت البالغ ويمكن أن تصبح أقل لينا وعطفا اذ تلفظ الطفل بألفاظ نابية . ونجد فى الطبقة الوسطى قيمة احترام الكبير والعطف على الصغير بدأت تتغير وتحل محلها العدالة بين الاولاد كبيرهم وصغيرهم .

٧ ــ تتفاوت درجة اهتمام الأم بتنشئة الطفل جسميا ووجدانيا

وأخلاقيا تبعا لدرجة ثقافتها واهتمامها بالقيم الدينية ، فكلما كانت الأم أكثر تدينا كلما كانت مهتمة بتلقين صغارها وتعليمهم الفضائل (كالصلاة والصوم) • وقد نجد أنها ليست مرتبطة بدرجة تعليم أو ثقافة الوالدين • وتحرص بعض الأسر على غرس الفروض والقيم الدينية في نفوس الابناء ويحرص بعض الآباء على أن يؤدى الطفل الصلاة وخاصة (صلاة الجمعة) فى الجامع بمرافقة الأب والالتزام بأداء الصوم فى رمضان •

٨ ـ أن الأسر التي تهتم بسرد الحكايات للأطفال عادة لا تهتم بتوسيع المدركات العقلية للطفل ولكن الغرض منها اما تقويم الطفل اذا ما ارتكب خطأ ما أو بغرض التخويف من بعض الافعال أو بغرض تسلية وتضييع الوقت • ومن بعض العبارات : (أهو يعنى «بنسليه» وخلاص خليه ينام) ، ومن بعض الأقوال ان بعض الأمهات أصبحن يرددن (معنديش وقت فاضى أهم يتفرجوا على التليفزيون وخلاص) • وأشار بعض الآباء الى أنه يروى القصص التى سمعها من آبائه وأجداده (كحكاية الشاطر حسن) (وذات الرداء الاحمر) (وكسر الجره) (وعين القمر) ••• غير أننا لاحظنا فاعلية أدوات التنشئة الاجتماعية الحديثة (التليفزيون وخاصة التمثيليات والافلام) أصبحت أكثر فاعلية من الحكايات والقصص التى تسردها الأمهات أو الآباء ، ويتضح ذلك فى الحضر أكثر من الريف ؛ وأشارت نسبة منهم الى أنها يمكن أن تروى القصص ذات المناسبات الخاصة فى شهر رمضان (مثلا : سيدنا محمد ـ سيدنا ابراهيم ـ سيدنا اسماعيل) أو فى الموالد والافراح ، كما أشار بعض الآباء الى أن الكتب تكلف نقودا ولا يستطيع شراء الكثير منها • وقد كان ذلك واضحا فى الشرائح الاجتماعية الاقتصادية الدنيا • ويتعمق هذا الاتجاه فى الشرائح الدنيا الريفية •

٩ ـ أشارت الدراسة الى أن نسبة ليست بقليلة من الاطفال ليس

لها مورد غير المدرسة يحصلون منه على الكتب (القصص) عن طريق الاستعارة من المكتبة ، وأن نسبة ترددهم على المكتبات العامة ليست عالية هذا بالنسبة للعينة الحضرية ، أما بالنسبة للعينة الريفية فنسبة تردد الاطفال على المكتبة المدرسية ضعيفة • وأشارت الدراسة ايضا الى الدرة الشديدة فى المكتبات بالنسبة لمجلات الاطفال • وان كنا قد لاحظنا أن أطفال السياق الحضرى أكثر ميلا الى قراءة القصص والحكايات من الاطفال فى السياق الريفى عموما • والطبقات الوسطى أكثر من الدنيا •

١٠ ــ أشارت الدراسة الى وجود فروق بين الذكور والاناث فى الاهتمامات القرائية اذ نجد أن اهتمام الذكور يتركز فى قصص الخيالات والاساطير وكتب الرحلات والمغامرات، فى حين تميل البنات الى القصص التى تصف الحياة العائلية وقصص الحيوانات والحدائق والزهور • ونسبة أخرى من أطفال العينة قصوا القصص التى استوعبوها من كتب القراءة المدرسية ، وكتب الدين (القصص الدينية) • ويمكن أن يرجع ذلك الى طبيعة اختلاف التنشئة بين الذكور والاناث حيث تعد الأنثى لحياة المنزل ، بينما يعد الذكور للمشاركة فى مجالات الحياة •

١١ ــ أشارت الدراسة الى أن القيم التى برزت من خلال تحليل قصص وحكايات أطفال العينة الريفية والحضرية بصورة عامة : الصدق، تحمل المسئولية ، الشجاعة ، الخير ، الشرف ، الأمانة ، الايمان ، الاستقامة ، الاحسان ، الرعاية ، الطاعة ، الاحترام ، التضامن ، الحق ، الرحمة ، المساعدة ، التعاون ، الغيرية ، العدل ، المشاركة ، الفداء ، التضحية ، الولاء للوطن ، العمل ، الجد ، القناعة ، الادخار ، السلطة ، المال • ومن الواضح أن عدد هذه القيم يزداد لدى الأطفال بالنظر الى متغيرات عديدة منها سن الطفل أو السنة الدراسية المقيد

بها ، وبالنظر لتعدد مصادر التنشئة الاجتماعية التى يتعرض لها وكذلك السياق الحضرى أكثر من الريفى وأيضا متغير المستوى الاجتماعى الاقتصادي ، والمستوى التعليمى للأبوين فالمستويات الوسطى تعرف عددا من القيم أكثر من الدنيا •

١٢ ــ أكدت الدراسة على أن الطفل الريفى يشاهد التليفزيون أكثر من الطفل الحضرى ، غير أن هذه المشاهدة ليست منتظمة أو موجهة توجيها رشيدا كالطفل الحضرى ؛ حيث لا توجد أوقات محددة للمشاهدة لدى الطفل الريفى فضلا لما للطفل الحضرى من وسائل ترفيه أخرى ، هذا الى جانب أن التليفزيون فى الريف يترك مفتوحا حتى ولو كان الاطفال يؤدون واجباتهم المدرسية • وقد أكدت الدراسة الاحصائية والميدانية على أنه بالرغم من كثرة المشاهدة الا أن استيعاب الطفل الريفى للبرامج والمسلسلات التليفزيونية والافلام كان ضعيفا ، اذ لم تبرز فى سياق قصصه وانما برزت الحكايات والقصص الشعبية التى رواها له الأب أو الأم أو الاصدقاء ، أو الجد أو الجده ، وهو بذلك يختلف عن أطفال الطبقات المتوسطة فى المدينة التى لا تسمح لأطفالها فى الغالب بمشاهدة الشاشة الصغيرة أثناء أداء الواجبات المدرسية كما أشارت الدراسة الى أن الطفل عموما يفضل مشاهدة التليفزيون أو سماع الحكايات عن قراءة القصص أو سماع الراديو الذى أشارت الدراسة الى ضعف الاهتمام بسماعه الى الدرجة التى تكاد تكون منعدمة • ويشاهد أطفال الريف التليفزيون بلا توجيه أو ارشاد فهم يستطيعون مشاهدة كل ما تعرضه الشاشة ولا توجد أوقات محددة للمشاهدة • ومن هنا نجد أن أسر السياقات الحضرية المتعلمة أكثر تحكما فى مصادر التنشئة الاجتماعية الأخرى (التليفزيون ــ القراءة) وأكثر قدرة على المتابعة من الأسر ذات مستويات التعليم الأدنى • كذلك أشارت الدراسة الى أن هناك نسبة لا يستهان بها فى

السياق الريفى ترسخت وتعمقت لديها التمثيليات التليفزيونية ويستطيع بعض الاطفال القيام بتقليد الممثلين فى أدائهم لأدوارهم . وينطبق نفس القول على الافلام التى يعرضها التليفزيون وخاصة التى يتكرر عرضها .

ثالثــا ــ توصيات وقضايا للبحث

طرحت الباحثة فى ختام هذه الدراسة مجموعة من التوصيات ذات الطــابع العملى فيما يتعــلق بالقصص والحكايات كوسيلة من وسائل التنشئة الاجتماعية والثقافية ، وذلك الى جانب مجمــوعة التساؤلات التى من الممكن أن تصلح أساسا لدراسات تالية .

وقدمت التوصيات التالية :

١ ــ أنه اذا كانت القصة أو الحكاية المروية آخذة فى الانقراض بسبب اتجاه الأسرة فى مجتمعنا الى الأسرة النووية ، ولضيق وقت الأم وعدم وجود وقت الفراغ الملائم ، فانه من الضرورى تعويض ذلك بالعمل على توفير القصة أو الحكاية المقــروءة ، وكذلك المشاهدة أو المسموعة . وذلك حتى نحافظ على الطاقة التى تعمل على تنمية قدرات الخيال والابداع عند الطفل .

٢ ــ أنه من الضرورى فى هذا الاطار الاتجاه الى التوسع فى القصة المقروءة ، عن طريق اعادة تأسيس المكتبة المدرسية وتزويدها بالقصص العديدة المتنوعة ذات الجاذبية ، ولابد أن تســاعد الجهود الخيرية فى هذا الاطار حتى تخلق المناخ الفكرى الملائم لنمو أطفالنا . ومن الواضــح أن الدولة وأهل الخير يفعلون خــيرا حينما نشاهد الاهتمام حولنا بمكتبة الطفل ، غير أنه من الضرورى أن نعمل على تزويدها بكل ما يلائم نمو الطفل ويطور خياله .

٣ — أنه من الضرورى ، اقامة حوار فى المدرســة أو الفصل الدراسى أو الجماعة الأدبية داخل المدرسة حول القصص التى تعرض كتمثيليات للأطفال فى التليفزيون لاستكشاف ما بها من قيم ومثل . أو حتى توضيحها للطفل وثانيا حتى ندرب الطفل على أسلوب ادراك القيم والسلوكيات التى ينبغى أن تحتذى فى هذه القصص والحكايات.

٤ — من الملائم اجراء مجموعة من المسابقات العامة فى الفصل ، والمدرسة ، ومكتبة الحى ، على مستوى المدينة الواحدة ، وعلى مستوى الجمهورية حول بعــض القصــص والتمثيليات ، لاستخراج القيم والمثل ، والتعرف على مفاهيمها حتى نعمق القدرة على القراءة ، وأيضا على التحليل والتأمل والوصول الى المعانى الكامنة فى أى قصة من القصص . ويمكن اجراء هذه المسابقات حول قضية معينة أو موضوع معين .

٥ — أنه من الضرورى أن نراعى السياق الاجتماعى المباشر الذى ينتمى إليه الطفل فى اختيار القصص التى نوفرها له ليقــرأها ، كما ينبغى أن يعطى اعتبارا للسياق الاجتماعى للمجتمع العام فى اختيار هذه القصص ، بحيث تعكس هذه القصــص والموضوعات التى تدور حولها السياق المباشر من ناحية (ريفى — حضرى) ومن ناحية أخرى تستهدف الوصول الى صــيغة مشتركة تسعى الى تحقيــق نوع من التجانس الاجتماعى بين مختلف قطاعات الطفولة ، سواء فيما يتعلق بالموضوعات التى تشكل محور هذه القصص أو القيم المتعلقة بها .

٦ — علينا أن نولى اهتماما دقيقا فى اختيار القصص والتمثيليات والمسلسلات التليفزيونية الموجهة خاصة للأطفال ، بحيث نكون على وعى بطبيعة القيــم المتضمنة فى هذه القصص ، وأنماطهــا ، ومدى تكاملها مع أنماط القيم التى يستوعبها الطفل من مصادر أخرى .

وفى هذا الإطار فلابد أن يكون الاعلام الرسمى على وعى بالقيم المتضمنة فى مادته الاعلامية والدور الذى ســوف تلعبه هذه القيم ، سواء فى تدعيم قيم أخرى أو فى مواجهة قيم مرفوضة لا يرضى عنها المجتمع .

٧ ـ من المضرورى أن نراعى أن تعكس قصص وحكايات الاطفال القيم والمثل التى تتطابق والتوجهات الايديولوجية العــامة للمجتمع . بحيث تشكل هذه التوجهات الايديولوجية القاسم المشترك الذى يتردد فى القصص المقروءة والمروية والمشاهدة والمســموعة . بذلك يمكن أن نعمق الدور الاجتماعى داخل الفرد ونؤكد ارتباطه بمجتمعه وولائه له من خلال القصص والحكايات أيا كانت طبيعتها .

٨ ـ من الضرورى أن يقدم جهد اجتماعى وعلمى لجمع القصص والحكايات المروية فى مختلف أرجاء مجتمعنا ، تلك القصص التى تحكيها الجدات ويحكيها الأجداد فى الأحياء الشعبية فى القرى والكفور ، وفى أطراف الصحراء ومضارب الخيام . فذلك جهد مطلوب لجمــع تراث سوف ينــدثر أمام هجمة الاعلام الحــديث ، وتحــول المجتمع الى التحديث . ولا مانع أن يبذل جهد علمى آخر يقــوم بتصنيف هذه المادة ، وتحليل مضمونها ، لمعرفة عناصر المثل والقيم فى تراثنا لاعادة ابراز المفيد منه بصورة عصرية ، أى اعادة انتاج المادة الشعبية بما يفيد من قوالبها المحببة ، ومضمونها الراقى ولكن فى شــكل عصرى يلائم وسائل الاتصال الحديثة .

٩ ـ من الممكن أن يقوم إكتتاب خيرى عام يقدم فيه أهل الخير الهبات المالية والاماكن والمكتبات ، والقصص ، وذلك لنشر مكتبة الطفل فى كل حى من الاحياء ، وتطوير مكتبات المدارس ، وانشاء المكتبات الواسعة فى القرى والكفور وتنظيم الاطلاع على ما بها والتعامل معها .

بمقدار رقي الأمم الآن يقاس بما لديهـا من مكتبات ويقاس وعيها الراقي بمدى اهتمامها بمكتبة الطفل •

وفى النهاية تقترح الباحثة القيام بدراسات حول الموضوعات التالية ذات الصلة بموضوع هذه الدراسة :

١ ــ من الملائم القيام بدراسة حول احتياجات الطفــل الثقافية والمعيارية ، بمعنى أن تجرى دراسة تحـاول أن تحدد طبيعة القيم والمثــل والمعايير التى تستطيع كل مرحلة عمـرية من مراحل الطفل استيعابها وتحديد أكثر الاساليب ملاءمة لتحقيق اشباع هذه الحاجات•

٢ ــ من الضرورى أن تجــرى دراسات عديدة تحـاول تحليل قصص وحكايات الاطفــال المسموعة أو المشاهدة والمقروءة للنظر فى طبيعة القيم والمثل التى تشكل مضمون هذه القصص ومدى ملاءمة هذا المضمون للتوجهات الايديولوجية العامة للمجتمع •

٣ ــ من المهم للغاية قيام دراسة مسحية تحاول التعرف على حجم الكتب الخاصة بالأطفال وتوزيع هذه الكتب أو القصص والحكايات على مختلف مناطق المجتمع ثم ما هى المناطق التى لديها اشباع من هذه الناحية ، وتلك التى تعانى قدرا كبيرا من الحـرمان ، وكذلك حساب معدلات متوسط نصيب الطفل المصرى من القصص أو الحكايات ، ثم مقارنة ذلك بالمعدلات العالمية • بحيث يمكن أن تصلح هذة الدراسة أساسا للسياسة الأجتماعية والثقافية التى ينبغى أن تتبعها الدولة فى مجال الطفل •

٤ ــ لابد من اجراء دراسات مقـارنة على القصص والحكايات المروية ، والمسموعة والمشاهدة والمقروءة للنظـر أولا فى مدى اتفاق مضامينها الاساسية مع السياق الاجتماعى المباشر والعام بالنظر الى أنماط القيم والمثل التى تحتويها ، ثم العمل ثانيا على تحديد الشكل

الأفضل فنيا نتيجــة للمقارنة ــ بالنسبة لأطفالنا ــ حتى نختاره ، ويصبح هو الوسيلة المعتمدة أو الاساسية للتنشئة الاجتماعية من خلال القصص والحكايات .

٥ ــ من الضرورى أن تقوم دراسات مقارنة على مستوى مجتمعى بين الدراسات التى أجريت حول قصص الاطفال فى مجتمعنا ونظائرها التى تمت فى مجتمعات أخرى ، للنظر فى امكانية الاستفادة من هذه الدراسات فى تطوير الدراســات المتعلقة بالنمو النفسى والاجتماعى والثقافى الطفل المصرى .



الفصل السابع

جناح الاحداث والطبقة العاملة
مناقشة لنظرية ألبرت كوهن فى ضوء دراسة ميدانية عن الجنـاح والطبقة العاملة فى مدينـة القـاهرة (*)

أولا : موضـوع الدراسـة :

تتناول الدراسة ظاهرة الثقـافة الخاصـة الجانحة داخل نطاق أحداث الطبقة العاملة الجانحين ، من خلال التعرف على سمات تلك الثقافة وعلاقتها بقيم الاحداث الجانحين . فالدراسة تسعى إلى فهم الثقافة الخاصة الجانحة عند الاحداث ، وهى خطوة ضرورية فى مجال الوقاية من جنـاح الاحداث وعلاجه . فبدون معرفة القيـم والمعايير التى تحكـم سلوك الاحداث لن يتسنى وضـع خطة علاجية ووقائية للحد من نسبة الجناح المرتفعة . كما أن الدراسة تحاول القاء الضوء على ثقافة خاصة فى المجتمع ، أصبح تجاهل وجودها أو انكاره أمرا غير مجد للتقليل من حجم الجناح فى مجتمعنا .

(*) عرض لرسالة ماجستير تقـدم بها الدكتور على محمود البتمزى المدرسة بقسم الاجتماع بكلية آداب القاهرة تحت اشراف الاستاذ الدكتور محمد الجوهرى ، أجيزت عام ١٩٨٤ .

تعرض الدراسة لنظرية ألبرت كوهن عن الثقافة الخاصة الجانحة لأحداث الطبقة العاملة الجانحين. ويذهب كوهن الى أن الثقافة الخاصة الجانحة تعد طريقة فى الحياة ، صارت نمطا أساسيا تقليديا بين بعض جماعات الاحداث الجانحين. فهى بناء يحوى مجموعة من المعتقدات والقيم والرموز ، ونمطا معينا من المعرفة ، ويتم اكتساب هذه الثقافة من خلال التفاعل مع حملتها ، ومشاركتهم فى معتقداتهم وأنماطهم السلوكية. وهى أيضا تمثل احدى استجابات أحداث الطبقة العاملة الجانحين لمشكلة التكيف مع المجتمع .

حدد كوهن نظريته عن الثقافة الخاصة الجانحة فى قضيتين ، يمكن صياغتهما فى التساؤلين التاليين :

١ — ما هى الاسباب التى تدفع بحدث الطبقة العاملة الى تبنى الثقافة الخاصة الجانحة كحل لمشاكله ، بينما لا يفعل ذلك حدث آخر من نفس الطبقة ، ويواجه ذات المشاكل ؟

٢ — لماذا تحتل ثقافة خاصة ، ذات طابع مميز ومضمون خاص ، مكانا أساسيا فى قطاع اجتماعى ، من قطاعات المجتمع دون غيره ؟

ولكى يجيب كوهن عن هذين التساؤلين ، حدد الظروف التى تنشأ فى ظلها الثقافة الخاصة الجانحة ، وكذلك الوظيفة الاساسية لها ، وفى الصدد يحدد وظيفتين رئيسيتين لها وهما :

١ — ايجاد نسق مكانة بديل عن النسق القائم فى المجتمع .

٢ — اتاحة الفرصة لأحداث الطبقة العاملة الجانحين للثأر لأنفسهم من المجتمع ، من خلال رفضهم لقيمه ، ومعاييره ، ونسق المكانة فيه :

ويحدد كوهن سمات الثقافة الخاصة الجانحة فيما يلى :

١ ــ سمة السلوك اللانفعى .   ٢ ــ سمة الحقد .
٣ ــ سمة السلبية .   ٤ ــ سمة المتعة اللحظية .

ولقد حاولت الدراسة فى شقها الاول تحقيق الهدف النظرى وهو خضاع نظرية الثقافة الخاصة الجانحة للتحقيق النظرى من حيث مدى كفاءتها وقدرتها على الوصف والتفسير ، ثم سعت فى شقها الثانى الى اختبار درجة الصدق الامبيريقى لنظرية كوهن فيما يتعلق بسمات الثقافة الخاصة الجانحة ، ومحاولة تحديد سمات الثقافة الخاصة الجانحة لدى أحداث الطبقة العاملة المصرية الجانحين .

وقد وضعت الدراسة فى اعتبارها أمرين هامين هما :

الأمر الأول : وهو متعلق بنظرية ألبرت كوهن عن الثقافة الخاصة الجانحة ، حيث ينبغى ذكر حقيقة هامة وهى أن تلك النظرية لم يتوصل اليها كوهن من خلال دراسة أمبيريقية ، بل تم له ذلك من خلال مسح التراث المتعلق بالموضوع . ومن ثم تبرز أهمية الدراسة الامبيريقية الحالية ، فهى تعد أول اختبار أمبيريقى لسمات الثقافة الخاصة الجانحة كما حددها كوهن ، بالاضافة الى اسهامها الاساسى فى دراسة الثقافة الخاصة لدى أحداث الطبقة العاملة الجانحين فى مصر .

ولعل ذلك الهدف ــ وهو الاختبار الامبيريقى لاستنتاج نظرى ، ثم محاولة استكشاف ملامح الثقافة الخاصة الجانحة فى اطار مجتمع معين يتسم بخصوصية معينة بمثابة رد على النقد الموجه لاستخدام نظرية انبعثت من دراسة مجتمع فى دراسة مجتمع آخر . فبالرغم من أن النظرية تعد تعبيرا عن واقع مجتمع ما ، الا أن اختبارها فى مجتمع آخر يصل بهذه النظرية الى أحد أمرين : اما أن تتشابه النتائج فى كلا المجتمعين ، الامر الذى يزيد النظرية قوة ، أو أن تتباين النتائج فيصبح من الضرورى تفسير هذه النتائج فى اطار مجتمع البحث نفسه ، وان كان ذلك لا يعنى خطأ النظرية بصورة مطلقة .

الأمر الثانى : وهو خصوصية البنـاء الطبقى للمجتمع المصرى . فهو مجتمع انتقالى من الناحيتين الاقتصادية والاجتماعية ، فلم يعرف الاقطاع مرحلة بشكلها الكلاسيكى، ولم يعرف بعد السيطرة الكاملة للنظام الرأسمالى . وتطرح خصوصية المجتمع المصرى هنا مشكلة بالنسبة للوضع الطبقى للطبقة العاملة وخاصة للعمال الصناعيين المهرة . ففئة العمال الصناعيين المهرة داخل البناء الطبقى للمجتمع المصرى اذا وضعت فى المدينة فى أدنى الهيكل الاجتمـاعى ، فلا يعنى ذلك أنها اقتصاديا واجتماعيا تشغل أدنى مراتب البنيان الاجتماعى ، فهى فى كثـير من الاحيان فى وضع قريب من وضع فئات صغار ومتوسطى الموظفين (بحكم الدخل) . وهى ذات وضع يختلف اختلافا شديدا عن العمال الزراعيين ، وفى وضع أكثر تميزا عن عمال الحكومة والقطاع العام كالسعاة وعمال النظافة والمرافق .

واتخذت الدراسة من المهنة ومستوى التعليم معيـارين للطبقة العاملة على النحو التالى :

(أ) معيار المهنة ويضم الفئات التالية :

١ ــ العمال الصناعيون المهرة ٢ ــ المشرفون .

٣ ــ العمال الحرفيون . ٤ ــ الكتابيون .

٥ ــ العمال شبه المهرة . ٦ ــ العمال غير المهرة .

٧ ــ عمال الحكومة والقطاع العام . ٨ ــ البائعون .

٩ ــ البائعون الجائلون ومن فى حكمهم .

(ب) معيار التعليم ويضم المستويات الآتية :

أ ــ أمى .

ب ــ يقرأ ويكتب .
جـ ــ مرحلة ابتدائية .
د ــ مرحلة اعدادية .

وقد اتخذت الدراسة من التعريف القانونى للحدث الجانح تعريفا اجرائيا ، ويتضمن ذلك التعريف عنصرين هما :

١ ــ سن الحدث .
٢ ــ الفعل الجانح .

١ ــ سن الحدث : الحد الادنى هو سن الثانية عشرة والحد الأعلى هو سن الثامنة عشرة .

٢ ــ الفعل الجانح : تأخذ الدراسة بالتقسيم الثلاثى السلوك المنحرف ويتضمن :

أ ــ المخالفات : مثل مخالفات الطريق العام ــ الصحة العمومية ــ الآداب ــ مرور السيارات والسكة الحديد ... الخ .

ب ــ الجنح : مثل المقاومة والتعدى ــ قتل خطأ ــ ضرب ــ نصب ــ هتك عرض ــ فعل فاضح ــ سرقات ــ انتهاك الملكية ــ تشرد ــ جنح السيارات ــ الاحتيال ... الخ .

جـ ــ الجنايات : مثل القتل ــ شروع فى قتل ــ ضرب أفضى الى موت ــ ضرب ــ سرقة ــ شروع فى سرقة ــ تزوير ــ فسق وهتك عرض ــ مخدرات ــ احراز أسلحة ... الخ .

* ● *

ثانيا : الجوانب المنهجية للدراسة الميدانية :

تتضمن الجوانب المنهجية للدراسة الميدانية العناصر التالية :

١ ــ المجال الجغرافى : تقع الدراسة الميدانية داخل نطاق كردون

مدينة القاهرة الكبرى ، ففضلا عن أحياء مدينة القاهرة الاثنى عشر ، فان مدينة القاهرة لا تفصلها عن محافظتى الجيزة والقليوبية فواصل أو حواجز طبيعية بحيث يمكن القول بانعزالها عن هاتين المحافظتين .

٢ — **المجال البشرى** : تجرى الدراسة الميدانية على أحداث الطبقة العاملة الجانحين داخل دور التربية بالجيزة ، وبالرغم من أنها تقع جغرافيا داخل نطاق محافظة الجيزة ، الا أنها لا تتبعها اداريا . ولقد تم اختيار دور التربية بالجيزة للاعتبارات الآتية :

أ — تعتبر دور التربية بالجيزة من أكثر مؤسسات الايداع فى مصر ، كما يوجد بها نظام متكامل لرعاية الحدث الجانح سواء فى أقسام الايداع ، أو الوحدة الشاملة ودار الملاحظة ، ومكتب المراقبة الاجتماعية ، ودار الضيافة .

ب — تقبل الدور الاحداث الجانحين بموجب حكم قضائى أو أمر من النيابة من محافظة القاهرة بصفة خاصة ، ومحافظتى الجيزة والقليوبية بصفة عامة .

جـ — تتبع دور التربية بالجيزة ادارة الدفاع الاجتماعى بمحافظة القاهرة اداريا ، ويعنى ذلك أنها تدخل ضمن نطاق القاهرة الكبرى اداريا ، وان كانت تقع داخل محافظة الجيزة جغرافيا .

٣ — المجال الزمنى : ينقسم المجال الزمنى للدراسة الميدانية الى ثلاث مراحل هى :

أ — المرحلة الاستطلاعية لمجتمع الدراسة .
ب — مرحلة تصميم استمارة البحث .
جـ — مرحلة تطبيق استمارة البحث .

سوف يأتي الحديث تفصيليا عن هذه المراحل عند الحديث عن تصميم استمارة البحث وتطبيقها •

* ● *

ثالثا : أدوات الدراسة الميدانية :

اعتمدت الدراسة الميدانية على الادوات والمصادر الآتية لجمع البيانات :

١ ـ استمارة البحث •

٢ ـ الملاحظة المشاركة •

٣ ـ المقابلة المتعمقة الفردية والجماعية •

٤ ـ الزيارات الميدانية لبعض أسر الاحداث •

٥ ـ السجلات والوثائق •

١ ـ استمارة البحث :

مرت استمارة البحث بمراحل ثلاث توالت على النحو التالى

أ ـ المرحلة الأولى : سعت الدراسة خلال هذه المرحلة الى التعرف على مجتمع البحث وطبيعة تكوينه ، وأنماط العلاقات السائدة فيه ، ونوعية القيم التى تحكم سلوكه ، ولقد أظهرت هذه المرحلة أمور هامة هى :

١ ـ مراعاة المستوى التعليمى لدى الاحداث عند صياغة أسئلة الاستمارة •

٢ ـ مراعاة بعض التعبيرات اللفظية المستخدمة فى الاستمارة •

٣ ـ مراعاة تركيبة السؤال لتحقيق أكبر قدر ممكن من الفهم •

٤ ـ معرفة مدى قدرة المبحوثين على متابعة أسئلة الاستمارة دون أن يسبب لهم ذلك ارهاقا أو تشتيتا فى التفكير •

ولقد أفادت هذه المرحلة استمارة الاسئلة فى تحديد نوعية السؤال من حيث النهاية • فمعظم أسئلة الاستمارة تم طرحهـا على الابناء للحصول على احتمالات الاجابة المختلفة ، ثم وضع تلك الاحتمالات المختلفة فى استمارة البحث ، الامر الذى جعل الأسئلة مغلقة الى حد كبير •

وقد تميزت هذه المرحـلة من الدراســة ــ باعتبـارها مرحلة استطلاعية ــ بالمقابلات الحرة غير المقننة سواء أكانت هذه المقابلات فردية أو جماعية • ولقد أوضحت تلك المرحلة نقطتين منهجيتين هما :

١ ــ أهمية التطبيق الفردى لاستمارة البحث نظرا لارتفاع نسبة الأمية بين الاحداث •

٢ ــ أهمية ملاءمة الصياغة اللفظية لاستمارة البحث للمستوى التعليمى والحصيلة اللغـوية ، والخلفية الثقافية والاجتماعية للأحداث الجانحين •

ب ــ المرحلة الثانية : وفى هذه المرحلة تم اختبار استمارة البحث على عشر حالات ، واتضح صلاحيتها للتطبيق • كما تم القيام بزيارات ميدانية لبعض أسر الأحداث • وقد أفاد ذلك البحث فى التعرف على مجتمعى البحث وهما دور التربية بالجيزة ، وأسرة الحدث ، والتأكد من قدرة الاستمارة على الالمام بموضوع الدراسة •

جـ ــ المرحلة الثالثة : استفادت اسـتمارة البحث من المرحلتين السابقتين ، سواء على المستوى المكتبى أو المستوى الميدانى ، لذلك فقد حاولت استمارة البحث فى هذه المرحلة تلافى أكبر قدر من أخطاء وعيوب المرحلتين السابقتين • وتضمنت اسـتمارة البحث ٥٦ سؤالا موزعة على ستة بنود جاءت مرتبة على النحو التالى : البيانات الاولية،

الحالة الاجتماعية والتعليمية والمهنية للأبوين ، مستوى السكن، المستوى الاجتماعي والمهني والتعليمي للحدث ، دراسة الجناح ، سمات الثقافة الخاصة الجانحة •

اعتمدت الدراسة على أسلوب اعادة الاختبار لحساب الثبات ، حيث بلغ معامل ثبات الاستمارة ٨ر • كما أنه يصـــدق على استمارة البحث معنى الصدق بحكم المفهوم •

٢ ـ الملاحظة المشاركة :

تعد الملاحظة ـ بصفة عامة ـ من أهم وسائل جمع البيانات ، ومن أهم الاشياء الاساسية فى بحث أى ظاهرة • فهناك بعض أنماط الفعل الاجتماعى التى لا يمكن فهمها فهما حقيقيا الا من خلال مشاهدتها كما تحدث فى الواقع • والمشاركة تنتشر على متصل يمتـد من عدم المشاركة كلية الى المشاركة الكلية فى نشاط الجماعة •

ولقد أتاحت فترة الدراسة الميدانية الطويلة فرصة نادرة للباحث للمساهمة والمشاركة بصورة تكاد تكون كاملة فى مجتمـع الدراسة ، الامر الذى يسر للباحث الحصول على المعلومات من مصادرها المختلفة، فلم يقف الباحث موقف المتفرج أو المشاهد من مجتمع الدراسة ، بل تخطى ذلك المستوى من الملاحظة ، الى الملاحظة المشاركة • وقد أخذت الملاحظة المشاركة صورا عديدة منها :

أ ـ المشاركة فى الانشطة الرياضية والثقافية والاجتماعية داخل مجتمع الدراسة ، سواء بالاشتراك الفعلى فيها ، أو تنظيم وادارة بعض هذه الانشطة والاشراف عليها •

ب ـ المساهمة فى بحث بعض حالات العود من الهروب ، ومتابعة تلك الحالات فيما بعد ، وعمل تقرير كامل عنها ، الامر الذى أتاح

للباحث الاتصال بكافة مصادر البيانات المتاحة داخل أو خارج المؤسسه. فضلا عما اكتسبه من خبرة فى معاملة الاحداث الجانحين .

جـ ــ الاستفادة من طول فترة الدراسة الميدانية فى التعرف على أنمـاط السلوك المختلفة ، ومواقف انتفـاعل ، سـواء بين الاحداث وبعضهم البعض ، أو بين الاحداث وبين المشرفين ، الامر الذى مكن الباحث من معرفة نوعية القيم والمعايير التى تحكم سلوك الاحداث الى حد كبير .

د ــ التعرف على مشاكل الاحداث ، سواء المتعلق منها بالمؤسسه أو المتعلق بأسرة الحدث ، ومحاولة الوصول الى حل لهذه المشاكل قدر الامكان .

۳ ــ المقابلة المتعمقة :

تمكن المقابلة المتعمقة الباحث من أن يسبر أغوار مشاعر الفرد تجاه ظاهرة اجتماعية معينة .

ولقد كان الهدف من المقابلة هو فهم سلوك الاحداث الجانحين ، والوقوف على مجموعة من البيانات دون توجيه أسئلة قد تبدو محرجة فلقد حاول الباحث خلال تلك المقابلات تشجيع الحدث على التعبير عن مشاعره ودوافع سلوكه ، والتحدث عن أى شئ قد يجول فى خاطره بأقل قدر ممكن من توجيه الاسئلة .

ولقد اتخذت المقابلة المتعمقة صورتين : الأولى هى المقابلة الفردية، والثانية هى المقابلة الجماعية . وسواء بالنسبة للمقابلات الفردية أو الجماعية فقد كان الباحث يركز على موضوعات معينة متعلقة بموضوعات الدراسة ، والعودة بالمناقشات دائما الى موضـوع الدراسة . ولقد حاول الباحث ــ قدر طاقته ــ أن يتجنب اصدار أى حكم قيمى بالنسبة

للأحداث . فمن المسلم به أن النتائج التى يحصل عليها القائم بالمقابلة تتعرض الى أخطاء شخصية راجعة الى نواحى التحيز التى تتعرض لها التقديرات والتفسيرات الشخصية ؛ كما أن المقابلة تعكس الاستجابات الانفعالية للقائم بالمقابلة والمبحوث واتجاه كل منهما نحو الآخر .

كما استخدم الباحث أسلوب المقابلة المتعمقة عند زياراته لأسر بعض الاحداث الجانحين ، ومن لهم صلة بهم .

٤ ـ الزيارات الميدانية لبعض أسر الاحداث :

قام الباحث بعدة زيارات ميدانية لبعض أسر الاحداث الجانحين، وذلك منذ بداية المرحلة الثانية من تصميم استمارة البحث ، بهدف الوصول الى فهم أكمل والوقوف على بيئة الحدث ، والتعرف على المنطقة الجغرافية وسماتها الايكولوجية ، وما يحيط بها . فمعرفة البيئة ـ بالاضافة الى مصادر المعلومات الاخرى ـ تعطى صورة تكاد تكون متكاملة الى حد كبير عن ظروف انحراف الحدث والعوامل التى لعبت الدور الأكبر فى انحرافه .

ولقد واجه الباحث صعوبات كثيرة فى الوصول الى أسر العديد من الاحداث ، نذكر منها على سبيل المثال أنه بالرغم من وضوح العنوان فان هناك حالات لم يستدل فيها على أهل الحدث بالرغم من وصول الباحث للعنوان المحدد ، كما أن هناك بعض الاحداث ليس لهم محل اقامة داخل نطاق القاهرة الكبرى ، هذا فضلا أن بعض العناوين كانت لمنازل قد انهارت ، كما أن بعض الاحداث قد قضوا فترة طويلة بالمؤسسة وانقطعت صلتهم بأسرهم ، مما يتعذر معه الوصول اليها .

٥ ـ السجلات والوثائق :

استعانت الدراسة بملفات الاحداث الجانحين المودعة بالمؤسسة ،

حيث تم الاطلاع على تقارير مكاتب الاحداث وحكـم المحكمة ، ونوع التهمة ، وكذلك تقارير الاخصائيين الاجتماعيين عن الحالة الاجتماعية للحدث ، وتقارير الاخصائيين النفسيين عن القدرات العقلية ومستوى ذكاء الحدث • وترجع أهمية هذه السجلات الى أنها تعد مصدر ثقة بالنسبة للبيانات الاساسية المتعلقة بالحدث • كما تم الرجوع لسجلات المؤسسة لمعرفة عدد الاحداث المودعين بها ، وتوزيعهم على الاقسام المختلفة ، وعدد حالات الهروب بالمؤسسة •

* ● *

رابعا : مجتمع وعينة الدراسة :

١ ــ **مجتمع الدراسة** : أجريت الدراسة الميدانية على الاحداث المودعين بدور التربيــة بالجيزة • وهى تتبع الادارة العــامة للدفاع الاجتماعى بالديوان العام بوزارة الشئون الاجتماعية •

٢ ــ **وحدة التحليل المستخدمة** : تتسم ظاهرة جنــاح الاحداث بالطابع الاجتماعى ، فهو ليس ظاهرة فردية ، ويؤكد ظهــور الثقافة الخاصة الجانحة هذا الطابع الاجتماعى لجنــاح الاحداث ، فالثقافة الخصة الجانحة أسلوب متميز ، وطريقة خاصة فى الحياة والفكر يتبناها الاحداث الجانحون • وتنمو الثقــافة الخاصة الجانحة نتيجة تفاعل أفراد الجماعة الجانحة مع بعضهم البعض ، أو بين الجماعات الجانحة وبعضها البعض ، أو بين هذه الجماعات الجانحة وبين غيرها من جماعات المجتمع الأخرى • وتحمل الثقافة الخاصة طابع التفــاعل الاجتماعى بمستوياته المختلفة ، فدراسة الجناح لابد وأن تتم من خلال الطابع الاجتماعى للجناح ، وما يصدر عن الجماعة من سلوك ، وما تتسم به من ثقافة خاصة تميزها عن سائر جمــاعات المجتمــع • وقد اتخذت الدراسة من الجماعة وحدة للدراسة ، وما يصدر عنهــا من سلوك ، وما تتميز به من ثقافة خاصة تميزها عن بقية جماعات المجتمع •

٣ ـ **حجم العينة** : بلغ حجم عينــة الدراسة ٢٠٠ حالة ، وقد تم اختيار العينة على الأسس التالية :

(أ) استبعاد الاحداث المقيمين بدار الملاحظة ، نظرا لأن اقامة الحدث بها تعد اقامة مؤقتة بقصد التحفظ والملاحظة لحين الفصل فى أمره •

(ب) استبعاد الاحداث الذين تقل أعمارهم عن ١٢ سنة •

(جـ) استبعاد الاحداث الذين ينطبــق عليهم لفــظ « الأحداث المشردون » •

٤ ـ **خصائص عينة الدراسة** : تحاول الدراسة ـ من خلال تلك الخصائص ـ رسم صورة متكاملة لعينة الدراسة من حيث معدلات السن بها ، ونوعية المسكن ومدى توافر المرافق به ، هذا فضلا عن أنها تعطى صورة واضحة لمعيارى الطبقة ، وهما مستوى التعليم والمهنة ، وتحددت أهم خصائص العينة فيما يلى :

(أ) تتركز غالبية أفراد العينة حول فئتى السن (١٢ـ) ، (١٤ـ) حيث بلغت نسبتهم ٧٦٪ من اجمالى العينة •

(ب) يمثل المسلمون الغالبية العظمى من العينــة ، حيث بلغت نسبتهم ٥ر٩٨٪ •

(جـ) تحتل المدينة المركز الأول كمحل ميلاد واقامة للأحداث ، حيث بلغت نسبة من ولدوا بها ٥ر٨٥٪ ، بينما نسبة من يقيمون فيها ٩٨٪ •

(د) ارتفاع نسبة الأمية بين آباء الاحداث ، حيث بلغت نسبة الأمية بينهم ٧٠٪ ، بينما بلغت نسبة الأمية بين أمهات الأحداث ٨٥٪ ، بينما بلغت نسبة الأمية بين الاحداث ٥ر٣٤٪ •

(هـ) إرتفاع نسبة العمال شبه المهرة والعمال غير المهرة بالنسبة لمن يقومون باعالة الحدث حيث بلغت ٧١٪ ٠

(و) لايزال الأب هو العائل الأساسى للحدث ، بالرغم من انخفاض نسبته عند مقارنته بنسبة الآباء الأحيــاء ، فبينما بلغت نسبة الآباء الاحياء ٧٣٪ ، فان نسبة من يقوم بدوره كعائل ٤٧٪ ٠

(ز) تتميز مساكن العينة بتوافر الموافق الى حد ما ، وان كانت لاتزال تنقصها بعض الخدمات ٠

(ح) بلغت نسبة الاحداث التى تقيم فى حجــرة أو حجــرتين ٧٣٫٥٪ من اجمالى العينة ٠

(ط) تتوافر الاجهزة المنزلية لدى أسر العينة بصورة ملحوظة ٠

(ى) ارتفاع نسبة ملكية المنازل بين أسر أفراد العينــة بصورة ملحوظة ٠

(ك) تتركز غالبية القيمة الايجارية حول فئتى الايجار (أقل من ٥ جنيهات) و (٥ ــ ١٠) حيث بلغت نسبتهما ٦٦٪ ٠

* ● *

خامسا : فروض الدراسة :

تضمنت الدراسة مجموعتين من الفروض :

المجموعة الأولى : تتضمن الفــروض المستخلصة من مناقشة أهم الأتجاهات النظرية فى دراسة الجناح ، والدراسات الامبيريقية فى هذا المجال ، وتتحدد تلك الفروض فيما يلى :

١ ــ تتناسب درجة تعليم الحدث الجانح وكذا درجة تعليم والديه أو العائل تناسبا عكسيا مع جناح الاحداث ٠

٢ ــ تتناسب درجة تعليم الحدث تناسبا طرديا مع ادراك أهمية التعليم كقيمة أساسية •

٣ ــ تتناسب درجة التصدع البنــائى والوظيفى للأسرة تناسبا طرديا مع جناح الاحداث •

٤ ــ يتناسب المستوى المهارى والفنى لمهنة الحدث ومهنة والديه أو العائل تناسبا عكسيا مع جناح الاحداث •

المجموعة الثانية : تتصل تلك المجموعة من الفروض بصورة مباشرة بنظرية الثقافة الخاصة الجانحة ، وهى ذات هدف استطلاعى ، تسعى الى التحقق من مدى الصدق الامبيريقى لسمات الثقافة الخاصة الجانحة فى ضوء المجتمع المصرى وثقافته • ولذلك فان تلك الفــروض ليست فروضا بالمعنى المتعارف عليه ، بقدر ما هى مقولات تسعى الدراسة الى التحقق من صدقها أو زيفها أمبيريقيا • وهذه المقولات هى :

١ ــ يعد السلوك الجــانح سلوكا نفعيا تحكمه وتوجهه معــايير النفعية •

٢ ــ يتسم السلوك الجانح بأنه سلوك مخطط ، يسعى عادة الى تحقيق أهداف وغايات أحيانا ما تكون بعيدة المدى •

٣ ــ هناك علاقة طردية بين الرغبة فى الانتقــام من الآخرين والحقد عليهم وبين اتسام السلوك الجانح باللانفعية •

* ● *

سادسا : نتائج الدراسة :

١ ــ أكدت الدراســة انخفاض مستوى تعليم عينــة البحث ، متضمنا المستوى التعليمى للأب والأم والحدث • فقد أوضحت الدراسة ارتفاع نسبة الأمية بين أفراد العينــة ، حيث بلغت نسبة الأمية بين

الآباء ٧٠٪ ، وبين الامهات ٨٥٪ ، وبين الاحداث ٣٤٫٥٪ . كما أوضحت الدراسة وجود تناسب عكسى بين المستوى التعليمى وبين زيادة درجة الانحراف .

٢ ــ يعد الهروب من المدرسة هو **أول مراحل الانحراف** ، وهنا تلعب البيئة الخارجية دورا هاما فى جذب الحدث اليها . وتعد السينما أحد عوامل الجذب القوية للأحداث . فهى تبعث على الانحراف أو السلوك الاجرامى باثارة الرغبات فى الحصول على المال السهل والرفاهية ، أو اثارة روح البطولة والقسوة والمغامرة ، أو باثارة الغرائز الجنسية ، أو باستثارة أحلام اليقظة عن الادوار الاجرامية . وبالرغم من أهمية التليفزيون وما يعرضه من أفلام يشاهدها الشباب ، الا أن السينما بالنسبة للشباب تتفق مع اتجاهاتهم . فالتليفزيون لا يعد بديلا فعالا عن السينما . فقد ظلت الحفلة السينمائية ضرورة اجتماعية للشباب للخروج ، وفى السينما يشاهد الشاب الفيلم الذى يختاره ، وعندما يختاره يثبت شخصيته ، وهو ما يميز السينما عن التليفزيون .

٣ ــ أوضحت الدراسة أن الغالبية العظمى **لمهن الآباء** تتركز حول الاعمال الحرفية ، والاعمال شبه الماهرة وغير الماهرة . بينما تتركز مهن الأمهات حول الاعمال شبه الماهرة وغير الماهرة ، فى حين تتركز مهن الاحداث حول الاعمال شبه الماهرة وغير الماهرة . وتتركز مهن العائل حول الاعمال الحرفية الماهرة ، والاعمال شبه الماهرة وغير الماهرة . كما أظهرت الدراسة أن نسبة العمال الصناعيين المهرة ضئيلة جدا ، حيث لم تتجاوز بين الآباء نسبة ٣٫٥٪ ، وبين العائل ٢٪ من اجمالى العينة . وكذلك كانت نسبة المشتغلين بالأعمال الكتابية ضئيلة ، حيث لم تتجاوز بين الآباء نسبة ١٪ ، فى حين بلغت نسبتها بين العائل ٢٪ . وبلغت نسبة الباعة الجائلين بين الآباء والعائل ٥٪ من اجمالى العينة لكل منها .

٤ ــ أوضحت الدراسة أن **غياب أحد الوالدين أو كلاهما بسبب الطلاق أو الوفاة ، يعد أحد العوامل المسببة لانحراف الأحداث** • ولا يعنى ذلك أن وجودهما معا يدرأ عن الأحداث الانحراف ، فان المشاجرات والخلافات داخل الأسرة تسبب تصدعا اجتماعيا ونفسيا فى العلاقات سواء بين الوالدين ؛ أو بينهما وبين الابناء ، فالخلافات الأسرية تزيد من التفكك الاجتماعى داخل الأسرة •

٥ ــ كشفت الدراسة أنه **بالرغم من وجود الأب فلم يعد يقوم بدوره الأساسى كعائل للأسرة** ، حيث اضطلع بهذا الدور آخرون • فأحيانا تقوم الأم بدور العائل ، أو يكون أحد الأخوة أو الأقارب هو العائل وربما كان الحدث نفسه مستقلا • ولقد أدى ذلك الى اهتزاز مكانة الأب لدى الأبناء ، خاصة بين الابناء الذين خرجوا للعمل وتحملوا مسئولية اعالة أسرهم وأصبحوا المصدر الاساسى للدخل ، الأمر الذى منحهم القوة لمعارضة الآخرين ــ أيا كانوا ــ والنزوع نحو الاستقلال، ذلك الاستقلال الذى ان لم يكن موجها ورشيدا ، فانه سرعان ما يهوى بصاحبه الى هاوية الانحراف •

فكثير من الأبناء المنحرفين يعتقدون أن آباءهم يحرمونهم من استقلالهم ، ومن ثم فانهم يجدون فى اكتساب أو تعلم الانحراف متنفسا للتعبير عن هذا الاستقلال ، ولعل الجناح فى بعض مظاهره يعتبر مخرجا غير سوى لهذه الحاجة غير المشبعة ، وكأن الانحراف يؤكد بهذا الأسلوب بعنف وبحدة عن استقلاله •

٦ ــ كشفت الدراسة عن **الظروف والأحوال السكنية** السيئة التى يحيا فيها أحداث الطبقة العاملة • فلقد تبين أن نسبة عالية من مساكن أحداث عينة الدراسة تنقصها المرافق العامة (كهرباء ــ مياه ــ مجارى) • كما يعانون من ضيق المساكن ، حيث بلغت نسبة أفراد العينة الذين يقيمون فى حجرة أو حجرتين ٧٣,٥٪ من اجمالى العينة •

ومما يزيد من حدة هذه المشكلة زيادة عدد أفراد الأسرة بصفة عامة بين أحداث الطبقة العاملة • فضـيق المسكن مع زيادة عدد أفراد الأسرة يؤدى الى زيادة المشكلات الاجتماعية داخل الأسرة ، ويمهد لظهور العديد من الامراض الاجتماعية ، كما أنه يؤدى الى تزايد الرغبة بين أفراد الأسرة فى مغادرة المنزل والبقاء خارجه لأطول فترة ممكنة •

٧ ـ أوضحت الدراسة أن نسبة مرتفعة من **أفراد العينة يقيمون فى مناطق تتميز** مساكنها بالايجارات المنخفضة ، وهذه المناطق تعد من أكثر المناطق شعبية وفقرا فى مدينة القاهرة • ويتفق ذلك مع الرأى القائل بأن مناطق الانحراف تتجه الى التركز فى المناطق الأشد فقرا، سواء أكانت تلك المناطق قريبة من وسط المدينة أم تقع على أطرافها ، فان مناطق التركز فى المدن الكبيرة هى مناطق الانحلال الطبيعى• وعامة ما يبدأ الانحراف فى هذه المناطق فى سن مبكرة ، ويصل الأحداث الى مرحلة النضج فى الجريمة فى سن مبكرة أيضا •

اذا كانت المناطق التى تتميز بارتفاع معدلات الاجرام فيها ، هى المناطق ذات الايجار المنخفض نتيجة لعزل السكان على أساس القدرة على دفع الايجار ، فان معدل الانحراف هو نتاج المنطقة أكثر من كونه نتاجا عن السكان الذين يقيمون فيها ، فانه لا يمكن اغفال طبيعة المنطقة كعامل مؤثر فى ظهور العديد من أنماط السلوك المنحرف • وبالرغم من ذلك فان مناطق الانحراف تشمل كثيرا من الاشخاص الأسوياء الذين يقيمون كالمنحرفين تحت نفس الظروف • ففى أشد المناطق انحرافا فان الاتصال بالنماذج الاجرامية محدود ، اذ أنه من الناحية العملية لا توجد منطقة انحراف كاملة ، فهناك مناطق أو أجزاء منها يقيم فيها فى وقت معين أغلب المنحرفين ، وهناك مناطق أخرى يقيم فيها الأسوياء منعزلين نسبيا عن المنحرفين • ولا يعنى ذلك الانعزال النسبى عدم تعرض وتأثر الأسوياء بالأنماط الاجرامية الموجودة ، ولكن تلعب الأسرة

والمدرسة دورا هاما فى حمـــاية الافراد من الانسياق والامتثال لهذه الانماط الاجرامية •

٨ ــ أوضحت الدراسة أنه ليس ثمة علاقة واضحة ومحددة بين المستوى التعليمى للأحداث الجانحين ، وبين **النظر الى التعليم باعتباره قيمة اجتماعية يسعون الى تحقيقها** • ويلاحظ أن اتجاه الامين ومن فى المرحلة الابتدائية قد سار فى اتجاه ، بينما اتخذ من واصلوا تعليمهم للمرحلة الاعدادية اتجاها آخرا ، بينما كان من المتوقع أن يتخذ اتجاه من دخلوا المدرسة مسارا واحدا ، ويتخـــذ الأميـــون مســـارا آخر بمفردهم • وتفسير ذلك يرتبط بالعملية التعليمية ومدى كفاءتها ومقدرتها على الوفاء بالغرض منها ، فالتعليم الابتدائى وحتى الصف الرابع منه لا يضيف الكثير للطفل ، وقد يستمر ذلك الى نهاية المرحلة الابتدائية ، وبالتالى فان خروج الحدث من المدرسة الابتدائية من الصفوف الأولى لا يعنى اختلافه كثيرا عن الذين لم يدخلوا المدرسة أصلا ، أو أنهم قد اكتسبوا من المعارف والمعلومات القـــدر الذى يزيد من تمسكهم بالتعليم واستكمال طريقة •

٩ ــ أوضحت الدراسة الميدانية أن اكمال التعليم أو العمل بحرفة ليس الهدف الهام الذى يسعى اليه الأحداث الجانحون لتحقيقه ، فحتى عندما كانت المهنة هى البديل الأساسى عند عدم استكمال التعليم ، فانها كانت بديلا مؤقتا يوفر ــ بصورة مؤقتة ــ الحد الأدنى لمستوى المعيشة • فالمهنة فى نظر الكثير من الأحداث تعد مرحلة انتقالية يسعى بعدها الحدث الى البحث عن وسيلة أكثر ربحا وأقل جهدا ، تمكنه من الوصول الى المكانة التى يطمح اليها • وعادة ما يمر الحدث بثلاث مراحل هى :

(أ) مرحلة التعليم (المدرسة) •

(ب) مرحلة المهنة .

(جـ) مرحلة الانحراف .

(أ) مرحلة التعليم (المدرسة) :

بلغت نسبة الاحداث الذين لم يذهبوا الى المدرسة على الاطلاق ٣٤٫٥٪ ، بينما بلغت نسبة من يعرفون القراءة والكتابة ووصلوا الى المرحلة الابتدائية ٦١٫٥٪ ، ونسبة من بلغوا المرحلة الاعدادية ٤٪ ؛ أي أن اجمالى من دخلوا المدرسة بلغت نسبتهم ٦٥٫٥٪ . أما أسباب ترك الدراسة فكانت كالآتى : «التزويغ» ٢٤٪ ، «تعلم صنعة» ١٥٫٥٪، «أهلى خرجونى» ٢٥٫٥٪ ، «المشى الوحش» ٥٫٠٪ .

ان رغبة الأهل فى ترك الحدث للمدرسة يمكن ارجاعها الى عدة عوامل منها فشل الحدث الواضح فى الدراسة منذ مراحلها الأولى ؛ الأمر الذى ينبىء عن عدم قدرته على اكمال مراحل التعليم ، كما يقف العجز المادى للأسرة عن توفير نفقات التعليم حجر عثرة أمام أسرة الحدث لاستكمال تعليمه خاصـــة فى المرحلتين الاعدادية والثانوية . وتلعب رغبة الأب الحـــرفى فى وجود أحد أبنائه بجـــواره فى العمل لمساعدته عاملا هاما أيضا فى اخراج الابن من المدرســـة ، وفى بعض الحالات قد يدفع الحدث للعمل بغية الحصول على عائد مادى من وراء عمله ، خاصة بالنسبة للأسر التى تعـــانى من دخل منخفض بصورة كبيرة . كما أن هناك حقيقة هامة لا يمكن اغفالها وهى أن سوق العمالة الحرفية بالدول العربية يمثل عامل اغراء قوى لدى بعض الأسر فتتجه الى تعليم أبنائها بعض الحرف تمهيدا للعمل بتلك الدول

كما أوضحت الدراسة أن نسبة من تركوا المدرسة بسبب التزويغ منها بلغت ٢٤٪ من اجمالى العينة ، ويمكن ارجاع ذلك الى أسباب

عدة منها الفشل فى التعليم ، كما أن طبيعة العلاقة بين المدرس والتلميذ قد لعبت دورا هاما فى اقبال التلميذ على المدرسة والتعليم أو فى هروبه منهما، فقد تكون المعاملة السيئة سببا مباشرا وراء هروب التلميذ بالرغم من تفوقه الدارس • كما تلعب رفقة السوء دورا هاما فى التزويغ من المدرسة ، فانخراط التلميذ فى علاقات مع تلاميذ منحرفين يؤدى به فى النهاية الى اعتياد التزويغ من المدرسة •

وتعد الرغبة فى تعلم «صنعة» سببا هاما من أسباب ترك الدراسة سواء من قبل الحدث نفسه أو من ذويه ، فكما اتضح من قبل كان الهدف الاساسى للأهل من اخراج الابن من المدرسة هو تعلم «صنعة» بدلا من الاستمرار فى التعليم •

أما «المشى الوحش» فهو عادة ما يبـدأ بالتزويغ من المدرسـة والتعرف على بعـض رفاق السوء والانخـراط بعـد ذلك فى بعض السرقات •

(ب) مرحلة المهنة :

لا يعد ترك المدرسة بسبب تعلم «صنعة» أو بسبب رغبة الأهل سلوكا منحرفا ، بينما يعد التزويغ من المدرسة سلوكا منحرفا ، لأنه اذا كان تعلم «الصنعة» يتم بمعرفة الأهل ، فان التزويغ يتم خلسة دون معرفتهم ، ولا يقتصر التزويغ هنا على المدرسة فقط ، بل يمتد ليشمل التزويغ من محل العمل •

وقد بلغت نسبة من يزوغون أسبوع أو أكثر فى الشهر ٣٦٫٠٪ وهى نسبة ذات دلالة هامة ، فاذا وضعنا فى الاعتبار الحد الأدنى لها وهى أسبوع شهريا ، وذلك خلاف أيام الاجازات والعطلات الرسمية، بالنسبة لمن يذهبون الى المدرسة ، لتبين لنا أن هذه النسبة لا تحضر

سوى ما يقرب من شهرين خلال العـام الدراسى • أما بالنسبة لمن يعملون فى حرف ومهن ، فان النتيجة المتوقعة بالنسبة لهؤلاء هى الفصل من العمل ، وحتى فى حالة الاستمرار فى العمل فانهم يحصلون على أجور منخفضة نسبيا ، فالغياب عن العمل فضـلا عما يؤدى اليه من نقص فى الاجور ، فانه يؤثر سلبيا فى قدرة الحدث على اكتساب المهارة الفنية لعمله ، وهو أمر مؤثر على أجره •

وقد اتضح من الدراسة أن معظم «المزوغين» من المدرسة أو العمل غالبا ما يذهبون الى السينما بصفة خاصة ، بينما يمضى البعض الآخر وقتهم فى لعب الكـرة • ويمضى بعض «المزوغين» وقتهم فى المقاهى للعب الورق والنرد ، وغالبا ما يكون اللعب على مراهنات •

(جـ) مرحلة الانحراف :

ان انحراف الحدث لا يبدأ فجأة ، ولكنه نتيجة لسلسلة متوالية من المراحل • ولعـل من أولى تلك المراحل ، هى مرحـلة التنشئة الاجتماعية للحدث فى الأسرة • فان الأسرة تلعب دورا هاما خاصة فى المراحل الاولى من حياة الحدث • فعن طريقها يتشرب الحدث القيم الاساسية ، ويتمثل معايير السلوك السوية • وتلعب الأسرة دورا هاما من خلال قيامها بواجباتها التوجيهية ، ثم الاشرافية والرقابية ، وأخيرا دورها العقابى ، عند ممارسة الابن لأى نمط مخـالف من السلوك ، فأساليب العقاب والثواب التى تتبعها الأسرة ترتبط بنسق القيم الذى يدور حوله مبدأ الطاعة أو الامتثال ، بمعنى أن جميع أساليب الممارسة والمجازاة التى يتبعها الآباء تهدف فى المقام الأول الى بث حب الطاعة أو الانصياع عند الطفل •

ويتضح مدى قيام الأسرة بدورها الاشرافى والرقابى والعقابى على أبنائها من خلال ما تتخذه من اجراءات ازاء المخالفات السلوكية

التى يرتكبها الأبناء • فقد أوضحت الدراسة أن نسبة الاحداث الذين اعتادوا الحصول على اذن مسبق من ولى الأمر فى المنزل عند التأخر ليلا بلغت ٦٨٪ ، بينما بلغت نسبة من يفعلون ذلك أحيانا ٢٤٫٥٪ • ويوضح ذلك مدى الاشراف والرقابة الأسرية على الأبناء المتمثلين فى ضرورة حصول الابن على اذن عند التأخر ليلا • فبالرغم من أن التأخر ليلا لا يعد سلوكا منحرفا فى حد ذاته ، الا أنه عادة ما يرتبط فى ذهن بعض أولياء الأمور بأنه أشياء لا يجب أن تحدث ، وان كان لابد منها، نفى أضيق نطاق ، وللضرورة القصوى ، وبمعرفة ولى الأمر • فالتأخر ليلا يرتبط فى أذهانهم — بصورة أو بأخرى — بالانحراف حيث أنه يعد بداية الطريق للانحراف •

١٠ — تناولت الدراسة **العلاقة بين المستوى التعليمى للحدث واتجاهه نحو التعليم بصفة عامة** • فقد تبين أن ميل الأميين نحو تعلم صنعة أو حرفة كان أكبر من ميلهم نحو التعليم • فمن بين الأميين الذين بلغت نسبتهم ٣٤٫٥٪ ود ٤٣٫٥٪ منهم لو أنهم تعلموا منذ البداية ودخلوا المدرسة ، بينما بلغت نسبة من يفضلون العمل الحرفى ٥٦٫٥٪ • كما تميل نسبة من يقرأون ويكتبون الى تعلم حرفة أو صنعة •

لقد كان ميل الأميين القوى نحو تعلم صنعة أو حرفة ميلا متوقعا، ولكن الدراسة أوضحت أيضا أن درجة الميل توجد وبنفس القوة بين من بلغوا المرحلة الابتدائية من التعليم • فلقد كان من المتوقع أن يرتفع الميل نحو التعليم بين من انخرطوا ولو لفترة قصيرة فى مرحلة التعليم الابتدائى ، ولكن العكس هو ما أوضحته الدراسة • فقد بلغت نسبة من بلغوا مرحلة التعليم الابتدائى ٦٠٫٥٪ من اجمالى العينة ، فى حين أن نسبة من فضلوا احتراف مهنة منذ البداية من أفراد هذه الفئة بلغت ٥٣٫٧٪ • ويكمن تفسير هذه النتيجة فى تأثر الابناء بثقافة

الطبقة العاملة ككل ، المتمثلة فى سيادة العمل الحرفى والمهنى كمصدر مرتفع للدخل ، وانخفاض مكانة التعليم بين أفراد هذه الطبقة .

كما أنه لا يمكن اغفال تأثير الثقافة الخاصـــة الجانحة على قيم الابناء ، فاذا كان الحدث يتخلى عن التعليم من أجل الحصول على مهنة تدر عليه عائدا مرتفعا ، فانه أيضا وفى مرحلة تالية يتخلى عن المهنة أيضا من أجل الحصول على مصدر أسهل وأيسر للحصول على عائد أعلى وبدون مجهود يذكر . فهو فى المرحلة الأولى يهجر التعليم من أجل المهنة فى سبيل عائد مرتفع ، ولكنه يشعر أنه يبذل جهدا شاقا لا يعادل ما يحصل عليه من عائد ، فيبحث عن مصدر آخر يحقق له عائدا مرتفعا دون جهد ، فيهجر المهنة فى المرحلة الثانية وينخرط فى ارتكاب مجموعة من الافعال الجانحة بغية الحصول على عائد أكبر بأقل قدر ممكن من الجهد والعمل الشاق .

أما بالنسبة لمن واصلوا تعليمهم حتى المرحلة الاعدادية (بلغت نسبتهم ٤٪ من اجمالى العينة) فقد كان اتجاههم نحو التعليم مرتفعا، حيث بلغت نسبة من فضلوا السير فى التعليم منذ البداية ٨٧,٥٪ من أفراد هذه الفئة ، على حين بلغت نسبة من فضلوا العمل المهنى منذ البداية ١٢,٥٪ . ولعل تبرير ذلك يكمن فى أن من تخطى مرحلة من التعليم ازدادت دوافعه نحو استكمال مراحل التعليم حتى نهايتها ، وبالتالى يقوى احساسه بأهمية التعليم كوسيلة لتحقيق النجاح .

١١ — أوضحت الدراســـة أن **قيـــام الأســـرة بدورها الرقابى والاشرافى بصورة فعالة وايجابية** يتوقف على عوامل كثيرة . فلقد أبانت الدراسة أن نسبة الاحداث الذين ذكروا أنهم دائما ما كانوا يعاقبون عند ارتكاب الخطأ بلغت ٨٠,٥٪ من اجمالى العينة ، بينما بلغت نسبة من قالوا بأنهم كانوا يعاقبون أحيانا ١٩,٥٪ من اجمالى العينة . واذا

ما تناولنا أنماط العقاب نجد أن الضرب يحتل المرتبة الاولى حيث بلغت نسبته ٨٦٪ ، ويلى ذلك اللوم والتأنيب حيث بلغت نسبته ١٤٪ • وقد كشفت الدراسة انعدام نمط الحرمين من المصروف والطرد من البيت كأنماط عقابية • ويمكن تفسير ذلك الى ما يلى :

(أ) بلغت نسبة الاحداث العاملين ٨٧٪ من أجمالى العينة ، أى أن هناك فئة كبيرة من أفراد العينة يعملون ويحصلون على أجر ، وبالتالى فهم ينفقون على أنفسهم ، بل ان بعضهم يعطى لأسرته بعضا مما يحصل عليه من أجر ، وبالتالى فأين هو المصروف الذى سوف يحرم منه الحدث لارتكابه خطأ ما ؟ • ان ذلك النمط العقابى ، لا يعد نمطا عقابيا فعالا الا فى حالة اعتماد الحدث بصورة مباشرة وكاملة على أسرته فى الحصول على النقود ، فالحدث الذى يعمل هو عائل نفسه ولو بالنسبة لاحتياجاته الشخصية ، فكيف يحرمونه مما لا يمنحونه اساسا ؟! •

(ب) لا يعد الطرد من المنزل وسيلة عقابية بالنسبة لأفراد عينة الدراسة ، خاصة وأن الدراسة قد أوضحت أن نسبة من يقومون مع الأبوين ٤٣٪ فقط من اجمالى العينة ، وفى معظم الاحوال فان الحدث العامل يعد أحد مصادر الدخل الاساسية للاسرة ، وبالتالى فان طرده من المنزل يعنى حرمان الأسرة من هذا المصدر ، وهو أمر يضعه ولى الأمر فى إعتباره قبل اقدامه على طرد الحدث من البيت •

(جـ) يلاحظ عادة أن الحدث هو الذى عادة ما يهجر البيت ويتركه ، وذلك اما بسبب رغبته فى الاستقلال ، خاصة عندما يتيح له العمل وما يحصل عليه من عائد أن يستقل ماديا عن أسرته ، أو بسبب انغماسه فى ارتكاب بعض الافعال الجانحة ، ويشعر بأن خروجه من البيت سوف يتيح له قدرا من حرية الحركة لمارسة سلوكه الجانح •

ومما سبق يتضح أنه بالرغم من أن الأسرة المصرية تعـد أحد عوامل الضـبط الاجتماعى فى المجتمـع من خـلال دورها الاشرافى والعقابى ، وما تمارسه من أساليب عقـابية تتمثل بصـفة أساسية فى أسلوب الضرب ، الا أن تزايد الاهمية الاقتصادية للحدث باعتباره أحد مصادر الدخل الاساسية للأسرة ، يحد من قيام الأسرة بدورها الفعال والمؤثر فى حماية أبنائها من الانحراف ، هذا فضلا عن أن الاستقلال الاقتصادى للأبناء قد جعل من بعض الأساليب العقابية أساليب غير ذات قيمة وعديمة الجدوى ، مثل الحرمان من المصروف أو الطرد من المنزل .

ويمكن القول بصفة عامة ان هناك علاقة قوية بين قدرة الاسرة المادية على الانفاق على أبنائها ، وبين قوة سلطتها الاشرافية والعقابية، فكلما تزامن عجز رب الأسرة عن القيام بوظيفته الاقتصادية مع تزايد القدرة الاقتصادية للأبناء ، كلمـا أدى ذلك الى ضـعف دور الأسرة الاشرافى والعقابى .

١٢ ــ أوضحت الدراسة الميدانية : **إنتفاء سمة اللانفعية عن الثقافة الخاصة الجانحة** ، حيث تبين أن السلوك الجـانح هو سلوك رشيد نفعى ، يهدف الى تحقيق عائد مادى مرتفع . ويتضـح ذلك بصورة كاملة اذا ما تناولنا أكثر الممارسات الجـانحة شـيوعا بين الجماعات الجانحة للأحداث ، وهى أخذ الاشياء من الغير (السرقة) . وتتجلى فى ذلك النمط من السلوك الجانح النفعية كسمة أساسية لا يمكن اغفال تأثيرها على السلوك الجانح ، فالحدث يسرق أشياء ذات قيمة مرتفعة، أو أشياء يمكن أن يستخدمها فيما بعد .

فلقد أظهرت الدراسة أن نسبة الذين ذكروا أنهم دائما يأخذون (يسرقون) الاشياء التى يحتاجون اليها وذات منفعة بالنسبة لهم بلغت

٩٠٪، وهذا يوضح أن سلوكهم ليس سلوكا عشوائيا، وانما هو سلوك محدد ذو هدف واضح • هذا فى حين بلغت نسبة من قالوا بأنهم يفعلون ذلك أحيانا ١٠٪ من اجمـالى العينة • وهنا يتضـح أن القول بأنهم يسرقون طعاما لن يأكلوه ، وملابس لن يرتدوها ، ولعبا لن يلهوا بها ، يعد قولا مضللا الى حد كبير ، ولا يلقى أى تأكيد أو تأييد أمبيريقى • فالحدث عادة ما يهتم بأن تكون الاشـياء المسروقة ذات قيمة عالية وغالية الثمن ، فتلك سمة وقيمة أساسية توجه السلوك الجانح ، فقد بلغت نسبة من يهتمون بصفة عامة أن تكون الاشياء ذات قيمة مرتفعة ٩٨٫٥٪ •

ومما سبق يتضح أن السلوك الجانح هو سلوك ذو هدف تحكمه معايير المنفعة • وعلى ذلك فان القول بأن الثقافة الخاصـة الجانحة تتميز بسمة اللانفعية هو قول خاطىء تماما ولا يستند الى أى شواهد أمبيريقية ، وبالتالى لا يمكن النظر الى السرقة — على سبيل المثال — على أنها شكل من أشكال اللهو أو التسلية ، بل هى سلوك نفعى يسعى الى تحقيق غاية معلومة مسبقا للفـاعل ، هى التى تدفعه الى اتيان هذا السلوك •

١٣ — يتميز سلوك أعضاء الثقافة الخاصة الجانحة بالعداء والحقد، ويتضح ذلك من خلال ما يقـوم به أعضاؤها من تخـريب وتحطيم للممتلكات ، وما يحملونه من عداء للآخرين • وتتمثل سمة الحقد فى نمطين سلوكيين : النمط الأول موجه ضد الافراد ، والنمط الثانى موجه ضد الممتلكات العامة •

(أ) النمط الاول : ويتمثل فى أنماط السلوك المنحرفة الموجهة للافراد ، فقد أوضحت الدراسة ما يلى :

— بلغت نسبة الاحداث الذين ذكروا أنهم اعتـادوا دائما كسر

أو تخريب أشياء لا تخصهم ٧./٪ ؛ بينما بلغت نسبة من يفعلون ذلك أحيانا ٧٧./٪ ، فى حين بلغت نسبة من أنكروا ذلك ١٦./٪ •

- بلغت نسبة الاحداث الذين ذكروا أنهم دائما ما اعتادوا أخذ الاشياء من الآخرين لاغاظتهم ٦./٪ ، بينما بلغت نسبة من يفعلون ذلك أحيانا ٥٧,٥٪ ، ونسبة من أنكروا ذلك العمل ٣٦,٥٪ •

واذا نظرنا الى ظاهرة كسر وتخريب ممتلكات الآخرين يتضح أن تلك الظاهرة بالرغم من أنها تحدث بصورة متوسطة نسبيا، فانه لايمكن اغفال هذا النمط من السلوك ، حيث يعد دليلا قويا على أن الاحداث لديهم ميل قوى تجاه تحطيم وتخريب ممتلكات الآخرين ، كذلك الامر بالنسبة لظاهرة أخذ ما لدى الغير لمجـرد التمتع باغاظتهم ، فهو يعد سلوكا حقودا وعدوانيا • ويتضح ذلك الاتجاه العدوانى تجاه الآخرين اذا علمنا أن نسبة الذين ذكروا أنهم يأخذون دائما الاشياء من شخص يكون فى الغالب غنيا قد بلغت ٣٦,٥٪ ، بينما نسبة من يفعلون ذلك أحيانا بلغت ٥٩٪ ، ونسبة من لا يهتمون بكون الشخص غنيا أو فقيرا بلغت ٤,٥٪ • ومن ذلك يتضح ما يضمره هؤلاء الاحداث الذين ينتمون الى طبقة تعانى من الفقر والحرمان ولا تتمتع بأى قدر من الامتيازات، لهؤلاء الذين يعيشون فى رغد من العيش ولا يعانون من الفقر • فالحدث غالبا ما يزداد شعوره بالحرمان كلما زاد الغنى ثراء ، فانه يشعر بمدى اتساع الهـوة بيته وبين هؤلاء « الذين يسكنون الفيـلات ويركبون العربيات » • وقد ولد هذا الشعور بوجود فارق كبير بين الاحداث وبين من يعتبرونهم أغنياء احساسا قويا لدى الاحداث بأن الآخرين أفضل منهم ، فلماذا لا يكون الانتقام منهم بسلبهم بعضا مما يملكون ؟ •

كما كشفت الدراسة عن أن نسـبة الاحداث الذين ذكروا أنهم اعتادوا دائما أخذ الاشياء من الآخرين لشعورهم بأنهم أحسن منهم

٣٧,٥٪ ، بينما بلغت نسبة من يفعلون ذلك أحيانا ٥٨٪ ، ونسبة من قالوا بأنهم لا يهتمون بذلك ٤,٥٪ .

ويتضح مما سبق أن هناك شعورا قويا بين الاحداث بالدونية ، وأنهم أقل فئات المجتمع مرتبة ، وأكثرهم حرمانا من الامتيازات ، وأقلهم تمتعا بمباهج الحياة . واقد ولد هذا الشعور لديهم احساسا قويا بالظلم ، الامر الذى دفعهم الى تعويض ذلك بسلب الآخرين بعضا مما لديهم ، بل وتمتعهم بعملية السلب ذاتها ، لأنها تشعرهم بتفوقهم على الآخرين ، حتى ولو كان ثمن ذلك التفوق هو حرمانهم من حريتهم ؛ تلك الحرية التى ليس لها أية قيمة مع ما يعيشون فيه من فقر وحرمان .

(ب) النمط الثانى : ويتمثل فى أنماط السلوك المنحرف الموجهة للممتلكات العامة ، فقد أوضحت الدراسة ما يلى :

ـ بلغت نسبة الاحداث الذين حطموا أو ألقوا حجارة على وسائل المواصلات العامة أو قطارات السكك الحديدية أحيانا ٥٪ ، فى حين بلغت نسبة الذين أنكروا ذلك بصفة قاطعة ٩٥٪ .

ـ بلغت نسبة الاحداث الذين اعتادوا دائما كسر مصابيح الانارة بالشوارع ٠,٥٪ ، فى حين بلغت نسبة الذين فعلوا ذلك أحيانا ١١,٥٪ ، بينما بلغت نسبة من أنكروا ذلك ٨٨٪ .

وقد نفى جميع أفراد العينة اشتراكهم فى أية مظاهرة أو تجمهر ضد سياسة الدولة ، حيث يسود الاعتقاد ـ بين الاحداث ـ بأن مثل تلك الافعال تؤدى بصاحبها الى السجن مدى الحياة أو ربما الموت ، بينما ما يرتكبونه من جرائم لها عقوبات محددة ومعروفة .

ويتضح مما سبق أن نمط الجريمة السائد هو الجرائم ضد الافراد،

بينما يكاد يختفي نمط الجرائم الموجه للممتلكات العامة ، وتفسير ذلك أن الفرد فى المجتمع المصرى وبصفة خاصة فى المدينة يعتمد على الافراد الآخرين لتحقيق النجاح والحصول على المكانة والاعتراف بها ، والعلاقات الشخصية الجيدة مع أعضاء الأسرة والجيران والرفاق والأصحاب تعد أمرا هاما فى حصول الفرد على مكانته واعترافهم به • ولذلك فعندما تتعرض مكانة الشخص للتهديد والخطر ، أو يعجز أو يعوق عن تحقيق ما يريده ، فانه يحاول ازالة تلك المعوقات والتغلب على ما يهدده ، وعادة ما يكون ذلك بالانتقام من الشخص الذى يعوقه أو يهدد مكانته ، أو ممن يشعره بدونيته ، فيحاول سلبه ما يميزه عنه ويجعله أفضل منه •

وتطرح الدراسة تساؤلين هامين :

التساؤل الاول : هل تقتصر مشاعر الحقد والعداء على هؤلاء الاحداث فقط دون غيرهم ؟ •

التساؤل الثانى : لماذا يترجم هؤلاء الاحداث مشاعر الحقد والعداء الى أفعال اجرامية ، ولا يفعل ذلك آخرون لديهم نفس المشاعر ؟ •

إن الاجابة عن التساؤل الاول لابد وأن تنطلق من المناخ الاجتماعى السائد فى المجتمع ككل ، حيث انه لا يمكن تفسير سلوك فئة أو شريحة من المجتمع الا فى ضوء ما يسود هذا المجتمع من قيم ومعايير ، فليس هناك من شك أننا ازاء مجتمع قد تزايدت الهوة فيه بصورة واضحة بين أفراده ، كما أصبح من المعتاد أن يعلن بين الحين والآخر عن كبار الشخصيات المنحرفة ، تلك الشخصيات التى استباحت لنفسها المتاجرة والاثراء على حساب الغالبية العظمى الفقيرة من أفراد المجتمع •

فان الاحساس باتساع الهوة بين أفراد المجتمع لم يعد احساسا فرديا ، الامر الذى يجب معه تفسير الشعور بالحقد والعدوان من خلال منظور طبقى ، فهناك طبقة كلما ارتفعت انخفضت الأخرى • ومما يزيد من حدة الشعور بالعداوة والحقد أنه بالرغم من أن ارتفاع تلك الطبقة — من وجهة نظر هؤلاء الاحداث بصفة خاصة — لم يكن بوسيلة مشروعة أو شريفة ، الا أنها وجدت الحماية ولم تمتد اليها يد القانون بالمحاسبة والعقاب ، فى حين لم يستطع الآخرون تحقيق أهدافهم بالوسائل المشروعة ، وهنا قد يتجه البعض الى انتهاج الوسائل المنحرفة لتحقيق تلك الاهداف • وهنا يأتى دور التساؤل الثانى وهو اذا كان الجميع لديهم نفس مشاعر الحقد والعداء فلماذا يتجه البعض الى الوسائل المنحرفة كوسيلة للتعبير عن تلك المشاعر ، بينما لا يفعل ذلك البعض الآخر ؟ •

الواقع أن الفرد يحكم سلوكه نوعان من الضوابط : الاول هو الضوابط الداخلية النابعة من داخل الفرد ، والثانى هو الضوابط الخارجية المتعلقة بالبيئة المحيطة بالفرد • وحتى يقع السلوك المنحرف لابد أن يتوفر شرطان هما :

أ — ضعف الضوابط الداخلية لدى الفرد الناهية عن ارتكاب السلوك المنحرف •

ب — وجود تأييد وتعزيز من البيئة الخارجية لارتكاب السلوك المنحرف • فبالرغم من تملك شعور الحقد والعداوة فردين فى آن واحد فى ظل بيئة واحدة تشجع على الانحراف ، الا أن أحدهما يترجم هذا الشعور الى أفعال اجرامية ، بينما لا يفعل الآخر ذلك ، ومرد ذلك أن الاول ضوابطه الداخلية أو الذاتية قد أصبحت ضعيفة ، ولم تؤد دورها الاساسى فى منع وقوع ذلك السلوك المنحرف •

١٤ ـ أظهرت الدراسة أنه بالرغم من انتمـاء الاحداث لثقافة خاصة ، الا أنهم لايزالون منتمين لثقافة المجتمع ، وأن هناك مجموعة من القيم والمعايير التى دازالت تلعب دورا هاما فى التأثير على سلوك هؤلاء الاحداث • فقد أوضحت الدراســة أن نسبة الاحــداث الذين يوافقون دائما على أداء ما يجمع عليه الناس ٤٫٥٪ ، بينما بلغت نسبة من يوافقون على ذلك أحيانا ٩١٪ من اجمالى العينة ، فى حين بلغت نسبة الذين لم يوافقوا على ذلك ٤٫٥٪ • ومن ناحية أخرى فقد بلغت نسبة الذين ذكروا أنهم دائما ما يفعلون عكس ما يطلب منهم ١٫٥٪ ، بينما بلغت نسبة من يفعلون ذلك أحيانا ٤٧٫٥٪ ، فى حين بلغت نسبة من أنكروا ذلك ٥١٪ من اجمالى العينة •

ومما يلاحظ أيضا أن بعضا من القيــم العامة قد حظيت بنسبة موافقة عالية ، فقد تبين من الدراسة الميدانية أن نسبة الاحداث الذين يوافقون على أن الناس دائما تحترم من يؤدى عمــلا شريفا ٤٣٪ ، بينما بلغت نسبة من قالوا ان الناس أحيانا تفعل ذلك ٥٦٫٥٪ • ومن ناحية أخرى فقد بلغت نسبة من وافقوا على أن صاحب الأخلاق دائما ما ينجح فى حياته ٥٠٫٥٪ ، بينما بلغت من وافقوا على ذلك بدرجة متوسطة ٤٩٪ • كما أوضحت الدراسة أن نسبة الذين يوافقون على أن المذاكرة والنجاح من الأمور التى يجب على الانسان فيها الانصياع لأوامر الآخرين ٤٧٪ ، فى حين بلغت نسبة الذين وافقــوا على ذلك بدرجة متوسطة ٥٢٫٥٪ •

ويتضح مما سبق أن القيم السابقة تحظى بدرجة قبول مرتفعة بين الاحداث ، الامر الذى ينفى عن الثقــافة الخاصة الجانحة سمة الاستقطاب السلبى لقيم ومعــايير المجتمع ، فمازالت قيــم العمل الشريف ، والاخلاق الحسنة ، وأهمية المذاكرة والنجاح يحظى باهتمام

الاحداث الجانحين . ويمكن القول بصفة عامة ، انه اذا كانت هناك قيم مضادة للمجتمع تحكم سلوك الثقافة الخاصة الجانحة ، فان الأحداث لا يتمثلونهـا الا حينما تفشل قيـم المجتمع فى تحقيـق أهدافهـم وطموحاتهم .

١٥ ــ تتميز الثقافة الخاصة الجانحة بسمة **المتعـة اللحظية أو الوقتية** ، فهى لا توجه اهتماما للأهداف بعيدة المدى ، ولا تتجه الى أداء الافعال التى تتطلب التروى والدراسـة . فأعضاء الثقافة الخاصة الجانحة ينزعون الى أداء فعل ما لمجرد أن أحدهم اقترح عليهم ذلك . وبالرغم من أن الدراسة الميدانية قد كشفت عن أن الاحداث يميلون الى الاستمتاع الى أقصى حد باللحظة التى يعيشونها ، الا أن نظرتهم المستقبل يغلب عليها الطابع المستقبلى التخطيطى ، فهـم لا يفعلون شيئا دون أن يكون له هدف ، ولا ينفقون كل ما لديهم ، فهم دائما يضعون المستقبل فى اعتبارهم . فبالرغم من أن نسبة الذين يوافقون تماما على الاستمتاع باللحظة التى يعيشونها قد بلغت ٨٠٪ ، ونسبة من يوافقـون على ذلك بدرجة متوسطة ١٨٫٥٪ ، فان نسـبة الذين يوافقون على مبدأ التخطيط لأى شىء قبل عمله قد بلغت ٧٧٪ ، ونسبة من يوافقون على ذلك بدرجة متوسطة ٢١٫٥٪ .

كما أوضحت الدراسة أيضا أن نسبة من يوافقون على صرف كل ما لديهم من نقود مرة واحدة ٤٪ ، ونسبة من يوافقون على ذلك بدرجة متوسطة ٢٪ ، فى حين بلغت نسبة من لا يوافقون على ذلك ، ويرون أن الانفاق يجب أن يكون على قدر الحاجة ٩٤٪ . ويتفق ذلك مع نظرتهم للمستقبل ، حيث يؤكدون على أنه لابد « من عمـل حساب للمستقبل » . فقد بلغت نسبة من يوافقون تماما على أنه يجب على الفرد عمل حساب المستقبل ٨٣٪ ، بينما نسبة من يوافقون على ذلك

بدرجة متوسطة ١٤٪ . كما أوضحت الدراسة أيضا أن من يوافقون تماما على المثل القائل « اصرف ما فى الجيب يأتيك ما فى الغيب » قد بلغت ٥ر٤٪ فى حين بلغت نسبة من يوافق على ذلك المثل بدرجة متوسطة ١٧٪ ، فى حين بلغت نسبة من لا يوافق على ذلك المثل تماما ٥ر٧٨٪ .

ويمكن القول بصفة عامة ان الثقافة الخاصة الجانحة لدى أحداث الطبقة العاملة المصرية لا تتسم بالمتعة اللحظية أو الوقتية : فهناك دائما عنصر التخطيط للمستقبل ووضعه فى الاعتبار بصفة مستمرة ، فسلوكهم يتميز بأنه سلوك رشيد عقلانى ، وليس سلوكا متهورا ، يسعى الى اشباع حاجات أفراده بصورة وقتية دون ما نظر أو اعتبار للمستقبل .

١٦ — كشفت الدراسة أيضا عن وجود درجة عالية من **التماسك والترابط بين الاحداث** ، خاصة بين هؤلاء الذين تجمعهم تهمة واحدة ، بالرغم من أنه لم تجمعهم من قبل رفقة مشتركة ، وانما تعرف بعضهم على البعض داخل المؤسسة . فعادة ما يدافعون عن بعضهم البعض ، ويتكتلون معا ازاء أى موقف ، سواء أكان ذلك الموقف بين الأبناء وبعضهم البعض ، أو بينهم وبين المستويات الاشرافية فى المؤسسة .

١٧ — كما أبرزت الدراسة وجود اتجاه قوى بين الاحداث يتعلق **بالنزوع الى الاعتماد على النفس فى رد العدوان** ، حتى ولو كان رد العدوان يتم بطريقة خاطئة . فلقد بلغت نسبة الاحداث الذين يوافقون تماما على أخذ حقهم بأنفسهم ولو بطريقة خاطئة ٥١٪ ، بينما بلغت نسبة من يفعلون ذلك أحيانا اذا عجزوا عن الوصول لحقهم والحصول عليه ٥ر٢١٪ ، فى حين بلغت نسبة الذين لم يفعلوا ذلك أبدا ٥ر٢٧٪ .

ويمكن القول بصفة عامة ان هناك شعورا قويا بين الاحداث بأن صاحب الحق فقط هو الذى يستطيع استعادة ما سلب منه ، سواء حاول استرداده بطريقة مشروعة وفشل ، أو اتجه الى استعادته بأى وسيلة كانت • ويرتبط استعادة الحق بمفهوم «الرجولة» لدى الاحداث ، فهم ينظرون الى من يتهاون فى حقه على أنه «امرأة» وفى أفضل الاحوال على أنه «عيل» ، فان من يسترد حقه من أى شخص كان يعد فى نظرهم رجلا ، حتى وان تعرض للذل والاهانة أو العقاب فيما بعد ، فان الامر الهام هو أنه لم يخضع لمن سلبه حقه •

وينطبق ذلك أيضا عند التعرض للاهانة من الآخرين ، فان رد الاهانة يعد « عملا رجوليا » يلقى تشجيع واستحسان جميع الاحداث• وعندما لا يستطيع الحدث رد الاهانة — ربما لسلطة أو مكانة من أهانه — فانه لا يستطيع البقاء بين أقرانه خاصة اذا ما كانت له مكانة بينهم •

أما بالنسبة للمواقف الصراعية خارج نطاق المؤسسة ، أى فى خلال الحياة العملية ، أكد الاحداث أنه لابد من مواجهة الموقف بصرف النظر عما يؤدى اليه من نتائج • فلابد من رد الاهانة واسترداد الحق ، ويعد السكوت عن رد الاهانة أو التفريط فى الحق مساويا للتفريط فى العرض • فالحدث «الراجل» هو من يرد الاهانة على من وجهها اليه ، ويسترد حقه ممن سلبه اياه ، ويحظى مثل هذا الحدث بمكانة مرتفعة بين رفاقه • وعلى العكس من ذلك فان الحدث الذى يتهاون فى حقوقه يصبح عرضة للاهانة من الجميع ، ولا يحظى بأى احترام أو مكانة ، فهو فرد مهمل ، لا يستثيره سلب حقه ، ولا يستفزه توجيه الاهانة اليه •

١٨ — كشفت الدراسة عن أن **امتلاك المال** — بين الاحداث —

أصبح هدفا وغاية في حد ذاته بصرف النظر عن الوسيلة المستخدمة للحصول عليه ، فالاهتمام الاساسى بينهم الآن هو كم يمتلك ، وأصبح السؤال عن وسيلة وكيفية الحصول على المال سؤالا غير ذى قيمة ولا مبرر له . فقد بلغت نسبة الاحداث — الذين يعتقدون أن الناس تحترم من يحوز قدر كبيرا من المال دون الاهتمام بمصدره ٦٧٪ ، وبلغت نسبة من يعتقدون ذلك بدرجة متوسطة ٥ر٢٧٪ .

وتتفق تلك النتيجة مع ما يسود المجتمع المصرى الآن من ثقافة انفتاحية ، ومجتمع أصبح يسعى الى تحقيق أقصى قدر ممكن من الربح حتى ولو كان ذلك بأساليب منحرفة ، أو بتجارة فاسدة . فالغنى يجد فى ماله تدعيما قويا يفتح له الابواب الموصدة فيزداد غنى وثراء ، ولا يصبح له من هم بعد ذلك سوى الحصول على عائد أكبر مستغلا نفوذه وامتيازاته ، وما يقيمه من شبكة العلاقات تسهل له عمله . ففى مثل تلك الثقافة لا يصبح من المستغرب أن تسود قيمة الحصول على المال ، بصرف النظر عن مصادره ، بين أحداث الطبقة العاملة المصرية.

١٩ — أوضحت الدراسة وجود ظاهرة الجنسية المثلية بين الاحداث داخل المؤسسة . وتلعب تلك الظاهرة دورا كبيرا فى التأثير على العلاقات المتبادلة بين الاحداث وبعضهم البعض ، وبينهم وبين المشرفين والاخصائيين بالمؤسسة . فلقد تبين أن الجنسية المثلية بين الاحداث الجانحين — وخاصة بالنسبة لمن يقومون بالدور السلبى — لم تعد وصمة عار تدفع صاحبها الى الانزواء والانعزال عن الآخرين، والى أن يصبح هدفا للسخرية والتعليقات الجارحة . بل ان مثل هذا السلوك قد أصبح أمرا طبيعيا لا يلقى أى استنكار أو معارضة بين الاحداث .

ويمكن ارجاع ذلك التساهل فى موضوع الجنسية المثلية الى أن

تسامح الآباء مع أبنائهم فى مواقف الجنس يرتبط سلبيا بالمكانة الاجتماعية والاقتصادية للأسرة ، بمعنى أن الأسر ذات المكانة الاجتماعية والاقتصادية المنخفضة تميل الى التساهل أو التسامح مع أبنائها فى مواقف الجنس • واذا كان ذلك التسامح والتساهل متعلقا بالممارسات الجنسية السوية ، فانه من المشكوك فيه أن تحظى الجنسية المثلية بمثل ذلك التسامح والتساهل •

* ● *

واستخلاصا من تلك النتائج ، وفى ضوء فروض الدراسة الراهنة ثبت ما يلى :

ــ تتناسب درجة تعليم الحدث الجانح ، وكذا درجة تعليم والديه أو العائل تناسبا عكسيا مع جناح الاحداث •

ــ تتناسب درجة تعليم الحدث تناسبا طرديا مع ادراك أهمية التعليم كقيمة أساسية •

ــ تتناسب درجة التصدع البنائى والوظيفى للأسرة تناسبا طرديا مع جناح الاحداث •

ــ يتناسب المستوى المهارى والفنى لمهنة الحدث ومهنة والديه أو العائل تناسبا عكسيا مع جناح الاحداث •

ــ أكدت الدراسة أن السلوك الجانح سلوك نفعى تحكمه وتوجهه معايير المنفعة ، فعادة ما يسعى الحدث المنحرف الى سرقة ما يعود عليه بالنفع ، وما يحقق من ورائه عائدا ماديا مرتفعا •

ــ أكدت الدراسة أن السلوك الجانح هو سلوك مخطط ، وليس سلوكا عشوائيا ، فعادة ما يسعى الاحداث الى تحقيق أهداف معلومة لهم مسبقا ، وقد تكون تلك الاهداف ــ أحيانا ــ بعيدة المدى •

ـــ أكدت الدراسة الى حد ما وجود علاقة طردية بين الرغبة فى الانتقام من الآخرين والحقد عليهم ، وبين اتســام السلوك الجانح باللانفعية ، ويشكل ذلك النمط من السلوك اللانفعى جزءا يسيرا من النسبة الكلية من السلوك الجانح النفعى .

* ● *

سابعا : توصيات الدراسة :

١ ـــ ان أى دراسة الثقافة الخاصة الجانحة تستلزم بالضرورة توسيع نطاق البحث فى الجماعات الجانحة كأنساق اجتماعية ، وهذا يعنى أن يصبح موضـــوع البحث حينئذ هو بناء وعمليـــات وتاريخ الثقافة الخاصـــة للجمـــاعات الجانحة ، أكثر من كونه بحثـــا متعلقا بالشخصية الجانحة .

٢ ـــ ان الثقافة الخاصة الجانحة ليست مجرد استقطاب سلبى القيم السائدة فى المجتمع ، ولكنها تتضمن مجموعة قيم منتقاة من ثقافة المجتمع الآكبر ، ولذلك فلابد من النظر الى قيم الثقافة الخاصة الجانحة باعتبارها مجموعة من قيم المجتمع الكبير .

٣ ـــ يتأرجح الاحداث بين مرحلتى التعرض للجناح والجناح ذاته ، لذلك فانه من المفيد معاملتهم معاملة خاصة حتى لا يختلطون بالأنماط الاجرامية أثناء مراحل احتجازهم .

٤ ـــ ان الخبرات العاطفية التى مر بها الاحداث جعلتهم ينظرون الى العالم الخـــارجى على أنه عالم عدوانى ، مدمر ، بدائى من كل الوجوه ، وهذه الافكار يمكن تغييرها فقط عن طريق تغيـــير أساليب المعاملة التى يعامل بها الحدث فى المؤسسة . وتشبه فكرة الحدث التى كونها عن الآخرين فكرته التى كونهـــا عن نفسه . ان نواة فكرته عن نفسه أنه عدوانى مدمر تحـــركه دوافع لا يدركهـــا هو شـــخصيا

ويستخلصها من المجتمع الانسانى بطريقة مباشرة أو غير مباشرة •
وتكوين الحدث لهذا المفهوم عن ذاته يرجع الى أخطاء فى تربيته والى عقبات تعترض شخصيته ، وهذا هو الاساس فى تكوين السلوك الجانح • وفى هذه الحالة فان عقاب مثل هذا الحدث لن يؤدى الى تغيره ، بل على العكس سيدعم هذا المفهوم ويؤكده ، وسيصبح مصدر انطلاقة لهذا السلوك الجانح • ويمثل هذا المفهوم عن الذات تتضح مدى حاجة الاحداث الجانحين الى الشعور باحترام الذات ، وهذا يتطلب من الآخرين أن يعملوا من جانبهم على التعامل معهم كأفراد آدميين •

٥ ـ يجب الاهتمام بتدريب الحدث الجانح على الاحساس بالجمال وتذوقه فى صوره وأشكاله وتكويناته المختلفة فى كل ما يحيط به من عناصر الطبيعة ، وما تقع عليه حواسه من أشياء يستعملها بنفسه أو تحيط به فى بيئته ، واتاحة الفرصة له فى الانطلاق للتعبير عن احساسه تجاه تلك العناصر والاشكال المختلفة • الأمر الذى سيؤدى الى تكوين وعى مهنى لدى الاحداث يتمثل فى تذوقهم للحرف الشعبية المختلفة ، وفائدتها للفرد والمجتمع ، واحترام القائمين عليها ، واكتساب المهارات المختلفة المناسبة التى تساعدهم على الاندماج فى الحياة العملية فى المستقبل ، فضلا عن اكسابهم الاتجاهات السلوكية التى تمكنهم من الاندماج فى الحياة الجماعية ، وابراز شخصيتهم ، وتقوية شعورهم واتجاهاتهم نحو المجتمع ككل ، مما يحقق للحدث الشعور بالاطمئنان والثقة بالنفس عن طريق اشباع حاجاته النفسية وتقبل الآخرين لأعماله •

٦ ـ تؤكد الدراسة على أهمية اتباع سياسة الحكم الذاتى داخل مؤسسات الاحداث ، حيث يتعلم الحدث من خلالها قواعد وأصول

العلاقات الانسانية السليمة التى تحقق له الحياة الاجتماعية المتفاوتة، كما يستشعر الحدث ذاته فى ظل الحكم الذاتى ويبذل المحاولات بغية النمو وسط أقرانه ، يحكمه فى ذلك هيكل التشكيل وقواعد العمل المعمول بها . كما أن الحكم الذاتى يحقق للحدث حرية القول والتفكير والابتكار فى مناخ اجتماعى سليم .

٧ - لابد أن تتوافر العناية التامة عند اختيار موظفى ومشرفى وأخصائى مؤسسات الاحداث ، وانتقالهم من بين ذوى الاخلاق السامية ، مع توافر كافة الخبرات والتخصصات التى يحتاجها العمل الاجتماعى داخل المؤسسات .

٨ - يجب أن يكون التأديب الذى يوقع على الحدث داخل المؤسسة لما يرتكبه من أخطاء من نوع لا يضعف الشعور بالكرامة ، ولا يشعر الحدث بالذل والاهانة أمام أقرانه ، ولا يضر بالصحة .

٩ - العناية بالتعليم الدينى والثقافى الملائم لسن الحدث وحالته الصحية والنفسية ، وكذلك التعليم المهنى الموافق لبيئته ، اذ لا فائدة من تعليم الحدث حرفة أو صناعة لا يرجى لها رواج فى الوسط الذى نشأ فيه أو ينتظر أن يعود اليه عقب خروجه .

١٠ - التأكيد على أهمية تشغيل الاحداث بالورش الخارجية والمصانع بعد اعدادهم اعدادا مهنيا . ويكون التشكيل تحت اشراف الاخصائيين ، مع متابعة المؤسسة لمدى انتظامهم ، وتقدمهم فى العمل بصفة دورية .

١١ - ان من أهم الاشياء فى علاج الجناح احساس الحدث وشعوره نحو المشرف ، وبوجه عام نحو كل من يعيش معه فى نفس البيئة ، ولذلك جب أن يراعى هذا فى عملية الاشراف ، حتى أن مزاج

المجموعة كلها يتغير بتغير مزاج المشرف ، ولذلك فان توطيد الصلة بين المشرفين ومدير المؤسسة عن طريق الاجتماعات المتكررة والتحدث فى بعض شئونهم الخاصة ينعكس على الابناء .

١٢ ــ أوضحت الدراسة أنه يجب الاهتمام بالتربية الجنسية ، حيث يجب اضافة تعليم الناحية الجنسية ، عند تكوين المراهقين ، من الناحيتين العلمية والاخلاقية . فان الجيل الذى يقع فيه المراهق نتيجة لعدم أو قلة خبرته فى هذه الناحية يؤدى به الى أن يعتقد أن الامور الجنسية مجال لا تتدخل فيه الأسرة الا بطريقة القمع .

١٣ ــ ان الوقاية العملية من الجنسية المثلية تقوم أساسا على أمرين :

أ ــ سرعة اكتشاف الانحراف .

ب ــ انشاء خدمات علاجية متخصصة .

ان عددا كبيرا ممن يعانون من الجنسية المثلية ، يمكن اعادتهم الى المجتمع ، والقمع وحده أو العقاب العنيف ــ بالنسبة لهذه النوعية من السلوك ــ ليس له الا نتائج أضعف وأقل من نتائجه بالنسبة للجرائم الجنسية الاخرى .

١٤ ــ تؤكد الدراسة على أهمية الاستفادة من الطاقات الكبيرة لدى الاحداث الجانحين وتوجيهها نحو الاعمال النافعة ، واستنفاذها فى ممارسة الانشطة الرياضية المختلفة ، حتى لا توجه الى ممارسة أنماط السلوك المنحرف .

١٥ ــ تلعب الدراسة النفسية للأحداث دورا كبيرا فى الكشف عن حالات التوافق والتخلف ، والمشكلات السلوكية والاضطرابات

النفسية في مرحلة مبكرة ، وبالتالى يمكن الاعتماد عليها في اتخاذ أفضل سبل العلاج بالنسبة للأحداث المصابين ببعض الامراض النفسية ، وأيضا المصابين بالجنسية المثلية .

١٦ - لابد من الاهتمام أيضا بعمل دراسة لبيئة الحدث ، وعدم الإكتفاء بالدراسة الاولية المكتبية ، فضلا عن ضرورة عمل تقرير عن شخصية الحدث وسلوكه أثناء اقامته بالمؤسسة بصفة دورية •

تم بحمـد الله